مجموعَة الرّسائل المهمّة

حَول الزّيدية

مجموعَة الرّسائل المهمّة حَول الزّيدية

لا يَستغني عنهَا البَاحث وطَالب العِلم

تَأليف

الكَـاظِم الـزّيــدي

غفرَ الله له ولوَالديه وللمُؤمنين

الجزء الثالث

قرّضَه السيد العلامة الحجة عبدالرحمن بن حسين شايم المؤيدي

وكوكبَة من علمَاء أهل البيت «عليهم السّلام»

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

تنسيق وإخراج	محمد عبد الرحمن أبو طالب

رقم الإيداع (٩٨/ ٢٠١٤)

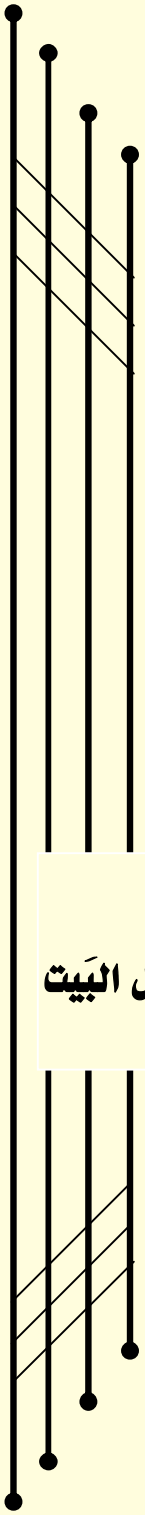

الثّامنة عشَر : فَدَكْ عِنْدَ أهْل البَيت

فدك عند أهل البيت (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رَبّ العالمين، الذي منَّ عَلينا بِرَسُوله الكَرِيم وَنَبيّه العَظِيم، لِيُزَكِّيَنَا، وَيُخْرِجَنَا مِنَ الظّلُمَاتِ إلى النّور، وَإلى الطّريقِ المُستَقِيم، وَأنْعَمَ عَلينَا بِأهْل بَيتِ نَبيّه المطَهَّرِين، الذينَ قَرَنَهُم بِكِتَابِهِ المُبِين، وَاخْتَارَهُم مِنْ بَينِ بَريَّتِه أجْمَعِين، لِيُواصِلوا نَهْجَ نَبيّهِ الأمِين فِي الدّعوَةِ إلى الهُدى والدِّين، وَلِيَحْرُسُوا دِينَهُ مِنْ تَحْرِيفِ الغَالِين، وَانتحَالِ المُبطِلِين، وَتَأويلِ الجَاهِلِين، وَصَلواتُ الله، وَبَرَكَاتُه على محمَّد وآله الطَّاهِرِين.

وبعد:

فإنّ قَضِيّة فَدك التّاريخية قد أُثيرَ حَولَها مِن الجَدل الشّيعي والسّني، مَا لَو نطَقَتْ عنهُ المحابَر لصاحَتْ واشتكَتْ، إذ لَو سألْنَا المُتأخرين عن نِزاع المُتقدّمين في هذه المسألةَ لَسَردوا وأطالُوا في السّرد، ولَو سألْنَا مُتأخري المُتأخّرين عن نِزاع المُتأخّرين في هذه المسألة لأطالوا في السّرد، ثمّ نَحنُ لو نَحكي حالَ مُتأخّري المُتأخّرين ومَا قالوهُ ونَقلوهُ، وجَادَلوا به في هَذِه المسألَة لوجَدنا أقوالاً كثيرَة، ثمّ بعدَ هذا كلّه لا اقتناعَ ولا تَسليم!، فأينَ إذاً تَكْمُنُ المُشكلَة ؟! ومَاهُو الحَل؟!.

والجواب: فالحقُّ أنّ الحقَّ في هذا الجِدال الطّويل العَريض ليسَ إلاّ واحِد، إمّا لأبي بكر، وإمّا لفاطِمَة، وسُوء الفَهْمِ عند استقراء النّصوص في هذه الحادِثَة لا شكّ أنّه سَببٌ رئيس في تَصعيد حجم مُشكِلة عَدم الاقتنَاع، والتّسليم للحقّ، وأهمّ مِن سُوء الفَهم، التّعصّب لآراء الرّجال ومواقِفهِم، وأمّا هذا فَدَاءٌ عُضال ليسَ له مِن دَواءٍ، إلاّ استحضَار الإنصَاف والاعتدال في النّظر والبحث والنّقد والتّرجيح، ومنهُ فإنّه لا عَيب في إطالَة الجِدال بُغيَة الوصولِ إلى الحقيقَة، وإنّما السَفَهُ كُلُّ السَّفَهِ أن نُجادِلَ لأجلِ الجَدَل، لا لأجْلِ الوُصولِ إلى وَجه الصّواب الحاسِمِ في المَسألَة، وهذا فإن حَصلَ وكان، فإنّ النتيجَة عدم اقتناعٍ ولا وُصول إلى الحقيقَة ولو بعد الآف الآف القرون.

نعم! ونحنُ فَيعلمُ الله تعالى أنْ لا غَرضَ لَنا بِكتابَتِنا هذه، غَيرَ النّزولِ عِندَ حُكمِ الله تعالى، وحُكمِ رَسولِه ﷺ، بلا إفراطٍ ولا تَفريط في القَول، نَستعرضُ تاريخَ فَدكٍ في عهد رسول الله ﷺ باختصار، ثمّ نُناقِشُ كيفيّة انتقالَ فَدَك إلى مِلكِ فاطمة عليها السلام، هَل بالإرث أم بالهِبَة ؟ ونَذكُر أدلّةَ هذا مِن مَصادر الطّرفَين (الزيدية، والفرقة السنية)، ثمّ نُناقشُ آليّة وكيفيّة النّزاع الذي حَصل بين أبي بكر وفاطمة عليها السلام، ونَذكُر في هذا ثلاث كيفيّات مَشهورة مَع مُناقَشَتِها، ثمّ بَعد الوقوفِ على كَيفيّة تَملُّكِ فاطمة لفدك، وكيفيّة النّزاع الذي بينها وبين أبي بكر، نذكرُ رأيَ أهل البيت عليهم السلام في المُحِقِّ مِنَ المُبطِلِ في هذه المسألَة، و الإجماع فَنستنتِجُهُ مِن أقوالِهم عليهم السلام، ولَسْنَا حَريصين هُنا على إبداء رأي أهل البيت عليهم السلام نَقْضاً لِقاعِدَة عدم التّقليد والتأثّر بآراء الرّجال في مَسائل البَحث والتّفتيش، بَل العَكس مِن ذلِكَ تَمَامَا فإنّ مَعرِفَة رأي أهل البيت عليهم السلام في هذه المَسألَة مُهمٌ بَلْ وحَاسِمٌ لُو تُؤمّل في أصُولِه جيّداً، فَرأيهُم حَاسِمٌ؛ لأنّ الله تعالى والرّسول ﷺ جعلوهُم قُرنَاء للكِتاب، فَالحقُّ مَعَ ما أجمعَ عليه سادات بَني الحَسن والحُسين، ورأيهُم حَاسِمٌ؛ لأنَّ الدّائرةَ على أمّهِم البَتول صلوات الله عَليهَا وعَليهِم، ولَيسُوا بالمُتَّهَمِينَ فِي دينِهِم وصِدقِهِم.

نعم! ثمّ تَنَاوَلَنا أبرَزَ ما قَد يُطعَنُ ويُعترَضُ على الزيدية به في مَذهبِهِم في هذه المَسألَة، وَنَاقَشناهُ بِما نسألُ الله تعالى أنْ يَكونَ حقّهُ أكثر مِن باطلِه، وصحيحهُ أكثرَ مِن سَقيمِه، فإن يَكُن الحقُّ هُوَ، فلله الحمدُ والمِنّة، وإن يكُن غير ذلِك، فإنّ الله غَفورٌ رَحيم بما يعلمُه من نيّة الفَقير، إذْ قَد احتطتُ لِنفسي بعدم التّساهُلِ المُفرِط الذي يَظلِمُ البَتول الزّهراء عليها السلام، ولا التّشدّد المُفرط الذي يَظلمُ أبا بكر صاحب الرّسول ﷺ، وكلّ هَذا اقتداءً منّي بسادتي وأهل بَيت نبيّي صلوات الله عليه وعليهِم إلى يوم الدّين، على أنّهُ جَديرٌ بالذّكر أنّ هذا البَحث مُوَجّهٌ لخصوص الأصحَاب أكثرَ منه إلى عُمومِ النّاس، ولن تَخلُوَ أن تَطالَ الفائدةُ منهُ الجميعَ بإذن الله تعالى، **نعم!** وهذا فأوانُ الابتداء وعلى الله التُّكلان، وبهِ العِياذُ مِنَ الخُذلان:

فدك في عهد الرسول ﷺ

فدك: عبارة عن تسع أراضي زراعية تقع حول المدينة المنورة، هالَ أهلها ما أوقعَ الرّسول ﷺ بأهل خيبر، في السنّة السابعة للهجرة، وذلكَ لّما عاندوا، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ، مُسلِّمينَ فدَك بما فيها، فدخَلتْ فدك في حِمى الإسلام، بدون حربٍ، ولا إيجاف خيل، ولم يتعبِ المُسلمون في الدّخول إليها، فكانَتْ بهذا من نصيب رسول الله ﷺ، خصّهُ الله بها من دون المُسلمين، فكانَتْ في يدِه، ولا يختلفُ جمهورُ المسلمين فيما أوردناهُ سابقاً . **نعم!** فكان رسول الله ﷺ إمام المُسلمين يتصرّف في فدك كيف شاء، **أولاً**: لأنّها مِلْكُه دون المُسلمين، بإجماع الأمّة. **وثانياً**: لأنّه إمام المُسلمين، وهيَ تحتَ تصرّفه، وفي هذا يقول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام، مُتكلّماً عن أنواع الأراضِي التي في يد الإمام: «وَأرضٌ صَالَح عَليها أهلُها وهُم فِي منعَة فَلا يُؤخَذُ مِنهُم، الاّ مَا صُولِحُوا عَليه، مِثلُ أهل نَجرَان وغَيرِهِم مِنَ البَلاد، فَهَذهِ أيضاً لَبَيتِ مَالِ المسلمِين، وأرضٌ أُجلِيَ عَنهَا أهلُها، وخَلّوهَا مِن قَبلِ أنْ يُوجَفَ عَليهِم بِخَيلٍ أو رِكاب، أو يُقَاتِلوا، مثل فَدَك، فَمَا كَانَ مِنَ الأرضِين عَلى هَذَا فَإمَامُ المسلمِين أولَى بِهَا يَصرِفُهَا حَيثُ شَاء ورَأى» [1]، وهوُ حقّ منه عليه السلام، فالرّسول إمام المسلمين وفدكٌ في يده لهذا السّبب، وهيَ في يده أيضاً لسبب تملّكِه لها دون المُسلمين.

أمّا أراضي أهل نجران التي صالحوا رسول الله ﷺ عليها، فَأرْجَعها رسول الله ﷺ لبيت المال، وصَرَفَها كإمامٍ غير مالك، فهذه الخراجات والغلاّت النجرانية بعد رسول الله ﷺ، تكون من حقّ بيت مال المُسلمين، والإمام الشّرعي هو المُتصرّف فيها، وفرقٌ بين أراضي أهل نجران و بين فدك، فأراضي أهل نجران يتصرفّ فيها الرّسول ﷺ بغير ملكيّة منه لها، بعكس فدك فإنّه ﷺ يتصرفّ فيها وهو المالكُ لها، فلو أنّه ﷺ صرفَهَا في غير بيت مال المُسلمين ما أُوخِذَ على ذلك؛ لأنّها في حقّه وفي مِلكه، بعكس أراضي أهل نجران فإنّ صَرْفَهَا في بيت مال المسلمين واجب، فافهم ذلك؛ لأنّه

(١) الأحكام : ١/ ١٧٧ .

أصلٌ خطير، يترتّب على فَهمِه إيرَادَاتٌ وإصدراتٌ كثيرة، فرسولُ الله ﷺ ما كان يصرفُ من فدك على المسلمين إلاّ تكرّماً وتفضّلاً، لا حتماً وإيجاباً وفرضاً من الله عليه، كأراضي أهل نجران مثلاً، وقد روى أبو داود وغيره ما يُثبت أنّ الرسول ﷺ كان يتصرّف بفدك تصرف المالك المُستقلّ، المُنفق على البعض دون البعض، كيفما شاء، وأنّه يخصّ بها جماعةً دونَ جماعة حسبَ اختياره، فروى أبو داود في السنن أنّ عمر بن عبدالعزيز جمعَ بني مروان وقال لهم: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، كانَتَ له فَدَكُ فَكَانَ يُنْفِقُ منها وَيَعُودُ منها على صَغِيرِ بَنِي هَاشِمٍ وَيُزَوِّجُ منها أَيِّمَهُمْ»[1].

فدك مِلكٌ للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، نِحْلَةٌ لفاطمة الزهراء عليها السلام:

نعم! فإنْ أنتَ رحمكَ الله عَلِمتَ هذا، وأيقنتَهُ، فَهلمّ الحديث عمّا يُقوّي عقيدتك حول كلامنا السّابق، من أنّ رسول الله ﷺ هُو المالكُ الوحيد لفدك دونَ المُسلمين؛ وذلكَ لأنّه ثبتَ بما لا يَجعلُ للشكّ مَدخلاً، أنّ رسول الله ﷺ أنْحَلَ (وَهَبَ) فاطمة عليها السلام أرضَ فدك، من طُرقٍ مُتعدّدة، فلو كانَت للمسلمين جميعاً، ما كان لرسول الله ﷺ الحق أن يُنحِلَ ابنتَهُ أرضاً ليسَت لَه، وسننقلُ هُنا إجماع جمهورٍ من أهل العلم على هذه النِّحلة، التي قد يَعتقد البَعض، أنّها دَعوى فارغَة، عاريَة عن الصحّة! والله المُستعان .

أولاً: روايات النِّحلة من غير طريق الزيدية

١- قال جلال الدين السيوطي في الدر المنثور : «وأخْرَجَ البزّار، وأبو يَعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «لّما نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة: ﴿**وآتِ ذَا القُربَى حَقّه**﴾، دَعَا رَسولُ الله فَاطِمَة، **فَأعطَاهَا فَدَكَ**»[2].

٢- روى الهندي في كنز العمال بسند صحيح -قال: إلاّ الواقدي-: «.. فقَال أبو

(١) سنن أبي داود : ٣/ ١٤٣، سنن البيهقي الكبرى : ٦/ ٣٠١ .

(٢) الدر المنثور : ٥/ ٢٧٣ .

بَكر: أبوكِ والله خَيرٌ منّي وأنْتِ خَيرٌ مِنْ بَنَاتي، وَقد قال رسول الله: (لا نُوَرِّثُ، مَا تَركنَاهُ صَدَقَة)، يَعني هَذِهِ الأموال القَائمَة، فَتَعْلَمِينَ أنَّ أبَاكِ أعطَاكِهَا، فوالله لئن قُلتِ نَعم لأقْبَلَنَّ قَولَكِ، ولأصَدِّقَنَّكِ . قَالتَ: جَاءتنِي أمّ أيمَن، فَأخْبَرتنِي أنّهُ **أعطَانِي فَدَكَ** . قَال عمر: فَسَمِعْتِهِ يَقولُ: هِيَ لَكِ، فَإذَا قُلْتِ قَدْ سَمِعتُهُ فَهِيَ لَكِ فَأنَا أُصَدِّقُكِ، فَأقْبَلُ قَوْلَكِ . قَالت: قَد أخْبَرتُكَ بِما عِندِي» [1].

قلت: يَهُمُّنا هُنا قول الزهراء ﷺ أنّ رسول الله ﷺ أعطَاهَا فدك، أو إخْبَارُ أم أيمن أنّ رسول الله ﷺ أعطى فدك لفاطمة عليها السلام، وإلاّ فَمَضمون الرّواية فيه غرابَة.

٣- قال الواحدي في أسباب النزول: «أخرج الطبراني وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: لما أُنزلت: ﴿**وَآتِ ذَا القُرْبَىٰ حَقَّه**﴾ دعا رسولُ الله ﷺ فاطمة **فأعطاها فدك**»[2].

٤- روى عمر بن شبّة في كتابه أخبار المدينة: «.. حدثني النميري بن حسان، قَال: قُلتُ لِزيد بن علي -رَحْمَة الله عليه-، وأنَا أُرِيدُ أنْ أُهَجِّنَ أمْرَ أبي بَكْر، إنَّ أبَا بَكر رضي الله عنه انْتَزَعَ مِنْ فَاطِمَة رَضي الله عنها فَدَك . فَقَال: إنَّ أبَا بَكر رضي الله عنه كَانَ رَجُلا رَحيمًا، وَكَانَ يَكرَهُ أنْ يُغَيِّر شَيئاً تَرَكَهُ رَسُول الله، فَأتَتهُ فَاطِمَة رَضي الله عنها فَقَالَت: **إنَّ رَسُولَ الله أعطَانِي فَدَك**، فَقَال لَهَا: هَلْ لَكِ عَلى هَذا بَيِّنَة ؟!. فَجَاءَت بِعَليٍّ رضي الله عنه **فَشَهِدَ لَهَا**، ثُمَّ جَاءَت بأمٍّ أيمَن، فَقَالَتْ: اليسَ تَشْهَدُ أنِّي مِن أهلِ الجنّة؟!، قَال: بَلى . قَال أبو أحمَد: يَعني أنّهَا قَالت ذَاك لأبي بَكر وعُمَر -رضي الله عنهما- . قَالَتْ: **فَأشْهَدُ أنَّ النّبيّ أعطَاهَا فَدَك** . فَقَال أبو بكر رضي الله عنه: فَبِرَجُلٍ وامْرَأةٍ تَسْتَحِقِّينَهَا، أو تَسْتَحِقِّينَ بِهَا القَضيّة . قَال زيد بن علي: وَأيمُ الله لَوْ رَجَعَ الأمْرُ الَيَّ لَقَضَيتُ فِيها بِقَضَاء أبي بَكْرٍ رَضِي الله عنه» [3].

---

(١) كنز العمال : ٢٤٩ .

(٢) أسباب النزول : ٣٧٤ .

(٣) أخبار المدينة : ١/ ١٢٤ .

قلت: يَهُمّنا هُنا أمر النّحلَة، من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لفاطمة الزاهراء عليها السلام، وإثبات زيد بن علي عليه السلام له، وستأتي مُناقشة هذه الرواية عن زيد بن علي عليه السلام، وما يترتّب عليها، قريباً.

٥- روى أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتابه السقيفة وفدك: «... حدثنا البحتري بن حسان، قَال: قُلْتُ لزيد بن علي عليه السلام، ... [وأتى بنفس رواية ابن شبّة السّابقة، بإثبات النِّحلة من الرسول لفاطمة عليها السلام]» (١).

٦- ومنه ما ذكره اليَعقوبي في تاريخه، فَقال ما نصه: «وَرَفَعَ جَماعةٌ مِن وَلَدِ الحسن والحسين، إلى المأمون يَذكُرونَ أنّ فَدك كَانَ وَهَبَهَا (**تأمّل**) رَسول الله لِفَاطِمَة وأنّهَا سَألَت أبَا بَكر دَفْعها إليها بَعد وفاة رسول الله، فَسَألَهَا أنْ تُحضِرَ عَلى مَا ادّعَتْ شُهوداً، فَأحْضَرَتْ علياً والحسَن والحسين وأم أيمن، فَأحضَر المأمون الفقهاء، فَسَألَهُم عن [مَا] رَوَوا أنّ فَاطمَة قَد كَانَت قَالت هَذَا، وَشَهِدَ لها هَؤلاء، وأنّ أبا بكر لم يُجِز شَهَادَتَهُم، فَقَال لهم المأمون: مَا تقولون في أم أيمن ؟ قَالوا: امرأةٌ شَهِدَ لها رسول الله بالجنة، فتكلم المأمون بهذا بكلام كثير ونصهم إلى أنْ قالوا إنَّ عليّاً والحسن والحسين لم يشهدوا إلاّ بحق فلمّا أجمَعُوا عَلى هَذا ردّها على ولَد فَاطِمَة وَكَتبَ بِذلك، وسُلِّمَت إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمّد بن عبد الله بن الحسن [الحسين]بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب» (٢).

ثانياً: روايات النِّحلة من طريق الزيدية

وهُنا ننقل روايات سادات أهل البيت عليهم السلام، وشيعتهم الكرام، في أمر إعطَاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فَدك لفاطِمَة الزهراء عليها السلام، فمنها:

---

(١) السقيفة وفدك : ١١٠ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٦٩.

١ - قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النهج: «بَلَى! **كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكُ** مِنْ كلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّماءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْم، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الحَكَمُ اللهُ . وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَك وَغَيْرِ فَدَك، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ»[1].

تعليق: هُنا تأمّل كيفَ جعلَ أمير المؤمنين عليه السلام، فدك في أيديهم، وما كان في يد فاطمة عليها السلام، فهو في يد علي عليه السلام، وفي يد وَلَدِها، وتأمّل أيضاً أنّ سياق هذا الكلام، كان واقعاً ضمن كتابٍ يُزهِّدُ فيه أمير المؤمنين عليه السلام عثمان بن حُنيف الأنصاري في أمر الدنيا، فَيَذكُر الإمام عليه السلام مُستطرداً حالَهُ، وزُهدَهُ عَن فَدك، التي كانت بأيديهم، وأنّهم ما تركوها إلاّ سَخاءً منهم، عندما شحّتْ النفوس عليها، فافهَم ذلك، فهذا أصلٌ قوي يُمسَك به.

نعم! قال الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام، في الديباج الوضي شارحاً لكلام الإمام السّابق: «"قَد كَانَت فِي أيدِينا فدك مِن كُلّ مَا أظَلَّته السماء": فَدك: قَريةٌ قريبة من المدينة نَحَلَهَا (تأمّل) رَسول الله فاطمة، وأعَطَاهَا إيّاها، وكَانَت ممّا لَمْ يُوجَف عَليه بِخيلٍ ولا بِركاب، فَكَانَ رَسولُ الله يَأخُذ مِنها لخاصّة نَفسِه مَا يَحتَاجُه، ثمّ أعطَاهَا بَعدَ ذَلك فَاطِمَة...، "فشحَّت عليها نفوس قوم": يُشيرُ إلى مَا كَان مِن تَيمٍ وعَدي وبَني أمية، وإنّمَا عَدى شحَّت بعَلى؛ لأنّ الشح فِي معنَى الحِرص، فَإنّ فَاطمة عليها السلام أخبَرَتْ بِأنّ أبَاهَا نَحَلَهَا إياها (تأمّل)، فَمَنَعَهَا أبو بَكر ذَلك، وكَانَ هَذا مِنْ أقوَى مَا يُذكَر فِي مَطاعِنِ خِلافَتِه، مَعَ مَا كَان مِن حديث الميراث، وغَيرُ ذلك مِن المطَاعن، فإنّهَا لما ادَّعتها قَال لها أبو بكر: أثْبِتِي بِرَجُلَينِ أو بِرَجُلٍ وامرأتين، فَقد قيل: إنّها جَاءت بِأمير المؤمنين فأبَى ذلك، ولعلّه [أي أبو بكر] كَانَ يَذهبُ إلى بُطلان الحُكْم بِالشَّاهِد واليَمِين للمدَّعِي، وفَاطمَة تَذهَبُ إلى جَواز ذلك . "وسَخَتْ عَنْهَا نفوس قومٍ آخرين": يُشيرُ إلى نَفسِه وفَاطمة والحسَن والحسين، وإنما عدَّاه بعن؛ لأنّ السّخاوة متضمّنة لانقِطَاع الرّغبة عن الشيء المسخوّ به، فَلِهَذا عدَّاه بعن؛ لأنّهُم لمّا رَأوا مِن كَثرَة المطَالبَة فِيها أهمَلُوهَا وتَرَكُوهَا. "ونِعْمَ الحَكَمُ الله": بَين

(١) نهج البلاغة : ك٤٥ .

الخلائق، أو فِيمَا ندَّعي مِن فَدَك وغَيرِهَا» [1]، اهـ بحروفه، ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي في الشرح: «سَامَحَتْ و أغْضَتْ، ولَيسَ يَعني هَاهُنا بالسّخَاء إلا هَذا، لا السّخَاء الحقيقي؛ لأنّه عليه السلام و أهله لَمْ يَسْمَحُوا بِفَدَك إلاّ غَصْباً وَقَسْراً» [2].

٢- روىٰ أبو العَبّاس الحسني عليه السلام في المصَابيح، بإسنادِه، عن زَيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: «جَاءت فَاطِمَة بنت رَسُول الله إلى أبي بَكر، فَقَالَتْ: إنَّ رَسولَ الله أعطَانِي (**تأمّل**) فَدكاً فِي حَياتِه ... الخ» [3].

تعليق: الغرض هُنا هُو الإشارة لثبوتِ النّحلة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للزهراء عليها السلام، وسنأتي علىٰ الخبرِ كَامِلاً، عند مُناقشَة روايات كيفية مُطالبة الزهراء عليها السلام بِفَدَك .

٣- روىٰ أبو العَباس الحسني عليه السلام في المصَابيح، بإسناده، عن جَعفَر بن محمّد، عن أبيه: «أنَّ فدكاً تِسْعُ قَريَاتٍ مُتَّصِلات، حَدُّ منها مِمّا يَلي وادي القرىٰ، غَلَّتها في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، لَم تُضرب بِخيلٍ ولا رِكاب، أعطَاها (**تأمّل**) النبي صلى الله عليه وآله وسلم فَاطِمَة عليها السلام قبل أن يُقبَضَ بأربَعِ سِنين، وَكَانَت فِي يَدِهَا تَحْتَمِلُ غَلاّتها، وعَبدٌ يُسمَّىٰ جُنَيرا وَكِيلُهَا ... الخ» [4].

٤- روىٰ أبو العباس الحسني عليه السلام فِي المصَابيح، بإسناده، عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام: «أنّه -أبو بكر- أخْرَجَ وَكيلَ فَاطِمَة مِنْ فَدَك، وَطَلَبَهَا بِالبَيِّنة بَعدَ شَهْرٍ مِن مَوتِ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فَلَمَّا وَرَدَ وَكِيلُ فَاطِمَة عليها السلام، وقالَ: أخْرَجَنِي صَاحِبُ أبي بَكر، سَارَتْ فَاطِمَة عليها السلام وَمَعَهَا أمّ أيمَن وَنِسوَةٌ مِن قَومِهَا إلى أبي بَكر، فَقَالَتْ: فَدَكٌ بِيَدِي أعطَانِيهَا (**تأمّل**) رَسُول الله وَتعَرَّضَ صَاحِبُكَ لِوَكِيلِي .. إلخ» [5].

---

(١) الديباج الوضي : ٥/ ٢٤٤٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي : ١٦/ ٢٠٨

(٣) المصابيح لأبي العباس الحسني : ٢٦٣.

(٤) المصابيح لأبي العباس الحسني : ٢٦٥ .

(٥) المصابيح لأبي العباس الحسني : ٢٦٥ .

٥- روى حافظ الزيدية محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله في المَنَاقِب، بإسنَاده، عن أبي مَريم الأنصَاري وأبَان بن تَغلب، عن جَعفَر بن محمّد عليه السلام، قَال: لمّا نَزَلَتْ هذه الآية: ﴿**وآتِ ذَا القُربى حَقّه**﴾، قَال: دَعَا رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَاطِمَة فَأعطَاهَا (**تأمّل**) فَدَك . قال أبَان بن تغلب: قُلتُ لِجَعفَر بن محمّد: مَنْ ؟! رسول الله أعْطَاهَا !!. قَال عليه السلام: بَلِ الله أعطَاهَا» [١].

٦- أجابَ الإمام نجم آل الرسول القاسم الرسي الحسني عليه السلام، على مَسألة ابنه محمَّد رضوان الله عليه، عَن تُراثِ الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، فَتضمّن جَوابُه عليه السلام، مَا نصّه: «وذُكِرَ أنّ رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **أعطَى فَاطِمَة** صَلوات الله عليهَا فَدَكاً». وَفِي مَوضع آخر، يُجيبُ عن مسألة ابنه، فيقول: «ادّعَتْ فَاطِمَة أنّ رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **وَهَبَ فَدَكاً لَهَا فِي حَياتِه**، وشَهِدَ لَهَا بِهِ مُؤمِنَان، عليٌّ وأمّ أيمَن» [٢].

٧- قَالَ صاحب المستطاب يحيى بن الحسين: «ومنهُم عَلي بن العبّاس الأزرق الأسدي الكوفي، راوي حديث أبي سعيد لما نَزلت ﴿**وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ**﴾، دَعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فَاطِمَة **فَأعطَاهَا فَدَكاً** . وقَد رَواه أئمّتنا عليهم السلام» [٣].

٨- قال الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام، في الشافي: «كَان مِن أمرِ فَاطمَة عليها السلام السُّلالَة المرضيّة، والنّسمَة الزّكيّة، والجُمانة البَحريّة، واليَاقوتة المُضيئَة، مَاكَان مِن النّزاع فِي الإرث، وَبعد ذَلِك فِي أمْر النِّحلَةِ لِفَدَك وَغيره، مَاشَاعَ فِي النّاس ذِكرُه، وَعَظُمَ عَلى بَعضِهِم أمْرُه» [٤].

٩- قال الفقيه العالم حُميد بن أحمد المحلّي رحمه الله تعالَى : «وَعندَ العِترة عليهم السلام ، أنَّ فَدَكاً كان فِي يَدها **بِطريقَة النِّحلَة** مِن رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» [٥].

---

(١) مناقب أمير المؤمنين، لمحمد بن سليمان الكوفي، ج٢/ ص٢٠٢/ ح٦٧٤.

(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي عليه السلام، مسائل القاسم عليه السلام : ٢/ ٦١٣ .

(٣) المستطاب ليحيى بن الحسن : مخطوط .

(٤) نقله عنه الإمام الحجة مجدالدين المؤيدي في كتابه لوامع الأنوار :١/ ٦١٩ .

(٥) محاسن الأزهار : ٢٨٧ .

١٠- وَيَنقلُ العلامة الزحيف في كتابه مآثر الأبرار، قول أبي القاسم البُستي الزّيدي: «قال البُستي: والذي نَقُول في ذلك: إنّ فَدَك وَخَيبر كَانَا لَهَا -لفاطمة-، ومعلوم أنها ادَّعَتْ وَنَاظَرَتْ أبَا بَكر، **وأهلُ البَيتِ أجْمَعُوا على ذَلِكَ عَنها**..»[1].

نعم ! ومن هذا كله -أخي في الله- عرَفنا وعرَفتَ، واطّلعنا واطّلعتَ، على أنّ أمر النِّحْلَة ثابت عن رسول الله ﷺ، وكان ما سبقَ من كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وزيد بن الحسن بن علي، وجعفر الصادق، وعبدالله المحض، وزيد بن علي في رواية العامة عنه، دليلٌ على إجماع أهل البيت عليهم السلام على أنّ فدك كانت لفاطمة عليها السلام، نِحْلَةً وهِبَةً من رسول الله، فإنْ عرفتَ هذا، بقي الكلام على كيفية انتزاع فدك من فاطمة عليها السلام، وكيف ادّعتْ فاطمة على مُنتزعيها ؟، و أقصى ما يترتّبُ على ذلك تخطئةً وتصويباً في الأحكام، ومن هذا كلّه، سنقفُ بإذن الله تعالى على إجماع أهل البيت عليهم السلام في مسألة النزاع، ومَن المُخطئُ ؟ ومَن المُصيب ؟.

فدك في عهد أبي بكر، وكيفيّة النزاع حولها

أنْحَلَ رسولُ الله فدكاً فاطمة، وهُنا انتقلَتْ فدك من مِلْكِ رسول الله ﷺ إلى مِلْكِ فاطمة عليها السلام، فأرسَلَتْ وكيلاً لها عَليها يُدعَى جُنيرَا -ولا دقّةَ في زمن الإرسال لهذا الوكيل، أفي عهدِ الرّسول أم بعدَ موتِه ؟ ولكنّ الأكيد أنّه كان لها وكيلاً على الأرض-، ولَم تَمنَع عليها السلام رسول الله ﷺ من التصرّف في غلاّت هذه الأرض بعد تملّكها، ودليلُ هذا هُوَ ظنّ بعض الصّحابة بعد موت رسول الله ﷺ أنّ هذه الأرض مازالتْ مِلكاً لرسول الله ﷺ؛ لّما رأوهُ يتصرّفُ فيها تصرُّفَ المالِك إلى أن توفي، **نعم !** ماتَ الرّسول ﷺ وانتقلَت الخِلافَة خطأً لأبي بَكر، وبعدَ شهرٍ من الزّمان -وقيل نصفُ الشّهر-، استنكرَ أبو بكر وجودَ عاملٍ لفاطمة عليها السلام في أرْضِ فَدك؛ فما كان منه إلا أن أرسَل عامِلَهُ مُخْرِجاً وَكيلَهَا جُنيرا مِن فدَك، أخبرَ جُنيرا سيّدتهُ فَاطمَة الزهراء عليها السلام بفعل أبي بَكرٍ مَعَه .

(١) مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، لمحمد بن علي الزحيف : ١/ ٢٣٧ .

نعم ! ومن هُنا اختلفَت الروايات في إبراز ما دارَ بين فاطمة عليها السلام وبين أبي بَكر بن أبي قُحافَة، ونحنُ هُنا ذاكرون ما وَقَعَ تحتَ أيدينا منها، ومُتكّلمون على أقصى ما يترتّبُ عليها، وقد أخذنا على عاتقنا أن نُنْصِفَ المُخالِفَ من أنفُسِنا:

الرّواية الأولى في كيفية المُنازَعة: [نقصُ نِصاب الشّهادَة] :

أنّ فاطمة طالبت أبا بكر بِفَدك على أساس أنّهَا هِبَةٌ لَهَا مِنْ رَسُول الله، فَطَالَبَهَا أبو بكر بِالبيِّنَة، فَشَهِدَ لَهَا عَليٌّ وأمّ أيمن، فَاعتبَرَ أبو بَكر نِصَابَ الشَّهَادَةِ نَاقِصَاً، وَقَال: يَابْنَة الصّفوة ائْتيني بِرَجُلٍ مَع الرّجل، أو بِامْرأةٍ مَع المَرأة؛ لأنَّ الله تعالى يَقول: ﴿**وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ**﴾ [البقرة:٢٨٢]، فَلم تَجِدْ.

مَا يَتَرَتَّبُ عَلى هَذِه الرّواية:

لنا: أبو بَكر على ضوء الرّواية، مُسَلِّمٌ بالهِبَة، وامتلاكِ فَاطمَة لِفَدك، مَتى أحْضَرَت الشّهود، وعليه فإنّ هذه الرواية تُسْقِطُ غَيرَهَا مِنَ الرِّوَايَات التي طَالَبَتْ فِيهَا فَاطِمَة بِفَدَك على أنّها إرث، واحتُجَّ عليها بأنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «نَحنُ مَعَاشِرَ الأنبياء لا نُورِّث، مَا تَركنَاهُ صَدَقَة» .

علينا: أبو بكر لَم يَطلُب من فاطمة، إلاّ شرعاً، فَنِصَابُ الشّهادة نَاقِص، فإمّا رَجُلان، أو رجلٌ وامرأتان، وفَاطمة لم تُحضِر إلاّ رجل وامرأة، فَحُكمُ أبي بكر صَحِيحٌ بِظَاهِر الشّرع، عِندمَا منعَ فاطمَة فَدَكاً، وهُوَ بذلك مُجْتهدٌ على ضوء الشّرع، وهُو مَأجُور.

لنا: أنّ أبا بكر ليسَ بالرّجل الجَاهِل، بِحَال الشّهود، ولا بِمَداخِلِ الشَّريعَة وَمَخَارِجها، فالاجتهادُ الذي يُؤْجَرُ عليه العَالِمُ، حَتْماً لا يجرّ غضبَ الله والرّسول، وَقَد ثَبَتَ قَطْعاً وإجمَاعاً، أنّ غضبَ فاطمة هُوَ غضبُ الله والرّسول، وَقَد ثَبَتَ قَطْعاً وإجماعاً: أنّ فاطمة سيّدةُ نِسَاءِ العَالمين، فَكان على أبي بكر أن يتحرّى في اجتهادَه عِندَ مَعْرِفَتِهِ لِمنزلَة فَاطِمَة عليها السلام، ثمّ كانَ عليه أن يتحرّى أكْثَرَ وَأكْثَر عِندمَا تُحْضِرُ سلام الله عليها، رجلاً يدورُ الحقُّ معه أينما دار، مُنزّهٌ عن الزّور والبَاطل، وعندما تُحْضِرُ سلام الله عليها، امرأةً شهدَ لها

رسول الله ﷺ بالنّجَاة والجنّة . **نَعَم** ! أضِف إلى ذلك أنّ شهادَة الرّجل الثّقة الثّبت العَادِل الوَاحِد قد أخذ بها الرّسول ﷺ، ولا أُخالُنا نَجهلُ حالَ ذي الشّهادَتين، خُزيمة بن ثابت رضوان الله عليه، مَعَ رسول الله ﷺ، وذلكَ عندمَا اشترَى رسول الله ﷺ فَرَساً من أَعْرَابي، ثمّ أنكرَ الأعْرَابي أنّهُ باعَها من رسول الله ﷺ، وطلبَ الأعرابي من الرّسول ﷺ شُهوداً، وتجمّع المُسلمون يَنْعَوْنَ على الأعرابي، بأنْ وَيحَكَ أمِن رسول الله ﷺ تطلب الشّهود ؟! فَشَهِدَ للرّسُول ﷺ خُزيمَة بن ثَابت، فجعلَ رسول الله ﷺ شهادة خُزيمة بن ثابت شهادَة رَجُلَين اثنَين؛ ولذلك سُمّيَ ذو الشّهادتين، أضِف إلى ذلكَ أنّهُ قد أُثِرَ لنا عن فقيه الآل أحمد بن عيسى بن زيد بن علي عليه السلام، وهُوَ الرّجل، أنّه سُئلَ عن رَجُلٍ تَجُوز شهادتهُ وحْدَه، فقال عليه السلام: «لا، إلاّ علياً، والحسَن، والحُسين. فَقِيل: وَكيفَ ذَلِك ؟!. قَال: لأنّهُم معْصُومُون»[1]، أضِف إلى ذلك، أنّ رسول الله ﷺ قد قَبِلَ شَهَادَة الرّجل الوَاحد فِي هِلالِ شَهْرِ رَمَضَان[2]، وقَال مَالِك بن أنس: «لا تَجُوزُ شَهادَة الرّجل الواحد مع يمين الطالب إلاّ فِيْ الأمْوال» [3]، وفَدك مِن الأمْوال، وروى ابن مَاجة أنّ النبي ﷺ أَجَازَ شَهَادَةَ الرَّجُلِ وَيَمِينَ الطَّالِبِ[4]، وذكرَ عبدالرّزاق في مصنّفه: «أنّ شُريحاً أجَازَ شَهادَة امرأتين! فِي عِتق» [5]، وقَال القُرطبي في الاستذكار: «وقال ابن القاسم: من أقام شَاهِدَين على الغَريم، وأقامَ آخرُ عليه شاهداً ويَميناً، فَهُمَا سَواء في أسوة الغُرَمَاء . قَال أبو عمر قَد كَان جَمَاعَةٌ مِن جُلَّةِ العُلَمَاء يُفتونَ ويَقْضُونَ بِاليَمينِ مَعَ الشّاهِد اتّبَاعَاً للسنّةِ (**تأمّل**) فِي ذَلك، ..، قَال حَمّاد، وَحدّثني عبد المجيد بن وهب، قَال: شَهدتُ يحيى بن يعمر قَضَى بذلك» [6].

أقول: هَذَا كُلّه مِن غَير طَريق عُلَمَاء أهل البيت عليهم السلام، فَأمّا مِن طَريقِنا، **فَنقول**: قَال

(١) جامع علوم آل محمد، للشريف أبي عبدالله محمد بن علي الحسني العلوي، ج٦.

(٢) سنن النسائي الكبرى : ٢/ ٦٨ .

(٣) المدونة الكبرى : ١٦/ ٤١٧.

(٤) سنن ابن ماجه : ٢/ ٧٩٣.

(٥) مصنف عبد الرزاق : ٨/ ٣٣١.

(٦) الاستذكار : ٧/ ١١٢.

الإمَام القَاسم الرسي عليه السلام: «مَا رَأيتُ أَهْلَ البَيت يختلفون فِي اليَمين مَعَ الشّاهد-يعني في جَواز ذلك-»، وقال الحافظ محمد بن منصور رحمه الله: «بَلَغَنا عَن عَليّ صلّى الله عليه، أنّهُ قَضَى بِشَاهِدٍ وَيَمينٍ في الحُقوق»، وكَانَ الإمام الباقر محمّد بن علي عليه السلام يَحلِفُ بالله إنّ عليّاً عليه السلام قضَى بِشاهدٍ وَيمينٍ بالكوفة -يَعني فِي الأموال- . وَروى الشّريف العَلوي عن جَعفَر الصّادق عن آبائه عن الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، أنّه كَان يَقضِي بِاليَمِين مَعَ الشّاهِد فِي الحُقوق[1]. **نَعم!** ومن هذا كلّه، نقول إنّ أبَا بكر على ضوء الرواية السّابقة، مُجتهدٌ مُخطئٌ غير مأجور، فَحُكْمُه أدّى إلى غَضَبِ الله والرّسول، ونَزْعِ حقٍّ ثابت مِنْ أيْدِي أصْحَابه، معَ أنّه كانَ بإمكانه أن يَحْكُمَ بالشّاهِدِ واليَمين فِي الحقوق؛ اقتداءً برسول الله، وتخلّصاً مِنْ إغضَاب سيّدة نساء العَالمين، وليس ابن أبي قحافة عِنْدنَا ولا عِنْدَ أصحابِهِ بالرّجل الجَاهِل بِهذِه الأحْكام، ولا بِالجَاهل بِطُرُق الاجتهاد الفَردِي الخَاصّ بالخَليفة أو القَاضي، حسب التّرجيح .

لنا: إنّ مِنْ مَداخِل الشّريعة ومَخَارِجها، أنّ القاضي يَحكُمُ بعلمه فِي المسألَة كَمَا عِندَ الشّافِعي وَغيرِه مِنَ الفُقَهَاء، وكَمَا هُوَ المشهور عِندَ أهل البيت عليهم السلام؛ ذكرَ هذا محمد منصور رحمه الله تعالى؛ عن أحمَد بن عيسى بن زيد عليه السلام، وأقرّه أئمة الزيدية وفقهائهم، فقال محمد بن منصور فِي الجامع: «جَائزٌ للحَاكِم أن يَحكُمَ بِعلمِه فِي جَميعِ مَا ظَهَرَ عَليه مِنْ حُقوقِ النّاس فِيمَا بَينَهُم، مِثلُ الدّمَاء والقصَاص، والقَذف، والنّكاح والطّلاق، والعِتَاق والدّيْنِ والأموَال وأشبَاه ذَلك، سَواءً كَانَ استُشْهِدَ عَليه أو لَمْ يُستَشْهَد، وسَواءً كَانَ قَدْ عَلِمَهُ قَبلَ أنْ يَسْتقضِي أو بَعدَ مَا استقضَى، وسَواء عَلِمَهُ فِي مَجلِس القَضَاء أو فِي غَيرِه، قَال بِذلكَ أحمد بن عيسى بن زيد عليه السلام وغيرُه مِن أهلِه، وقَال بِهِ أيضاً حسن بن صالح، وأبو يُوسُف، وحسن بن زياد» [2]، فإن تقرّرَ هذا، فإنّ أقلَّ التحرّي في مسألَة مُطالبَة الزهراء عليها السلام، وشهادَة علي وأُمّ أيمن، هُوَ أن يَرقَى هذا كلّه بالمسألَة إلى درجَة العِلْم بِالنّسبَة إلى أبي بكر، بأنّ الحقَّ لفاطمة عليها السلام بِشَهَادة هؤلاء الأفَاضِل، وأنّه لو حُكِمَ لها مَع نَقص نِصَاب الشّهادَة، فإنّ

(١) راجع جميع ما سبق، في ج ٥ من جامع آل محمد للشريف العلوي .

(٢) جامع علوم آل محمد : ج٥ .

هَذا سيكونُ حُكماً بالصَّواب، وأنّ مَنْعَ النّاس حقوقها، الـذي هُـو ردٌّ لـشهادَة هـؤلاء الأفاضـل، أقلّه أنْ يكونَ فيه نظَر!، وأكثرُهُ أنْ يكونَ فيه ظُلمٌ.

لنا: أبو بكر حَكَمَ لغير فاطمة الزهراء عليها السلام، بغير طَلَـبٍ للـشهود، فَـضْلاً عَـن إتمـام نِصَاب الشّهادَة مِن عدَمه، فَقَد روىٰ البخاري في صَحيحه، والبيهقي في السّنن الكـبرىٰ: «عن جَابِرِ بن عبد اللَّـهِ قَال: لَمَّا مَاتَ النبي، جاء أَبَا بَكْرٍ مَالٌ من قِبَلِ العَلَاءِ بن الْحَضْرَمِيِّ، فقال أبو بَكْرٍ: مَنْ كَانَ لَهُ علىٰ النبي دَيْنٌ ؟ أو كَانت لَـهُ قِبَلَـهُ عِـدَةٌ، فَلْيَأْتِنَـا ؟ قَـال جَـابِرٌ: فَقلتُ: وَعَدَنِي رسول اللَّـهِ أَنْ يُعْطِيَنِي هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا فَبَسَطَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَال جَابِرٌ: فَعَدَّ فِي يَدِي خَمْسُمَائة ثُمَّ خَمْسُمَائة ثُمَّ خَمْسُمَائَة»[1]، **ومنهُ:** فإنّ الجلاءُ في تخطئة أبي بكـر في حكمهِ بمنع فاطمة صلوات الله عليهـا فـدكاً، يـزدادُ في الوضـوح، ولكـن الآذَان قَـد تصدأ، والأبصَار قَد تعمىٰ، والعِياذُ بالله تَعَالَىٰ .

الرّواية الثانية في كيفية المُنازَعة: [التعلّل بعَدم التّوريث] :

إنّ فاطمة طَالبَت بميراثها في فدك، فَذَكَرَ لهـا أبـو بَكـر أنـه سَـمِعَ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يَقول: «نَحنُ مَعَاشِر الأنبياء لا نُورِّث مَا تَركنَاهُ صَدَقَة، إنّمَا يَأكُل آل محمّد مِن هَذا المال».

مَا يَترتّب علىٰ هَذِه الرّواية:

لنا: هذه الرّواية لا تصلُح فِي فدك، فقد ثبتَ أنّ فدكَ نِحْلَة، ومنهُ فإنّ الْأَلْيَقَ أنْ تكـونَ في صدقات الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم عُموماً، كَصَدقاته في المدينة وخيبر، وأمّا فَدَك فَليسَت بميراث لِفَاطِمَة عليها السلام بَل هِيَ مِلكٌ لَهَا، إلاّ أنْ تكونَ فاطمـة عليها السلام، رَجَعَـت وطالبَـت بهـا، بـصفَة الإرْث، عِندَمَا يَئِسَتْ مِن الحصُول عليها عَنْ طَرِيقِ الهِبَة، وأنَا أَسْتَبْعِدُ هَذا، وقَد اسـتبعدَهُ قَبْلِي إمامنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني عليه السلام، عندما روىٰ بإسناده عـن عائـشة أم المؤمنين: «أنّ فَاطمة والعبّاس أتيَا أَبَا بَكر يَلتَمِسَان مِيرَاثهُمَا مِنَ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهُمَـا حِينئـذٍ يَطلُبَان أرضَهُ مِن فدَك وَسَهمَهُ مِن خَيبر، فَقَالَ لَهُمَا أبو بكر: سَمِعتُ رَسول الله يقول: «إنَّا

(١) صحيح البخاري : ٢/ ٩٥٣، سنن البيهقي : ٤/ ١٠٩ .

معاشر الأنبياء لانُورِّث ماتركناه صَدَقَةَ». فَهَجَرَتْهُ فَاطِمَة عليها السلام، ولَمْ تُكلّمهُ حتّى مَاتَتْ، ودَفَنَهَا عليٌّ عليه السلام لَيلاً ولَمْ يُؤذن بِهَا أبَابكر»، قال الإمام أبو العبّاس الحسني عليه السلام بَعدَ هذه الرواية، «قُلتُ: والذي طَلَبَاه مِيرَاثاً، سَهْمُهُ مِن خَيبَر، فَأمّا فَدَك فَقَد كَانَ لِفَاطِمَة فِي حَياةِ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، كَمَا قَدّمنا . وهُوَ وَجهُ الحَدِيث»[1] اهـ كلامه عليه السلام. **قُلتُ**: وهُوَ اللائق لمُعارضَة هذا، بروايات النّحْلَة الثابتَة، فاحتماليَة مُطَالَبتها مَع العباس بالإرث يَحتملُ أن يكونَ في الصّدقات التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دُونَ فَدك، فَيكون العَبَّاس وفَاطمة مُشتركين فِي قَضيّة طَلب المِيراث في صدقات خيبر والمدينة، وتكون فَاطمَة مُنفردَة بِطَلب فَدَك على أنّها هِبَةُ الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم لَهَا، تحتَ مِلْكِهَا.

لنا: معَ ما سبَق، من إثبات أنّ فَدَكاً كانت هِبَة، فإنّ تعامل أبي بكر معها على أنّها إرثٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يَرجِعُ حُكمها إلى الإمام، أمْرٌ خاطئ، فالهِبَةُ تمنَعُ دُخُولَهَا فيما رواهُ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من عدم توريث الأنبياء، وهذا كلّه على افتراض مُطالبَة فاطمة بفدك وبصدقات خيبر والمدينة، فتكون قد طالبَتْ بِهبَةٍ ومِيراث، فتعامَلَ معها أبو بكر جميعاً على أنّها مِيراث، فاعتذر بخبر عدم التوريث، وهذا خاطئ .

لنا: هَذِه الرّواية (عدم التوريث) وَرَدِيْفَتُها التي رُويَ فيها أنّ فاطمة عليها السلام لمّا قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قَالت لأبي بكر: «أنت وَرِثْتَ رسول الله أم أهله؟! قال: لا، بل أهله. قالت: فَأينَ سَهم رسول الله ؟!، قال: إنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أطْعَمَ نَبِيًّا طُعْمَةً ثُمَّ قَبَضَهُ جَعَلَهُ لِلَّذِي يَقُومُ مِنْ بَعْدِه»، فَرأيتُ أنْ أردّهُ على المسلمين، فقالت: فأنت وما سمعت من رسول الله أعلم» . مُتعارِضَة مع تسليم عمُر بن الخطاب، الذي يُعتبر إمام المسلمين في زمانه (عندَ المُخالِف)، بتسليمِه أسْهُم وصدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لِلْغَير، وذلك أنّه قد ثبتَ تسليم عمر صدقات المدينة لعلي عليه السلام وللعباس بن عبدالمطلب رضوان الله عليهما، وجَعَل التّصرُّفَ لهمَا فِيهَا، فَروى البُخَاري فِي الصحيح قول عمر، لعلي والعباس: «ثُمَّ جِئْتُمَانِي وَكَلِمَتُكُمَا وَاحِدَةٌ وَأَمْرُكُمَا جَمِيعٌ، جِئْتَنِي تَسْأَلُنِي نَصِيبَكَ من ابن أَخِيكَ وَأَتَانِي هذا يَسْأَلُنِي نَصِيبَ امْرَأَتِهِ من أَبِيهَا، فَقلتُ: إنْ شِئْتُمَا

(١) المصابيح : ٢٦٦ .

دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمَا بِذَلِكَ فَتَلْتَمِسَانِ مِنِّي قَضَاءً غير ذلك، فَوَاللَّهِ الذي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا أَقْضِي فيها قَضَاءً غير ذلك حتى تَقُومَ السَّاعَةُ فَإِنْ عَجَزْتُمَا فَادْفَعَاهَا إلي فَأَنَا أَكْفِيكُمَاهَا» [1]، وجاء في حديث مسلم: «فَأَمَّا صَدَقَتُهُ بِالْمَدِينَةِ فَدَفَعَهَا عُمَرُ إلى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ فَغَلَبَهُ عليها عَلِيٌّ» [2]، فأبو بكر يَنفِي تَسليمَ فَاطِمَة فَدكاً وَغَيرها مِن الصّدقَات بحجّة أنّ الأمر فِيهَا ليسَ إلاّ للإمام القَائم مَقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وعمر يَنفي ويُعارض ذلك، ويُسلّم صدقات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى قَرابته، العبّاس وعلي عليهما السلام، وكلّ هذا لو تُؤمِّل يَفُتُّ في عَضُدِ حديث عَدم التّوريث، فَأبو بكر لا يُورّث قَرابة الرّسول، وعُمر يُورِّثُهم، والمُصحّحون لحكم أبي بَكر يَحتجّونَ باتباع أبي بكر لنصّ الرسول الذي سَمِعَهُ منه، فكيفَ هذا؟!.

لنا: جَهْلُ فاطمة عليها السلام بأنّها لا ترث مِن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومَعْرِفَةُ عائشَة بهذا، أمرٌ لا يُصدّقه العَقل، فالمعلوم أنّ الابنَ يعلمُ مِن وَالدِه مثل هذا الأمر بالضّرورَة، فَإِنْ كانَ هذا كَذا، فمُطالبَةُ فاطمة عليها السلام بإرثها مِن أبي بكر لا يجب أن يُمَرِّرَهُ الحاذق بسهولة، فكيفَ إذا تعدّى الأمر وصارَ العبّاس عمّ الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم يُطالبُ بإرثهِ أيضاً!، فكيفَ إذا صارَ عليعليه السلام، الأذن الواعية، والنّفس المحمديّة، أقضَى هذه الأمّة، يُطالبُ عمراً بإرث زوجته!، فكيفَ إذا تعدّى هذا كلّه، إلى جهل جميع نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخبر عدم التوريث إلاّ عائشَة؛ وذلك لما رواه البخاري في الصحيح: «أَنَّ أَزْوَاجَ النبي حين توفى رسول اللَّه أَرَدْنَ أَنْ يَبْعَثْنَ عُثْمَانَ إلى أبي بَكْرٍ يَسْأَلْنَهُ مِيرَاثَهُنَّ، فقالت عَائِشَةُ: أَلَيْسَ قال رسول اللَّهِ: لَا نُورثُ ما تَرَكْنَا صَدَقَةٌ» [3]، كلّ هذا يخلقُ عَلامَات استفهَام حَول قضيّة عَدم التّوريث، بَل يَخلقُ عَلامَات استفهَام حَول هَذِه الرّواية وَطَريقِها وَصِحَّةِ وُقُوعِهَا عَلى أرْضِ الوَاقِع؛ لأنّا مَا زِلنَا نتأوّل لأبي بكر أفضل التأويلات، فنقول لعلّه فَهِمَهُ عَلى غَير مُرادِ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) صحيح البخاري: ٦/ ٢٤٧٥.

(٢) صحيح مسلم: ٣/ ١٣٨١.

(٣) صحيح البخاري: ٦/ ٢٤٧٦.

لنا: سِلاح رسول الله ﷺ بنصّ الإمام القَاسِم الرسي عليه السلام، انتقلَ إلى علي عليه السلام، بعد وَفاة الرّسول ﷺ .

الرّواية الثالثة في كيفية المُنازَعة: [تسليم أبي بكر لفاطمة ومُغالبة عمر]:

إنّ فاطمة طَالبَتْ بميراثها مِنْ فَدك، فَقَالتْ لأبي بَكر: فَدَكٌ بِيَدي أعطَانِيهَا رَسُول الله، وَتَعَرَّضَ صَاحِبُكَ لِوَكِيلِي. فَقَال: يَا بنتَ محمَّد أنتِ عِندَنَا مُصَدَّقةٌ، إلاّ أنَّ عَليكِ البَيِّنَة. فَقَالَت: يَشْهَدُ لِي عَليّ بن أبي طالب، وأمّ أيمن . فَقَال: هَاتِي، فَشَهِد أمير المؤمنين وأمّ أيمَن، فَكَتَب لَهَا صَحيفَةً وَخَتَمَهَا فَأَخَذَتْهَا فَاطِمَة عليها السلام فَاسْتَقْبَلَهَا عُمَر، فَقَال: يَا بنتَ محمّد هَلمّ الصّحيفة، وَنَظَر فِيهَا، وَتَفَل فِيهَا، وَمَزَّقَهَا، وَقَال: إنَّ رَسول الله قال: «إنَّا مَعَاشِرَ الأنبياء لا نُوَرِّث مَا تَركنَا فَهُو للمُسْلمِين».

ما يترتب على هذه الرّواية:

لنا: هُنا تَعَامَل أبو بكر مع فدك على أنّها هِبَة، لا إرث، وقَبِلَ شهادَة الشّهود رغم نقص النصاب، فأعطى فاطمة عليها السلام كِتابَ مِلْكيةٍ لفدك، فَاستقبلَها عمر فاستعجلَ الحُكم، فَتعاملَ مَعَ فَدك على أنّها إرثٌ لا هِبَة، واحتجّ بخبر الرسول ﷺ، فَخَالفَ على أبي بَكرٍ في حُكمِه، فَذهبَتْ فاطمة عليها السلام، بَاكيَة حزينة، وهُنا كانَ الأجدرُ بأبي بكر أن يردّ على عمر فِعْلَتهُ هذه، خصوصاً بَعد سَبرهِ لِدعوى فاطمة، وشَهادة شُهودِها، وأن يَرُدّ كِتابَ فَدك لفَاطِمَة، وَلكنّ هَذا لم يَحصلُ، فكانَ هذا خطأ أبي بكر؛ لأنّه الحَاكم، وردّ المظالم عليه واجب .

لنا: يظهرُ من روايات أهل البيت عليهم السلام، وبالإجماع، أنّ سببَ عدم ردّ فدك لفاطمة عليها السلام، هُوَ سببٌ غيرُ دَعوى عَدم التّوريث، الوَارِدَة فِي الرّواية الثّانية السّابقَة، فَالرّوايَة الأولى التي احتجّ فيها أبو بكر بعدم اكتمال النّصاب في الشهادة، مأثُورَة عن الإمام زيد بن علي عليه السلام من طريق العامّة، وعن الإمام القاسم الرسي عليه السلام، بإجمال، وعن الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام، وعن الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام . والرّواية الثالثة

التي اعترضَ فيها عمر طريق فاطمة ومنعها من فدك لأجله، مأثُورَة عن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وعبدالله المحض بن الحسن بن الحسن عليه السلام، على أنّنا نستطيعُ أن نجمع بين هاتين الروايتين (الأولى والثّالثة)، بما لا يُسْتَبْعَد، بأنْ تكونَ فاطمة عليها السلام طالبَتْ أبا بكر بفدك على أنّها هبَة، فاستشهدَها، فجاءت بعلي وأم أيمن، فَوثقَ بشهَادَتِهِمَا، فَأعطَاها كِتاب فدك، فَاعترَضَها عمُر فمحا كتابها، واحتجّ بخبر عدم التوريث!، فعادَت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر بعد مدّة، وطالبته بفدك مرّةً أُخرى، فَاستشهدَها، وطلبَ منها هذه المرّة، اكتمالَ النّصاب، هذا وقد ذكرَ تَرَدُّدَ فاطمة عليها السلام على أبي بكر أكثر من مرّة، ومُطالبتها فدكاً منه، فقال الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام، فقال عليه السلام: «لأنّهُم لمّا رَأوا –علي وفاطمةوالحسن والحسين– مِن كَثرَة المطَالبَة فِيها أهمَلُوهَا وتَرَكُوهَا»[1]، ومِنهُ فإنّ رأي أهل البيت عليهم السلام في آلية وكيفيّة النّزاع هُوَ الاحتجاجُ بنقص نِصاب الشّهادَة، فالرّواية الأولى والثّالثَة هِيَ القَويّة، وقَد تُستهجَنُ الرّواية الثالثَة، بسبب استبعادِ وعدم تصوّر أن يَفعل عمر مَع كتاب فاطمةمَا فَعل، وهذا ليسَ دليلاً لِردّ الخبَر، وسابِقاً نَعَتَ عمر رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالهَجْر، فكانَت رزيّة الخميس، وعمر فَمعلومٌ مِن حالِه الفظاظَة وشدَّة الطّباع، حتّى أنّ بعض المُسلمين هَرعَ إلى أبي بكر يَنعي عليه استخلافَهُ للفظّ الغليظ (يعنون عمر بن الخطّاب)، وهذا فثابتٌ وليسَ هذا مَقامَ البَسطِ فيه، وعلى المُهتمّ مُراجَعة سِيرَة عمر في كثيرٍ مِن المواقِف في عهد الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبعدَ عهده صلى الله عليه وآله وسلم، ولَو لَم ينزل فيه وفي أبي بكرإلاّ قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ [الحُجُرات:٢]، لاستبعدَ واستبشَعَ بَعضُنا هذا مِن فِعل عمر، والله المُستعَان.

نعم! فهذه أخي الباحث والمهتمّ، ثلاثُ طرق، لكيفيّة النّزاع بين فاطمةوأبي بكر حول فدك، ومنها فإنّه لن يخفى عليكَ استنتاجَ ما كانَ يذهبُ إليه مُتقدّموا أهل البيت عليهم السلام، في آلية وكيفية النزاع حول فدك، ولن تخرجَ منها إلاّ مُكْمِلاً الإجمَاع الفَاطِميّ الذي سُقناهُ سَابقاً حولَ إثبات نحلة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم فَدَكاً لِفاطمة، وامتلاكِها لها في عهد

(١) الديباج الوضيء: ٥/ ٢٤٤٧.

الرّسول ﷺ، والإجماع الفاطمي قريباً قد انعقدَ حول آلية النّزاع وكيفيّته بين الزهراء وابن أبي قحافة، فيبقى علينا الكلامُ على حُكم أبي بكر في فَدك عند أهل البيت عليهم السلام، وما هُوَ إجماعُ مُتقدّميهم ومُتأخّريهم حول صحّة حكمه من عدمه .

إجماع أهل البيت عليهم السلام على مظلوميّة الزهراء ... (حُكم أبي بكر في فدك) :

الكلام على هذا الموضِع، عندي هُو الفيصَل في القضيّة كلّها، فإنّه متى ثبتَ عمّن إجماعهم حجّة الحجّج حكمٌ ما، فإنّ الأمر سيختلفُ كثيراً، والمنظر المشوّش سَيَتَّضِح. **نعم** ! كُلنا يعلمُ أنّ المَظلومُ لابدّ لهُ من ظَالِمٍ ظَلمَه، وبينَ المظلومِ والظّالم لا بدّ من حادثةٍ تُحقّق ذَلك، هذا كلامُ العَقل، فإن كانَ هذا كذا، فإنّا ذاكرون أقوالَ أئمّة أهل البيت الزيدية من المُتقدّمين والمتأخرّين فِي حادثَة فدك، فَنقول :

١ - قال **أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب** عليه السلام (ت٤٠هـ)، مُصرّحاً بموتِ البتول الزهراء مظلومةً مَهضومَة (والهَضم مَعنَاه الظّلم)، ومُخاطباً للرسول ﷺ: «وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الحَالَ»[1].

تعليق: تأمّل إلحاقَ أمير المؤمنين عليه السلام، صِفَة المظلوميّة بفاطمةالزهراء عليها السلام، وانظُر هل تتحقّقُ في الشخص صِفَة المظلوميّة إن كانَ مُخطئاً ؟ فلَو كانَت الزهراء مُدّعيَةً فدكاً بغير وجهِ حقّ ثمّ غَضِبَتْ وماتَتْ، فهَل لأميرِ المؤمنين وهُو غيرُ المُحابي في الله أن يُسمّيها مظلومةً مهضومَة ؟!، سلّمنَا، أنّ أبا بكر حَكَمَ بالحقّ ولم يُرضِ فاطمةوماتَتْ على هذا، فهَل لأمير المؤمنين أن يصِفَ فاطمةبالمظلومَة ؟!، فإذا عرفتَ هذا أخي الباحث، فاعلَم أنّ أمّ أبيهَا ماتَتْ مظلومةً مقهورَةً على حقّ أعطاها الله إيّاه، وأنّ حكم أبي بكر في حقّها ليسَ صحيحاً، فالحُكم الصّحيح لا يكون ظُلماً أبداً، وهذا أصلٌ قوي عن أمير المؤمنين عليه السلام لا يُتغافلُ عنه .

---

(١) نهج البلاغة : خ٢٠٢.

٢- قرّر الإمـام **باقر علوم الأنبياء محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالـب** عليه السلام (ت١١٨هـ)، شاعرَ أهل البيت الكميت بن زيد رحمه الله تعـالى، عنـدما أنـشَأ مُعاتبـاً الشيّخين معَ المُسامحَة والتغاضي:

أهْـوَى عَليّـاً أمـيرَ المؤمــنين ولا ألـومُ يومـاً أبـا بكـرٍ ولا عُمـرا

ولا أقُــولُ وإنْ لَمْ يُعطيَــا فــدكاً بنـتُ النّبـيّ ولا مِيراثُـهُ كَفَـرا[1].

تعليق: تأمّل أبيات الكُميت، تجدهُ يأتي بالحقّ المفروض في الـشطر الأول مـن البيـت الأول والثاني، من ولايَة أمير المؤمنين عليه السلام وفَضْلِهِ على المـشائخ، وبـشاعَة عـدم إعطـاء فاطمة حقّها مـن فـدك، ثـمّ يـأتي في الـشطر الثـاني مـن البيـت الأول والثـاني بالمُسامحَة والتغاضي وعدم الإفحاش في القول مع هذا التعدّي منهُم، فلا يلومُ -واللـومُ هُنـا لعلّـه بمعنى التّكفير، أي ولا أكَفّرُ- أبا بكر وعمر على تقدّمهما على مَن هُو أفضلُ وأحقّ مـنهُما، ولا يُكفّر أبا بكر ولا عمر لِمنعِهما فاطمةصلوات الله عليها حقّاً كانَت حَقِيقَةً به، ولو تأمّـل الحاذق في أبيات الكميت حول الولاية وفدك تجدها أبياتاً غير راضيَة بفعل أبي بكر فيهـا، فأمّا في الولاية فظاهر، وأمّا في فدك فإنّ ربطَهُ بين تكفـير الـشيخين وبـين عـدم إعطـائهما فدك، دليلٌ على فُحْشِ عدم الإعطاء هذا، وخطأه، وأنّ الصواب كان في عكسه، وهذا هُو قول الزيدية المرضيّة، التخطئةُ في الحُكم دونَ التكفير .

٣- قال الإمام صاحب الدّيلم **يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب** عليه السلام (ت١٨٠هـ)، مُخاطباً مّن شَهِدَ عليه زوراً بالعبودية لهارون العبّاسي:

«فَخلَّف [الرسول صلى الله عليه وآله وسلم] بين أظهركم ذرّيَّته فـأخَّرْتُمُوْهُمْ وقَـدَّمتم غـيرهم، ووليـتم أمورَكم سواهم، ثمّ لَمْ نَلْبَثْ إلا يَسيراً **حتى جُعِلَ مَالُ وَلَدِه حوزاً، وَظُلِمَت ابنتُه فَدُفِنَت لَيلاً**، .. الخ» [2].

(١) الصحابة عند الزيدية، وحكاه القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام في خلاصة الفوائد .

(٢) أخبار فخ ويحيى بن عبدالله: ٨٩.

تعليق: تأمّل تصريح الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام، تجدهُ يعني بالمال الذي جُعِلَ حُوزاً، مال بني فاطمة من فدك، وتأمّل إشارته صلوات الله عليه إلى تحقّق وقوع الظُلم في حقّ أمه فاطمةالزهراء عليها السلام، تجدهُ بهذا ينقضُ حُكمَ أبي بكر، وتأمّل كلامه عليه السلام ثالثةً تجده يُثْبِتُ موت البتول غاضبة غير راضية على أبي بكر وعمر، وهذا قولٌ مُشَابِهٌ لقول أمير المؤمنين السابق .

٤- قال الإمام **القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى** عليه السلام (ت٢٤٦هـ)، مُصرّحاً أيضاً بموتِ البتول الزهراء غاضبَةً على أبي بكر وعمر:

«**كَانَتْ لَنَا جَدّةٌ صِدّيقَة، مَاتَتْ وهِيَ غَاضِبَةٌ عَليهِمَا، ونَحنُ غَاضِبونَ لِغَضَبِهَا**»[1]. وفي ذلك يقول أمير مكة عُلَيّ بن عيسى بن حمزة بن وهاس بن أبي الطيب داود بن عبد الرحمن بن عبدالله بن داود بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن سليمان بن عبدالله بن الإمام موسى بن عبدالله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت ٥٠٣هـ).

أَمَوْتُ البَتولُ غَضبَى ونَرضَى مَا كَذا يَفعَلُ البَنون الكِرامُ

تعليق: تأمّل القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه، بصيغَة كلامه السّابق، تجدهُ يمتدحُ جدّتهُ فاطمة عليها السلام، ويذمّ الشّيخين، فتجدهُ في هذا يُتابعُ كلام والدهِ أمير المؤمنين، وابن عمّيه الباقر وصاحب الدّيلم في إثباتِ موتها على الحقّ، وأنّ ما غَضِبَت لأجلِه ليسَ باطلاً بل حقّاً ثابتاً، يُقوي هذا كُلّه أنّ الإمام عليه السلام، قرّرَ أن يغضبَ لغضبها، فلو كان غَضبُها على باطلٍ عندَه عليه السلام، ما كانَ غَضِبَ لغضبِها . [**فائدة**] ويبدو أنّ هذه العبارَة التي قالها الإمام القاسم الرسي عليه السلام، كانت مُتداولَة بين سادات أهل البيت عليهم السلام، فيُلقونَها نصّاً، ويُنشئها شاعرُهُم شعراً، فذكر ابن أبي الحديد في الشرح ما نصّه: «.. حَدّثني دَاود بن المبارك قالَ: أَتَينَا عبدالله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، و نَحنُ رَاجِعونَ مِن الحج فِي جَمَاعَة، فَسَألنَاهُ عَن مَسَائل، و كُنْتُ أَحَد مَنْ

(١) مآثر الأبرار في تفصيل مجملات الأخبار: ١/ ٢٤١.

سَأَلَه، فَسَألتُهُ عَن أبي بكر و عمر ؟ فَقَال أُجِيبُك بِمَا أجَابَ بِهِ **جدّي عبد الله بن الحسن** فَإنّه سُئِلَ عَنهُمَا، فَقال: كَانَتْ أمّنَا صِدّيقَةٌ ابنَة نبيٍّ مُرسَل، وَمَاتَتْ وهِيَ غَضْبَى عَلى قَوم، فَنحنُ غضَابٌ لِغَضَبِهَا» [1]. **قلت**: وعبدالله بن موسى هذا هُو زاهد أهل البيت عليهم السلام، و من وجوه الزيدية في زمانه، وأحدُ المُبايعين للإمام القاسم الرسي عليه السلام بالإمامَة .

٥- قال الإمام **أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** عليه السلام (١٥٨-٢٤٠هـ)، مُثبتاً كَمال نِصاب الشّهادَة التي فيها أيٌّ مِن عَلِي أو الحسن أو الحسين، حتى ولَو كانَ الشّاهِدُ منهم واحِداً، وأبو بكر احتجّ بِعدَم اكتمال نِصاب الشّهادَة، فطلبَ رَجُلاً إلى جانب علي عليه السلام، فقال أحمد بن عيسى عليه السلام: بعدَ أن سُئِلَ «عن رَجُلٍ تَجُوز شهادتهُ وحدَه، فقال عليه السلام: «لا، إلاّ علياً، والحسَن، والحُسين . فَقِيل: وَكيفَ ذَلِك ؟!. قَال: لأنّهُم مَعصُومُون»[2].

٦- قال الإمام المرتضى محمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى عليه السلام (ت٣١٠هـ)، مُثبتاً أصوليّة خطأ حكم أبي بكر في آلية قضائه في فدك من وجهة نظر أهل البيت عليهم السلام:

«وسألتَ عن رجلٍ ادّعى على رجلٍ حقّاً، وأقام عليه شَاهِداً عدلاً، وأنكرَ المُدّعى عليه، فَقُلتَ: فإن كانَ، ما يجبُ في ذلك ؟!. قال محمد بن يحيى عليه السلام: إذا كان المُدّعي عدلاً، والشاهدُ عدلاً، حَكمتُ بالشاهد واليمِين مَعَ ذَلك، وَبذلكَ حكمَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صَلوات الله عليه، وكَان السّلف [يعني مِن أهلِ البَيت] يَتّبعونَهُ رضوان الله عليهم، أقاموا اليمين مقام شاهِد، ألا ترى أنّ الخصم لو استحلفَ المُدّعى عليه وجعل اليمين تصديقاً، أليس كان يُحكم له بحقه ؟!» [3].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد : ٦/ ٤٩.

(٢) جامع علوم ال محمد، للشريف العلوي، ج٦

(٣) مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى محمد بن يحيى عليه السلام : ١/ ١٨٦.

٧- قال الإمام الهادي **بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الوزير الرّسي الحسني** عليه السلام (ت٨٢٢هـ)، مُنشأً، مُصرّحاً بعقيدة سلفِه من سادات أهل البيت عليهم السلام في هذه المسألة، من الأخذ لِفَدَك بالقَهرِ والقوّة .

إلى الحَاكِمِ الدّيَانِ يَمْضُونَ عَن يدٍ ... ومَوْعِدُهُم للحُكمِ فِي مَوقِفِ الحشرِ
ولست أرى التصويب رأياً ولا أرى ... مِنَ السّبّ رَأيَاً إنّ ذَاكَ مِنَ الهجْرِ
ولَكِن أدِينُ الله فِيهِم بِأنّهُم ... أفَاضِلُ قَدْ زَلّوا وَرَبُّكَ ذُو غُفْرِ
وأنْقمُ تَأخِيرَ الوَصيّ وقَبْضَهُمْ ... عَلى فَدَكٍ قَبْضَاً بِنَوعٍ مِنَ القَهْرِ[1]

تعليق: وهنا تأمّل كيف نسب الهادي بن إبراهيم الوزير صفَة القهر إلى القَبضِ من الشّيخين، تجدهُ مُطابق الفحوى لِما جاء عن سلفه صلوات الله عليه وعليهِم، ويجدرُ بنا هُنا أن نُنبّه أتباعَ أهل البَيت من الشيعة الزيدية على الإقتداء بأرباب سفينة نوح المُنجيَة لَنا مِنَ الهَلاك، فإنّهم وإن عابوا أموراً على المشائخ بدءاً بالخلافَة ومروراً بفدك، فإنّ سادات أهل البيت لم يُقابِلوا هذا الجفاء والخطأ منهم بالسّب واللعن والشّتم، وإن كانوا يتوجّعون من هذا، ولكن بدونِ سبّ أو تكفير، ولسنَا نُنبّه على هذا إلاّ لتأكّدنا من أنّ البعض قد تأخذُه العاطفَة والغيرَة على مولاته الزهراء الطاهرة، فيسبّ ويشتمُ ظالميها، على غيرِ اقتداء منه بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذريّته سادات بني الحسن والحسين، فإنّه لَم يُؤثَر عنهُم تكفيرٌ للمشائخ، وليكُنْ قولُنا كما قالَ أمير المؤمنين المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام: «لَنَا أئمّةٌ نَرْجِعُ اليهِم فِي أمُورِ دِينِنا، ونُقْدِمُ حَيثُ أقْدَمُوا، ونُحْجِمُ حَيثُ أحْجَمُوا، وهُم: عَليٌّ وَوَلَدَاه عَليهِم أفْضَلُ السلام والحادِثُ عَليهِم وغَضَبُنا فِيهِم، ولَم نَعْلَم أحَداً مِنهُم سَبَّ أحَداً مِنَ الصّحَابَة ولا لَعَنَهُ ولا شَتَمَه، لا فِي مُدّة حَيَاتِهِم، ولا بَعد وفَاتِهِم»[2].

(١) منظومَة الخلاصَة في التوحيد والعدل، وهي ١٧١ بيت.

(٢) المجموع المنصوري، الجزء الثاني، القسم الثاني :٣٧٩ .

٨- الإمام أبو هَاشم النّفس الزكيّة **الحسَن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم** عليه السلام (ت٤٣٣هـ)، يُصرّح بغصب (**تأمّل**) الزهراء صلوات الله عليها فدكاً، ولفظة الغصب دلالةٌ على عدم صحّة حكم **أبي بكر** في القضيّة عندَهُ عليه السلام، فَيُشيرُ موافقاً سلَفَهُ من أهل البيت صلوات الله عليه وعليهم، فيقول عليه السلام ضِمْنَ دعوةٍ جامعَة له عليه السلام: «فَذَا أمِيرُ المؤمنين صَلواتُ الله عَليه أُزِيحَ عَن مَنزِلَتِهِ الشّريفَة المَنيفَة، وغُصِبَتْ فاطمة عليها السلام ابنَة رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَدَكَاً، وسُمَّ **الحَسَنُ** عليه السلام سِرّاً، وقُتِلَ الحسين جَهراً» [1].

٩- الإمام المؤيد بالله **يحيى بن حمزة بن علي الحسيني** عليه السلام (ت٧٤٩هـ)، يُشيرُ إلى وصيّة الزهراء صلوات الله عليها لزوجها وابن عمّها علي بن أبي طالب عليه السلام، بأن تُدْفَنَ ليلاً وسرّاً حتى لا يَحْضُرَها أبو بكر وعمر، فيقول عليه السلام في ذلك: «لأنّهَا أوّلُ مَنْ مَاتَ بَعد الرّسول مِن أهلِه، وَرُوِي أنَّ الرَّسول قَال لَهَا: «أنْتِ أوّل مَنْ يَلحَقُ بِي مِن أهل بَيتِي»، فَسُرَّت بِذَلِك،، وَقد كَان فِي دَفْنِهَا مَا كَانَ مِنَ الإسْرار والدَّفن لَيلاً» [2].

تعليق: تأمّل أخي الباحث، فإنّ في هذا الإقرار من الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام بالدّفن سرّاً، دليلاً على غضب الزهراء صلوات الله عليها عند موتِهَا، وهو قول الفقيه حميد عن أهل البيت عليهم السلام، فإنّه قال: «وَعَلى الجُملَة فَالحال ظَاهر عِندَ العِترَة أنّ فاطمةمَاتَتْ وهِيَ غَاضِبَة مِن ذَلك» [3]، أضِف إلى تصريح المؤيد بالله يحيى بن حمزة بالدّفن ليلاً، قوله عليه السلام فيما قد نقلناه عنه سابقاً من الديباج الوضي: «وكَانَ هَذا -أمر فدك- مِنْ أقوَى مَا يُذكَر فِي مَطاعِنِ خِلافَتِه، مَعَ مَا كَان مِن حديث المِيراث، وغَيرُ ذلك مِن المطَاعن»، فالإمام عليه السلام يُعِدّ منعَ **أبي بكر** فاطمةفدكًا، مِنَ المطَاعِن، بل من أقوَى المطاعِن على خلافته!!.

---

(١) التحف شرح الزلف، تحت سيرة الإمام أبو هاشم الحسن بن عبدالرحمن.

(٢) الديباج الوضي، ٤/ ١٦٧٢.

(٣) مآثر الأبرار في تفصيل مجملات الأخبار :١/ ٢٤٠.

١٠- الإمام الحجّة **مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيّدي الرّسي الحسني** حفظه الله وأسعدَه، إمام الزيدية وعالمها في هذا الزّمان[١]، اجتهدَ في كتابه لوامع الأنوار لتوضيحِ جوانب مسألَة مظلوميّة فدك وبطلان صحّة حكم أبي بكر فيها، ومن ذلك قوله عليه السلام مُستطرداً: «وأنّ المعصُومِين، ومَنْ قَولُهم حُجّة رَدّوا حُكمَه [حُكم **أبي بكر** في فَدك]، وَلَم يُصَدِّقُوا قَولَه، وَلَو لَم يَكُن إلاَّ غَضَبُ المُطَهَّرة، التي يَغْضَبُ -الله تَعَالى- لِغَضَبِها، بِإجمَاع جِميع الأمّة»[٢].

نعم! وبهذا أخي الباحث، فإنّ الصورة بإذن الله أصْبَحَتْ جليّة، واضحة المعالم، ففدك نِحْلِةُ رسول الله لفاطمة، طالبتْ بها، ورُدَّ طلبها بحجّة عدم اكتمال نصاب الشهادة، معَ أنّ الأمر حقوقيّ بَحْت، جرَت السنّة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ للقاضي أن يكتفي بشاهد ويمين طالب الحق فيه، وقد توفّرَ هذا، وقَضَى أهل البيت عليهم السلام، وعلى رَأسِهِم الإمام علي عليه السلام ببشاعة هذا الأمر، وعدم عدلِه، وصفّه في مصافّ الظلم، ومنهُ فحُكم **أبي بكر** في فدك غيرُ صحيح.

أقوال عُلَمَاء الزيدية وغيرهِم في مظلوميّة الزهراء و حُكم أبي بكر في فدك

١- قال أبو الحسين أحمد بن موسى الطبري الزيدي رحمه الله تعالى في مجالسه، ضمن كَلامٍ ناظرَ به رجلاً من أهل صنعاء: «..ثمّ أنتَ تَعلمُ أنّ الأمّة مُجمِعَة عَلى قَول النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله يَغضَبُ لِغَضَبِ فاطمة»، وأنّهَا مَاتَتْ وهِيَ غَضبَى عَلى أبي بكر، وعلى مَن عَاونَهُ عَلى قَطْع مِيرَاثها مِن أبيهَا **وانْتزاع فَدَك مِن يَدِهَا**، لَيس أحدٌ يَشُكّ فِي ذَلك مِن أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ...»[٣].

---

(١) الإمام مجدالدّين المؤيّدي عليه السلام، كانَ حيّا وقت كتابَة هذه الرّسالة.

(٢) لوامع الأنوار :٢/ ٩٥.

(٣) مجالس أبي الحسين الطبري :٧٩.

تعليق: تأمّل رَحِمَك الله، كيفَ فصلَ أبو الحسين رضوان الله عليه، بين الميراث وبين فدك، وتأمّل كيف جعلَ فدك من ممتلكات فاطمةصلوات الله عليها .

٢- قال الفقيه العالِم حُمَيد بن أحمد المحلّي: «والخبر [غَضب الله لِغَضبِ فاطمة، وَرِضَاهُ لِرِضَاهَا] يُفيدُ عِصمَةَ فاطمة عليها السلام، ...، وهَذا يقتضي أنّهُ تعَالى لَم يَرْضَ بِمَا فَعَله أبو بكر وعمر في فَدَك وَالعَوالي؛ لأنّهَا لَم تَرضَ بِذلِك، وأن يكون الله تعالى غاضباً؛ لأنَّ المعلوم قَطْعَاً أنّها غَضِبَتْ لِذَلكَ، وَهذا مَا لا يُشَكُّ بِه عندَ مَنْ عَرَفَ الآثَار، وَنَقَّبَ عَنِ الأخبَار، فَإنَّ المَشهُور أنّهَا ادَّعَتْ فَدَكاً نِحْلَةً مِنَ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، وَادَّعَت أيضَاً مِيرَاثَها مِنهُ صلى الله عليه وآله وسلم، وَلَم تُجَب إلى وَاحِدٍ مِنَ الأمْرَين» [1].

٣- ويذكر **ابن أبي الحديد** في الشرح، مُنافرَة وقَعَتْ بين رجل من ولد طلحة بن عبيدالله وبين رجل من أبناء علي بن أبي طالب عليه السلام، وهُو **إسماعيل بن جعفر الصادق** عليهما السلام، فَسَاقَ ابن أبي الحديد، ما نصّه: «كَانَ القَاسِم بن محمّد بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمِي، يُلَقّبُ أبَا بَعرَة، وَلِيَ شُرطَةَ الكوفة لعيسَى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، كَلّمَ إسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بِكَلام خَرَجَا فِيه إلى المُنَافَرَة، فَقَالَ القَاسم بن محمد: لَمْ يَزَلْ فَضْلُنَا وَ إحْسَانُنَا سَابغاً عَليكُم يَا بَنِي هَاشِم، وعَلى بَني عبد مَناف كَافّة . فَقال إسماعيل: أيّ فَضْلٍ و إحسانٍ أسْدَيتُمُوهُ إلى بَني عبد مَنَاف، أغْضَبَ أبوكَ جَدّي بِقَوله: لَيمُوتَنّ محمّد و لَنَجُولَنَّ بَين خَلاخِيل نِسَائه، كَمَا جَال بَينَ خَلاخِيل نِسَائنَا، فَأنزَلَ الله تَعالى مُرَاغمَةً لأبيك ﴿**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّـهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا**﴾ [الأحزاب:٥٣]، و مَنَعَ ابنُ عمّكَ -يعني أبا بكر- أمّي **حَقّهَا (تأمّل)** مِن فَدَك، و غَيرها مِن مِيرَاث أبيها، و أجْلَبَ أبوكَ على عثمانٍ و حَصَرَهُ حتّى قُتِل، و نَكَثَ بَيعَة عَلي، و شَامَ السّيفَ فِي وَجهِه، و أفْسَدَ قُلوبَ المسلمِينَ عَليه، فَإنْ كَانَ لِبَني عَبد مَناف قَومٌ غَيرُ هؤلاء أسْدَيتُم إليهِم إحساناً فَعَرِّفنِي مَنْ هُمْ جُعِلتُ فِدَاك!!.» [2].

---

(١) محاسن الأزهار: ٢٨٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي : ٩/ ٣٢٣.

تعليق: تأمّل رَحِمَك الله، كيف أنّ إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام، فَصَلَ بين فدك وبين غيرها من المواريث المحمّدية، يدلّك هذا على صحّة الإيهاب والتملكّ من فاطمة عليها السلام لأرض فدك، وتأمّل أيضاً كيف عدّ إسماعيل عليه السلام فِعْل أبي بكر مع فاطمة، ومَنْعِهِ إياها فدكاً، من أبرز عيوبه، فستجد التخطئةَ منه عليه السلام لفعل وحكم أبي بكر واضحاً، وتأمّل أيضاً إدْخَالَهُ واستبشاعَهُ مَنْعَ أبي بكر ميراثَ فاطمةمن الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، تجد في هذا تجويزاً لِتَوريثِ الأنبيَاء صلوات الله وسلامه عليهم .

اعتراضات قد تَرِد على صحّة حكم أبي بكر في فدك:

ولكي تتضّح الصورة أكثر وأكثر، فإنّا ذاكرونَ بعض شُبه قد يُتعَلَّقُ بها بخصوص ما نحنُ فيه من أمر فدَك، فمنها:

الاعتراض الأوّل

ووجهُهُ هُوَ الاحتجاج بقول الإمام زيد بن علي عليه السلام: «وَأيمُ الله لَو رَجَعَ الأمرُ إليّ لَقَضَيتُ فيهَا بِقَضَاء أبي بكر»، و فيه اعلَم رَحِمَك الله، أنّه متى أُسْقِطَ هذا الأصل، فإنّ تصحيح الإمام أحمد بن يحيى المرتضى لحكم فدك، وما أُثِرَ -والله العالم- عن يحيى بن حمزة عليه السلام، سَيسقطُ ضِمنَاً؛ لأنّهم اعتمَدوا في الغالب على هذه الرواية عن زيد بن علي، والتي ليسَ لها أصل عند مُحدّثي أهل البيت عليهم السلام، ولا عندَ شيعتهم رضوان الله عليهِم، بل هيَ مرويةٌ عن طريق العامّة، وإضافةً إلى ذلك فهيَ مُنافيةٌ لمقام ومنزلة إمامنا زيد بن علي عليه السلام في العِلم، وسنتكلّم على هذا من سبعة أوجه، مُعتمدين على المتن الذي رواه ابن شبّة – والذي أوردناه سابقاً-؛ لأنّا لم نَقِفْ على الرواية كاملة عن زيد بن علي عليه السلام إلاّ من طريقه، وقَد رواها البيهقي في السنن الكبرى[1]، و ابن عساكر في تاريخ دمشق[2]،

(١) سنن البيهقي الكبرى : ٦/ ٣٠٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٩/ ٤٦٣.

رَوَوْهَا مَبْتُورة، مُكتفينَ بإقرار الإمام زيد بالحُكمِ بحكم أبي بكر، فنقول مُتّكلين على الله:

الوجه الأوّل: أنْ تعلمَ أنّ هذه الرّواية ليسَت من طريق الزيدية، وأنّ الإجماع الفاطمي عندنَا متى ما ثبتَ عن أئمّة وعلماء آل الرسول ﷺ، أصبحَ عندنَا هُوَ المُحْكَم، وغيرُه يُعرَضُ عليه، فإذا عُلِمَ هذا، فإنّا قَد وقَفْنَا على إجماع أهل البيت عليهم السلام، وعلى رأسهِم أمير المؤمنين عليه السلام في مظلوميّة فدك، وإثبات ظُلم تيمٍ وعدي لها، و عليه فإنّ الرواية عن زيد بن علي عليه السلام في تصحيح حكم أبي بكر، تقضي بأنّ فاطمة غَضِبَتْ على لا شيء، و تقضي بأنّ الإمام علي عليه السلام قذفَ واتّهمَ أبا بكر وعمر بظلم فاطمةهكذا بدون برهانٍ ولا دليلٍ مُنير، وتقضي بجهل باقر علوم الأنبياء عندما أقرّ الكميت في شعره ولم يُبيّن لهُ خطأهُ فيه، وتَقضِي بظُلم يحيى بن عبدالله عندما نسبَ الظلم تلميحاً إلى من أغضب فاطمة عليها السلام، وأمَاتها على ذلك، وتقضي بغضب نجم آل الرسول القاسم الرسي عليه السلام لجدّته الزهراء عليها السلام، على لا شيء يُذكَر!، وتقضي ببُطلان أقوال جميع أئمّة الزيدية -وهُم بقيّة الآل، ونجوم السماء- القائلين بقول علي والباقر وصاحب الدّيلم والقاسم صلوات الله عليهِم، وهذا قولٌ عظيم، عَظمَتُهُ في بُطلان أصلِه عن زيد بن علي عليه السلام، وأقلّ حاله وأكثره ألاّ يُعْمَلَ به لمُخالفته الإجماع الفاطمي المعصوم .

الوجه الثاني: أنْ تعلمَ أنّ في هذا الخبر تشكيكاً في مدى علم إمامنا زيد بن علي عليه السلام، بمعاملات أهل البيت عليهم السلام، أحكاماً وقضاءً وسِيَراً، وذلكَ أنّه قد ثبتَ عن جُملةٍ من أهل العلم، سنّةً وزيدية -كما ذكرنا سابقا-، أنّ للقاضي أن يَحكُمَ بالشاهد الواحد مع اليمين في الحقوق، وذكرنا أنّ أهل البيت عليهم السلام أجمعوا على صحّة هذا، وقد حكمَ به أمير المؤمنين، وقَبلَه رسول الله ﷺ، حتّى قال الإمام القاسم الرسي عليه السلام: «مَا رَأيتُ أهل البيت يختلفون فِي اليَمين مَعَ الشّاهد-يعني في جواز ذلك-»، فَأخْذُ الإمام زيد بن علي عليه السلام على ضوء رواية العامّة عنه، بالشّاهدين يَحمْلُ في طيّاته جَهْلاً بالقول الأوّل الذي هُو قول أهل البيت، أو توهيناً له، وهُو ما يُنزّهُ عنه صلوات الله عليه، كيفَ لا والإمام زيد بن علي عليه السلام هُو القائل: «وعَليكَ بِعَلِيّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامه، فَإنّهُ

كَانَ باب حِكمة رسول الله ﷺ، وَكانَ وَصيّةٌ في أمّته، وخَليفَته على شَريعَتِه، فَإذَا ثَبَتَ عَنهُ شَيءٌ فَاشْدُدْ يَدَكَ بِه، فَإنّكَ لَنْ تَضِلَّ مَا اتّبَعْتَ عَليّاً صَلوات الله عليه وسلامه»[1]، والحُكم بالشّاهد واليمين ثابتٌ عن أمير المؤمنين عليه السلام بلا شك .

الوجه الثالث: أنْ تعلمَ أنّ هذا التصحيح من زيد بن علي عليه السلام لحكم أبي بكر، تصحيحٌ بطريقَةِ قَضَائه في المسألَة، وهُو تجهيلٌ آخَر وإنزالٌ من قَدْرِ الإمام زيد بن علي عليه السلام وأعلميّته بطُرق القَضاء الصّحيح، فإنّا لو تأمّلنا الطريقَة التي تحاكمَ بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والنّصراني، عند شُريح القاضي، سنجدُ الفرق واضحاً بينها وبين الطريقة التي حُوْكِمَتْ بها فاطمة عليها السلام، **ففي المُحاكمة الأولى**: نجدُ أنّ أمير المؤمنين ادّعَى على نصراني بأنّ الدّرع الذي معهُ هوَ دِرْعُه، فأنكرَ النّصراني، فتحاكمَ أمير المؤمنين والنّصراني عند **طرفٍ ثالث** وهو القاضي شُريح، فَعِندَ ذلكَ **طلبَ القاضي من المُدَّعِي** الذي هو أمير المؤمنين البيّنَة على أنّ الدّرعَ درعه وليسَ درع النّصراني . وهُنا **تأمّل**: أنّ الحكَم طرفٌ ثالث مُحايد، خارجٌ عن أن يكونَ المُدّعِي، أو المُدّعَى عَليه، وتأمّل أنّ القاضي شُريح طَالبَ المُدَّعي عليّاً عليه السلام بالبيّنَة، ولَم يَطلُبها ممّن الدّرعُ في يَدِه نعني النّصراني المُدّعَى عليه، فإن عرفتَ هذا، فهلمّ المُقارنَة **معَ المُحاكمة الثانية**: فنجدُ فيها أن أبا بكر انتزعَ فدك من فاطمة عليها السلام، وادّعى عليها أنّ فدك لرسول الله ﷺ، فأظهرَتْ فاطمةالمُدّعَى عليها عليها السلام أنّ المِلْك مِلْكها، وأنّ فدك بيدها من زمن الرّسول ﷺ، فأنكرَ ذلكَ أبو بكر، ومَنَعَها غلاّت فدك، وهُنا عَمِلَ أبو بكر بدور الحاكم والقاضي، ولم يلجأ إلى طرفٍ ثالثٍ مُحايَد فكانَ هذا فرقاً بين مُحاكمة علي وأبي بكر، ثمّ طلبَ أبو بكر البيّنَة على مَن المِلْكُ في يدها، ولم يطلب شُريح البيّنَة من النّصراني الذي كان الملكُ في يده، بل طلبَها من علي عليه السلام، وهذا وجهٌ ظاهرٌ في عوار الحكم البكري، فلو أنّ أبا بكر حكّمَ طرفاً ثالثاً، فجاءتَ فاطمة عليها السلام، وقالت: فدكٌ أرضي، أنحلنيها رسول الله ﷺ قبل أن يموت، وعاملكُ انتزعها منّي، فقال أبو بكر: ليسَ هذا كذاك، فإنّ القاضي حتماً سيطلبُ

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليه السلام : الرّسالة المدنيّة : ٣١٦.

البيّنَة من أبي بكر، لا من فاطمة صلوات الله عليها؛ لأنّه المُنتزِع لما‌لِها من يدِها، فهو إذاً المُدَّعِي في الحقيقة والبيّنة عليه لا على فاطمة، وهذا كلّه فننُزّه إمامنا أبا الحسين زيد بن علي عليه السلام عن جهله .

الوجه الرابع: أنْ تعلمَ أنّ عِصمَة الزهراء صلوات الله عليها، قد ثَبتَتْ عن الإمام زيد بن علي عليه السلام، بروايتنا، ورواية العامّة، وأنّ فِعلهَا هذا صلوات الله عليها، وغضبها على أمرٍ شرعيّ صحيح، بل وموتها على ذلك، بل وشهادَة علي عليه السلام وهو المعصوم أيضاً، على تحقّق صفة المظلوميّة عليها، وظُلم مَن هُم عند زيد بن علي -في رواية العامة- عادلون حاكمون بالصّحيح، يُعدّ قدحاً في العِصمة لهُما -علي وفاطمة- عليهما السلام، وقد روى الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رحمة الله عليه، عن الباقر وزيد بن علي عليه السلام، أنّه قال -واللفظ للباقر-: «المعصُومُون منّا خَمسة: رَسول الله وعلي وفاطمةوالحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين» [1]، وروى الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق، عن زيد بن علي عليه السلام، أنّه قال: «المعصومون منا خمسة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمةوالحسن والحسين»[2]، ويزدادُ الأمر خطراً هُنا، عندَ مَن يرونَ أنّ فدكاً إرثٌ لا هِبَة، وأنّها داخلةٌ في احتجاج أبي بكر بعدم التوريث، مع العلم أنّ الإمام زيد بن علي عليه السلام في رواية العامّة لم يتطرّق لهذا النوع من الرواية -أعني احتجاجها بالإرث، وردِّ أبي بكر بخبر عدم التوريث-، بل احتجّ عليه السلام بالهِبَة، وردّ أبو بكر بعدم اكتمال النّصاب، فإنّ البعض من الأغمار أو الحُذّاق قد يخلطوا هذا بذاك، فيحتجّوا بتصحيح زيد حكم أبي بكر، عند مُناقشتهم لقضيّة توريث الأنبياء من عدمه، وهذا وهمٌ فاحش.

نعم! كلّ هذا يقضي ببطلان صدور مثل هذا التصحيح عن زيد بن علي عليه السلام، لمُخالفته للعصمَة التي رواها هُوَ بنفسه، أضِفْ إلى ذلك أنّ الإمام علي عليه السلام بمجرّد إثباته مظلوميّة الزهراء، فإنّه يُسقِطُ ضمناً صحّة حُكم أبي بكر في المسألَة، ويُسقطُ قول زيد بن

(١) مناقب الإمام علي بن أبي طالب : ج٢/ ص١٦٢/ ٦٣٩، وانظر ج٢/ ص١٥٣/ ٦٢٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٩/ ٤٦٤.

علي (في رواية العامة) بصحّة الحُكم، ويَحكُمُ على زيد بن علي بتجهيل أمير المؤمنين وفاطمةالزهراء وباقي أهل البيت عليهم السلام وتخطئتِهم، وهذا ما نُنزّه عنهُ أبو الحسين زيد بن علي صلوات الله عليه، وحُقّ لنَا أن ننُزِّهه وأن نذبّ عن هذه الفَرِيَة عليه عليه السلام، فهُو الإمَام الأعظَم .

الوجه الخامس: أنْ تعلمَ أنّ هذا مُعارضٌ بما جاء في لوامع الأنوار، عن زيد بن علي عليه السلام، وذلكَ أن سائلاً سألَهُ عن أمر فاطمة صلوات الله عليها، فأجابَهُ الإمام زيد عليه السلام مُنشئاً:

غَداة تُنادِي يَا بَتا مَا تمزّقت ثِيابُكَ حَتّى أزْمَع القَومُ بِالغَدْرِ
وحَتّى ارتُكبنَا بِالمذلّة والأذَى ولَيس لأحرارٍ على الذلّ مِن صَبرِ

فأجابَه الرّجل قائلاً:

أنتَ الأميرُ وأنتَ غيرُ مُداهنٍ ظَفِرَت يَدَاكَ بِذروَة الجنّاتِ
وعَلَوْتَ يابن المصطفَى وَوصيّه فِي الفَضْل والدّرَجَات والغرفاتِ[1]

فهذا، كلّه أخي القارئ، يُوهنُ هذه الرواية عن سيدنا زيد بن علي عليه السلام، وليسَ عليها يُبنى قرارٌ كهذا، وليسَ لأجلِه نتجاهل روايات وإقرارات علويّة فاطميّة بعدم صحّة الحكم، وثبات المظلوميّة في حق الزهراء عليها السلام؛ لأنّه إن كان ذلك كذا، فما نحنُ إلاّ باحثون عن روائح الأعذار للتملّص من واقع الحال، فنحنُ نستطيع أن نقول: ظلمَ المشائخ، وليسوا كُفّاراً، ولم يثبُت تفسيقُ أمير المؤمنين ولا أولاده لهم، ونحنُ بقولهم قائلون .

الوجه السادس: أنْ تعلمَ أنّ في سند هذه الرّواية فضيل بن مرزوق، وهُو مُختلفٌ فيه عند أهل الحديث، وقد ضعّفَهُ ابن معين[2]، وليسَ هُو بالضّعيف عندنا، إلاّ أنّه قد يُحتجّ

(١) لوامع الأنوار :٢/ ٩٥.
(٢) المجروحين ٢/ ٢٠٩.

على أصحاب رجال الجرح والتعديل بشروطِ أصحابِهم، التي يَردّوا بها الرّوايات، وأمّا على شرطنا فإنّها محكومةٌ بكتاب الله وصحيح سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإجماع أهل البيت عليهم السلام، وقد ثبتَ إجماعُ أهل البيت عليهم السلام، على بُطلان حكم أبي بكر في فدك .

الوجه السابع: أنْ تعلمَ أنّ مَنْ مالَ من الزيدية إلى أنّ طريقَة مُطالبَة الزهراء عليها السلام بفدك كانَ عن طريق الإرث دونَ الهبَة، وصحّحَ حكم أبي بكر لمكان النّص الذي سَمِعَهُ من الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم حول عدم التوريث، واحتجّ بتصحيح الإمام زيد بن علي عليه السلام بحكم أبي بكر، وجعلَ هذا شاهداً لما ذهبَ إليه، ومَن كانَ هذا حالُه فقد وَهِمَ وهماً فاحشاً، إذ أنّ الإمام زيداً لم يكن مؤمناً في رواية التصحيح لحكم أبي بكر بالإرث، بل كان يقول بالهِبَة، ولم يُصحّح الحُكم بسبب حديث عدم التوريث بل أخْذَاً بظاهر الشرع الواسع، من عدم اكتمال نصاب الشّهادَة، وهُنا قد خلطَ البعض القليل من الأصحاب والله المستعان .

الاعتراض الثاني

إنّ فاطمةصلوات الله عليها، ما نازعَتْ أبا بكر فدك، وإنّما سَألتهُ بقصد الاستخبار والاستعلام .

والجواب: أنّ هذا كلامٌ ليسَ عليه دليل، و التّاريخ يردّه، ولو لم يكفِ في ردّه إلاّ ثبوت موت فاطمةصلوات الله عليها غاضبَة واجدَة على أبي بكر، فإنّ هذا لا يختلفُ فيه وعليه علماء الزيدية، وهُو ثابتٌ من طُرق العامّة برواية البخاري وغيره، وناهيكَ أنّ مَنْ يحتجّ بهذا فإنّه يعتمدُ على رواية أنّ فاطمةطالبَتْ بفدك على أنّها ميراث، وفدك ليسَتْ ميراثاً بل هي نِحْلَةٌ ومِلْكٌ لفاطمة عليها السلام، فكونها تستخبرُ عن أمرٍ هي تعلمُ أنّهُ لها، نِحْلَةً من والدها، ثمّ تُقرُّ وتسكت أمرٌ بعيد جداً، أضِفْ إلى ذلك: أنّ مُجرّد إثبات لفظَة (المُطالبَة) من فاطمة عليها السلام سواء بالإرث أم بالهبة، فإنّها تنفي الاستخبار تماماً، وعندي: أنّ عاطفَة الموقف تغلبُ على مَن يُريدُ تصحيح هذا الاعتراض، وليسَ هُو بالاعتراض الذي يصمدُ عند تقارع الحجج، فافْهَمْ ذلك .

الاعتراض الثالث

إنّ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام، قال في الأحكام، عند ذكر الأراضي التي في يد إمام المُسلمين: «وَأرضٌ صَالَح عَليها أهلُها وهُم فِي منعَة فَلا يُؤخَذُ مِنهُم، إلاّ مَا صُولِحُوا عَليه، مِثلُ أهل نجران وغَيرِهِم مِنَ البَلاد، فَهَذهِ أيضاً لَبَيتِ مَالِ المسلمِين، وأرضٌ أُجلِيَ عَنهَا أهلُها، وخَلّوهَا مِن قَبلِ أنْ يُوجَفَ عَليهِم بِخَيلٍ أو رِكاب، أو يُقَاتِلوا، مثل فَدَك، فَمَا كَانَ مِنَ الأرضِينَ عَلى هَذَا فَإمَامُ المسلمِين أولَى بِهَا يَصرِفُهَا حَيثُ شَاء ورَأى»[1]. وهذا تصريحٌ بأنّ فدك للإمام القائم، يصرفها حيثُ شاء .

والجواب: أنّ الإمام الهادي عليه السلام، كانَ يتكلّم بعموم عن الأراضي التي تقعُ في أيدي المُسلمين، وكيفَ الحالُ فيها، فذكرَ الأراضي التي تقعُ تحت أيديهم بدون قتال ولا إيجاف خيل، مثل فدك، فإنّها تكون للإمام يصرفها حيثُ شاء ورأى، فالهادي عليه السلام، يُريدُ إيصالَ معلومةٍ بضربِ مثال، فذكرَ الأراضي المُتَصالَح عليها، وذكرَ عليها مثالاً أرض نجران، ثمّ ذكر الأراضي التي لم تُوجِف الخيل عليها، وذكرَ مثالاً عليها فدك، فكانَ كلامهُ هذا فِقهاً في كيفيّة تعامل المسلمين مع الأراضي الفُلانيّة التي ستقعُ تحتَ أيديهم، وأنّ ما وقعَ تحت أيدي المُسلمين من أرض اليمن -مثلاً- بدون إيجاف الخيل، فإنّه لإمام المُسلمين يصرفهُ كيفَ شاء ورأى، وما وقعَ تحت أيدي المُسلمين من أرض الهند -مثلاً- بدون إيجاف الخيل، فإنّه لإمام المسلمين يصرفهُ كيف شاء، فالإمام الهادي عليه السلام كانَ بكلامه السّابق يضربُ مثالاً للأراضي التي لم تُوجِف عليها الخيول كفدَك، وفِعْلاً فإنّ فدك كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصّة، وهُو إمام المُسلمين في زمانه، فلمّا كانَت لهُ دونَ المُسلمين -من الله لهُ خاصّة- بعكس أراضي أهل نجران التي شاركَهُ فيها المسلمون، فإنّه كانَ يصرفُ منها على نفسهِ وقرابته وخاصّة أصحابه، تَفَضّلاً منهُ، لا وجوباً عليه كأراضي أهل نجران، فإنّ صرفه صلى الله عليه وآله وسلم على المُسلمين منها واجبٌ عليه. **نعم !** فلمّا كانت فدك للرسول خاصّة، أنحلَها لابنته فاطمة بأمر الله تعالى، وقد تقدّم وجه الرواية في قوله تعالى: ﴿**وآتِ ذَا القُربَى حَقّه**﴾،

(١) الأحكام : ١/ ١٧٧ .

وهذا أصلٌ مهم، لو تُؤمِّلَ جيّداً؛ لأنّ فدَك فعلاً كانت بيد إمام المُسلمين الذي هُوَ رسول الله ﷺ، وكانَ المالكُ لها وحدَه، وتصرّفها فيه تصرّف صاحب اليد، فأنحلَها عند ذلك لفاطمة عليها السلام .

ووَجهٌ آخَر: إن قيل: ولكنّ المؤيّد بالله أحمد بن الحسين الهاروني عليه السلام، صرّحَ بما يُخالفُ كلامكم السّابق، فإنّه قال، في شرح التجريد:

«وَالأصلُ فِي هَذا مَا صحّ بالأخبار المتَوَاتِرَة أنّ فَدَك لمّا أُجلِيَ عَنهَا أهلُهَا مِن غَير أن يُوجَفَ عَليهم بِخَيلٍ ولا رِكَاب، صَارَتْ لِرسول اللهّ ﷺ، قَال اللهّ تعالى: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ**﴾ [الحشر:٦]، فبيَّن أنّ مَا أفَاء الله عَلى رَسوله هَذهِ صِفَتُه، فَإذَا ثَبَتَ أنّ ذَلك لِرَسُول الله ﷺ، ثَبَتَ أنّهُ يَجبُ أنْ يَكونَ بَعدَه للإمَام، إذ هُوَ القَائم مَقَامَه فِي أمور المسلمين، وسَدّ ثلمهم، وتحمّلِ أعبَاء مَا يعرض لهم» .

قلنا: ليسَ كلامُ إمامنا المؤيد بالله صلوات الله عليه، ينقضُ كلامنا السّابق، فَكلامُه عليه السلام يشملُ الأراضي التي لم يُوجَف عليها بالخيل والرّكاب، التي بقيت ولم يتصرّف فيها رسول الله ﷺ، وأمّا فدك فقد خرجت من يد إمام المُسلمين (بعد الرسول ﷺ) بهبة الرّسول لابنته فاطمة عليها السلام، فما كانَت من الأراضي بتلكَ الصّفة، ولم يثبت هبة رسول الله ﷺ لها، فهي للإمام الشّرعي القائم .

أضِفْ إلى ذلك أنّنا نستطيع أنْ نأخُذَ بظاهر ما فَهِمناهُ أخي المعترض من كلام المؤيد بالله، ونُرجِعَهُ إلى أصول المؤيدّ بالله، فلو كانَ المؤيد بالله عليه السلام يُريدُ أنّ فدك ترجعُ إلى إمام المُسلمين، فهُوَ يقصدُ أنّها ترجعُ للإمام الشّرعي، وليسَ إماماً شرعيّاً في ذلك الزّمان إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام، دونَ أبي بكر، والإمام علي وأولادُه مُلاّكُ فَدَك، فاليدُ يدهُم، يصرفُونها حيثُ شاءوا، ولو رجعتَ إلى سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في فدك لمّا تولّى الخلافَة، ستجدُ أنّ موقفَهُ في التصرّف في فدك أصحّ من موقف المشائخ؛ لأنّه الإمام، والمُلكُ مُلكُه، فلهُ الخيار في كيفيّة صرف غلاّت فدك، يتقوّى بها في حربه، أو يصرفها على

نفسه وولده، أو يفعلُ بها ما يشاء، فله الحريّة في ذلك، ولكنّ أُناساً قارنوا بين كيفية تعامل أبي بكر وعمر مع فدك عندما جعلوها للمسلمين، وبين تصرّف علي عليه السلام، عندما جعلَ نصيباً منها للمسلمين مع ما يتقوّىٰ به في حروبه، فقالوا: إنّ علي عليه السلام استكملَ مسيرة أبي بكر وعمر في كيفية تعاملهِ في فدك، بل ورَووا في ذلك أخباراً، تُفيدُ أنّه يستحي أن ينقضُ فعلاً، فعلَه أبو بكر وعمر، وهذا لا يصح، فكون الإمام علي عليه السلام صرفَ جُزءاً من غلاّت فدك علىٰ المسلمين وعلىٰ عتاد الحرب، لا يعني أنّه يَرىٰ أنّ المُسلمينَ مُلّاكٌ للأرض معه، ومع أولاده، فليسَ هذا منه عليه السلام إلاّ تفضّلاً، لا واجباً، فافهم ذلك[1]، إذ كيفَ يعتبرُ الإمام علي عليه السلام فاطمةالزهراء مظلومَةً مهضومَة، ويدفنُها علىٰ هذا ليلاً، ثمّ لا يَرىٰ ملكيّتها الخاصّة دون المُسلمين فيما طالبَت به أبا بكر؟!، فإن علمتَ هذا فاعلم أيضاً أنّ لنا أنْ نتأوّل كلام المؤيد بالله عليه السلام عندما أشار إلىٰ أنّ فدَكاً تكون في يد إمام المُسلمين، يصرفها كيفَ شاء، إلىٰ أنّه يعني الإمام العلوي الفاطمي بعموم، فيكونُ الإمام مُمثّلاً لبقيّة بني فاطمة، ويصرفها عليهِم بالعدل، أو يصرفها فيما يرىٰ أنّ مصالح الإسلام تقتضيه بعد الرّضا واستطابَة النّفوس؛ لأنّ الإمام الفاطمي ليسَ وحدَهُ المالك، بل يُشاركه في هذا بقية بني فاطمة صلوات الله عليها وعلىٰ صالحي ذريتها، ولو تأمّلتَ السيرَة، لوجدَت أنّ بعض خلفاء بني أميّة وبني العبّاس، قد أعادوا فدك إلىٰ أشخاصٍ من بني الحسن والحسين، علىٰ أنْ يَقسِمُوهَا بين ولد فاطمة عليها السلام، لا أنّها لهؤلاء الأشخاص دون إخوتهم وبني عمومتهم، فهذا عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يردّ فدكاً علىٰ بني فاطمة عليها السلام، وأشار الشرفي في تفسيره أنّه ردّها علىٰ الباقر عليه السلام، فأخَذها يزيد بن عبدالملك من بني فاطمة،

(١) إضافةً الى ذلكَ فإنّا نقول : بعدَ أن اعتبرَ أمير المؤمنين عليه السلام فدكاً من المال الذي بأيديهِم، وأنّ فاطمةماتَتْ مَظلومة مهضومةً عليه، فإنّه لاشكّ أن يكونَ بتصرّفه في غلاّت هذه الأراضي قد استرضَى ابنيه الحسن والحسين في التصرّف بنصيبهما من إرث أمّهما، ويدلُّ علىٰ ذلك قياس الحَال باسترضاء أمير المؤمنين لأصحاب الخمس، ابنيه وبقيّة بني هاشم، حتّىٰ يتقوّىٰ به في حروبه، روىٰ الإمام الصادق جَعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه الباقر محمد بن علي، أنّه قال : «إنَّ الحَسَن، والحُسين، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن جعفر، سَألُوا عَلياً حَقّهُم مِنَ الخُمس، فَقال عليه السلام : هُوَ لَكُم، (تأمّل)، «فَإن شِئتُم أعْطَيتكُمُوه، وإنْ شِئتُم أنْ تَتْرُكوه أتَقَوّىٰ بِه عَلىٰ حَرب مُعَاوِيَة فَعَلْتُم، فَتَرَكُوه» [روىٰ هذا الشريف العلوي في جامع علوم آل محمد].

وأعادَها أبو العبّاس السّفاح العبّاسي إلى شيخ آل الرسول في زمانه عبدالله المحض عليه السلام، وعاد وانتزعها أبو جعفرٍ المنصور، ثمّ ردّها المأمون -كما أشرنا سابقاً- إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، و جعلَ إليهما قسمتُها بين أهلهم . فإن علمتَ هذا مِن بعدَ علمِك واستيقانك ما سبقَ وذكرناه، فأيقِن أنّ هؤلاء السّادَة الذين أخذوا فدكاً، ليسوا بأصحاب الذِّمم السّيئة، التي تجعلُهم يأكلون مالاً لا يعرفونَ أنّه في الأصلِ لهُم، ومن حقّهِم، أُخِذَ منهُم، وهُوَ اليوم بعطيّة الخلفاء الأمويين والعباسيين يَعودُ عليهِم، فأينَ أنتَ رحمَكَ الله من يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن صلوات الله عليهم، عندما عرضَ عليه هارون العباسي الأمان مع بذل الأموال الطائلة له، والضّياع المُترامِيَة، فأجابَه عليه السلام: «أمّا بَعد فَقد فَهمْتُ مَا عَرَضْتَ عليّ مِنَ الأمَان على أن تَبذُلَ لِي أمْوالَ المسلمين، وتُقطِعَنِي ضِياعَهم التي جَعَلها الله لهم دُوني ودُونَك، ولَم يَجعَل لنَا فِيهَا نَقيراً ولا فَتيلا، فَاستَعظَمتُ الاستمَاع لهُ فَضلاً عَن الرّكون إليه، واسْتَوحْشتُ منهُ تَنزهاً عَن قَبولِه، فَاحبِس أيّها الإنسَان عنّي مَالَك وإقطَاعَك وقَضَائِكَ حَوائجِي، .. الخ»[1]، فكيفَ رحمكَ الله تظنّ أن يأخُذَ سادات بني الحسن والحسين باقرهُم، ومحضهُم، وأفاضل عُلماءهم، أموالَ المُسلمين التي ليسَت لهُم لوحدهِم حسب كلام المُخالِف، بل لِماذا يخصّ هؤلاء الأمويون والعبّاسيون بني فاطمة بهذه الأرض -فدك- دونَ غيرها، ويصرفُوها لهُم دونَ النّاس ؟!، فإن أجبتَ على أسئلتي أعلاه، فأتْمِمْهَا بالصلاة على محمد وعلى آل محمّد، واعلَم أنّ ما تعلّقتَ به من كلام المؤيد بالله عليه السلام يحتملُ الكثير غيرَ ما ذهبتَ إليه، أقلّه أنْ نقول أنّ الإمام في كلامه هو الإمام الفاطمي، والصلاة والسلام على فاطمة، وأبي فاطمة، وزوج فاطمة، وصالحي ذريّة فاطمة، صلاةً تُرضيكَ يالله، وصلاةً تُرضيهِم، وصلاةً تَرضَى بها علينا إلى يوم الدّين.

(١) أخبار فخ ويحيى بن عبدالله : ٧٥ .

الاعتراض الرابع

إنّ أبا العبّاس السّفاح أفحمَ! عبدالله المحض عليه السلام، عندما جاءَه المحض، فقال له: «نَاشَدتُكَ الله ألاّ أوفَيتَنَا حَقّ أمّنا. فَأجَابَ السّفاح عليه بمنَاشَدَتِه الله: هَل صَارَ الأمْرُ إلى عَلي بَعدَ عثمَان. قَالَ: نَعم. قَال: فمَا صَنَع؟ فَسَكَتَ عبدالله، والسّفاح يُكرّر المناشدة له»، فدل على انقطاع حجته إذ لو رده علي عليه السلام لأجاب بذلك .

والجواب: أنّا لا ندري أمِنْ أوّل الخبر نَعجَب! أمْ مِنْ آخِرِه! أمِنْ إثبات عبدالله المحض عليه السلام أنّ فدكاً هيَ حقّ أمّه دونَ المُسلمين، وأنّها ليسَت من حقّ الإمام غير الشّرعي (الفاطمي)، وهذا ما يُريد المُخالفُ أن يُثبتَ عكسَه! أمْ مِنْ إثبات الهِبَة بالأحقيّة الفاطمية، أمْ مِنْ تجهيلِ سيدنا المحض عليه السلام، وهُوَ شيخ آل رسول الله في زمانه، شيخ الفاطمية، وأبو الأئمّة، وأستاذُ الفُقهاء! أوَمَا استطَاع المحض عليه السلام أن يردّ قائلاً: بأنّ الملكَ مِلكُ عليّ وولدَيه، ولهُ الحقّ في صرفِها حيثُ يشاء، يَقبضُها بِرِضَى ولَده ويَضعُهَا في بيت مَالِ المُسلمِين، أو يَستَعينُ بِهَا على حَربِه، أو حتّى يُتلفُها!، فهو حرٌ في تصرفه بها مع أولاده، وليسَ ذلكَ لكَ يا أبا العبّاس اليوم، فَفَدَكُ مِلك أمّنا، وحقّها من أبيها، ونحنُ اليوم أحقّ بها منك، ومن أبي بكر وعمر وعثمان سابقاً، فمَا أخرَجَها من أيدينا إلاّ حُكم أبي بكر، فلو أنّهُ زادَ في التحرّي لحكمَ بها لنا، وهيَ لنَا، فأنا أعزمُ عليك وألحّ في المُناشَدَة، ألاّ أرجعتَ لنا حقّ أمّنا المُغتَصَب؟! . نعم !، أضِفْ إلى ذلك أنّ هذه الرّواية مُعارضَة بما ذكرَهُ ابن أبي الحديد في الشرح[1]، من أنّ أبا العباس السّفاح ردّ فدكَ على عبدالله المحض عليه السلام ! .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٦/ ٢١٦.

خاتمَة

وبهذا الاعتراض، نختم بحثنا حول فدك، سائلين الله مُوافقة الصواب، والابتعاد عن الخطأ، وفيه نقول ختاما: إنّهُ قد ثبتَ -وأقلّ الثبوت وأعظَمُه- من طريق أهل البيت عليهم السلام، أنّ أبا بكر أخطأ الصواب، وإجماع أهل البيت عليهم السلام حجّةُ الحجَج، قال الإمام زيد بن علي عليه السلام: «فَاختِلافنا لَكم رَحمَة، فَإذَا نَحنُ أجْمَعنا على أمرٍ لَم يَكُن للنّاس أن يَعْدوه»[1]، قال الإمام الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي عليه السلام: «وَإذَا رُوِيَ عَن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم خَبَرٌ، فَرَوَاهُ عُلَمَاءُ آل رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على غَيرِ مَا رَوَتهُ الأمّةُ عَن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم كَانَت الحُجَّةُ فِيمَا رَوَاهُ آل رَسول الله، وَأثْبَتُوهُ عَن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، وَكَذَلِكَ الرِّوَايَةُ عَن أمِيرِ المؤمنِين، إذَا رَوَتِ الأمّةُ عَنهُ خِلافَ مَا رَوَى خِيَارُ آل رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كَانَتِ الحُجَّةُ وَصِحَّةُ النَّقْل مَا رَوَاه عُلَمَاء آل رسول الله عَن أمِير المؤمنِين، فَإذَا اخْتَلَفَت الأمّةُ بَعدَ أمير المؤمنين في الأحْكَام، فِي الحَلال والحَرام والسُّنَن، كَانَ مَا صَحَّ عَنْ عُلَمَاء آل رَسُول الله أَوْجَب أنْ يُؤخَذَ بِه، وَتَرْكُ مَا سِوَاه، وَبِذَلِكَ أُمِرُوا أنْ يَتَمَسَّكُوا بِهِم عِندَ الاخْتِلاف وَالتَّفَرُّق» . **نعم!** وليسَ لنا أن نَلْعَنَ ولا نسبّ ولا نشتم أبا بكر لإغضابه أمّ أبيها!، فلنا في الفاطميين الحسنيين والحسينين خير أسوة، وكفى بهم أسوةً وقدوة . نذكرُ هذا لئلاً يكونُ بحثُنا هذا مُتسلّقاً لِمَنَ يُكفّر المشائخ، ونحن إلى الله من هذا براء، فَما الغَرضُ من هذا البحث كُلّه إلاّ تصحيح بعض المَفَاهيم، لا التعصّب وإطالَة المِراء، فواقعُ أمّتِنا يَطلُبُ منّا أن نُغضي عن مِثل هذه المواضيع، ونحنُ فكان رأيُنا الإغضاء، وما بدَّل هذا الرّأي إلاّ الضّرورة لمّا وجدنا المُلبّسين في هذا يخوضونَ ومقصدهُم الإزراء بقول أهل البيتِ عليهم السلام، والاستظهار لمذاهب غيرِهِم، تمويهاً على العامّة، والله يعلمُ ذلك منّا، هذا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

السبت ١/ ٥/ ١٤٢٧هـ

****

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي : كتاب تثبيت الوصية .

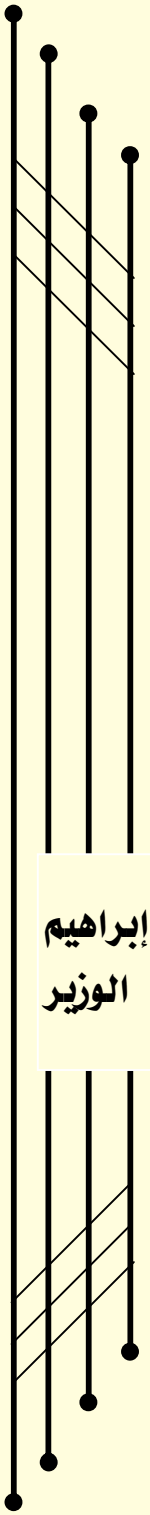

التّاسعَة عشر: إلقَاء الضّوء على بَعض عقائد محمد بن إبراهيم الوزير

إلقاء الضوء على بعض عقائد محمد بن إبراهيم الوزير

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدلله ربّ العالمين، والصّلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيّدنا محمّد النّبي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضوانه على الصّحابة المتّقين، والتّابعين لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدّين .

وبعد:

فهذه أسطُرٌ تُناقشُ عقيدة الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير عليه السلام، وتُخضعُ عقائدَهُ لأقواله التي أودَعهَا أمّهات مُصنّفاته، والغرضُ من إبراز هذه العقائد، هي ما نَلمسُهُ من مُحاولة استجلاب هذا الحافظ إلى الوسط السّلفي، واعتباره رجلاً سلفيّاً صِرفاً، والله المُستعان، فهو دفاعٌ عن عقيدة ابن الوزير، ومُحاولة إبراز عقيدته كما دوّنها هُوَ في كُتبه، على أنّ مُناقشتنا لم تتناول إلاّ بعض العقائد، الاّ أنّها من أهم العقائد في الجدل والحوار الإسلامي، على أمل أن نتفرّغ لإكمال بقيّة عقائد الحافظ ابن الوزير عليه السلام .

نعم ! هذا وللأسف فإنّه لم يتعرض أحدٌ لإثبات انتهاجه بمنهج الفرقة السنية بما يكفي ويشفي، من المذاهب الإسلامية، بالرغم، من تشدق الكثير ممن يُحسبونَ على العِلم وأهلِه، باقتفائه منهج أهل بيته القُدامى ! منهج فرقة أهل السنة والجماعَة!، من دون الشيعة الزيدية! .

ولأن البعض -وقد نكون منهم-، ينظرُ إلى ابن الوزير محمد بن إبراهيم، نظرةَ تبجيل، نظرةَ مُنافحٍ عن السنة النبوية المتمثلة في آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نظرةَ منافحٍ عن منهج المُحدثين في الاهتمام بالحديث والرجال والجرح والتعديل، لا نظرةَ مُنافحٍ عن عقيدة المُحدثين على أنّها الحق، وأنّها هي ما يدينُ الله به، وأنّها دين أهل البيت من

السابقين، وهنا يقعُ أهل اللُجاج في اللُّجاج. و في النقيض، نجد البعض، ينظرُ إلى ابن الوزير محمد بن إبراهيم، نظرةَ مُدافعٍ عن المُحدثين بالسنن النبوية والآثار الحديثية المصطفوية، ونظرة مُتابعٍ لهؤلاء المُحدثين من الفرقة السنية في عقيدتهم الإلهية، ونظرةَ مُطابقٍ لعقيدةِ أهل البيت القُدامى بعقيدة فرقَة أهل السنة والجماعة، ونظرةَ مُخالفٍ بينَ المتأخرين والقُدامى من أئمة الزيدية في أصول العقيدة المحمدية . وفي هذا يجبُ أن يُعلَم، أنَّ الإمام الخضم، والطود الأشمّ، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الوزير الرسي الحسني، عليه وعلى آبائه السلام، قَد أُسيئَ فَهمهُ إساءةً واضحةً جلية، من كلا الطرفين الزيدية والفرقة السنية، فأمّا الزيدية فلقد صفّهُ بعضُهُم في مصافّ الفرقة السنية، وهُوَ بهذا مَعيبٌ عندَهُم . وأمّا أصحاب الفرقة السنية فاستجلبوه وتزيّنوا به فرداً مِن أبناء نِحلَتِهم، مِن غيرِ بينةٍ ولا دليلٍ مُنير، ونَسبوه إلى مُخالفةِ أهل بيته الزيدية في عقيدتهم المُبتدَعَة، وهُوَ بهذا ممدوحٌ عِندَهُم .

سبب الدراسة :

لا شكّ أن معرفة مذهب أهل البيت عليهم السلام، الخالي من التحريف والزيادَة، والنُقصان، هُو مَطلبٌ كلّ مُكلّف من الذكور والإناث . وقَد داخَلنا على زيديتنا المذهبية، ما قَد يُداخلُ كُلّ مُطّلعٍ على أقوالِ الخصوم بعين التجرّد والتمهّل والاعتدال، فوَجدنا البعض يرى في ابن الوزير رحمه الله تعالى، المُعيدَ لمنهج وخطّ أهل البيت القُدامَى -القاسم الرسي فمَن قبلَه-، وأنّه المُصَفّي والمُنقّي لزيدية زيد بن علي من زيدية الهادي يحيى بن الحسين ومَن بَعده، وأنّه باعث روح مبدأُ القُدامَى في المتأخرين بَعدَ أن كادَ يندثر، ويقصد الخَصم بهذا، إحياءهُ لمذهب أهل السنة والجماعة، التي هي في نظره هي مذهب أهل البيت القُدامى دونَ المُتأخرين، وهُو وهمٌ ماحقٌ ساحقٌ، اجترأَ عليه مَن يُموّهون على الأغمار المُقلدين أتباع كل ناهقٍ وناعق، والله المستعان .

الهدف من الدراسَة:

- **إثبات** عدم انتهاج ابن الوزير اليماني عليه السلام، بمنهج فرقة أهل السنة والجماعة، لا عَدلاً ولا توحيداً، وأنّهُ وإن خالفَ الزيدية في بعض مبادئها، فهو إليها يظل أقرب إنْ لَمْ يُطابق عقائدها في أهم مسائل أصول الدين الأصيلة التي عليها تُبنى النجاة والخسارَة .

- **إثبات** عدم انتماء ابن الوزير رحمه الله إلى مذهبٍ بعينه من المذاهب الإسلامية، ومنها السنة والزيدية، إلاّ ما كانَ منه في آخر عُمُره ومن الرّجوع إلى مذهب آبائه (الزيدية).

- **إثبات** عَدم صحة، مُخالفَة المُتأخرين للمتقدمين من أهل البيت عليهم السلام، (وهذا سيكون من خلال إثبات مُتابعَة ابن الوزير لأهل بيته الزيدية في عقائدهم الإلهية -التوحيد والعدل-؛ لأنّ في إثبات مُتابعة ابن الوزير للزيدية في عقائدها على مقتضى كلام الخصم إثباتاً لمُتابعة المتأخرين من أهل البيت للمتقدمين عليهم جميعاً السلام)، وليسَت هي عندنا مِقياساً .

مُلاحظَة :

يجب التنبه، أنَّا وإن دافعنا عن عقيدةٍ تكادُ تُزَوّرُ على ابن الوزير، وتُلصَقُ به، أقصد اتهامه بالسنية، فهذا لا يعني أنَّا نوافقُ ابن الوزير فيما سطّرَ بنانه الكريم؛ لأنَّا نجد أنّه أجادَ في مواضع، وتخبَّطَ في أخرى، واعتسفَ وكابرَ في أخرى، حيثُ بالغَ في التعذر لأصحاب فرقة أهل السنة والجماعة، وبالغَ في حَمْلِهِم على أفضل المَحامِل، وفي المقابل يُشنّع على العدلية ويُهوّل بعض الأقوال الشاذة الصادرة عن أفرادهم لا عن جماعاتهم فيجعلها مَذهباً . والله يحب الإنصاف .

تمهيد :

تَتميز منهجية ابن الوزير، بالرغم من كثرة مؤلفاته، بـالغموض، فـلا تكـادُ تـستخرج عقائده بشكلٍ واضح إلاّ بمشقّة، وكَم من عبارَة مُبهَمَة في العواصـم والقواصـم، لا تجـد لها جواباً إلاَّ في إيثار الحق على الخلق، وكَم من تلميحٍ بعقيدةٍ مـا في الـروض الباسـم، لا تجدُ لها تصريحاً إلاَّ في ترجيح أساليب القرآن . والحق عندي، أنَّ من قالَ: إنّهُ يُريـدُ معرفَـة ابن الوزير وعقيدته من كتابٍ واحد، فهُوَ واهِم، فمثلاً البعض يتصفَّح عقيدة ابن الوزير من خلال كتابه (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم صلوات الله عليـه وآلـه)، مُحاولاً مَعرفَة عقيدة الرجل منه، ولَن يستطيع -وهذا مُجرَّب-، إلاَّ بالرجوع إلى بقيـة كتبـه ومؤلفاته، وعلى رأسها العواصم والقواصم، وإيثار الحق على الخلـق . ونوافـقُ الأسـتاذ علي الحربي عندما قال في كتابه (ابن الوزير آراؤهُ الاعتقادية وجهودُه في الدفاع عن الـسنة النبوية)[1] : «فلقد أمضيتُ سـنتين مـع ابـن الـوزير -رحمـه الله- مُـتردّداً في الحُكـم عـلى مُعتقدِه، لِكَثرَةِ ما يُورِدُهُ في المسألَة الواحِدَة، ويُسندها إلى أصحابها مع التقصي لأدلّـة كُـلّ فريق، ولِكَثرَة ما يُورِدُ مِن الكلام، يُوهِمُ القـارئ -أثنـاءَ الكـلام عـلى قـولِ مُعـيّن- أنّـهُ يَذهبُ إلى ذلِكَ القول، حتّى إذا انتقلَ إلى الكلامِ على قولٍ آخر، يظنُّ القـارئُ أنّـه يتبنّـى ذلكَ القول أيضاً، لِكثرَة ما يُورِدُ من البراهين العقلية والنقلية، وهكـذا حتّـى يخـرج مـن المسألة تاركاً القارئ يختارُ ما يشاء -غالباً-، وهذا ما سَلَكَهُ في كِتابِهِ (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ) مِنَ الأسلوب الجدلي المُنبني عـلى مُقـدّماتٍ مُـسلّمَة عند الخصمين، أو عندَ النّاس، بغضّ النظر عن كونِ النتائج حقّة أو باطِلة» .

(١) ابن الوزير آراؤه الاعتقادية وجهوده في الدفاع عن السنة النبوية ١/ ١٢٢.

عقائد محمد بن إبراهيم الوزير عليه السلام :

(١) عقيدة ابن الوزير في الأسماء والصفات بين الزيدية والفرقة السنية:

ابن الوزير، لا ينفي التأويل:

١ - قال العلامة ابن أبي القاسم رحمه الله تعالى، مُعترضاً على ابن الوزير، من أنَّ في صحاح الفرقة السنية ومسانيدهم، أخباراً توهمُ التجسيم والتشبيه، والجبر، -يقصد بالتجسيم الأحاديث الموحية باليد والوجه والساق وأمثالها- : «قالَ: ممّا يَدُلُّ على أنَّ في أخبارِ كُتُبِهِم التي يُسمّونها الصّحاح **ما هُو مردودٌ** أنَّ في أخبار هذه الكُتُب ممّا يُثبتُ التجسيم والجبرَ والإرجاء ونسبةُ ما لايجوز إلى الأنبياء، ومِثلُ ذلكَ يُضربُ بهِ وجهُ راويه، وأقلُّ أحوالِه أن يَكذِبَ فيه إلى آخر كلامه في هذا الوجه» [1].

فردَّ عليه **ابن الوزير** رحمه الله تعالى، منوَّها على أنَّ وجودَ مثلَ هذه الأخبار الدّالة على التجسيم ليَسَت علامة للكذب، أو الردّ، بل إنّهُ يجبُ تأويلُ هذه الأحاديث بما يُناسبُ سياقها، وقد نَسبَ شيخهُ إلى العجز عن تأويل هذه الأحاديث المروية في الصحاح، بما يُنافي التجسيم والتشبيه، ثم قدَّمَ ابن الوزير مقدمات ينبّهُ بها القارئ ألاَّ يتوهَّمَ أنهُ بمجرَّدِ عدم نسبَة هذه الآحاديث الموحية بالتجسيم إلى الوضع والكذب، أنهُ قائلٌ بها، آخذٌ بظاهرهَا، وأيضاً يُسلّط ابن الوزير الضوء إلى أنّهُ قد غلطَ عليه الكثير من الناس، ونسبوهُ إلى الإقرار بما في هذه الأحاديث على ظاهرها، بمجردّ أنّه قَبِلَها ولم يصفّها في مصافِّ الموضوعات . ولا يفتك أن تتأمَّل عقيدته رحمه الله في أحاديث الآحاد . ومما يجب التنبيه عليه أيضاً أنّ ابن الوزير وإن كان لا ينفي التأويل ولكنه يكرهه، وهذا لا يوهِمُ أنه يأخذُ بالظاهر، **فقالَ رحمه الله راداً مقالةَ شيخهِ السابقَة**:

«أقول: هذا مقامٌ وَعِر قَد تعرَّض السيدُ له، وأبدَى صَفحتَه، وأرادَ أن يُكَذِّبَ الرّواةَ

(١) انظر العواصم والقواصم ٨/ ٢٦١.

فيما لَم يَفهَم تأويلَه، وهذا بحرٌ عميق، لا يصلُحُ رُكوبُه إلاّ في سفين البراهين القاطعة، وليلٌ بَهيمٌ ....، وقبل الخوضِ في هذه الغَمرةِ **أُقدِّمُ مُقَدِّماتٍ**: المقدمة الأولى: **الاعتراف** بأنَّ كلَّ ما خالَفَ الأدلّة القاطِعَة المعلومَة مِنَ العقل أو السَّمع، **وكانَ مِن أحاديث الآحاد المظنونة، فإنّهُ غيرُ مَعمولٍ به** . فإن ثبتَ دليلٌ على أنّهُ لا يُمكنُ تأويلُه، **وَجبَ ردّهُ على راويه**، على ما يأتي بيانه في مراتب الرّد، وإن لَم يَقُم دليلٌ على امتناع تأويلِه، تُرِكَ غيرَ مَعمولٍ به ولا مَقطوعٍ بِكَذِبِه . وإنّما ذكرتُ هذه المُقدّمة، وصدّرتُها قبل الكلام على هذه الجُملَة، ... **لئلاّ يتوهَّمَ أحدٌ أنّي أقولُ بغيرِها، فقَد كَثُرَ الغلطُ عليّ في مواضِع**، ثم إنَّ السيد أيَّدهُ الله ...» [1] .

* ومع ما سبقَ يؤكد هنا ابن الوزير، **أنّه لا ينفي التأويل**، فيقول: «أنَّ السيد أيدهُ الله تعالى جنى عليَّ جِنايةً عظيمَة، **فَنَسَبَني إلى القولِ بنفي التأويل، وأنا ما قُلتُ بذلِك** في الكتاب الذي اعترَضَهُ السيّد» [2] .

*** ابن الوزير لا يأخذ بالظاهر:**

- ينبه ابن الوزير رحمه الله، على أنَّ هُناكَ مَن نسبهُ للظاهر لمجرد أنْ كَرِهَ التأويل، وجَبُنَ عن تعليله -كما قال -، ثمَّ نَفى عن نفسهِ هذه التهمة -الأخذ بالظاهر-، فقال رحمه الله: «ومِن ها هُنا نَسَبني كثيرٌ من الجهلَة إلى **القولِ بالظّاهر**؛ لأني لَمّا استَصغَرتُ قَدري وأمسكتُ عن الكلام حيثُ لا أدري، عِلماً مني أنّي لستُ من الراسخين، وأنّي بَعْدُ لم أرتَفِع عَن مرتبَة المُتعلِّمين، معَ اعتقادي أنَّ الظاهِرَ الذي يُخالِفُ مذهبَ العترةِ عليهم السلام، غيرُ مُرادٍ ولا مقصودْ، ولكنّي أقفُ على تأويله، وأكيعُ عَن تعليلِه، اللّهُم إلاّ أن يَصِحَّ إجماعُ العترَة عليهم السلام على تأويلٍ مُعيّنٍ في ذلك، فلا أشُكّ حينئذٍ في التمسّك بإجماعِ العترةِ الهُداة، والرَّجوعِ إلى سُفُن النجاة، وإنْ لَم يصِح عَنهُم إجماع، لَم يَكُن إلاَّ الوقوف في التأويل والإقرارُ بالتنزيل؛ لأنَّ التقليدَ إنّما شُرِعَ لنا في المسائل العمليّة الفروعيّة، لا في المسائل العلميّة» [3] .

---

(١) انظر العواصم والقواصم ٨/ ٢٦١ - ٢٦٢.

(٢) انظرها وانظر تتمتها فهي مفيدة في العواصم والقواصم ٨/ ٢٦٥ الى ٢٦٨.

(٣)انظر العواصم والقواصم ٨/ ٢٦٨.

نماذج لتأويلات ابن الوزير، وعدم أخذه بالظاهر:

١ - قوله الله سبحانه وتعالى: «**ولا ينظر إليهم**» .

*** قال ابن الوزير رحمه الله: «كنايةً عَن إهمالِهم لا سِوى، والله أعلَم»** [١] .

٢ - قال رسول الله ﷺ، في الحديث الذي رواه أبو هريرة وأورده البخاري في الصحيح: «**أتاهُم ربّ العَالَمِين**» .

*** قال ابن الوزير رحمه الله: «المُرادُ أتاهُم مَلَكٌ مِن ربِّ العَالَمِين، أو أتَاهُم رسولُ ربِّ العَالمين»** [٢] .

٣- قال رسول الله ﷺ، في الحديث الذي رواه أبو هريرة وأورده البخاري في الصحيح: «**فيضعُ الربُّ قَدمَه**»

*** قال ابن الوزير رحمه الله: أي «فَيضَعُ رسولُ الرَّبِّ قدَمَه»** [٣].

٤ - قال رسول الله ﷺ، في الحديث الذي رواه أبو هريرة وأورده البخاري في الصحيح: «**ويكشفُ ربنا عن ساقه**» .

*** قال ابن الوزير رحمه الله: أي «رسولُ ربّنا»** [٤].

*** لمزيد اطّلاع، انظر:**

العواصم والقواصم المجلد الثامن الصحيفة ٣٣٦ فما بعدَها، والروض الباسم المجلد الثاني صحيفة ٢٨٦ وما بعدها .

---

(١) انظر العواصم والقواصم ٥/ ١٢٧.

(٢) انظر العواصم والقواصم ٨/ ٣٣٦.

(٣) انظر العواصم والقواصم ٨/ ٣٤١.

(٤) انظر العواصم والقواصم ٨/ ٣٤٢.

فائدة:

ابن الوزير رحمه الله، عندما دافعَ عن مرويات أئمة الحديث من الفرقة السنية، وخصوصاً ما يَحملُ في طياته أمثال الألفاظ السابقة الموهِمَة للتجسيم والتشبيه، فإنّه لَمَ يُدافِع عنها على أساس أخذها وإمرارها على ظاهرها، لما يترتب على هذا من فساد في العقيدة، وإنّما دافعَ عنها على أساس أنّها قد تكون صحيحة بالتأويل وعدم الأخذ بالظاهر المخالف؛ لقوله تعالى : ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير**﴾ [الشورى:١١] . وهُنا يجب أن يتنبّه المتحرّر من أقوال الرجال في ابن الوزير أياً كانَت مشاربهم، مِنَ المؤيدين أو المُعارضين، لهذه العقيدة التي هي لُبّ التوحيد وأصله الأصيل، فلا إيمان من ابن الوزير عليه السلام، بالوجه واليد والساق، ومَن قالَ بغيرِ هذا، فعليهِ البينّة .

ابن الوزير يصفُ نوع الخلاف مع شيخه العلامة ابن أبي القاسم رحمه الله:

* يضرب ابن الوزير مثالاً فيما بينهُ وبين شيخه ابن أبي القاسم رحمه الله، من اختلاف، مُبيناً أنّ الاختلاف (وسياق الكلام في التوحيد) فيما بينهُ وبين شيخه، إنّما هُو في الطريق المؤدية إلى العقيدة وليسَ في أصل العقيدة –**تأمل**–، فهُوَ موافقٌ لشيخه في الأصل ومُختلفٌ معه فيما يوصِلُ إلى الأصل، ويُنبّه ابن الوزير الواقفينَ على الخلاف بينه وبين شيخه، والقُراء لكُتبه ورسائله في هذا اليوم، أنَّ الخلاف بينه وبين شيخه ليسَ في أمرٍ جللٍ كما يتوقعون !، وخصوصاً إذا رأوا الإسهاب والتطويل في الكتب والردود، فتأمّل حقيقة الخِلاف، قال رحمه الله :

«**المقدّمة الثالِثَة**: إذا اختلفَ رجلان من **أهل العَدل والتوحيد** في حديثٍ يُخالفُ عقيدتَهما، فقالَ أحدُهُما: تأويلُه ممّا لا دليلَ على عجزِ الرّاسخين في العلم عن تأويله، ولا دليلَ في العقل، ولا في السَّمع على أنَّ عليّاً عليه السلام وسائر الأئمة، والفُطناء، وأهلُ الدّراية بالغوصِ على الدّقائق لو اجتمعوا واجتهدوا في البحثِ عن وُجوهِ التأويل، لعَجَزوا عن تأويلِه، ولَم تهتدِ إليه فِكَرُهُم الغوَّاصَة على الدَّقائق، الماحيَة لخفيَّات المدارك البتّة، بل يعلم أنَّه لا يستحيلُ في علم الله على الصحيح . وقالَ الآخَر: أنا أعتقِدُ أنّهُم لو اجتمعوا كُلُّهُم

أولُهُم وآخرِهُم، ما قَدروا على تأويلِه البتّة . فإنّهُ لا يَستَحِقُّ أحدٌ مِنهُما تكفيراً ولا تفسيقاً ولا تأثيماً؛ **لأن عقيدتَهُما واحِدَة، وإنَّما اختلفا في بعض ما خالَفَ عقيدتَهُما:** هَل يُمكنُ أحداً مِن الراسخين تأويله أم لا ؟ مع اتفاقهما على أنَّ ظاهِرَهُمَا متروك، وعلى أنّهُ إذا لَم يَكُن أحدٌ من الراسخين له تأويلٌ، فإنّه مردودٌ . **وهذه الصورةُ هي صورةُ ما بيني وبين السيِّد مِنَ الخلاف في بعض الأحاديث، فينبغي منهُ ومِن غيرِه التنبهُ على أنّهُ ليسَ بينَنَا وبينَهُ مِنَ الخِلاف ما يَجِلُّ خطرُه، ويَعظُمُ أثرُه، إذا وافقَ على هذا الحدّ، فإنَّ كثيراً من البُلداء إذا سَمِعَ بالمُراسلات والمُنازعات توهَّمَ أنَّ ذلكَ لا يُمكنُ إلاَّ معَ تفسيقٍ أو تكفير، وذلكَ غيرُ صحيح،** ولو شاءَ أهل العِلم وسَّعوا القولَ في أدنى المسالك، وقد صنَّف كثيرٌ من العلماء مُصنّفاتٍ كباراً في مسائل فُروعيّةٍ ولطائفَ أدبيّة» [1] .

وقفة:

يعيب محمد علاء الدين المصري، المحقق لكتاب الروض الباسم، هذه العقيدة – الأسماء والصفات– على ابن الوزير، ويُحذّر أبناء السنة والجماعة من التماشي معها، ويذكرُ في مقدمة تحقيقه أقوال علماء الفرقة السنية في الرّد عليها –على عقيدة ابن الوزير– . فقال المصري:

«ونحنُ نسوقُ ذلكَ تنبيهاً لأخذ الحذر أثناء القراءة، **فَمَعَ دِفاع المُصنِّف عن السُنّة وأهلِها، ... ذهبَ بعيداً في مسألة التفويض، ولَمْ يُثبت الصّفات،** وستَجِدُ ذلكَ واضحاً، فتنبّه، وهُو في دِفاعِه عَن عقيدة أهل السنة، يَقصِدُ هذهِ الطّائفة؛ ولذا نسوق في هذه المُقدّمَة عقيدَة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة فقط، ونُحيلُ عليها كُلَّ ما فَوَّضَهُ من الصّفات ولَم يُثبتها وبالأخص من (ص ٢٨٦) وما بَعدَها في ردّه على الوجه الرابع للمُعتَرِض» [2].

(١) انظر العواصم والقواصم ٨/ ٢٦٧.

(٢) انظر مقدمة التحقيق (ص ١٤).

* ومعَ ذلك نجدُ الأستاذ الحربي الذي أمضى في حُكمهِ على عقيدة ابن الوزير سنتين!! -كما قال-، يصف ابن الوزير بالبراءة من عقيدة الاعتزال -يقصد الزيدية- براءة الذئب من دم يوسف، هذا وغيرهُ كثير، والله المستعان .

مناقشَة جانبيّة :

إن قيل : إنّ مَنهج ابن الوَزير هُو التّفويض، بدليل إحجامِه عن تأويل الآيات والأحاديث المُتشابهَة ؟!.

قُلنَا : الحقيقَة أنّ ابن الوزير لا يقول بالتفويض المطلق، وليسَ يُفهمُ من إحجامه عن تأويل الأحاديث المتشابهة، أنه يقول بظاهرها أو يُفوّض معناها تفويضاً مُطلقاً، وأيضاً ليسَ يُفهم من عدم ردّه لأحاديث التشبيه والتجسيم أنّه يُفوّض معناها بلا تأويل، فهذا وهم . وإليك هذا البيان .

لو قال زيد : لي يد في هذه المشكلة .

فقال عمرو : عنَى زيد بكلامه هذا، أنّ له قُدرَة على حلّ المشكلة .

فردّ عليه سعد : بل عنى أنّ له قوّة على إدارة هذه المشكلة .

وعمروٌ وسعد يصبّ كلامهما في مصبّ واحد، وهو مقدرة زيد على حل المشكلة، ولكنّهما اختلفا في تأويل معنى كلمة اليد،القوة عنى، أم القدرة قصَد .

وهذا رحِمَكَ الله لسان حال ابن الوزير، فابن الوزير لا يردّ قول زيد هذا، وإنّما يُحجمُ عن تحديد التأويل الصحيح المعنى لقوله، مع إيمانه بأنّ كلام زيد « لفظة اليد» ليسَت على ظاهرها، وإنّما لها تأويلٌ مُعيّن، ويؤمنُ أيضاً بأنَّ تأويل عمرو وسعد كلاهما مُحتمَل، ولكن ليسَ يُقطَعُ لأحدِهما بالصحّة المُطلقَة في تأويله المعنوي، وإن اتّفقا على مقصدٍ واحد لزيد، وهو حلّ المُشكلَة .وهنا فابن الوزير ليس يُحجمُ عن التأويل، إلاّ لكيعانه (لجُبنهِ) عن الإتيان بالمعنى التأويلي السليم الثابت الصحيح بمعنى الحديث أو الأثر، لا لأنّه يَرى أن

الحديث يجبُ أنْ يُؤخذَ بظاهره بدون تأويل، أو أنْ يُقال فيه بالتفويض . ومعَ ذلك فقد كان يُأوّل على سبيل الظنّ لا الجزم، مُعتبراً بسياق الأثر، فمثلاً أوّل إتيان الله يوم القيامة، الوارد في خبر أبي هريرة، بقوله : «المُرادُ أتاهُم مَلَكٌ مِن ربِّ العَالمَين، أو أتَاهُم رسولُ ربِّ العَالمين» . وهُنا تجدُ ابن الوزير لا يقطعُ بتأويل مُعيّن للحديث، وإنّما يُأوّل باحتمالات قريبَة المعنى، (كما أوّل سعد وعمرو في مثالنا، لفظة اليد بالقدرة والقوة).

ولكن يَبقى السؤال المهم، هل يَشترِط ابن الوزير في أحاديث التشبيه والتجسيم المروية في كتب المحدثين أن تُقبَل بلا تأويل ؟! وهُنا تأمّل جواب ابن الوزير على شيخه، تجده يقول رادّا على شيخه ردّه لأحاديث المُحدّثين المحتملة للتجسيم أو الجبر: «أقول : هذا مقامٌ وَعِر قَد تعرَّض السيدُ له، وأبدَى صَفحتَه، وأرادَ أن يُكَذِّبَ الرّواةَ فيما لَم يَفهَم تأويلَه وهذا بحرٌ عميق، لا يصلُحُ رُكوبُه إلاّ في سفين البراهين القاطعة، وليلٌ بَهيمٌ». ومن جواب ابن الوزير تجدُ جواباً على سؤالنا، من أنّه لا بدّ على القارئء أن يتمحّص الحديث المُفيد للتشبيه أو التجسيم أو الجبر، وأن يُؤوّلَه حتّى يُرجِعَه للأصول الصحيحه، قبل أن يقطع بردّه، وتكذيب رواته، هكذا بلا نظر . وبمعنىً آخر نقول: إنّ ابن الوزير يحثّ على التأويل لمُتشابه القرآن والسنّة، قبل الردّ للأحاديث والآثار .

وهنا يطرأ سؤالٌ آخر - يُبيّنُ هل كان ابن الوزير مُفوّضاً- وهو : هل كان ابن الوزير يقبل أخبار وأحاديث المحدثين من أهل السنة التي تُفيدُ التشبيه والتجسيم أو الجبر، ثمّ لا يستقيمُ معها التأويل، -أي لا تَقبلُ التأويل-؟!، وهُنا تأمّل جواب ابن الوزير على شيخه، تجدهُ يقول : «المقدمة الأولى : الاعتراف بأنَّ كلَّ ما خالَفَ الأدلّة القاطِعَة المعلومَة مِنَ العقل أو السَّمع، وكانَ مِن أحاديث الآحاد المظنونة، فإنّهُ غيرُ مَعمولٍ به؛ فإن ثبتَ دليلٌ على أنّهُ لا يُمكنُ تأويلُه، وَجبَ ردّهُ على راويه، على ما يأتي بيانه في مراتب الرّد، وإن لَم يَقُم دليلٌ على امتناع تأويلِه، تُرِكَ غيرُ مَعمولٍ به ولا مَقطوعٍ بِكَذِبِه» . وهذا منه عليه السلام، فواضح التصريح في عدم قبوله جميع أخبار المحدّثين التي لا تقبل التأويل، وهذا أيضاً منّا تلخيصٌ قدر الإمكان، لموقف ابن الوزير من التأويل والتفويض، والأخذ بالظاهر، فإن أنتَ فهمتَهُ، أحطتَ بجانب كبير من عقيدة ابن الوزير رحمه الله تعالى .

(٢) عقيدة ابن الوزير في مسألة أفعال العباد (من مسائل العدل):

ابن الوزير لا يقول بخلق الله لأفعال العباد:

* نهجَ ابن الوزير رحمه الله تعالى، **منهجاً زيدياً بَحتاً في مسألة أفعال العباد**، حيث إنَّ القارئ العامّي لمجلدات ابن الوزير -بداية المجلد السابع للعواصم خاصّة-، يستطيعُ استخلاصَ عقيدته الزيدية في هذه المسألة، بكل أريحية ويُسر .

١- يذكُر ابن الوزير رحمه الله، اتفاقَ المُسلمين على أنَّ أفعالَ العِبادِ تُنسبُ إليهم، وهُوَ **قول الفرقة السنية وقولُ الزيدية** . فقال رحمه الله:

«واعلَم أنَّهُ لا خِلافَ بينَ المُسلمين أنَّ للعبادِ أفعالاً مُضافَةً إليهِم يُسمَّونَ بِها مُطيعينَ وعُصاة، ويُثابُونَ على حَسَنِها، ويَستحقّونَ العقابَ على قبيحها...» [١].

٢- ثمَّ يُوضّح ابن الوزير رحمه الله تعالى منهَجَهُ، **بخصوص القَدر المُتعلّق بقدرَة العَبد على أفعالِه**، وفي هَل يُنسَب إلى الله وحدَه (**كما تقول المجبرة الخالِصَة**)، أو إلى الله والعبد (**كما يقول أهل السنة والجماعة**)، أو إلى العبدِ وَحدَه (**كما تقول العدليّة الزيدية**)، فقال رحمه الله :

«ويجبُ أن يُضافَ **القَدرُ المُتعلِّق بِقُدرَة العَبد مِن هذه القبائح إلى العَبْد وَحدَه**، تحقيقاً لتنزيهِ الله تعالى وكمالِ تقديسهِ عن القبائح، وكمالِ عَدلِه وحِكمَتِه فيما ابْتَلَى به من تقديرِ وقوعِها وأسبابها» [٢] .

٣- هُنا مِثال حيّ؛ لُمبالَغة ابن الوزير في التعذّر لهفوات أصحاب الفرقة السنية، ومُحاوَلَة ضمّهِم إلى الأقوال الصحيحة المباني، العزيزة الجوانب، **ومِن هُنا أساء الكثيرُ فَهْم**

---

(١) انظر العواصم والقواصم ٧/ ٥-٦.

(٢) انظر العواصم والقواصم، ٧/ ٢٠.

ابن الوزير رحمه الله تعالى، فظّنوا أنّه بمحاولته التقريب بين الأقوال قد اعتقدَ ببعضها -كأقوال أصحاب الفرقة السنية-، يُحاولُ ابن الوزير التعذّر لأهل السنة والجماعَـة في قولِهم -بخلق أفعال العباد-، فيتعذَّر لهُم بأنّهُم مَا عَنَوا بقولِهم هذا (الخَلْق)، إلاَّ خَلْـق المعدومات التي أصبحت محسوسات موجـودات، كخلـق الإنـسان، لا أنّهُـم عَنَـوا بالخَلْقِ، خَلْق الأفعال التي يستحقّ عليه الإنسان المـدح والـذمّ، الثـوابَ والعقـاب، كإماطَة الأذى عن الطريق، وكارتكاب السرقَة!، وهذَا التعذّر من ابن الوزير -رحمه الله تعالى- **يرضاهُ العَدليّة ولا يرتضيه أصحاب الفرقة السنية؛ لأنهُم لا يقولون به، بَل يعنون بالخَلْقِ، خَلْقَ الأفعال التي يُثابُ عليها الإنسانُ ويُعاقَـب**، ولا يَفُتْـكَ تأمّـل عقيدة ابن الوزير نفسه وتصحيحاته، انظر ما يقول ابن الوزير مُتعذّراً ومُتأوّلاً :

«يوضّحِهُ: أنْ ليسَ القَصدُ إضافَةَ كُلِّ خَلْقٍ إلى الله تعالى، ولا تَفَرُّدِهِ سُبحانَه لكـلِّ مـا يُـسمَّى خَلْقـاً؛ لأنّ الكَـذِبَ يُـسمّى خَلْقَـاً، ولا يجـوزُ إضـافتُهُ إليـه سـبحانه، كـما قـال تعالى: ﴿**وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا**﴾ [العنكبوت:١٧]، وقالَ: «**إِنْ هَذَا إلا اخْتِلَاقٌ**»؛ وإنّما القَصدُ تَفرُّدُهُ سبحانَهُ بالخَلْقِ الذي هُو إنشاءُ الأعيان مِنَ العَـدَم الـذي لا يَقْـدِرُ عليـه سـواه، وتَفَـرُّدُهُ بالقُدرَة على خَلْقِ كُلِّ مَخلوقٍ؛ كما دلَّت عليه الكتب الـسماوية والنـصوص النبويـة . وإذا عَرَفتَ معاني الخَلْق، وأنَّ أهل السنة ما قَصروا على الله تعـالى منهـا إلاَّ إنـشاءَ العـينِ مِـنَ العَدَم، عَرَفتَ مَعنى قولَهُم: إنَّ أفعـال العبـاد مخلوقـة .. وعرفـتَ حينئـذٍ أنّهُـم إنّـما عَنَـوا بالمخلوق أعيانَ الذواتِ المُخرَجَة مِنَ العَدَم ... وأمّا ما يَقَعُ عليهِ الجزاءُ بالذّمِ والعِقـاب، والثناءِ والثواب، مِـن الأمـور العَدَميّـة والإضـافيّة، التـي ليـسَت بـشيءٍ حقيقـيٍّ أصـلاً كالتُّروكِ على الصحيح، وإنّما جِهاتُ استحقاقٍ مثلُ تُروكِ الواجبات، وتُروك المُحرّمـات عندَ الخصوم، فليسَتْ عندَ أهل السنة مَخلوقَة كما يأتي الدليلُ عليه قريباً مِـن وجـوهٍ ثلاثـةٍ قُرآنية» [1].

(١) انظر العواصم والقواصم ٧/ ٩٥ - ٩٦.

تصريحات ابن الوزير في بطلان خَلْقِ الله تعالى لأفعال العباد :

٤- قال ابن الوزير رحمه الله تعالى مُحتجّا على القائلين بخلق أفعال العباد:

(الأول: قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً**﴾ [آل عمران:١٩١]، فَلو كانَ اللهُ تعالى خالقَ الباطل الذي فَعَلَهُ العِباد، لَم يتنزّه عن خلقِ الحقِّ في حالِ كونهِ باطلاً !!؛ لأن خَلْقَ الباطلِ أَشَدُّ قُبحاً مِن خَلْقِ غيرِه في حالِ كونِهِ باطلاً، كَما أنَّ مَنْ فَعلَ الكُفر لم يَتنزّه عَن تركِ الضلال كفراً) [١] .

٥- قال ابن الوزير رحمه الله تعالى:

(الثالث: قولُهُ تعالى: ﴿**الذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ [السجدة:٧]، أي على حَسَبِ ما أراد، فوجبَ وصفُ جميع مخلوقاتِ الله بالحُسْن، فلَو كانَ القدرُ المُقابَلُ بالجزاء -يقصد أفعال الخير والشر- مِن أفعالِ العبادِ مخلوقاً، **لَمْ تُوصَف مَعاصيهُم بالقُبح، ووجَبَ وصفُ قبائحهم بالحُسْن، وهذا باطلٌ بالإجماع!**) [٢] .

٦- قال ابن الوزير رحمه الله تعالى: (فثَبَتَ أنَّ كُلَّ شيءٍ يُسَمّى مَخْلوقاً مِنَ الأجسام وصُوَرِها، والطُّعوم والألوان والروائح وسائر ما في العوالِم من نحو ذلك، **داخلٌ في أنَّ الله خالقٌ كُلِّ شيء، وما لَم يَثبُتْ أنّهُ يُسمّى مخلوقاً كأفعالِنا لا يَدخُلُ في ذلِكَ بِمرَّة**) [٣].

٧- قال ابن الوزير رحمه الله تعالى، مصّرحاً ببطلان اعتقاد خَلْقِ الأفعال، وأنَّ الرسول ﷺ والصحابَة لَم يكونوا يرونَه: (**ولَو كانَ في اعتقاد خلقِ الأفعال خيرٌ** ما سكَتَ عنه رسول الله ﷺ وأصحابه، ولا سَبَقَهُم المُتأخرون إلى إشاعَتِه، وإلزامِ المُسلِمين باعتقادِه، وكانَ معدوداً في أركان الدّين والإسلام المعدودَة المنصُوصَة والله يُحبُّ الإنصاف) [٤].

---

(١) انظر العواصم والقواصم، ٧/ ٩٨.

(٢) انظر العواصم والقواصم، ٧/ ٩٩.

(٣) انظر العواصم والقواصم، ٧/ ١٠٤.

(٤) انظر إيثار الحق على الخلق ص ٣٢١.

٨- أيضاً، يوضّحُ ابن الوزير عقيدته في عدم صحّة خلق الله لأفعال العباد، وأنّه ليس لهذه العقيدة أصْلٌ في السنة النبوية فيقول:

«اعلَم أنَّا قَد بيَّنا فيما تقدَّم أنَّ السُنّة هيَ ما صحَّ واشتهر واستفاض في عهد رسول الله ﷺ، وأصحابِه رضي الله عنهُم، وتابعيهم وبَلَغَنا مُتواتراً أو مشهوراً من غير مُعارَضة ولا شُبهَة، مثل الإيمان بالأقدار لتواتره في الأخبار والآثار، فليسَ خلقُ أفعال العباد مِن هذا ولا هُوَ قريبٌ منه، **فلا وجهَ لكونِه مِن السُنة؛ لأن رسول الله ﷺ حينَ علَّمَ أركانَ الإسلام والإيمان والإحسان لَمْ يَذكُرْه، ثمَّ لَم يصِحْ فيه حديث واحِد ولا أثَرْ . وأمّا أخْذُهُ مِن ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فهُوَ خِلافُ الاحتياط في مواضع الخطر»** (١).

٩- بعَد أن ذكَر ابن الوزير رحمه الله، عقيدته في عدم صحّة القول بخلق أفعال العباد، وساقَ الاحتجاجات المُبطلَة لِما قالَ به أهل السنة والجماعة، صرَّح بأنّ عقيدته - عدم خلق الله لأفعال العباد -، **وهذه السطور يحتاجها مَن يحتجَّ بتقيّة ابن الوزير في كلامه المُخالِف لعقائد أهل السنة والجماعة**، كالقاضي إسماعيل بن علي الأكوع، في كتابه عن ابن الوزير، فيقول ابن الوزير، بما لا يدَع للمتمسّك بخيوط التقيّة أيَ مَناصٍ ومَخرج -معَ ما سبق-، ما نصّه:

«وهذاَ المُستَنَدُ الذي معي قَد أبديتُ صَفحتهُ للنّاظِرين، **فَمَنْ عَرَفَ خيراً منهُ وأوضَحَ وأبيَنَ فليَتَّبِعِ الهدى**، ولا يَمِل عن الأقوى، فإنَّ ذلكَ صنيعُ أهل الأهواء، وما أصبتُ فيه فَبِحمدِ الله ومشيئته وحُسنِ توفيقِه، وما أخطأتُ فيه فبسوءِ اختياري، والله سُبحانَهُ عَن مَلامَتِه بريء» (٢)

* هذه عقيدة ابن الوزير في أفعال العباد باختصار، لَم يُسْعِف الوقت لتفصيلها، ولكنّا نُحيلُ، وعلى المُهتمّ المُراجعة.

---

(١) انظر إيثار الحق على الخلق، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(٢) انظر العواصم والقواصم، ٧/ ١١٦.

- انظر الكلام عليها بتفصيل في بداية المجلد السابع من العواصم والقواصم، وص ٣٤٠ وما بعدها من إيثار الحق على الخلق .

- انظر تفنيد ابن الوزير لمن ادّعى الإجماع من كبار التابعين على عقيدة خلق الله لأفعال العباد (الإجماع المروي عن طريق البخاري -الإجماع المروي عن طريق أبي الحسن الأشعري- الإجماع المروي عن طريق حرب بن إسماعيل الكرماني صاحب أحمد بن حنبل)، العواصم والقواصم ٧/ ١٢١ وما بعدها .

- أيضاً انظر كتاب (ابن الوزير اليمني وآراؤه الكلامية)، لمؤلّفه رزق الحجر، (باب بطلان القول بخلق الأفعال) ص٣٧٨ وما بعدها .

- أمّا صاحب كتاب (**ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية**)، الأستاذ علي الحربي، فإنّه لَم يتطرَّق لعقيدة ابن الوزير في هذه المسألة العظيمة! مع أنَّ كتابَه لَمْ يُخصّص إلا لدراسة آراء ابن الوزير العقدية، وناهيكَ بعقيدة أفعال العباد من عقيدَة!، فليتَ أنّه أسهبَ في توضيح عقيدة ابن الوزير فيها .

- أيضاً القاضي إسماعيل الأكوع لَم يُشِرْ في كتاب (**الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم والقواصم**)، إلى هذه العقيدَة، واكتفى بالإشارَة الجُمليّة إلى حَمْل موافقات ابن الوزير للزيدية، على مبدأ التقيّة !، والله المُستعان .

(٣) عقيدة ابن الوزير في معاصي العباد وإضافتها إلى الله سبحانه وتعالى :

ابن الوزير لا يقول بإضافَة معاصي العباد إلى الله سبحانه وتعالى :

١- ابن الوزير رحمه الله، يُصرّح ببطلان نسبة القبائح كالكذب والزنا والسرقة التي يرتكبها العباد، إلى الله سبحانه وتعالى، وإنّما تُضافُ إلى العَبد وحدَه، وهذا خلاف مَذهب أهل السنة والجماعَة، فهُم يُشركونَ الله في مَعصية العَبد، عندما يقولون: إنَّ الله خلقَ المعصية والعبدُ فَعَلهَا، إنَّ خلقَ السرقة في العبد والعبدَ هُو الذي سَرق، وقد سبق أن ذكرنا بُطلان خلق الله لأفعال العباد على لسان ابن الوزير فيما سبَق، فيقول رحمه الله:

«الوجه الثاني: إنَّ الدلالة على بُطلان الجبر قاضيةٌ بصحّةِ ما ذَكرنا من إضافَة القبائح والفضائح إلى فاعِلِها الراغِبِ فيها، المُختارِ لعارِها وما فيها منَ الذَّم والخِزي، **وقُبحِ إضافَتِها إلى السّبوحِ القُدّوس المُحرِّمِ لها الناهِي عنها، الكارِه لها**»[1].

٢- ابن الوزير رحمه الله، يُصرّح بأنّ الأمة مُجمعَة على وجوب الرّضا، وحُسن الظنّ بما كانَ مِن قضاء الله وقدَره، أي بِمَا كانَ من فعلِ الله سبحانه وتعالى، فلَو كانَ الشرُّ والمعاصي من قَدَرِ الله أي مِن خلقهِ وفعلهِ، لتناقضَت الأمور، فيقول ابن الوزير رحمه الله تعالى:

«وقد أجمَعَت الأمّةُ إجماعاً ضرورياً أنّهُ يجب الرِّضا بما كانَ من الله تعالى، والتحسينُ له، والثّناءُ به، وأنّه يجبُ كراهَةُ المعاصي وسخطُها والتقبيحُ لها، فلو كانَت المعاصي مِن الله لتناقَضَ الإجماعان، واتّحَدَ محلُّ السَخَط والرّضا»[2].

---

(١) انظر إيثار الحق على الخلق ص ٣٣٨.

(٢) انظر العواصم والقواصم ٧/ ١٦٣.

٣- ابن الوزير رحمه الله، يوضّح عقيدته في القدر ومعاصي العباد، بشكل أكبر في هذه الجزئية، فيردّ على أصحاب الفرقة السنية المُتعذّرين على العدلية، بمُغالبَة العبد لله في إرادته، وهذه الجزئية يعيها أهل الأصول، فيردّ ابن الوزير أنّه وإن قال إنّ المعاصي ليسَت من الله، ولا تُنسب إلى الله، وليسَ الله خالقُها، بأنّ هذا لا يقتضي أن يكونَ في هذا الاعتقاد ما يجعل السنّي يتوهم المغالبَة لله في إرادته،، فيقول ابن الوزير رحمه الله تعالى:

«على أنَّا لَمَ نَقُل: إن المعاصي من العباد على جِهَة المُغالبَة لإرادته، وإنّما قُلنا: إنّها منهم أفعالٌ وذنوب وسوء اختيار كما اجتَمَعَت عليه أهل السنة والمعتزلة، كمَا علَّمنا نبيئنا ﷺ أن نقول:... فَمَن وجدَ خيراً فليحَمَدِ الله، ومَن وجدَ شرّاً فلا يلومنَّ إلاَّ نفسه» [1] .

٤- عقدَ ابن الوزير رحمه الله، فصلاً كاملاً «**في بُطلان القول بأن المعاصي من الله تعالى**» [2].

ابن الوزير يَذهب إلى ما ذهبَت إليه الزيدية في أفعالِ الله تعالى:

الزيدية تقولُ: إنَّ من أفعال الله تعالى الصادرَة عنه، والمُختصّة به، والتي تكونُ بقضائه وقدَره، الأمراض، والكوارث والآفات، كالقحط، والغرق، والبراكين، والزلازل، والفيضانات، والأعاصير، **فهذه كُلّها داخلةٌ في قضاء الله وقدره**، وفيها يدخُل قول القائل: «**اللهم قنا شرّ ما قضيت**»، فهذه وإن كانَ ظاهرهُا شرور، فهي منَ الله لحكمةٍ لا نَعْلَمُها، ويجبُ أن نؤمنَ بها ونَرضى بها، لا كما استدلَّ أهل السنة بأنَّ المقصود بالشّر في الدّعاء السابق، هُو الشرور الناتجة من أفعال العباد، والتي لا يرضاها العبادُ فضلاً عن أنْ يرضاها الله سبحانه وتعالى .

(١) انظر إيثار الحق على الخلق ص ٣٣٩، وهذا قريبٌ جداً من كلام الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام، انظر مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق، كتاب المسترشد في التوحيد، ص ١٠٩ . أيضاً للتحقيق أكثر في مسألة الإرادة ومعانيها، هه انظر إيثار الحق على الخلق ص ٢٧٢.

(٢) انظر إيثار الحق على الخلق ص ٣٢٦.

١- وكذلك ابن الوزير رحمه الله فإنّه يقول بقول الشيعة الزيدية، فيقول:

«**ورُبّما يُوجَد في كلام بعض السلف أن الخير والشر من الله، يَعنونَ به الصّحَة والسّقَم والغنى والفقر**» [(١)].

٢- يُصرّح الأستاذ رزق الحجر، في كتابه (ابن الوزير اليمني وآراؤه الكلامية)، بمثل ما ذكرنَا أعلاه، فيقول:

«وإنَّما الغريبُ حقّاً أنْ نَجِدَ لدى بعض مُتكلّمي أهل السنة تصريحهُم بأنَّ جميع المعاصي من الله عزَّ وجلَّ عن ذلك، فكيفَ وَقعُوا في هذا القَول ؟ وما مُرادُ مَن قالَ مِن السّلفِ إنَّ الخيرَ والشرّ من الله تعالى ؟ **وما رأي ابن الوزير فيمَن ينسبُ المعاصي إلى الله سبحانه** ؟ إنَّ مَن صرَّح بنسبَة ذلكَ إلى الله تعالى مِن السّلَف إنّما كانَ مُرادُهُم -كما يَذكُرُ **ابنُ الوزير**- هُوَ الصّحَة والسّقَم والغنى والفقر ونحوِ ذلك ..» [(٢)].

شهادَة الهادي بن إبراهيم الوزير، ببراءة أخيه من أقوالِ غير أهل البيت عليهم السلام الزيدية:

البعضُ الكثير، عندما يقرأُ شهادات الهادي بن إبراهيم الوزير عليه السلام، ببراءة أخيه من اعتقادِ غير ما يذهبُ إليه أهل البيت عليهم السلام، فإنّه يَحملُ هذا مَحْمَلَ مُحاولَة تعذّر الأخ لأخيه، ومُدافعتهِ عنه، مِن بابِ كفّ الأذى عنه!، وإلاّ فشهادته غيرُ صحيحة !، وليستَ هيَ ما يعتقدهُ محمد بن إبراهيم !، وهُم بهذا ينسبون شهادَة الزّور إلى شخصٍ كالهادي بن إبراهيم ما أظنُّ من يحملهُ هذا المَحمل يَبلُغُ عُشرَ ولا مِعشارَ فَضلهِ وعلمه وزُهدِه، وكذلكَ الحالُ معَ حفيدهِ وتلميذهِ محمد بن عبدالله بن الهادي بن إبراهيم الوزير عندما نافحَ عن جدّه محمد بن إبراهيم، وممّن حاول التمويه في هذا القاضي إسماعيل بن علي الأكوع في كتابه (الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم والقواصم)، وحَسبُنا الإنصاف هُنا، إذْ أنَّا قَد ذكَرنا أقوالَ ابن الوزير من كتُبه ومؤلّفاته، خاصّته لا خاصّةِ

(١) انظر إيثار الحق ص٣٢٦.

(٢) ابن الوزير اليمني وآراؤه الكلامية، ص٣٦٩ وانظر ما بَعدها.

غيرِه، وأبنّا موافقته لأهل بيته عليهم السلام، من دون الفرقة السنية، فهذا أكبرُ دليل وهُو يكفي الباحث النّاظر، ولكنّا نُعضّد ما نقلنا عنه، بأقوال أخيه الإمام الأعظم الهادي بن إبراهيم الوزير، حتّى يتضح بُطلانَ قول مَن ذهبَ إلى مُبالغته في التّعذّر لأخيه، ولو كانَ ذلكَ التعذّر خلافاً للحق، والله المستعان، فقال الهادي عليه السلام، مُحتجّا على شيخ أخيه ابن أبي القاسم جمال الدين رحمه الله:

«إنَّ هذه الجُملَة من السيّد جمال الدين مُفتقرة إلى إقامَة البرهان، وإلاَّ كانت دعوى بغيرِ بيان؛ لأنه نسبَ إلى مُحمدٍ جميعَ أقاويل **الجبرية**، وعزى إليه القولُ بِمذاهِبِهم الفريّة، وعَدَّدَ منها ما أعتقدُ براءةَ مُحمّد منه جُملةً وتفصيلاً وتحقيقاً وتأويلاً»[1].

* أيضاً هُنا، من الجدير أن نُذكّرَ الباحث أنّ الأستاذ علي الحربي في كتابه (ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية)، أشارَ إشارةً عابرةً، مُحاولاً استجلاب ابن الوزير إلى محض عقيدة الفرقة السنية في أفعال العباد ومعاصيهم، فليُتنبّه لهذا، مع العِلم أنّه لَم يبسُط الكلام في المسألة؛ لأنّه -وفي نظري- لَوْ بسطَ في المسألة، لن يستطيعَ إلاَّ أنْ يقول كما قَلنا وكما قال الأستاذ رزق الحجر، من أنَّ ابن الوزير عليه السلام موافقٌ لأهل بيته من الزيدية في هذه العقيدة.

(١) انظر الإمام محمد بن إبراهيم الوزير لإسماعيل الأكوع (ص ٤١).

(٤) عقيدة ابن الوزير في الرؤية في حق الله سبحانه وتعالى في الآخرَة :

منهج ابن الوزير وغموضه في مسألة الرؤية:

نهجَ ابن الوزير نهجاً غير واضح المَعالِم، أثناء كلامهِ على الرؤيَة في مُجلّداته الضّخام، فلا يَكادُ القارئُ أنْ يُمسِكَ خيطاً يُفيدُه حول الإثبات أو النفي منه لهَا، فمثلاً في:

١- **كتابه المختصر الروض الباسم**: اكتفَى بذكِر مَن رُوِيَت عنهُم الرؤية، بدون تعليق ! ثمّ انتقلَ إلى مَبحثٍ آخَر .

٢- **كتابه العواصم والقواصم**: وهُوَ الكتاب الأم لما في الرّوض الباسم، فإنّ ابن الوزير قامَ فيه بِذكِرِ آراء الطّرفين المُثبِت للرؤية على لسان ابن القيم الجوزية، والنّافي لها على لسان القاضي عبدالجبّار، ولَم يذكُر أيّ أقوالِ الطّرفين يَتبَع، بل إنّه صرّح قبلَ بداية سَرده لأقوال الطّرفين بأنّه يتكّلم على لسانهم لا بالمُختار عندَه! فقال رحمه الله تعالى: «يزيدُ الأمرُ وضوحاً بذكرِ أدلَّةِ مَنْ قالَ بالرؤية، وأدلَّةِ مَنْ مَنعها، بحيث يظهرُ للنّاظِر فيها حُكم القائل بالرؤية، وهل يُعدُّ مِن مُنكري الضرورات الشرعية فيَكفُر؟ أو يُعدُّ مِن المُكذّبين فيما رواه ؟ أو يُعدُّ مِنَ المُتأولين ؟ **فَيُتكَلَّم بكلامِهم لا بالمُختارِ عِندَنا** في فصلين: فصلٌ في إمكانِها في قُدرَة اللَّهِ عِندَهُم حَسبَما فَهِمُوهُ مِن أدلَّتِهم، وفصلٌ في وقُوعِها عِندَهُم ... وننقُلُ من كلامِ الفريقين من أهل الحديث والمعتزلة بألفاظِهِم لِنبرأ مِن وصمِ العصبيَّة إن شاء الله تعالى» [1].

* ثمّ بعد انتهاء ابن الوزير رحمه الله، مِن سَرد أقوال الطرفين بكلامِهم، لا بكلامِه والمُختار عنده كَما أشار في المُقدّمة، زادَ التأكيد على هذا -على أنّه لا يُشيرُ في نقله لأقوال الطّرفين لأيّ عقيدة تخصّه في هذا المسألة-، أكّد بأنْ ذكَر في الخاتمَة، أنّ على النّاظر النّظر، وعلى الحاذق التمييز، فزادَ ابن الوزير من الغموض في كُنهِ مُعتقدِهِ الشّخصي في هذه

(١) انظر العواصم والقواصم ٥/ ٧٢.

المسألة، وتعسّر الحُكم عليه من خلال جميعِ ما كانَ قَد نقلَه فيها . فقال رحمه الله تعالى:

«فمَن أرادَ الحقَّ في هـذه المسألَة، وكـانَ مـن أهـل الـذّكاءِ والفَهْـم للأدلَّـة الدقيقـة المُتعارِضَة نظرَ في كلامِ المعتزلة هذا وفي كلامِ أهل السنة الـسّابِقِ قبلَـهُ، وجَعَـلَ الفـريقَين كالخصمَين، وكانَ كالحاكِمِ بينهُم بعدَ الجَمع بين أطرافِ كلامِهِـم والإنـصافُ في الحُكـمِ بينَهُم، ومَنْ لَمْ يَكُن كذلِك، ولا كانَ أهلاً لذلك، فالإيمانُ بمُرادِ الله تعالى على الجُملَة يُجزيهِ ويكفيه، والتعرُّضِ لِما لا يُحسنُهُ يُطغيهِ ويُغويه، والله الهادي وحسبُنا ونِعمَ الوكيل» [1].

أقوال مَن ترجَم لابن الوزير في عقيدته حول الرؤية، ومُناقشتها :

١- الأستاذ علي الحربي في كتابه (ابن الـوزير آراؤهُ الاعتقاديـة وجهـودُه في الـدفاع عـن السنة لنبوية)، ذهبَ الأستاذ الحربي، إلى نِسبَة ابن الوزير إلى إثبات الرؤية في حقّ الله سبحانه وتعالى، وصفّه في مَصافّ الفرقة السنية، فقـال مـا نـصّه: «وقـد أجـاب ابـن الوزير -على المُعترِض- كعادتِه بالأسلوب الجدلي، ذكرَ عـدّة إشـكالات ومقُـدمات وفَصلين ضمَّنها أقوالَ المُثبتين لرؤيةَ الله عزَّ وجلّ في الآخرَة مِن أهـل الـسنة، وذكـرَ أدِلّتَهُم، كما ذكرَ أقوالَ المُنكرينَ لها مِنَ الجهمية والمعتزلـة وأدِلّـتَهُم **وفنَّـدَها وقـرَّرَ !! إثبات الرؤيَة ووقوعها في الآخرة**» [2] .

مُناقشَة :

ابن الوزير رحمه الله تعالى، نَعم ذَكر أقوال المُثبتين والنّافين، ولكنّه صرّح تصريحاً يؤكّـد آخرهُ أولّه، وأولّه آخره أنّه لا يذكُر المُختار عنده في نقله هذا، فقال: «**فَيُتَكَلَّم بكلامِهِـم لا بالمُختارِ عِندَنا**»، وأمّا تفنيد ابن الوزير رحمه الله تعالى لقـول النّـافين عـلى لـسان القـاضي عبدالجبّار فإنّه لَم يَحصُل -ونحنُ على هذا قاطعين جازمين-، ونَحسَبُ أنّ الأستاذ الحـربي

(١) انظر العواصم والقواصم ٥/ ٢٣٨.

(٢) انظر ابن الوزير، ٢/ ٤٩١.

لَن يَتوانى في ذِكرِ تفنيدات ابن الوزير على القاضي عبدالجبّار لَو وُجِدَت!، ولَقَد تتبّعنا مَبحث الأستاذ في هذه المَسألة سطراً سطراً وجُملةً جُملة، ثمّ حرفاً حَرفاً، فَما وَجدناهُ أتى على لسان ابن الوزير بكلامٍ يُؤيد استنتاجه الذي استنتجه حولَ ابن الوزير من الإثبات للرؤية، ولَو كانَ حقّا قد فنّد ابن الوزير كلام القاضي عبدالجبار رحمه الله، لكانَ على الأقل نقلَ الأستاذ هذا التفنيد، ولكنّه ليسَ له أصل، وهُنا اكتفى الأستاذ الحربي، رغمَ تخصيص كتابه هذا للتطويل ومُناقشة عقائد ابن الوزير، وناهيك بالرؤية من عقيدة، اكتفَى بالإيجاز! في هذه المسألة فقال: «واعتُرِضَ عليه -على ابن الوزير- باعتراضاتٍ كثيرَة منها مسألةُ الرؤيَة **التي سنتحدَّثُ عنها بعَرضِ رأي ابن الوزير فيها بإيجاز!**، أمّا مَن يُريدُ التفاصيل **فعليهِ بمُراجعة** كتابه (العواصم والقواصم)»[1]، والحقّ أنّه لا يوجَد تفاصيل حول أدلة إثباته للرؤية.

٢- القاضي إسماعيل بن علي الأكوع في كتابه (الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم والقواصم) .

أيضاً ذهبَ القاضي الأكوع إلى نِسبَة ابن الوزير رحمه الله تعالى إلى القول بالرؤية، وذلك مِن خلالِ تعليقه بحاشية على كلامٍ الهادي بن إبراهيم الوزير الذي يُبرّئ أخاه من هذا المُعتقد الفاسد -القول بالرؤية-، فجاء في كتاب الأكوع، على لسان الهادي بن إبراهيم الوزير، ما نصّه:

«وأمّا مَسألةُ مُخالَفَةِ إجماعِ العترة بالقولِ بالرؤية، **فهذا شيءٌ لم أعرِفْهُ، ولَمْ أسمَعهُ مِن مُحَمَّد لا في قولٍ ولا في كِتاب**، وأنا أنزهُهُ عن هذه المقالَة ومعي خطُّهُ بأنَّ اعتقادَه في العقائد الكلاميّة والمسائل الإلهية اعتقادُ أهل البيت عليهم السلام، وأنّهُ غيرُ مُخالِفٍ في واحدةٍ من هذه المسائل، ...» .

(١) انظر ابن الوزير ٢/ ٤٩٦.

* وضع الأكوع حاشية قال فيها رادّا على الهادي عليه السلام: (**بلْ قالَهُ حينَ اتّبعَ مذهبَ أهل السنة والجماعَة!!!**، وقالَ به في كتابه العواصم والقواصم ٥/ ٥ – ٢٣٨، **حيث أوردَ الآيات والأحاديث والآثار الدّالّة على القول برؤية الله عزّ وجل يومَ القيامَة**)[1].

مُناقشة:

أ- قَد سَبرنا مُعتقدَ ابن الوزير، وبيّنا بُطلان نِسبته إلى المذاهب السُنيّة فيما تقدّم، وكانَ هذا هُو عينُ كلامُ أخيه الهادي بن إبراهيم الوزير عندمَا شهِدَ لأخيه به، فكانَ الهادي هُوَ الصّادق في برائته من المذاهب الباطلَة المُخالفَة لأهل البيت -فيما قد سبق وبيّنا، وغيرهُ من المُتزيّنين به هُم المُتخرّصون، وكان إلجامهُم على لسان ابن الوزير نفسُه! . وهُنا يقوم القاضي الأكوع بنسبة الكَذب -تصريحاً أو تلميحاً- إلى الهادي بن إبراهيم، عندما قالَ: إنّه لَم يَجِد القول بالرؤية وإثباته في كتُب أخيه ولا سَمِعها عنه، فأجابَه الأكوع بحاشية يقول: «**بل قالَه**» .

* وهُنا نرد حاشيتَه بحاشيةٍ تقول: رجَعنا إلى صدقِ نسبَتِكَ له إلى مذهب أهل السنة والجماعة فوجدناها باطِلَة، ثمّ رجَعنا إلى ما أحَلتنا إليه مِنَ العَواصِم والقواصم وتتبّعنا ٢٣٣ صفحة في العواصم مَا وَجَدنا رائحةَ قول ابن الوزير بإثبات الرؤية، **وأمّا قولك** أن ابن الوزير قد أوردَ الأحاديث والآثار الدالة على إثبات الرؤية فهذا ليسَ دليلاً؛ لأنه قد أوردَ القولين النافي والمُثبت وذكر أدلة هؤلاء وهؤلاء، فعلى مقتضى كلامك فإنه يصح لمن قالَ أن ابن الوزير ينفي الرؤية، أن يستدلّ بإيرادِ ما ذكرهُ ابن الوزير على لسان النافين من كتاب شرح الأصول الخمسة، فدليلُكم مردود.

---

(١) انظر الإمام محمد بن إبراهيم الوزير، ص ٤٨ – ٤٩، وانظر مقدمة العواصم والقواصم على لسان إسماعيل الأكوع ١/ ٤٧-٤٨.

تنبيه:

ينبغي للقارئ النبيه، أن يُثيرَ انتباهَهُ إيجاز الحربي في هذه المسألة في كتابٍ خصّصه! لتناول عقيدة ابن الوزير، وكذلك تعلّل الأكوع بهذا التعلّل السقيم لإثبات عقيدة الرؤية عند ابن الوزير، دونَ أن يُطوّلوا ويُفصّلوا، أو على الأقل يَذكروا نصّاً واحداً واضحَ الدّلالة، فالكلّ مِنهُما يقولُ: أثبَتها، وراجِعُوا ٢٣٣ صفحة!، إذاً هُناكَ غموضٌ كَما أشرنا في البداية .

تنبيه:

قد يسأل سائل: لَعَلَّ ابن الوزير يُرجّح الجانب المُثبت للرؤية، وإن لَم يَذكُر رأيَهُ بصراحة؛ وذلكَ لأنّه ساقَ روايات عن أهل البيت مع غيرهِم من الصحابة تُفيد الرؤية؟!.

والجواب: من وجهين اثنين:

١- **الوجه الأول**: أنّ هذا ليس بدليلٍ كافٍ، وخُصوصاً إذا عَرفَت أنَّ ابن الوزير يقولُ بالتأويل، وأنّه لا يُخالفُ إجماع العترة إذا أجمعُوا على تأويلٍ مُعيّن، وهُوَ لا يأخُذ بالظّاهر للآيات والأحاديث المُتشابهة، كما تقدّم في الكلام على الصّفات، وهذا كُلّه يجعلُ إثبات الرؤية المكانية من عقيدته أمراً مُستحيلاً، فكيفَ لا يُؤمن بأحاديث القدم واليد والإتيان والذّهاب على ظاهرها، ثمّ يأتي ويُؤمن بأحاديث الرؤية على ظاهرها، كما يعتقده أصحاب الفرقة السنية .

٢- **الوجه الثّاني**: أنّ هذا أيضاً ليسَ بدليلٍ كافٍ، فإنّ ابن الوزير قَد يَذكُر أمثالَ هذه الأدلة على لسان أهل البيت المُفيدة بالرؤية، ولكنّه غيرُ مُؤمنٍ بحجّيتها وصحّتها عندَه، ولا يقولُ بما فيها، لعلل كثيرةٍ، قد يكونُ أبرزُها مُخالفة ظاهرِها بدون تأول لِمَا أُجمِعَ عليه .

مثاله: أنّ ابن الوزير عندما تكلّم في مسألة خلق أفعال العباد، فإنّه ذكرَ دليلاً على إثبات خلق الله لأفعال العباد على لسان أحمد بن عيسى بن زيد عليه السلام، مرويٌّ عنه في كتاب علوم آل محمّد، وهذا الحديثُ لا شكّ في عدم صحّة ظاهرِه، نعم! فلَو ذهبَ ذاهبٌ إلى ما ذهَب إليه السّائل من الاستظهار بإثبات قول ابن الوزير بالرؤية الأخرويّة، بمجرّد سرده لأحاديث عن أهل البيت تكلّمت عن الرؤية، لجازَ لنَا أن نُثبتَ قولَ ابن الوزير بخلق أفعال العباد بمُجرّد سرده لقول فقيه آل مُحمّد عليه السلام عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد تقدّمَ معنا في الكلام على أفعال العباد كيفَ أنّ ابن الوزير ينفي هذا الاعتقاد، نفياً قاطعاً جازماً، فإذا عَرفَت هذا، فاعلَم أنّ احتماليّة هذا الترجيح ضعيفة، لا يجوز بها الجزم على عقيدةٍ كهذه في حقّ ابن الوزير رحمه الله تعالى .

تنبيه:

كثيرٌ من الأحاديث المُتشابهات الدّالة على الجبر والتجسيم، قَد تستقيم مع التأويل، دونَ الأخذ بالظّاهر، ودونَ ردّها، وهذا كان ديدن ابن الوزير رحمه الله تعالى لا الظّاهر ولا الرّد، بل التأويل، فما لَم يثبت ولم يستقم لهُ تأويل، يُترَك غيرُ مَعمولٍ به وغير مقطوعٍ بكذبِه، لذا تجدُ بعض العدليّة يقولون: إن صحَّ خبرُ كذا، فتأويلُه كَذا، فإن صحّ خبر رؤية الله كالبدر ليلة النصف، فإن تأويله رؤية ما وعدَ الله به، وكذلك الحالُ معَ الخبر المروي عن أحمد بن عيسى عليه السلام حول إثبات خلق الأفعال -مع نقد وتوهين ابن الوزير لهذا الخبر في كتابه إيثار الخلق، وتشكيك السيد مجدالدين في صحته-، فإنّ السيد الولي علي بن محمد العجري رحمه الله تعالى قد تأوّله تأويلاً عَدلياً في كتابه مفتاح السّعادَة .

تنبيه:

إضافةً إلى ما كان قَد ذُكِرَ بخصوصِ التأويل للأخبار الواردة عن أهل البيت المُفيدَة بإثبات الرؤية، فإن ابن الوزير رحمه الله كان يُردّد مُتابعته لأهل البيت عليهم السلام فيمَا أجمعُوا عليه من التأويلات، وأن الأخذ بالظّاهر ليسَ من مَذهبه ولا مِن عقيدته، فقال رحمه

الله: «ومِن ها هُنا نَسَبني كثيرٌ من الجهلَة إلى القولِ بالظّاهر؛ لأني لَمّا استَصغَرتُ قَدري وأمسكتُ عن الكلام حيثُ لا أدري؛ عِلْماً مني أنّي لستُ من الراسخين، وأنّي بَعْدُ لم أرتَفِع عَن مرتَبَة المُتعلِّمين، **معَ اعتقادي أنَّ الظاهِرَ الذي يُخالِفُ مذهبَ العترةِ عليهم السلام، غيرُ مُرادٍ ولا مقصودٌ**، ولكنّي أقفُ على تأويله، وأكيعُ عَن تعليلِه . اللّهُم إلاّ أن يَصِحَّ إجماعُ العترَة عليهم السلام على تأويلٍ مُعيّنٍ في ذلك، فلا أشُكّ حينئذٍ في التمسّك بإجماعِ العترةِ الهُداة، والرَّجوعِ إلى سُفُن النجاة»[1]. وهُنا تأمّل اعتناق ابن الوزير لِما أجمعَ عليه أهل البيت عليهم السلام، وأنّ ما يُخالفُ مُرادَهُم من الظّاهر -إثبات الرؤية في الأحاديث التي أوردها- غُيرُ مُرادٍ ولا مَقصود . **وهُنا تأمّل إثبات ابن الوزير أنَّ القُدماء من أهل البيت عليهم السلام الذي هُو مُتمسّكٌ بهم، لا يقولون بالرؤية**، وذلكَ عندما قال: «**وحاصلُ الكلام: أنَّ القُدمَاء مِنَ العِترة عليهم السلام لَمْ يُنقَل عنهُم مذهبُ المعتزلة أنَّ الرؤية من المُحالات التي لا تدخُل في مقدور الله تعالى، بل مُقتضى عبارتهم: أنَّ اللَّـهَ لا يُرى لِعَظَمَتِه، وعِزَّتِه، وكبريائه**»[2]، ولَو تأمّلت هذا النصّ جيداً، تجد ابن الوزير يُخالفُ حول عبارة (أنّ الله لا يَقدر)، وهذه العبارة قد يضمّها البعض ضمن عبارات عدم التأدّب مع الله، وكقولِ القائل (يجب على الله)، ولكنّ المهم هُنا هُو التركيز على أنّ ابن الوزير ينفي أن يكون قول أهل البيت وتعليلهم لنفي الرؤية هو عدم مَقدرَة الله، بل إن سبب قولهم بنفي الرؤية هو التنزيه المُطلق لعزّة الله وكِبريائه، وأيّاً كانَ موضِع نِسبَة ابن الوزير هذا التعليل لأهل البيت الزيدية من الصحّة والخطأ، فالمقامُ لا يتّسعُ لمناقشة هذا، وإنّما الذي يَهُمّنا هُو مَعرفة عقيدة ابن الوزير معَ ذاتِ نفسه، وقد تبيّن لكَ أنّه يَنسبُ قُدماء أهل البيت عليهم السلام إلى القول بنفي الرؤية -بغض النّظر عن سبب النفي للرؤية-، وقد ثبتَ أيضاً أنّه يقول: إنّه لا يُخالفُ إجماعَهُم . ففي هذا ترجيحٌ أكبرُ وأقوى ممّا ترجّح للسائل، والله أعلم .

---

(١) انظر العواصم والقواصم ٨/ ٢٦٨.

(٢) انظر العواصم والقواصم ٥/ ١٥.

تذكير:

إذا تحقّق لك ما قد ذكرنا، وراجعتَهُ مُراجَعة المُتأمّل، فلا تجعل أمثالَ هذه الروايات التي تفيد الرؤية تُفسِدُ ظنّك في عقيدَة أهل البيت عليهم السلام، إذ لَو كانَت صحيحَة، أو فلنقُل لو كانَ مُؤدّاها إثباتَ الرؤية بمعناها السُنّي الصرف، ما استرابَ فيها ابن الوزير رحمه الله تعالى وهُو المُورِدُ لها، وريبتهُ يجبُ أن تستشفّها من خلال عدمِ تصريحِهِ أو تلميحه بالقول بها، أيضاً لو كانَت صحيحة المباني عندَ ابن الوزير نفسه ما نَسبَ بعدهَا وبعدَ الاطّلاعِ عَليها أهل البيت عليهم السلام إلى القول بنفي الرؤية، فقد كانَ ابن الوزير رحمه الله شديد الحِرص، حسنَ التّعامل مع أمثال هذه النّصوص -وهذا الحرص لا يمنعُ عنه الخطأ ولا يعصمهُ منه-، لكن للأسفَ أتى بعدهُ من كانَ أدنى منهُ حِنكةً ومَهارَة، فنسبوهُ إلى ما نعتقدُ أنّه يتنزّه عنه، ونحنُ نَرى أنّ الدّافع لابن الوزير رحمه الله لإيرادِ أمثالِ هذه الأخبار الموهمة للرؤية، أن يقول لشيخه: إن كُنتَ حَكمتَ وشنّعت على رُواة أحاديث الصحّاح لتضمنّ أحاديثهم الرؤية والتجسيم، فإنّها قد رُويَت عن طريقِ أهل البيت عليهم السلام -لَم يصحّ أكثر هذه المرويّات-، فاحكُمُ إذاً بعدم قبول أخبار أهل البيت! مثلاً بمثل . وإن كانَ الجميعُ لا يُؤخَذُ بالظّاهر، بل يُتأوّل على ما تأولهُ به أهل البيت عليهم السلام . [راجع مبحث الكلام حول الصفات والتأويل، فهو مُهمٌّ لاستحضار هذا التذكير الأخير] .

إذاً ما هي عقيدة ابن الوزير في الرؤية ؟! :

الحقّ أنّ كلامَنا هُنا داخلٌ في إطار الترجيحات في حقّه رحمه الله، وخصوصاً أنّه كما ذكرنا سابقاً كان قَد وقفَ موقفاً وسطاً يَذكُر أقوالَ هؤلاء وهؤلاء، ولا يختار ولا يُرجّح، وهُنا نَذكر عدّة ترجيحات، لعقيدة ابن الوزير رحمه الله تعالى، بما اعتقدت به السادة الزيدية، من النفي للرؤية في حق الله تعالى في الدّنيا والآخرة .

الترجيحُ الأوّل الدّال على قول ابن الوزير بنفي الرؤية :

هُوَ ما قَد سبقَ وأن ذكرناهُ قريباً، مِن المُتابعَة منه رحمه الله تعالى لأهل البيت؛ وأنّه نفسه قد ذكرَ أنّ مَذهب قدماء أهل البيت هُو نفي الرؤية، فكانَ بهذا مُتابعاً لهُم في النّفي للرؤية.

الترجيحُ الثّاني الدّال على قول ابن الوزير بنفي الرؤية :

هُو تصريحُ أخيه الثّقة العَدل الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير، عندما تصدّى لردّ ما توهَمّه الناس من أنّ أخاهُ محمداً يقولُ بإثبات الرؤية في الآخرة، فقالَ عليه السلام: (**وأمّا مَسألةُ مُخالَفَةِ إجماعِ العترة بالقولِ بالرؤية، فهذا شيءٌ لم أعرِفْهُ، ولَمْ أسمَعهُ مِن مُحَمَّد لا في قولٍ ولا في كِتاب**، وأنا أنزهُهُ عن هذه المقالَة ومعي خطُّهُ بأنَّ اعتقادَه في العقائد الكلاميّة والمسائل الإلهية اعتقادُ أهل البيت عليهم السلام ، وأنّهُ غيرُ مُخالِفٍ في واحدةٍ من هذه المسائل، ويدلُّ على ذلِكَ مِن شِعرِه قولُهُ من جُملَة أبياتِه:

هذي الفرعُ وفي العقيدة مَذهَبي ... ما لا يُخالِف فيهِ كُلَّ مُوحِد

ديني كأهلِ البيتِ ديناً قيّماً ... متنّزهاً عن كلِّ مُعتقدٍ ردي

وكيفَ يقولُ بالرؤية بعدَ هذه المقالَة، أو يُضافُ إليه ذلِك، ومذهبُ أهلُ البيت واعتقادُهُم أن الرؤية على الله غيرُ جائزة معقولةٌ ولا غير معقولَة، وكيفَ يُصرّحُ محمّدٌ هاهُنا بأنّهُ يتنزّهُ في عقيدَتِه عن كلِّ مُعتقدٍ ردي ؟ ويُضافُ إليه اعتقادُ مُخالَفَة العترة بالقولِ بالرؤية ! وهيَ المصادَمَةُ بعينِها) [1].

(١) انظر الإمام محمد بن إبراهيم الوزير، ص ٤٨ – ٤٩، وانظر مقدمة العواصم والقواصم على لسان إسماعيل الأكوع ١/ ٤٧ – ٤٨.

الترجيحُ الثّالث الدّال على قول ابن الوزير بنفي الرؤية :

يُعضِّد قول الهادي بن إبراهيم الوزير السابق بنفي إثبات الرؤية عن أخيه محمد، هُوَ قول حفيده الإمام محمد بن عبدالله بن الهادي بن إبراهيم الوزير عليه السلام، وهُو مِنَ المُعاصرين بل من تلامذة جدّه محمد بن إبراهيم الوزير صاحِب الترجمة، فقالَ راداً على السيد جمال الدين علي بن محمد في رسالةٍ أرسلها إلى جدّه محمّد بن إبراهيم الوزير، مالفظُه: (**وقدْ نَسبَ القولَ بالرؤية**، وبِقِدَم القرآن، ومُخالَفَتِه أهلَ البيت، وقَد بناها على مُجرَّد التوهمات الواهية والتخيّلات الباردة)، فلَو كان الحفيدُ التِلميذ يرى من الجدِ الأستاذ غيرَ هذا ما شَهِدَ شهادة الزورِ هذه، وناهيكَ بالحفيد التلميذ والجدّ الأستاذ من ثقاتٍ في النقل والتحري والإنصاف.[1]

فهذا أقصى ما يُقال في عقيدة ابن الوزير في الرؤية في جميع كُتبِهِ ومُجلّداته، فمَن زادَ (بالنفي أو الإثبات للرؤية عنه)، فليَقُل في نظري واجتهادي وهذه أدلّتي، ومَن قالَ أجزِم فقد أخطأ، ولو طُلِبَ منه الدّليل القطعي ما استطاع، ونحنُ نقولُ هذه ترجيحاتنا -التي ترى أنّها أقرب للقوّة والاستظهار- ولا نجزِم، والله تعالى أدرى وأعلم .

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين .

(١) انظر الإمام محمد بن إبراهيم الوزير، ص ٢٨- ٢٩.

نماذج تستطيع من خلالها معرفَة منهج ابن الوزير في إسهاباته، ومُتشَابَهِ كلامِه :

الأنموذَج الأول :

انظُر أخي الباحث وتأمّل مَليّا، فيما سنوردهُ هُنا، وركّز على الشرح في الحواشي، فإن أيقنَ فِكرُك به، ضمنتُ لكَ فهمَ ابن الوزير، وفهمَ ما يَرمي إليه من مُجلّداته الضّخام، ومِن إيرادته للأخبار الموهمَة للتجسيم والتشبيه والجبر، فنقولُ: قال ابن الوزير محمد بن إبراهيم رحمه الله، عندما أرادَ الجواب على إشكالِ شيخه أن المُكيَّفَ لا بُدّ أن يُجسّم، وهو في باب الرؤية بعموم، فقدّم مُقدّمة مُهمّة نبّهَ فيها على قضايا عِدّة، فقال ما نصّه:

«واعلَم أنّي مُقَدّمٌ هاهُنا مُقدِّمةً مُفيدَة قبل الخوضِ في بيان المُراد مِن هذا الإشكال، وذلكَ أنّي لا أَرُدُّ عليهِ إنكارَ التشبيه على المُشبّهَة فإنّي مُوافِقٌ في التنزيه، وقائلٌ ببطلانِ التشبيه [1]، وإنْ كُنتُ لا أتعرّضُ لبيان المُختارِ عِندي في دقائقِ الكلامِ الذي أحكيه[2]، وإنّما غَرضي في هذا: القيامُ بِما يَجبُ مِنَ الذَّبِ عن السُنَنْ [3] ومذاهِبِ العترَة عليهم السلام [4]، فإنَّ

(١) وفي هذا تأمّل كيفَ أنَّ ابن الوزير يُنكرُ التشبيه ويُؤمن بالتنزيه، على مقتضى مذهب أهل البيت لا على مُقتضى مذهب الفرقة السنية، ودليلُ ذلكَ أنّه أنكرَ على أهل السنة الأخذ بالظاهر ولَم يؤمن به، فكانَ المقصود أنّه منزهٌ على طريقة أهل البيت، وهُوَ موافقٌ لشيخِه في هذا، ويؤيدُ هذا، تلميحهُ في آخر الرسالَة عندما قالَ : (فمن ظنّ بي غيرّ ذلك، أو نقلَ عني سواهُ بعدَ هذا البيان، كانَ من المُتعدّين المُتعمّدين، والله المستعان)، وذلكَ أنّ ابن الوزير قد رَماهُ أهلُ عصرِه بالقول بإثبات الصفات الموهِمة للتشبيه ومخالفة أهل البيت عليهم السلام من الزيدية، عندما رأوهُ يُدافعُ عن أئمة الفرقة السنية من المحدثين .

(٢) وفي هذا يجب على القارئ ألاّ يتسرّع بإصدار حُكمه على ابن الوزير من خلال اعتراضاته ومدافعته عن أهل السنة المحدثين، وذلكَ لأنّ ابن الوزير رحمه الله صرّح بأنه لم يحكِ في هذا الموضع المختار عندَه، فوجبَ حملُ كلامِه رحمه الله من باب الدفاع والمحاماة لا من باب الإقرار والمُتابَعة، كما سبقَ وأن ذكرنا، ويدلُ عليه كلامه التالي وإنّما غرضي ... . إلخ.

(٣) ابن الوزير يرى أن الذب عن أهل الحديث هُو الذب عن سنن وأحاديث الرسول صلوات الله عليه وآله .

(٤) ابن الوزير يرى أنّ الذب عن مذاهب العترة عليهم السلام، هو الإقرار باعتماد روايات أهل الحديث الصحيحة الموافقة للعقل والنقل، ونسبِهم (نَسْب أهل الحديث) إلى أهل التأويل المقبولة روايتهم .

المُعترِض قد ادَّعى القَطعْ بأنَّ في كُتب الحديث المُسمّاة بالصحاح أكاذيب معلومة متعمدة، وادّعى على كثيرٍ مِن رُواتها تَعمّدَ الكَذِب، وحاولَ بذلكَ تقبيح الرجوع إليها [1]، وقد بيّنتُ فيما سلفَ إجماعَ الأمّة على الرجوع إليها، والنّقل منها، وأنّ ذلكَ مشهورٌ في كُتُب الزيدية، وأنّ المُعترِض هُو بنفسِه لَم يسلَم مِن ذلك، حيثُ نقلَ عنها في تفسيرِه، وقَدْ بيّنتُ نصوصَ العِترَة في كُتُبِهم على أنّهُم مِن أهل التأويل [2]، وذَكَرتُ دعوى الإجماع على قَبولِهم [3] مِن عشر طُرُق، وأنَّ ذلكَ هُو المذكور في كتاب اللّمُع في كتاب الشهادات منه كما مَضى بحروفه في أوّل المجلّد الأول، وحينَ تقرّرَ ذلك، فإنما أُورِدُ هَاهُنا أدِلَّتَهُم [4] في مَذهَبِهم، لِيَعْلَمَ المُنصف صِدقَ أهل البيت عليهم السلام في قولِهم: إنّهم [5] مِنْ أهلِ التأويل [6]، وحُسنَ نظرِهِم وتحرّيهم [7] في قَبُول أخبارِهِم [8] **مَع المُخالَفة** [9]، وخَشيتُ إنْ لَم أذْكُر

(١) ومن هذا المُنطلق ينطلق ابن الوزير لإثبات عدم صحة ما نسبه السيد جمال الدين من تعمد الرواة إلى الكذب وتقبيح الأخذ مما رووهُ ونَقلوه . بحيث يذكر الأدلة على أنّ أهل البيت يروون عنهم ويعتمدون مروياتهم الصحيحة .

(٢) انظُر ابن الوزير، يقرّ ويُثبت أن العترة عليهم السلام، يُسمُونَ أهل الحديث : أهل التأويل، ويروونَ عنهُم، وقد صرّح بهذا في غير مقام من كتابه .

(٣) قبول رواية أهل التأويل من المحدثين .

(٤) أدلّة أصحاب الفرقة السنية . وهُنا تنبّه أنّه بإيراده لأدلّة أهل السنة إنّما يُريد إثبات أنّهُم من أهل التأويل، والبعض الكثير يتوهم المتابعة لمجرد الإيراد كمَا توهّم الأكوع .

(٥) أي أهل السنة .

(٦) انظر تأكيد ابن الوزير على أن أهل الحديث هُم أهل التأويل عند أهل البيت عليهم السلام الذي هُو كمَا صرّحَ في غيرِ مَقام أنّهُ مُتابعٌ لهُم .

(٧) أي حُسن نظر وتحري أهل البيت عليهم السلام، وهذا تلميحٌ من ابن الوزير بمتابعَته لأهل البيت في سلوكهم هذا مع أهل الحديث، وأنّهم مِن أهل التأويل.

(٨) أي في قبول أخبار المُحدّثين من أهل السنة (الصحيحة).

(٩) تأمل جيداً، ابن الوزير يُثبت أنّ منهج أهل البيت عليهم السلام القُدماء والمتأخرين هُو قبول روايات أهل التأويل من أهل السنة معَ المخالَفَة في المذهب، وهنا يجب أن تتنبه أخي الباحث لكلمة ابن الوزير مع المُخَالَفَة، إذ فيها إثباتٌ لمُخَالَفَة مَذهَب أهل البيت الذي هُو مذهب ابن الوزير -كما يقول- لمَذهَب أهل التأويل أي أهل السنة، وبأسلوب آخر : ابن الوزير ينفي أن يكونَ مَذهب أهل البيت عليهم السلام وعقيدتهُم، هيَ عقيدة أهل السنة والجماعة من المحدثين، والدليل مسألة الصفات والإرادة والأفعال المتقدّمة، ومُخالفة ابن الوزير فيها لأهل السنة والجماعة جُملةً وتفصيلاً .

أَدِلَّتَهُم[1] في ذلكَ أنْ يَظُنَّ الجاهلُ من أهل بلَدِنا وعصرِنا، أنَّ المُعترِضَ هُو الصّادِقُ لِكِبَرِ مَحَلِّه في النُفوس، **فَمَن ظنَّ بي غيرَ ذَلِك**[2]**، أو نقلَ عنّي سِواه بَعدَ هذا البيان**[3]**، كانَ مِن المُتعدين المُتعمّدين**، والله المُستعان»[4].

الأنموذَج الثاني :

ذكرَ ابن الوزير رحمه الله، بعدَ أن ذكرَ أقوال الفرقة السنية في إثبات الرؤية، على لسان ابن القيم الجوزية، أنَّ المَقصود بنقله لأقوالِ هذه الطّائفَة هُوَ إثبات أنّهُم مِن أهل التأويل، والبعضُ للأسف يتوهّم المُتابعَة والتصحيح، والله المُستعان، فقال رحمه الله ما نصّه:

«انتهى كلامُ هذه الطائفة منقولاً بحروفه من كتاب الشيّخ ابن قيّم الجوزية، والمقصودُ بنقلِه على طولِه، **بيانُ أنّهُم من أهل التأويلِ والتّديّن، وقبولِ أخبارِ ثقاتِهم،** كَمَا هُو مذهبُ أهل البيت والمنصوصُ في كُتُبِهِم المشهورة، حتّى نَجَمَت هذه البدعَةُ البديعَة، والعصبيّة الشنيعة، في القولِ بأنَّهُم مُكَذِّبونَ للَّهِ ورسُولِه على سبيلِ التعمّد وقصدِ إضلال الخلقِ عمَّا يعلمونهُ من الحق»[5].

---

(١) خشي ابن الوزير إن هُو لم يذكر أدلة أهل السنة على نفي التجسيم -لأن الكلام في هذا الموضع عن التجسيم والأجسام-، وهُنا يُريدُ ابن الوزير أن يُسقِطَ قول شيخهِ في أنَّ أهل السنة مجسمة من أهل التصريح لا تُعتَمَد رواياتهم، بأن يُدافِعَ عنهُم بأنهم ليسوا مجسمة وإنْ أثبتوا الصفات على الحقيقة، وليسوا من أهل التصريح بل من أهل التأويل، وليسوا مردودي الرواية بل مقبولين، وهُنا يبدأ التعذّر من ابن الوزير لهُم، بِما قَد يُساءُ فهمُ مَقصدهِ بسببه، نعم! خافَ ابن الوزير إنْ هُو لم يفعل هذا أنْ يظن الناس أنّ قولَ شيخه في رد رواياتهم هو الصحيح، ولكن انظر كيفَ فَطِنَ ابن الوزير بأنَّ هُناك مَن سيتوهّم مُدافعته عن أهل السنة المحدثين بمعنى مُتابعته لمذهبِهم !! فقالَ : (فمن ظنّ بي غيرَ ذلكَ .... الخ).

(٢) أي غيرَ غرضِ المدافعة عن روايات أهل السنة الصحيحة وقبولها .

(٣) والوزير ينبه على أنّ بيانه هذا بمثابَة المُحكَم الذي يَجب أن يُرد جميع المتشابهات في العواصم إليه، وفي كلامه إشارَة إلى التنبيه على أولئكَ الذين فهموا من كلامه أنه من أهل السنة والجماعة تابعٌ لمذهبِهم، والله المُستعان .

(٤) انظر العواصم والقواصم ٥/ ١٧.

(٥) انظر العواصم والقواصم ٥/ ٢٠٨.

الأنموذَج الثالث :

هُنا يُصرّح ابن الوزير عن سبب مدافعته عن أهل السنة فيما اتُّهموا به من القول بالجبر، بعدَ أن تعذّر لهُم وحملَهم المحامِل الحسنَة في قضية خَلْقِ الأفعال وإرادة المعاصي، وبإثباته هذا – عدم القول منهم بالجبر المحض – فإنه ينتصر على من قال بأنّهم من أهل التصريح، ويُعيدُهم في سلك أهل التأويل على مقتضى أهل البيت عليهم السلام كما سبقَ وأنْ ذكرَ ابن الوزير، وممّا ينبغي التنبيه عليه أنّ البعض يجد ابن الوزير يتعذّر للقوم من أهل السنة **فيظنّه يُصحّحُ عقيدتهُم!**، فقالَ رحمه الله تعالى ما نصّه: (وما قَصدتُ بجميعِ ما ذكرتُهُ إلاَّ نصيحَة المسلمين، وبراءة أئمة السُنّة من نفي الاختيار، ثمَّ أختِمُ الكلام في هذه المسألة العُظمى بما يُؤيّد ما ذكرتُهُ من برائتِهِم عن نفي الاختيار)[1] .

الأنموذَج الرابع :

وهُنا يُصرّح ابن الوزير أنّ من أهدافه، هُو تصحيحَ الأفكار المغلوطة التي فهمها الناس عن أهل السنة في مسألة الأفعال، عندما قالوا بأنّها مخلوقة، وأنّه يُريدُ توضيحَها، ولعلّ البَعض عندما يجد ابن الوزير يستكثر في النقل لتوضيح غلط وسوء فهم الناس عن عقيدة أهل السنة، يظنّ أنّه معهُم قائلٌ بخلق أفعال العباد، والحقّ أنّا قد بيّنا سابقاً أنّهُ غيرُ مُؤمنٍ بِها، وأنّه لا يجدُ لها أصلاً في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فقال رحمه الله:

(فأحبَبتُ أن استكثرَ النقل منه، ليتَوضّحَ لَهُم غَلَطُهُم على أهل السنة في النقل) [2].

الأنموذَج الخامس :

وهُنا يُدافع ابن الوزير عن الأشاعرة في الكسب، لعدم اهتمام المعتزلة بتحقيقة على مراد أهلِه، فمنَ قرأ كلامه عليه السلام حسِبَهُ يميلُ إلى الكسب!، فقال ما لفظُه :

---

(١) انظر العواصم والقواصم ٧/ ١٢٧.

(٢) انظر العواصم والقواصم ٧/ ١٢٩.

(وقد رأيتُ أن أورِدَ كلامَ الأشعرية بنصّهِ لِعَدَم التفاتِ المعتزلة إلى تحقيقهِ فيما رأيتُ من مشهورِ مُصنّفاتِهم .... **وقَد غَلِطَ بعضُ مُتكلّمي المعتزلة عليهِم في مواضع**)[1].

* ثمَّ بعدَ أن ذكرَ عقيدة أهل الكَسب **يُنبّه القارئ، بأنّه مع مدافعته عن الكسب وانتصاره لأهلِه والقائلين به، فإنّه لا يعتقدهُ!**، وكتاب العواصم في نظري كله أو ثلاثة أرباعه على هذا المنوال، فإنه يُوهِم المتابَعة، وهُو ليسَ مُتابِعاً في الأصل، وقد حصلَ هذا أيضاً فيما نرَى مع مسألة الرؤية، فقال رحمه الله ما نصه:

(ولولاَ أنَّ القصْدَ بذكرِه أن يكونَ وسيلةً إلى تركِ التكفير لِمَن غَلِطَ في هذه الدّقائق التي لا تُعلَم ضرورةً من الدّين، **فإنّي ما قَصْدتُ إلاَّ هذا، ولَمَ أقصِد تصحيحَ القولِ بالكَسبْ دَعْ عَنكَ الجبْر**)[2].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

(١) انظر العواصم والقواصم ٧/ ٥٧ إلى ٦٨.

(٢) انظر العواصم والقواصم ٧/ ٧٢.

التقيّة في مَنهج محمد بن إبراهيم الوزير:

سؤال: إن قيل بماذا يُجاب على مَن احتجّ بتقيّة ابن الوزير رحمه الله تعالى، فيما يُوافِقُ فيه الزيدية من عقائد في كُتُبه، خصوصاً وأنّه قد صدّر كتابَيه العواصم، والروض الباسم، بتصريح يُقوّي كلام هؤلاء المُتعذّرين بالتقيّة ؟.

والجواب رحمك الله: أنّ مَن يحتجّ بالتقيّة فيما يُوافقُ فيها ابن الوزير عليه السلام الزيدية، ويُخالفُ غيرَهُم من السنة والجماعة، فإنّه يُغضي عن حال ابن الوزير وواقعهِ الذي عاصرَه بشكل مُلفت للنظر، والتقيّة تكادَ تكون أبعد ما يكون عن رجل كابن الوزير رحمه الله تعالى، ولستُ أدري ماهذا التصريحُ الذي صرّح به رحمه الله تعالى في مقدّمة العواصم ومختصره الروض الباسم، ومَن تطلّع لتاريخه وجده رجلاً بعيداً جداً عن التقيّة، وهُنا سأطرحَ لك أخي القارئ إشكالات على تقيّة ابن الوزير وعلى إنصافك الحكم :

إشكالات حول تقيّة ابن الوزير رحمه الله :

١- ابن الوزير، خالَفَ على رجلٍ له مكانته الدينية والاجتماعية في الوسط الزيدي، وجرَى بينهما من الملاسنات والمُنازعات ما سَطَّرتهُ الكُتُب . وهذا الفعلُ منه رحمه الله خلاف التقية .

٢- ابن الوزير، ألّفَ المُجلّدات الضخام في الرد على شيخه ابن أبي القاسم، ولو أنّهُ انتهجَ منهجَ التقية لاكتفى بالإغضاء والسكوت، ولقالَ كما قال أبو هريرة، فيما رواهُ عنه البخاري في (صحيحه): (حَفِظتُ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وِعاءين، فأمّا أحدُهُما فبثثتُه، وأمّا الآخَرُ فلو بثثتُهُ قُطِعَ هذا البلعوم)، وفي هذا ردّ على الأستاذ علي الحربي

في كتابه (ابن الوزير آراؤهُ الاعتقادية وجهودُه في الدفاع عن السنة النبوية)، عندما طابقَ تقية ابن الوزير بتقية أبي هريرة [1].

٣- ابن الوزير، اتّجهَ إلى الإقذاع بالكلام على شيخه ابن أبي القاسم، وتطاوَلَ عليه في أكثر من موضعٍ في عواصمه، بل ونسبه إلى الجهالات في بعض المرات، وهذا مُخالفٌ للتقية، و يتجاهل القاضي إسماعيل بن علي الأكوع في كتابه (الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم والقواصم) هذه العبارات الصادرة من ابن الوزير في حق شيخه، ويُركّز على عباراته رحمه الله التي يقولها في غير موضع، أعني لفظة" قال السيد أيده الله " وأمثالها، فجعلَ الأكوع هذه العبارة من ابن الوزير دليلٌ على التقية وعبارات الإقذاع والتسفيه لا أدري أينَ ذهبَ بها إنصاف الأكوع .

٤- ابن الوزير، كانَ مدرسةً في حدّ ذاته، تُشدّ إليه الرحال للانتهال من مَعين علمه، وتخرّج على يديه عشراتٌ من جهابذَة عصورهم وعلى رأسهم حفيده الهُمام محمد بن عبدالله بن الهادي بن إبراهيم الوزير، والذي عاصرَه ثلاثين عاماً، وهُوَ الذي برّأَ شيخه وأستاذهُ وجَدَّهُ ممّا نَسبَهُ إليه ابن أبي القاسم مِن مُخالَفَة الزيدية ومُتابَعة أهل السنة والجماعَة، أوردَ هذه التبرئة القاضي إسماعيل الأكوع (ص ٢٨ و ٢٩) من كتابه، فليُراجَع . نَعم فأينَ التقية التي نَصِفُ بها مَن كانَ مَدرسةً لطلبةِ العِلم في زمانه.

٥-ابن الوزير، لَم يَتّقِ في الأمور الفروعية الفقهية، كعَدم المُجاهرَة المُطلَقة بالبسملة في الصلاة -مع العلم أنَّ ابن الوزير لا يُخافت مُطلقاً على منهج أهل السنة، ولا يجهرُ مُطلقاً على مذهب الزيدية، وإنّما كان يجهر بحيث يُسمعُ نفسَه ومَن بجانبه-، نعم لم يتَّقِ في هذه الأمور، والكلّ يَعلمُ أنَّ هذا الفعل من ابن الوزير، سيُثير ويُؤلِّبُ عليه العامّة من ذوي الجهل والعصبية، ومعَ العلم أنَّ ابن الوزير يرى أنَّ الاختلاف في الأمور الفروعية الفقهية ليسَت بذي شأن، وأنَّ المجال فيها واسع، ومعَ ذلكَ واصلَ عباداته الفقهية بما أدَّى إليه اجتهاده المُخالِف لما عليه أهل عصره من الزيدية، وقد

(١) انظر ابن الوزير للحربي ١/ ١٢٣.

حاولنا الإجابة على أنفسنا في هذا الأمر (بأنّ ابن الوزير يعلمُ أن العُلماء لَن يُشنعوا عليه اجتهاده ومخالفته لهم في الفروع، فَعَمِلَ على إظهار هذه الاجتهادات دونَ تقيّة)، ولكنَّ هذا الكلام يبدو ضعيفاً، وخصوصاً إذا تأمّلنا قصيدته الدالية التي أوردها الأكوع في كتابه، والتي أُوردَت أيضاً في مقدمة العواصم والقواصم، فإنّه رحمه الله تشكّى من تشنيع الناس عليه اجتهاده في الفروع، ومع ذلكَ لَم يأبَه ولَم يتَّقِ، وهذا مُخالفٌ لمنهج التقية.

٦- ابن الوزير، صدَّرَ ديباجة الروض الباسم والعواصم بعبارات استخدامه للتقية، فإن كانَ هذا هُوَ العُذر الذي سيتعذّرُ به الواقف على عقائد ابن الوزير الموافقة للزيدية والمُخالفة للسنة والجماعة، فإنَّ ابن الوزير لم يُصرح بهذا في كتابه (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان)، وكتابه (إيثار الحق على الخلق) والذي يظهرُ من اسمه أنّه سيُظهرُ الحق على كل الخلق، وهذا فالتصادم بعينِه؛ لأنّ التقية إظهار غير الحق، كيفَ إذا عُلِمَ أنَّ هذا الكتاب من آخر ما ألّفه ابن الوزير رحمه الله، وهُو مُصرّح بمخالفة أهل السنة والجماعة.

٨- ابن الوزير، صرَّحَ في مجلداته ببعض ما يعتقده تصريحاً لا يَقبلُ الشك، أو حتى مُحاولة الشك، كتصريحه بعدم الأخذ بظاهر ما تشابه من الآيات والأحاديث، وبعدم نفي التأويل، وبعدم إرادة الله للشرور والمعاصي، وبعدم خلق الأفعال، وهذا كلّه من أصول العدل والتوحيد الموافقة لعقيدة الزيدية والمخالفة لما سواها، واستخدام شمّاعَة التقيّة في صريح صريح أقوال ابن الوزير رحمه الله، يُعدّ من المُكابرَة، ولا ينخرط في سلك الإنصاف .

بهذا القدر من الإشكالات الواردَة على نظرية التقية أكتفي، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وآله الطيبين الطّاهرين .

(٥) الزيدية و ابن الوزير وعلم الكلام :

نهجَ ابن الوزير رحمه الله تعالى، منهجاً واضحاً في علم الكلام، من عدم ضروريته لإثبات عقائد الدين وأصولها، وإن كان لا يُمانِعُ من الخوض فيه، ويعتقدُ أنَّ طُرقَ الاستدلال بالكتاب وصحيح السنّة وسليم فطرة العقول أولى وأحوط وأفضل، ويستدل بأنّ الرسول ﷺ لم يخض فيه ولا علّمهُ أحداً من الصحابة الكرام رضوانَ الله تعالى عنهم، ويعتقدُ بأن الإيمان الجُملي يُغني عن الغوص في علم الكلام، وأنَّ الولوج في الكلام والمغالاة فيه يكونُ صاحبها معرضاً لاحتمالية غير السلامة، على عكس من كَفَتهُ الجُمَل في عقيدته الإلهية.

قلتُ : ونحنُ ذاكروا نبذةً عن علم الكلام، لّما استفحلَ وصمُ الشيعة الزيدية به من متابعةٍ للمعتزلةِ فيه، والمُخالفةِ لأهل البيت المتقدّمين؛ ولأنَّ الأمرَ جلل وفيه من الافتراء على الزيدية ما يُنزّههُم المُنصفونَ عن الخوض فيما لَم يُكلّفوا به من الفلسفات، وعلى رأس هؤلاء المُنصفين الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله تعالى، فنقولُ اعلم أنَّ عِلمَ الكلامِ نوعان :

الأول : علم الكلام الذي انتهجَ فيه أصحابُه منهجاً مذموماً، وهو المغالاة والتكلّف في الدين، وذلك بالخوض في العلوم العقلية التي لم يُنزل الله بها من سلطان، ولا كُلّفنا بمعرفتها فضلاً عن الإيمان بها،كالخوض في الحركات والسكون، والإرادات والمُحالات، والموجودات والمعدومات، والهيولى، والأجزاء التي لا تتجزأ، والكلام في التولدات، والتعمق في ذات الله سبحانه وتعالى، والخوض في أنّ الإنسان ليس جسداً، والطفرات والجينات والذرّات وربطها بالدين الإسلامي الحنيف، وهذا اشتهرَ به المعتزلة من المسلمين، وهذا لا ينتهجُ به أهل البيت من الزيدية، بل لم يُؤثرْ عنهُم الاهتمام به، إلاَّ أنْ يكونَ رداً على الخصوم فهُوَ وارد، بل إنّه نادر، وهُو لن يكون إلاَّ كما فعلَ ابن تيمية مع الأشاعرة والمعتزلة، وكما يفعلُ ابن الوزير في كتابهِ العواصم .

وفيه يقولُ ابن الوزير رحمهُ الله تعالى، مُنزّها أهلَ البيت الزيدية المُتقدمين والمتأخرين عن هذا النوعِ من العِلم المُتكلَّف الذي ما أنزلَ الله بـه مـن سُـلطان، بعـدَ أنْ ذكـرَ فرائـدَ قصائدهم في الردّ على غلاة المعتزلة، وذكرَ على لسان السيد الإمام الواثق بن المطهـر عليه السلام بعدَ أن نقلَ قصيدته التي مطلعها:

لا يَـــستَزلّكَ أقـــوامٌ بـــأقوالٍ مُلفّقـــاتٍ حَرِيّـــاتٍ بإبطـــالِ

ما نصّه : (ثمَّ سردَ أسماء الأئمّة عليهم السلام ، راوياً عنهُم الموافقة على إنكارِ هـذه المـذاهب المُبتَدَعة، فذكرَ علي بن الحسين، وولدَيه الباقر وزيـداً وجعفـراً الـصادق، والقاسـم وابنـه مُحمّداً، وحفيده الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، وولديه أحمدَ النّاصر، ومُحمّداً المُرتـضى، والنّاصرُ الأطروش، والقاسمُ بن علي، وأحمـدَ بـن سُـليمان، والمنـصور بـالله، وأحمـدُ بـن الحُسين، والإمام الحسن بن مُحمد، والمطهر بن يحيى ومحمد بن المُطهـر . نقلـتُ ذلـكَ مِـن شرحِ هذه القصيدة المُسمّى " باللآلئ الدُّريّة في شرحِ الأبيات الفخرية " للـسيّد العلاّمَـة شيخِ العترة تُرجُمان المُوحِّدين مُحمّد بن يحيى القاسـمي، وقـد طـوَّل في شرحِهـا، وبـيَّن في ذلكَ طُرُقَ الرواية عنهم عليهم السلام فافادَ وأجاد رحمه الله تعالى) [1].

ثمّ يُؤكِّد ابن الوزير أن الزيدية وأهلها براءُ ممّا يُنسبُ إليهم مـن الخـوض في المـذاهب الكلامية المُبتدَعَة، فيقول ما لفظُه : (وما زالَ عُلماءُ أهل البيت عـلى هـذا قـديماً وأخـيراً، ومِن الشواهِد لذلِكَ أنّهُ ليسَ لَهُم في علمِ الكلامِ مُـصنَّفٌ مَبـسوط، كتواليـفِ المُتكلِّمـينَ الحافلة، إلاَّ بعض ما صنَّفه أهل العجم مِنهُم في ذلك مُتابعةً لقاضي القُضاة، وهُـوَ الـسيِّد مانكـديم، وهُـوَ الكتـابُ الموجـود في ديـار الزيديـة اليـوم المُـسمّى " شرحُ الأصـولِ الخمسة"، ويَدُلُّ على انفرادِهِ بذلِكَ مِن بينِ سَلَفِه، أنّهُ لَم يَنقُل فيه عَنهُم حرفاً واحـداً، وإنّـما نقلَ كلامَ شيوخِ الاعتزال، ومَذاهِبِهِم، وأدلّتِهِم، إلاَّ أنْ يكونَ حكى مَذهبَهُم وأدلّـتَهُم في فروع الكلام السمعيّة كالأسماء، والشّفاعَة، والإمامة) [2].

(١) اهـ . العواصم والقواصم : ٣/ ٤١٨ - ٤١٩.

(٢) اهـ العواصم والقواصم : ٣/ ٤١٩.

فهذا رأي ابن الوزير في هذا النوع من الكلام المُبتدَع، بل ورأي أئمة الزيدية الذي حكاهُ عَنهُم ابن الوزير وساق قصائدَهُم وتقريراتهُم في البراءة من التمذهبِ به والاعتقاد به، فإذا تقرّرَ هذا فاعلَم أنَّ ابن الوزير عندما يَرُدّ على المسائل الكلامية الصرفة الدقيقة في كتابه العواصم والقواصم فإنّه يحكي مذاهبَ المعتزلة، ويُوجّه الخطابَ في ردودهِ على المعتزلة، فيتوهّمُ القارئ أنهُ يردُّ على الزيدية، فافهم ذلك.

أدلّة أخرى على براءة الزيدية من التأثر والانشغال بعلم الكلام الفلسفي :

١- انظر استبسال السيد حميدان بن يحيى القاسمي عليه السلام في كتابه (تنبيهُ الغافلين على مغالِط المُتوهّمين)، في الردّ على أقوال الفلاسفة في العقل والنفس، وعلى مَن جمعَ بين الفلسفة والإسلام في العقل، وعلى أقوال الفلاسفة في معنى العِلم، والإبطال لما ابتدَعَهُ أهلُ الهُيولى والصورَة، وانظُر كلامَه عليه السلام في حدود العقل والغلو المُتكلَّف [1].

٢- عَقَدَ السيد العلامة المُجتهد علي بن محمد العجري رحمه الله تعالى، مبحثاً خاصاً في كتابه (الأنظار السديدة في الفوائد المُفيدة) بعنوان : (الفائدة الثانية عشرة : في بيان الاستغناء عن فنّ المنطق وبيان مَفاسِدِه)، وجاء فيه ما نصه : (لَم يُعوّل قُدماءُ أئمتنا عليهم السلام وكثيرٌ من مُتأخريهم على عِلم المَنطِق، ولَم يَذكروهُ في كُتُبِهم ولا بَنَوا عليهِ شيئاً مِن قواعِد دينِهم، وما ذلكَ إلاَّ للاستغناء عنه بالأدلّةِ العقلية والنقلية؛ ولِما يُؤدي إليهِ، ويَلزمُ على التمَسُّكِ بقواعدِه من المَفاسِد .) اهـ [2].

٣- ذكرَ السيد العلامة علي بن محمد العجري أنَّ الإمام القاسم بن محمد عليه السلام، قالَ فيما معناه : (إنَّ جميعَ العلوم الإسلامية مُستغنية عن المَنطِق ... ونحنُ نعتمدُ على ما وردَ في الكتاب والسُنّة ولُغَة العرب ..) اهـ [3].

---

(١) مجموع السيد حميدان : ص ٢٣ الى ص ٥٠.

(٢) الأنظار السديدة في الفوائد المُفيدة: ص٤٨.

(٣) الأنظار السديدة في الفوائد المُفيدة :ص٤٨.

٤- قال أمير المؤمنين الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام، مُنزّهاً نفسَهُ عن عقيدة غلاة المعتزلة، ما لفظُه : (فهذاَ وفَّقَكُم الله دينُ المؤمنينَ وديني وما عليهِ اعتقادي، لستُ بِزنديقٍ ولا دَهري، ولا ممّن يقولُ بالطّبع، ولا ثنوي، ولا مُجبرٌ قَدري، ولا حَشويٌّ، ولا خارجي، وإلى الله أبرا من كلِّ رافضيٍّ غَوي، ومِن كُلِّ حَروريٍّ ناصبي، ومن كلُ مُعتزليٍّ غال، ومِن جميع الفِرَق الشّاذة) اهـ[1] .

٥- قال السيد حميدان بن يحيى القاسمي رحمه الله تعالى، مُعنِّفاً غُلاةَ مُتكلِّمي المعتزلة:

زالَ أهلُ التّفعيلِ والانفعال وأَديلَ التطريفُ بالاعتزالِ
حرَّفُوا مُحكمَ النّصوصِ فصاروا قُدوةً في التلبيس والإضلالِ

إلى أنْ قال:

ما أتَى في التّكليفِ قولٌ بِهذا في مَقالٍ يُروَى ولا فِعالِ
بَل أتَى الأمرُ بالتّفَكّرِ في الصُّـ ـنعِ وتَرْكِ اتِّباعِ الرِّجالِ[2]

نعم ! وغير هذا كثير، ولولا الميلُ للاختصار لأسهَبنا في هذه القضيّة، لمّا وَجدنا الكثير من أتباعِ الرّجال ينسبون الزيدية إلى مُخالَفَة أهل البيت في ابتداع علم الكلام المذموم، واتبّاعهم لغُلاة المعتزلة في هذا، والله المستعان . وسنُعضِّدُ كلامَ أئمّة الزيدية السابق بكلام مُثقفي ومُفكري الأمة الذين دوّنوا آراءهم الخاصّة عن الزيدية، ولكن بعدَ أن نتكلّم على النوع الثاني من أنواعِ علمِ الكلام .

الثاني : علمُ الكلام الذي انتهجَ فيه أصحابُه طريقاً محمُوداً، وهُوَ الإيمانُ بالعقل القرآني، بلا إفراطٍ ولا تفريط، والإفراط هو اتباع منهج الغُلاة بإعطاء العقل منزلةً فوقَ منزلتِه التي أنزلَه الإسلام إياها، والتفريط هُو اتباع منهجُ المُهمِلين لشأن العقل القرآني في أنْ يكونَ دليلاً فِطرياً على معرفة توحيد الله وتنزيهه، وردّ المتشابه من الكتاب والسنّة إلى المُحكَم، ومنهُم أهل الجمود الظاهريّة، نعم! وهذا النوع من الكلام هُو الذي عليهِ

(١) مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين : جوابه على أهل صنعاء، ص٩٥.
(٢) العواصم والقواصم : ٣/ ٤١١- ٤١٢.

الزيدية، بلْ حتّى بعض أصحاب الفرقة السنية وإن كانوا لا يُسمّونه علـمَ كـلامْ، فالعَقـل القرآنيّ هُو العقل المُعتمد على آيات ودلائل القرآن، والقُرآن العَقلي هُـو التفكّـر والتـدبّر بالعقول الفطريّة السويّة التي تـستنبطُ المعـاني والـدّلالات الأصـوليّة الـصّحيحة وإن لم ترجِع إلى القرآن، إلاّ أنّها لن تُخالف على القرآن في نتيجتهَا، هـذا هُـو مـنهجُ أهـل البيـت عليهم السلام في الكَـلام، فـلا يغرّنـك إرجـافُ المُـرجفين في تَعمـيم ذمّ عِلـم الكَـلام، وإلحاقـه بالفلسفَات، فقصدُ هؤلاء مُصادرَة العُقول والاقتصَار على المُتـون وظـواهِر المُتـشابهَات، وهذا منهُم مَذموم بلا شَك .

ومثالُه : أن الزيدية عندما يتكلّمونَ عن قادرية أو حياة أو وجود، أوعـدم مُـشابهَة الله عز وجل لشيء من الأشياء، فإنّهم يجعلونَ للعقـلِ مجـالاً في التفكـر في لمـاذا أطلَقنـا هـذه صفات على الله عز وجل ؟!. ويعُلّل الزيدية هذا بأنْ يكونَ المُكلَّف على بينّة من عقيدتـه، ولا يهتزّ بمجرّد هبوب رياح الآيات والأحاديث المُتشابهات والشُبَه والبِدَع . ومعَ إثباتِهم لدورِ العقل إلى جانب الكتاب والسنة، فهُم لا يُغالونَ في تكليـفِ العَقـل ورفـعِ مقـدارِه ومكانَتِه التي يستحقّها، بحيث يتجاوز أدلّة الشرع القطعيّـة، وإنّـما يجعلـونَ منـهُ وسـيلةً ابتدائية لمعرفة الله ثم وسيلة لفَهم نصوص الكتاب والسنة .

ومثالُ أدلّة العقول في إثبات عقائد الزيدية، ما ذَكرُه الإمام المنصور بـالله عبـدالله بـن حمزة عليه السلام، في كتابه زُبَد الأدلّة، عندما قال :

(**فإن قيل**: ما الدليل على أن الله تعال عَدْلٌ حكيمٌ؟ .

قلت: لأنه لا يَحملُ على الجَوْرِ إلاَّ الحاجةُ والجهلُ، وقد ثبت أنَّه تعالى عالِمٌ غنيٌّ، فثبت أنَّه عَدْلٌ حكيمٌ؛ لأنَّ مَنْ عَلِمَ قُبْحَ القبيحِ وكان غنياً عنه لَم يفعلْهُ أصلاً شاهداً وغائباً.

فإن قيل: أفعال العباد منهم أو من الله تعالى؟ .

قلت: بل منهم؛ لأن الله تعالى أمرَهم ببعضها، ونهاهم عـن بعـضها، وهـو لا يـأمرهم ولا ينهاهم عن فعله؛ لأنَّه تعالى عَدْلٌ حكيمٌ.

فإن قيل: ما الدليل على أنه لا يقضي إلاَّ بالحق؟

قلت: لأن المعاصي باطل، والقضاء بالباطل قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح، وقد قال تعالى: ﴿**واللَّـهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ**﴾.

فإن قيل: ما الدليل على أن الله تعالى لا يعذب أحداً إلاَّ بذنبه، ولا يثيبه إلاَّ بعمله؟

قلت: لقوله تعالى:﴿**فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ**﴾؛ ولقوله تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾ [النجم:٣٩] .

فإن قيل: ما الدليل على أن الله تعالى لا يكلف أحداً من عبيده ما لا يطيقه؟

قلت: لأن تكليف ما لا يطاق قبيح؛ والله تعالى لا يفعل القبيح؛ ولقوله تعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّـهُ نَفْسًا الاَّ وُسْعَهَا لَهَا**﴾ [البقرة:٢٨٦] .

فإن قيل: ما الدليل على أن الله تعالى لا يشبه الأشياء؟ .

قلت: لأنه لو أشبهها لجاز عليه ما جاز عليها من التغيير والزوال، والانتقال من حال إلى حال، وذلك أمارات الحدوث، وقد ثبت أنه تعالى قديم) اهـ .

نعم! هذه باختصار بعض مسائل العقيدة التي يجبُ على المُكلَّف معرفتها بدونَ تقليد، بل لابُد مِن استقصاء الأدلة والبراهين عليها، ليكونَ المُكلَّفُ مُحصّنا من رياح التغيير والتبديل .

وفي نَظرِي أنَّ أكثر المذاهب الإسلامية تستخدِمُ أمثالَ هذه الاستدلالات النقلية والعقلية، على عقائدها ومشاربها؛ وإلى هذا يشُيرُ ابن الوزير عليه السلام، عندما قال: (والأمرُ الثاني ممّا أردته بقولي : «أصولُ ديني عَن كتابُ الله لا العَرَضُ»، النّظرُ في الأدلَّة التي أمرنَا الله تعالى أنْ ننْظُر فيها، أو حَثَّنا على النظر فيهاَ، كقوله تعالى : ﴿**أَوَلا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً**﴾ [مريم:٦٧]، وقوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ-إلى قوله-ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّـهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الحج:٥-٦]، .... وممّا لا يأتي عليهِ العدّ، وهذا أمرٌ لا يصلُحُ أن يكونَ فيه خلافٌ بينَ المُسلمين البتّة، ومَن أدَّاهُ الغُلو على تقبيح الاكتفاء بهذه الأدلّة، وجبَ على جميع

المسلمين النكيرُ عليه، والإغلاظُ لَه، وقَد ظهرَ لي أنَّهُ قولُ أئمة الكلام، فضلاً عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وسائر علماء الإسلام) اهـ[1] .

وبعدَ هذه المُقدّمة التي تكلّمنا فيها عن أنواع علم الكلام، وما هُو المذموم وما هُو المحمود، وما هو مَسلَك الزيدية في الاحتجاجات والاستدلالات العقلية، نعودُ لنتفحَّص رأي ابن الوزير، وعلى مَن مِن أصحاب الكلام انتقَد وأزرى، أعلى الغلاة أم المُعتدلين ؟ ولا شكّ في أنّه يقصدُ الغُلاة الذين أدخلوا على الإسلام ماليسَ منه، وأقحموا النّاس بآراءٍ ليسوا مُكلَّفين باقتحامها .

وفيه اعلم رحمنا ورحمك الله تعالى أنّ ابن الوزير عليه السلام كان يميلُ إلى الاكتفاء بالجُمَل في العقائد الإلهية، إذْ تكرّرَت منه هذه اللفظة في عدّة مواضع من عواصِمِه، فقالَ مادحاً لهُم، بعدَ أن ذكرَ أن متقدمي ومتأخري الزيدية لا يُعوّلونَ على علم الكلام المُبتدَع فيما نقلنَا سابقاً من كلامِه، مالفظُه : (وإذا كان هذا كلامُ منَ الزيدية والشيعة، فما ظَنُّكَ بأهلِ البيت من أهل الأثر، والفِرَق الأربع، ويُوضِّحُ ذلك تأليفُهُم المُختصراتُ المشهورة في ذلك، واقتصارُهُم على الإجمالِ والإشارات، مِن أشهرِ ذلكَ ما أودَعَهُ مُحمّد بن سُليمان رحمه الله في أول المُنتَخَب على مَذهبِ الهادي عليه السلام، فإنّهُ سألَهُ عليه السلام عن ما يكفي في مَعرِفَة الله تعالى، ودليلُ ذلك، فأوجَز لهُ الكلامَ في مقدارِ عشرَة أسطُر . وكذلكَ كلاماتُ عليٍّ عليه السلام في ذلك . وللمؤيَّد بالله عليه السلام في ذلكَ كِتابُ التّبصِرَة مُختصرٌ جِداً ..) اهـ[2].

وهُنا ابن الوزير امتدحَ ما نقلَهُ مُحمّد بن سليمان الكوفي، عن مسألته للإمام الهادي إلى الحق عليه السلام، ونسبَه إلى مماثلَة أقوال أهل البيت من أهل الأثر، فوجدنا مُحمّد بن سُليمان رحمه الله يقول : (فكانَ أوَّلَ ما سألتُهُ عنه : أنْ قُلتُ له : أيُّها الإمام رضيَ اللهُ عَنك ما تقولُ في أوّلِ ما افترَضَهُ اللهُ عَلى خَلقِه ما هُو ؟ فقال : أوّلُ ما افترَضَ اللهُ على خلقِهِ مَعرِفَتُه. قلتُ : وما أصلُ مَعرِفَتِه ؟ قال : أصلُ مَعرِفَتِهِ توحيدُه . قلتُ : وما كمالُ مَعرِفَةِ توحيده؟ قال : نفي جميع صفاتِ التشبيه له. قلتُ : فبيِّن لي كيفَ نفيُ التّشبيه عن الله

(١) العواصم والقواصم : ٣/ ٤٣٦- ٤٣٧.

(٢) العواصم والقواصم : ٣/ ٤١٩ - ٤٢٠.

بكلامٍ موجَزٍ مُختَصَر ؟ قالَ : نَعَم إن شاء الله، اعلمْ وفّقَكَ الله أنّـهُ لَم يتـوَهّم المُتوَهِمـون ولَم يتمَثَّل في عقولِهم، مثلُ صفةِ ذاتِ الله، إلاَّ كانَ اللهُ بخلافِ ذلكَ الذي يتوَهّمُهُ المُتوهّمـون، أو يتمثّلُ في عقولِهم، والشّاهِدُ بذلِكَ والدّالُ عليه قوله تبارك وتعالى : ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١]، فافهَم ذلكَ فلكَ فيه كِفايَة . قُلتُ : ثمّ ما بَعدَ هذا ؟ قالَ : أنْ تَعلمَ أنّهُ العادلُ في جميعِ أفعالِه . قلتُ : ثمّ ما بَعدَ هذا ؟ قالَ : أنّهُ لا يُخلِفُ الوعدَ والوعيد، فهـذهِ الكلـمات تُفـرِّغُ لـكَ جميـعَ مـا تحتـاجُ إليـهِ مِـن مَعرِفَـةِ ربّـك، فافهَمهَـا وتدبّرْها) اهـ[1].

ثُمَّ امتدَح ابن الوزير كلام الإمام علي عليه السلام، فَمِن كلماته المُجملَة المشهورَة عندما سُئِلَ عن التوحيد والعدل، قولهُ عليه السلام : (التوحيدُ أن لا تَتَوهّمَه، والعَدلُ أن لا تتّهِمَه) .

ثُمَّ امتدحَ ابن الوزير كتاب التبصِرة للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين سلام الله عليه، وألحقَه بما أهل البيت من أهل الأثر عليه، فراجَعنا كتاب التبصرَة، فإذا به نَـاطِقٌ بـما عليـه الزيدية اليوم من الاكتفاء في التحقيق والنظر، إلاَّ عند مُقارَعة الحجج مع الخصوم فـإنّهم يلجأوون للتطويل والإسهاب والتفرّع كما فعلَ ابن الوزير وابن تيمية، ثـمَّ إنّ مـا جـاء في التبصرة مُطابقٌ لما سبقَ ونقلناهُ عن الإمام المنصور الله عبدالله بـن حمـزَة مِـن زُبَـد الأدلّـة سابقاً بل ومُطابقٌ أيضاً لمـا جـاءَ في كتـاب العقـد الثمـين في معرفـة رب العـالمين للأمـير الحسين بن بدرالدين، ولما جاءَ في كتـاب الموعِظـة الحـسنة، ولمـا جـاءَ في كتـاب العقيـدة الصحيحة للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، ولما جاءَ في كتاب مـصباح العلـوم للعلامة أحمد بن الحسن الرصاص . وهذا حـتماً يـدخُلُ في النـوع الثـاني مـن أنـواع علـمِ الكلام حسبَ تقسيمنا أعلاه، والذي أجزمُ أن المُسلمين ينتهِجونَ بـه في الاسـتدلال عـلى عقائدهِم، كلٌ على طريقتِهِ ومَذهبِـه . وسـننقُلُ مِـنَ التبـصِرَة التـي اعتمـدَ طريقتهـا ابـن الوزير، نفسَ المسائل التي نقلناها عن زُبَد الأدلّة، وسنُضيفُ نظيرَهـا مـن كتـاب العقـد الثمين، وعلى القارئ المُقارَنة، ثمَّ الحُكم أيّ علمٍ كلام نفاهُ ابن الـوزير عـن أهـل البيـت عليهم السلام، المغالى فيه على طريقة الفلاسفة والمعتزلة ؟ أم الذي على طريقة الزيديـة مـن أهـل

(١) كتاب المُنتخَب، ص ١٩.

البيت ؟ ولو تأمّل المُنصِفُ الأقوالَ التي يسوقُها ابن الوزير على لسانِ المُتكلّمين لَعلِمَ أنّـهُ يسوقُ أقوالاً مُعتزليّةً صرفة وينسبها إليهم، ولا يسوقُ شيئاً منها على لسان أئمة الزيديـة؛ لأنّه لا توجد في الغالب لهم أقوالٌ في دقائق علم الكلام، بل لَم يهتمّوا به ذاك الاهتمام، ثـمَّ لا يَفوتُك أن تُدرِك معنى استدلالات الزيدية العقلية بما سنُورِد .

قال الإمام المؤيد بالله عليه السلام في التبصرة :

«فإنْ سألَ سائلٌ فقال : ما الدليلُ على أنّ الله لا يَفعلُ شيئاً من القبائح ؟

قيلَ لَه : الدليلُ على ذلكَ أنهُ تعالى قد ثبتَ : استغناؤهُ عن جميعِ القبائح، وكونُـهُ عالمـاً بقُبحِها، وعالمٌ باستغنائه عنها، والعالِمُ بقُبحِ القبيح متى استغنى عنـهُ، لا يجـوزُ أن يختـارَهُ على وجهٍ مِنَ الوجوه ».

قال الأمير الحسين بن بدرالدين في العقد الثمين :

«**فإن قيل**: أربك عدل حكيم؟

فقل: أجَل، فإنه لا يَفعلُ القُبْح ولايُخِلُّ بالواجب عليه من جهة الحكمة، وأفعاله كلهـا حسنة.

وإنما قلنا: إنه لايَفعلُ القبيح؛ لأنه إنما يقع ممن جَهِلَ قُبْحَـه، أو دعتـه حاجـة إلى فِعْلِـه وإنْ عَلِمَ قبحَه، وهو تعالى عالم بقبح القبائح؛ لأنها من جملة المعلومات وهو عالم بجميعها كما تقدم، وغني عن فعلها كما تقدم أيـضاً، وعـالم باسـتغنائه عنهـا، وكـل مـن كـان بهـذه الأوصاف فإنه لا يفعل القبيح».

قال الإمام المؤيد بالله عليه السلام في التبصرة :

«فإنْ قالَ قائل : فمَا الدليل على أنَّ أفعالَ العباد غـيرُ مخلوقَـة لله تعـالى وأنَّ العِبـاد هُـم الذينَ يُحدثونها ؟

قيلَ له : الـدليلُ عـلى ذلـكَ بأنّهـا تقـعُ بحـسب أحـوالهم، ودواعِـيهم، وهُـم الـذينَ يستحقون عليها المدح والذم، فثبَتَ تَعلقها بِهِم، ولا وجهَ يصحُّ مـن أجلـهِ تعلّـق الفِعـل

بالفاعل إلا الحُدوث، فواجبٌ أنْ تكونَ هذه الأفعال مُحْدَثَة من جهة العبيد، دونَ جِهَةِ الله تعالى، فبانَ أنّها غيرُ مخلوقة لله تعالى ...».

قال الأمير الحسين بن بدرالدين في العقد الثمين :

«فإن قيل: هل ربك خَلَق أفعال العباد؟

فقل: لايقول ذلك إلا أهل الضلال والعناد، كيف يأمرهم بفعل ماقد خَلَقَ وأمضى، أو ينهاهم عن فعل ما قَدْ صَوَّر وقضى؛ ولأن الإنسان يلحقه حكم فعله من المدح والثَّناء، والذَّم والاستهزاء، والثواب والجزاء، فكيف يكون ذلك من العلي الأعلى؟! ولأنه يحصل بحسب قَصْدِه ودواعيه، وينتفي بحسب كراهته وصوارفه على طريقة واحدة؛ ولأن الله تعالى قد أضاف أفعال العباد إليهم، فقال: ﴿**يَكْسِبُوْنَ**﴾، و﴿**يَمْكُرُوْنَ**﴾، و﴿**يَفْعَلُوْنَ**﴾، و﴿**يَصْنَعُوْنَ**﴾، و﴿**يَكْفُرُوْنَ**﴾، و﴿**يَخْلُقُوْنَ إِفْكاً**﴾، ونحو ذلك في القرآن كثير، ....» .

نعم! فإذا تقرّرَ كُلّ هذا، عرفتَ أنَّ ابن الوزير رحمه الله، إنّما ينعى على أقرانه من أهل عصره الطرق التي اتبعوها لتوحيد الله سبحانه وتعالى وتنزيهه، لا أنّهُ نعى عليهم أصولَ عقيدتهم، كما تقرّرَ فيما بينه وبين شيخه في الصفات من ثبوت عقيدتهما في التنزيه وعدم التشبيه وعدم الأخذ بالظاهر، ثمّ اختلفوا في طُرق الوصول إلى هذه العقيدة، فقائلٌ يقول بالتأويل، وقائلٌ يقول لا أتأولُ، لا لأني لا أؤمنُ به ولكن لأسلَمْ، وهُنا ينعى ابن الوزير أن يكونَ دقيقُ الكلام طريقاً إلى العقيدة المُحمدية، وأخذَ واكتفى بالجُمَل التي أشارَ إليها الإمام علي عليه السلام، والإمام الهادي إلى الحق، كما سبقَ وأنْ نقلنا، وأقرَّ بصحّة طريقة استنباط الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني عليه السلام للعقائد وذلك في كتابه التبصرة.

هذا وقد سبقَ وأنْ ذكَرنا شهادة ابن الوزير للزيدية عدَم خوضِها في دقيق علمِ الكلام المُبتدَع وأنّهُ ليسَ لهُم في هذا أقوالٌ مُؤصّلَة، وعضدّنا كلام ابن الوزير بكلام أئمة الزيدية وعُلمائها في دقيق علم الكلام المُبتدع الفلسفي، وما هُوَ موقفُهُم منه، ونُعضد كلامَ الجميع بما ذكرَهُ مَن درسَ فكرَ الزيدية مِنَ المُثقفين .

١ – قالَ الدكتور أحمد محمود صبحي : (والقاسم الرسي –كسائر مُتكلّمي الزيدية– تقترب آراؤهُ الكلامية منَ الفقه وتَبعُد عن الفلسَفَة، وهذا ما يُميّز الزيدية بعامّة عن

المعتزلة، ومن ثمّ لن تَجِدَ مَصدراً يونَانياً أو غيرَ يوناني، في آراءِ القاسم الرسي الكلاميّة وإنّما هيّ إسلاميّة خالِصَة) اهـ[1].

٢- قال الدكتور إمام حنفي عبدالله، وهُو أحدُ المطّلعين على الفكر الزيدي عن كَثَب: (والحقيقة أن العقل عند الزيدية، هُوَ عقلٌ قرآني، أُخِذَت أُسُسُه وقواعِدُه ممّا ذُكِرَ في القرآن الكريم، وكذلكَ ممّا لا يَختلف عليه العُقلاء ولا يتناقَض معَ أصول الدين الإسلامي وكُليّات القرآن، ولذلِكَ لا نُغالي إذا قُلنا إنّهُ عقلٌ قُرآني يشهد لهُ بكلّ حالٍ مِنَ الأحوال) اهـ[2].

٣- قال الدكتور أحمد شوقي إبراهيم : (وقَد راجَ مذهبُ الاعتزال لما فيهِ من مَظاهرِ البحث العقلية، والاعتماد على أساليب المنطق والجَدل، فَمَالَت إليه الطباع، وكَثُرَ أنصاره، وأصبحَ المذهبَ السائد بين مذاهبِ المُتكلّمين، وكانَ المعتزلة أهلُ فكرٍ ونَظر، بينما غلَبَ على الزيدية جانبُ العَمَل، ولِذَا لَم يُجارِ الزيدية المعتزلة في مسائل علمِ الكلام ودقيقه ....، ولَم يُبالِغ الزيدية مُبالَغة المعتزلة في تعليل أفعال الله، وحُريّة إرادة الإنسان)[3].

نعم ! فهذا أخي الباحث عن الصواب ما كانَ من رأي ابن الوزير رحمه الله، ومِن رأي أهل البيت عليهم السلام من الزيدية، في قضية دقيق علم الكلام الفلسفي، فمن أتاكَ بعد هذا من النّاهقين أو النّاعقين يُريدُ أن يُزهِّد النّاس في علوم أئمة أهل البيت من الزيدية، وقام يدّعي أنّهم ابتدعوا عقائد كلاميّة ليسَ عليها منهج الكتاب ولا السنّة ولا قول المُتقدّمين من أهل البيت، فأيقِن أنّه إمّا جاهلٌ أو مُتجاهِل، وبهذا الكلام أختم هذا المَبحث، على أمل تفصيلِه بإذن الله تعالى، وأصلّي وأسلّم سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطّاهرين .

****

(١) كتاب الزيدية : ص ١١١.

(٢) الصفات الإلهية عند الإمام يحيى بن الحسين : ص ١٢.

(٣) الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي : ص ٢٢٦، ٢٢٧.

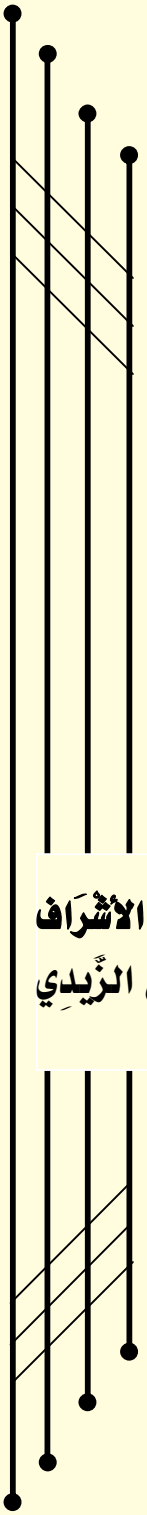

العشرون : صَرْمُ الصَّارِمِ الحَديدِي لإثْبَات تَمَذهُب السَّادَة الأشْرَاف بِالمْذهَب الشِّيعِي الزَّيدِي

صَرْمُ الصَارِم الحَدِيدِي لإثبات تَمذهب السَادة الأشْرَاف بالمذهب الشيعي الزَيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، الذي منَّ علينا برسوله الكريم ونبيه العظيم، ليزكينا، ويخرجنا من الظلمات إلى النور، وإلى الطريق المستقيم، وأنعم علينا بأهل بيت نبيه المطهرين، الذين قرنهم بكتابه المبين، واختارهم من بين بريته أجمعين، ليواصلوا نهج نبيه الأمين في الدعوة إلى الهدى والدين، وليحرسوا دينه من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وصلوات الله، وبركاته على محمد وآله الطاهرين.

وبعد:

اطلعنا على رسالةٍ حديثة المولد بعنوان (الصارم الحديدي لبتر علاقة أمراء مكة الأشراف بالمذهب الشيعي الزيدي)، فتفرّسنا في الكتابة علّنا نعرفُ ماهيّة كاتبها، فوجدنا الكاتبَ وكأنّه يعيشُ بين نارَين! نارُ التمسك بمذهبه الذي هو عليه الآن، ونارُ ما أثبتهُ التاريخ والمؤرخون مِن أن ثقلَ أهل البيت من أبناء الحسنين عليهم السلام ليسوا على ما هُو عليه الآن بل كانوا يدينون الله بما تدينُ به (الشيعة الزيدية) ربّها . فحاولَ صاحب الصوارم في رسالته بشتّى الوسائل أنْ يجمعَ بين الليل والنهارِ!، وأن يُرينا النجومَ في عِزّ الظهيرة!، وذلك واضحٌ جليٌ لمن قرأ رسالته ممّن لهم مسكةٌ في العلم بالتاريخ والأنساب الفاطمية، فوجدناهُ يتأولُ النصوص التاريخية تأولاتٍ لا تحتملها هذه النصوص، ويُحاولُ أنْ ينصرَ كلامَه بإثارة العاطفة لدى القارئ العاميّ !، ويتجلّى ذلكَ واضحاً عندما ألحقَ الصارمَ السابع، المُغاير في موضوعه لبقية الصوارم، فكأنّه يريدُ أن يدهنَ الزيتَ بالعسل، ويُغطي على الحقائق الدّالة على تزيّد هؤلاء الأمراء والتي ذكرَ بعضها في رسالته وتركَ الكثير، بذكرِه للصارم السابع الذي استفتحَهُ بقوله: (ما بالُ كبار علماء الزيدية تحولّوا لمنهج أهل السنة والجماعة!)، يريدُ أن يُنفّر القارئ عن البحث حول هذه الفرقة -الشيعة الزيدية-، التي بحق نجدها أول فرقةٍ تجذب انتباه الباحث المتجرد عن العصبية والمذهبية والصادق مع نفسه، فما أنْ يُريدُ الشخص تلمّس ماذا كان عليه أهل البيت ؟ وماذا كان

يجمعُ سوادَهم ؟ فإن الجواب الحتمي سيقول: (الزيدية)، وسنتكلم عن هذا بتفصيلٍ وبإجمالٍ خلال رسالتنا هذه التي وسمناها بـ (صرم الصارم الحديدي وإثبات علاقة السادة الأشراف بالمذهب الشيعي الزيدي). سائلينَ المولى عز وجل أنْ يكون صوابها أكثر من خطأها، وحقها أكثرَ من باطلها.

فنقول فيها وعلى الله التكلان:

بدأ الأخ في الله بذكر أنّ البيئة الحجازية بعموم والبيئة المكية على وجه الخصوص، قد حارَبَت المذهب الزيدي، وشنَّعت عليه وعلى أتباعه –وسنعرفُ مَن هُم أربابه والقائمون عليه قريباً– والدُعاة إليه، وأنّ هذا المذهبَ القادمُ من اليمن مذهبٌ باطلٌ بدعيٌ يدعو إلى الضلال وإلى هدم السنة النبوية المطهرة، واستدلّ صاحب الصوارم بحديثٍ عن رسول الله صلوات الله عليه وآله يقولُ فيه: «غلظ القلوب والجفاء في المشرق والإيمان في أهل الحجاز» وقال: رواه مسلم . وكأنّه يُريدُ أن يقولَ للقارئ أنّ الحجاز لن يبقى فيها هذا المذهبَ الباطل؛ لأنّ الرسول ﷺ قد أخبرنا أنّ الإيمان يبقى في الحجاز، وبدليل أنّه مذهبٌ مُحاربٌ مِن قبلِ أهل الحجاز، فهوَ مذهبٌ يمانيٌ دخيلٌ على مذاهب أهل السنة والجماعة مُجانبٌ للحق واقعٌ في الباطل، والحق أنّ الأخبارَ التي ورَدَت على لسان رسول الله ﷺ في فضل الديار اليمانية وأهلها، تلك الديار التي ما تكادُ تُذكرُ حتى يُذكر (الشيعة الزيدية) قبلها! أحاديثُ كثيرةٌ وصحيحة، والتي منها:

- ما رواه البخاري في (صحيحه) (ح ٤١٢٨)، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان يمان، والفتنة ها هنا، ها هُنَا يَطلع قرنُ الشيطان» يقصد بها هُنا يطلع قرن الشيطان بلاد نجد هكذا جاء في بعض الأحاديث الصحيحة، وبعض الأحاديث تقول المشرق هكذا .

- أيضاً ما رواه مسلم في (صحيحه) (ح ٥٢) من كتاب الإيمان، عن أبي هريرة، أنّ رسول الله ﷺ قال: «جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية» .

- أيضاً ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده (ح ٩٢١٥) في مسند أبي هريرة، عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ: «نحا بيده نحو اليمن – ثم قال-: الإيمان يمان، الإيمان يمان، الإيمان يمان، رأس الكفر المشرق!، و الكبر و الفخر في الفدادين أصحاب الوبر ».

وهذه الأحاديث تجعلنا نقفُ على ما لليمن من أهميّة في معرفة الإيمان المحمديّ الصحيح، معَ العلم أن اليمن لم تشتهر إلاّ بالمذهب الزيدي الذي دخلَ إليها على فتراتٍ متقطعة، فمرةً على يد الإمام يحيى -صاحب الدّيلم- بن عبدالله المحض عليهما السلام، ثم على يد إبراهيمَ بن موسى الكاظم عليهما السلام، ثمّ على يد الإمام القاسم الرسي عليه السلام، وأخيراً على يد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام عام ٢٨٠هـ وعمره ٣٥ سنة، وما زالت اليمن من ذلك الحين إلى يومنا هذا مركِزَ ثِقَل الزيدية وعاصمتهم الدينية .

نعم ! فلنتكلمّ أخي الباحث عن الصواب قليلاً عن حديث الثقلين الذي كادَ أن يبلُغ في تواتره ما بلغه خبر الغدير، وهُو مع ذلك مُتواترٌ معنويّا، وعن أهمية ومدلولات هذا الخبر، فقد قال رسول الله صلوات الله عليه وآله لأصحابه: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» حديثٌ صحيح متواترٌ رواه الترمذي وأبو يعلى وغيرهما، وقوله ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرقَ وهوى» أخرجه الحاكم في المستدرك، ستجدُ أنّ أهل البيت مع القرآن، والقرآن معهم، مُتلازمان لا يفترقان إلى يوم القيامة، وأنّهم بمثابة سفينة نوح، وبركوبِ هذه السفينة والتمذهب بمذهبها ننجوا ونجاوز الصراط بإذن الله .

فعلامَ كان دينُ أهل البيت ؟ وعلامَ اتفقوا عليه على بُعدِ ديارهم وانقطاعِ أخبارهم؟ ولنتجّه قليلاً إلى أهل الحجاز العصبة العلوية الفاطمية في القرون الثلاثة الأولى وما يليها سنجدهم (زيدية) ؟ ثمّ فلنتجه إلى المغرب العربي سنجد أن المصادر التاريخية تُثبتُ علاقة الزيدية بدعوة الإمام إدريس بن عبدالله عليه السلام، ثمّ فلنتجه إلى بلاد الجيل والدّيلم

-شمال إيران- سنجدّ أنّ العصبة العلوية الفاطمية هُناك كانت على (المذهب الزيدي)، ثُم فلنتجه إلى الكوفة سنجدُ أنّ العصبة العلوية الفاطمية هُناك كانت على (المذهب الزيدي)، ثمّ فلنتجه إلى الديار اليمانية سنجدُ أنّ العُصْبة العلوية الفاطمية هُناك على (المذهب الزيدي) . وستعرف قريباً أخي الباحث أن هؤلاء العلويين الفاطميين على اختلاف بلادهم كانوا يدينون الله بدينٍ واحد، آلا وهُو مذهب الإمام زيد بن علي زين العابدين عليه السلام، إلى أعصارٍ متأخرة، ثم تشكّل النّاس بفعل الظروف السياسية، وربّما الجهل، وربّما الاغترار بالكثرة، **نعم !** تشكّلَ كثيرٌ من هؤلاء الفاطميين بمذاهبَ شتّى، ولكن الفترة التي بقيَ فيها هؤلاء السادة الأشراف على مذهبٍ واحد -تقريباً إلى القرن التاسع- تجعلنا نعرفُ مذهب أهل البيت القُدامى بكل وثوقٍ وثبات .

وحانَ وقتُ دراسة اتصالِ أهل البيت عليهم السلام في الحجاز وغير الحجاز بالشيعة الزيدية، وسُنحاولُ قدر المُستطاع ذكرَ المتقدمينَ مع المتأخرينَ، كي ترسخ الصورة في عقل القارئ، وسنعملُ أيضاً على إبطال التأولات المُتعسّفة التي تأولّها صاحب الصوارم بما يخدمُ مُرادَه .

ولكن بعدَ أنْ نذكرَ نقطةً مهمة وقعَ فيها صاحب الصوارم، وهي أنّ أشراف الحجاز لم يكونوا زيدية في مُعتقداتهم -فيما بينهم وبين ربهم- وإنّما كانوا يتزيّنونَ سياسياً بالدعوة والخطبة لأئمة اليمن -العباءة السياسية-، ورُبما حاولَ أن يُوهِم أن هذا لأسبابٍ اقتصادية ودعمٍ مادي إلى جانب الوضع السياسي بالدرجة الأولى . -انظر الصارم الثالث-.

وهذا قولٌ خطير يُوهمنا أنّ أمراء مكة وأشراف الحجاز أعزّهم الله أتباعُ كل ناعق! -كما يتّضح هذا جلياً عند تأمّلك نهاية الصارم الثاني وبداية الصارم الثالث (فترى أنّ ولاءَ أشرافَ مكة المكرمة تَبَعٌ لصاحب أكبر صلة -نهاية الصارم الثاني-) فيكون حال هؤلاء الأمراء غير ثابت، فتارةً إلى العباسيين وتارةً إلى العبيديين وتارةً إلى الزيديين تَبعاً للمصلحة .

وهُنا قد نوافق صاحب الصوارمِ إنْ كانَ يُريدُ أنْ يقول: أنّ هُؤلاء الأمراء يقعونَ تحتَ ضغوطٍ سياسية لا قِبَلَ لهم بها، ونتيجةً لهذه الضغوط يخطبون للعبيدي تارةً وللعبّاسي الأخرى، ولكن لا ندري أي ظروفٍ تجعلهم يخطبونَ لأئمة اليمن الزيدية؟! فلا أئمة الزيدية أرسلوا جيوشهم إلى مكة، ولا أرسلوا تهديداتهم وتوعداتهم! وفي الغالب لم يُرسلوا خُلعاً وأموالاً وكنوزاً يُغرونَ بها أُمراء مكة!.

وما لا نوافقُ عليه أنْ يكونَ قَصْدُ صاحب الصوارم: أنّ هُؤلاء الأمراء يقعونَ تحتَ ضغوطٍ سياسية لا قِبَلَ لهم بها، ونتيجةً لهذه الضغوط فإنّهم عندما يخطبونَ لصاحبِ بغداد الخليفة العباسي يميلون إلى أهل السنة والجماعة، وعندما يخطبونَ لصاحب مصر الخليفة العبيدي يميلون إلى الإسماعيلية، وعندما يخطبون لصاحب اليمن الإمام الزيدي يميلون إلى الشيعة الزيدية! فخلفيتهم المذهبية سطحية كما قدْ ذكرَ هذا صاحب الصوارم على لسان سنوك: (غير أنه من المؤكد أن سادة مكة في الحياة العملية كانوا يغيرون اتجاهاتهم السياسية بسرعة الريح، وهم أكثر سطحية في اعتقاداتهم الدينية، حيث لم يكونوا على مستوى عالٍ من الثقافة والعلم) ثم قام صاحب الصوارم بتأييد سنوك عندما قال: (أما سطحية اعتقاداتهم الدينية يعود لمنشأهم الريفي،فقد كان الشريف قتادة رحمه الله وقومه ظواعن بادية، ومتدينون بالفطرة!، لايغالون في المذهبية، وجل اهتمامهم بالفروسية والشجاعة والكرم، والتطلع للإمارة، وهم بها أليق رحمهم الله)، والخلاف هُنا حولَ لفظة (اعتقاداتهم سطحية)، أي أنّه ليسَ لهم مذهبٌ ثابت !، فقد يتشكلون دينياً بسهولةٍ بسبب سطحية اعتقاداتهم، وعدم مُغالاتهم في المذهبية!، وهذا قولٌ باطلٌ يرفضه العقل قبل النقل التاريخي، فالعقلُ أن يكون هؤلاء الأمراء متلونين سياسياً ولكن أن يكونوا مُتلونين مذهبياً!، فهذا أمرٌ عظيم .

والحقُّ أنّ مُعظَم إنْ لم تكن جميع المصادر التاريخية تُشير إلى أنّ المذهب الذي كان يدين الله به أشراف الحجاز أُمراءً وغير أُمراء هُو المذهب الشيعي الزيدي، وأنّه لادينَ يُعرَفونَ به في أزمانهم الاّ الزيدية، فتأمّل أخي الباحث واطّرح العنصرية جانباً، تَعرِف

مذهبَ أهل البيت عليهم السلام، وماذا كانوا عليه، وهُنا سنسوقُ أقوالَ المؤرخين في أهل البيت عليهم السلام المتقدمين والمتأخرين ومَن هُم أتباعهم وأنصارُهم وخاصّتهم.

أقوال المؤرخين في أهل البيت عليهم السلام المتقدمين والمتأخرين

١ - قال ابن كثير بعدَ أن ذكرَ خبرَ الرافضة مع الإمام زيد بن علي عليه السلام (٧٥-١٢٢ هـ) ما نصّه: (ومن تابعه -زيد بن علي- من الناس على قوله سُمّوا الزيدية، وغالب أهل الكوفة منهم رافضة، وغالب أهل مكة إلى اليوم على مذهب الزيدية وفي مذهبهم حق، وهو تعديل الشيخين، وباطل، وهو اعتقاد تقديم علي عليهما) [1].

تعليق:

أ - ابن كثير توفي عام ٧٧٤هـ.

ب - تأمّل قوله: (وغالب أهل مكة إلى اليوم على مذهب الزيدية) يتضح من كلامه أنّ سواد أهل مكة على المذهب الزيدي، وأنّهم يُقدمون علي بن أبي طالب عليه السلام على المشائخ - أبي بكر وعمر وعثمان -.

ت - نجد أن ابن كثير كان يقصد بتلك الفترة التي كان أغلب أهل مكة فيها زيدية هي فترة رميثة بن أبي نمي المتوفي عام ٧٤٨ هـ -ذكرَ هذا التاريخ أبو الفضل أحمد صاحب الدرر الكامنة-، وبعد وفاة رميثة صارت الإمرة في ذلك العهد لأبناء رميثة، ثقبة وعجلان الذي يذكر بعض المؤرخين كالفاسي في العقد الثمين أنّه كان يميلُ إلى الشافعية وأنّه تولّى الحكم عام ٧٤٥هـ -أعني عجلان- على خلاف جمهور أهل بيته فإنهم كانوا زيدية، بل ويذكر بعض المؤرخين أنّ عجلان كانَ شديداً على الزيدية وسنتعرض لهذا عندما نتكلم عن أشراف الحجاز . (انظر الصارم الرابع). فتأمّل كيفَ تُوفِّق بين أنّ يكون سوادَ أهل مكة على مذهب الزيدية، وكون الحكومة الحسنية

(١) البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٣٠ - ٣٣١.

وعامّة أهل السنة مُحاربينَ لها!. وستجدُ ما يشفي الغليل إن شاء الله في أرجاء هذه الرسالة .

٢- قال محمد بن جرير الطبري مُتكلماً عن الإمام يحيى بن زيد بن علي عليه السلام (ت ١٢٦هـ): (فلمّا سكنَ الطلب، خرجَ يحيى في نفرٍ من الزيدية إلى خراسان) [١].

٣- قال الذهبي ذاكراً سيرة يعقوب بن داود الفارسي ما نصّه: (يعقوب: الوزير الكبير الزاهد الخاشع أبو يعقوب بن داود بن طهمان الفارسي .... فلما خرج هناك يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بعد مصرع أبيه زيد كان داود – والد يعقوب- يناصح يحيى سرا ثم قتل يحيى .... وتخرج أولاده –أولاد داود- في الآداب، وهلك أبوهم ثم أظهروا مقالة الزيدية وانضموا إلى آل حسن .... ثم صار أخوه علي بن داود كاتبا لإبراهيم بن عبدالله الثائر بالبصرة) [٢].

٤- قال محمد بن جرير الطبري: (مكثَ المهدي –العباسي- بُرْهَةً من دهره يطلب عيسى بن زيد والحسن بن إبراهيم بن عبد الله بعد هرب الحسن من حبسه، فقال المهدي يوماً: لو وَجَدتُ رجلاً من الزيدية له معرفة بآل حسن وبعيسى بن زيد وله فِقه، فأجتلبه إليَّ على طريق الفقه، فَيدخُلَ بيني وبين آل حسن وعيسى بن زيد، فَدُلَّ على يعقوب بن داود .... ولمّا علم آل الحسن بن علي بصنيعه استوحشوا منه) [٣].

٥- قال محمد بن جرير الطبري، مُتكلماً عن إبراهيم النفس الرضيّة بن عبدالله المحض (ت ١٤٥ هـ) ما نصّه: (وذكرَ عبد الحميد أنه سأل أبا صلابة كيف قُتِلَ إبراهيم ؟... فأتته نشابة عابرة فأصابته في لبته فرأيته اعتنق فرسه وكر راجعاً وأطافت به الزيدية)[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ج٤ ص ٢٠٩، أيضاً انظر : البداية والنهاية لابن كثير ج٩ ص٣٣١.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٣٤٦ ، أيضاً انظر: تاريخ الطبري ج٤ ص٥٧٤.

(٣) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٥٧٥.

(٤) تاريخ الطبري ج٤ ص ٤٧٦.

٦- قال اليعقوبي أحمد مُتكلماً عن إبراهيم ومحمد ابني عبدالله المحض، ما نصّه: (وبقي إبراهيم في أربعمائة من الزيدية يحارب أشد محاربة وكان إبراهيم يدعو إلى أخيه محمد فلما قتل محمد دعا إلى نفسه) (١).

٧- قال محمد بن جرير الطبري مُتكلماً عن النفس الزكية، ما نصّه: (فأقام بها حتى خرج محمد بن عبد الله بالمدينة وإبراهيم بالبصرة فوجه محمد بن عبد الله إليه ابنه عبد الله بن محمد الذي يقال له الأشتر في نفر من الزيدية) (٢).

٨- قال ابن النديم، مُتكلماً عن ترجمان الدين الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا (ت ٢٤٦ هـ)، ما نصّه: (العلوي الرسي: وهو القاسم بن إبراهيم – جد- صاحب صعدة، من الزيدية وإليه ينتسب الزيدية القاسمية وله من الكتب كتاب الأشربة كتاب الإمامة كتاب الأيمان والنذور كتاب سياسة النفس كتاب الرد على الرافضة)(٣).

تعليق: سُميت بالزيدية القاسمية؛ لأنّهم أخذوا باجتهادات وبآراء الإمام القاسم في الفقه.

٩- روى الإمام القاسم العياني بن علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي (٣١٠-٣٩٣هـ) أنّ جدّه ترجمان الدين الإمام القاسم الرسي قال: (أَدْرَكْتُ مَشْيَخَةَ آل مُحَمَّدٍ مِنْ وَلَدِ الحَسَنْ والحُسَينْ وَمَا بَيْنَهُمْ اخْتِلاف).

تعليق:

أ -الإمام نجم آل الرسول القاسم الرسي وُلِد عام ١٦٩هـ (تأمّل) وتوفي بالرَّس من المدينة المنورة عام ٢٤٦ هـ .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٣٧٨.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٤٩٨.

(٣) الفهرست ص ٢٧٤.

ب -ذِكْر مَن عاصَرَهم القاسم الرسي من مشيخة بني الحسن والحسين عليهم السلام:

١- الإمام يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

٢- الإمام إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت١٧٧هـ) .

٣- الإمام موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت حول الـ ١٨٠هـ).

٤- الإمام موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت١٨٣هـ).

٥- الإمام الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت١٩٠هـ).

٦- الإمام إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت ١٩٠هـ).

٧- الإمام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم الشبه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت١٩٩هـ).

٨- الإمام محمد بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت ٢٠٠هـ) .

٩- الإمام محمد بن محمد بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت٢٠١هـ).

١٠- الإمام علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت٢٠٣هـ).

١١- السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (ت٢٠٨هـ) .

١٢- الإمام علي العريضي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت٢١٠هـ) .

١٣- الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت٢١٣هـ).

١٤- الإمام محمد بن القاسم بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت بعد ٢٢٩هـ وهو تاريخ خروجه من الحبس)

١٥- الإمام يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت القرن الثاني).

١٦- الإمام أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٢٤٧هـ).

١٧- الإمام الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت٢٦٠هـ) .

١٨- الإمام عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت٢٤٧هـ) .

* وإلى السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد عليها السلام يُشيرُ الإمام القاسم الرسي عندما قال: (قرأت مُصْحَفَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوانَ الله عَليه عِند عَجوزٍ مسنة – السيدة نفيسة– من ولد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فوجدته مكتوباً أجزاء بخطوط مختلفة، في أسفل جزء منها مكتوب: وكتب علي بن أبي طالب، وفي أسفل آخر: وكتب عمار بن ياسر، وفي آخر: وكتب المقداد، وفي آخر: وكتب سلمان الفارسي، وفي آخر: وكتب أبو ذر الغفاري؛ كأنهم تعاونوا على كتابته. قال جدي القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه: فقرأته فإذا هو هذا القرآن الذي في أيدي الناس حرفًا حرفاً، لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً، غير أنّ مكان ﴿**قَاتِلُواْ الذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الكُفَّارِ**﴾ [التوبة:١٢٣]، ﴿**اقْتُلواْ الذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الكُفَّارِ**﴾، وقرأت فيه المعوذتين.) [يروي هذه الرواية الإمام الهادي عن أبي عن جده، في كتاب الرد على مَن زعمَ أن القرآن ذهبَ بعضه؛ للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، ضمن مجموع الإمام الهادي].

١٠- ذكرَ السيد يوسف بن عبدالله جمل الليل مُتكلماً عن الإمام عبدالله بن موسى الجون (ت ٢٤٧ هـ)، ما نصّه: (ونُعِيَ عبدالله إلى المتوكل - العباسي - ونُعيَ له أحمد بن عيسى - بن زيد بن علي- فاغتبط بوفاتهما وسُرَّ، وكانَ يخافُهما خوفاً شديداً لِما يَعْلَمُه من فضلهما واستنصار الشيعة الزيدية بهما وطاعتها لهم لو أرادا الخروج عليه)[١].

١١- قال محمد بن جرير الطبري: (ثم دخلت سنة خمسين ومائتين ... فمن ذلك ما كان من ظهور يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه المكنى بأبي الحسين بالكوفة ... وأمه أم الحسين فاطمةبنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .... ثم خرج يحيى بن عمر من الكوفة إلى سوادها فصار إلى موضع يقال له: بستان ... ولم يقم بالكوفة وتبعته جماعة من الزيدية ... ودخل يحيى بن عمر الكوفة واجتمعت إليه الزيدية ودعا إلى الرضا من آل محمد) [٢]، أيضاً انظر [٣].

١٢- قال الذهبي: (محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن زين العابدين علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب العلوي الحسيني الزاهد الملقب بالصوفي للبسه الصوف كان فقيها عالما عاملا عابدا معظما عند الزيدية ظهر بالطالقان ودعا إلى الرضا من آل محمد) [٤].

تعليق: يُعرف بالإمام محمد بن القاسم الطالقاني، واعتقد بعض جهلة الزيدية برجعته، توفي بعد العام ٢٢٩ هـ وهو عام خروجه من السجن العباسي .

١٣- قال محمد بن جرير الطبري: (وفيها خرج بالكوفة رجل من الطالبيين يقال له الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي بن حسين بن علي بن أبي

(١) الشجرة الزكية في الأنساب وسيرة آل بيت النبوة ص ٤٨٤.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص٣٦٠- ٣٦١.

(٣) الكامل في التاريخ لمحمد الشيباني ج٦ ص١٥٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ١٩١ - ١٩٢.

طالب فاستخلف بها رجلا منهم يقال له محمد بن جعفر بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن حسن ويُكنى أبا أحمد فوجه إليه المستعين مزاحم بن خاقان أرطوج، وكان العلوي بسواد الكوفية في ثلاثمائة رجل من بني أسد وثلاثمائة رجل من الجارودية والزيدية وعامتهم صوفية) [1].

١٤- قال عبدالرحمن بن خلدون: (وبقي أمر الزيدية بعد ذلك غير منتظم، وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان، وهو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السبط، وأخوه محمد بن زيد، ثم قام بهذه الدعوة في الدّيلم الناصر الأطروش منهم، وأسلموا على يده، وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر، وعمر أخو زيد بن علي فكانت لبنيه بطبرستان دولة، وتوصل الدّيلم من نسبهم إلى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد كما نذكر في أخبارهم) [2]، أيضاً انظر [3].

١٥- الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي، إمام الزيدية في اليمن، وهُو أظهرُ من أن نُعرّف بانتمائه لمذهب أهل بيته الزيدية، وقد ترجمَ له ابن حجر العسقلاني، وذكرهُ وذكرَ كُتبه ابن النديم في الفهرست (ص ٢٧٤) وغيرهما .

١٦- قالَ ابن النديم: (كبير الزيدية الداعي إلى الله الإمام الناصر للحق الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام على مذهب الزيدية) [4].

١٧- قال الذهبي: (العلوي الإمام المحدث الثقة العالم الفقيه مسند الكوفة أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن- والصحيح هو محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد البطحاني بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب العلوي -العلوي الكوفي ...حدث عنه أبو

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٩٥.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٢٠٠ – ٢٠١.

(٣) الفهرست لابن النديم ج١ ص ٢٧٤.

(٤) الفهرست ص ٢٧٣.

منصور أحمد بن عبد الله العلوي ... وآخر من روى عنه بالإجازة عمر بن إبراهيم الزيدي النحوي، قال ابن النرسي: مات بالكوفة في ربيع الأول سنة خمسٍ وأربعين وأربعمائة، قال: ومولده في رجب سنة سبع وستين وثلاثمائة ما رأيت من كان يفهم فقه الحديث مثله، قال: وكان حافظا خرج عنه الحافظ الصوري وأفاد عنه وكان يفتخر به). [1]

* للحافظ أبي عبدالله العلوي من المؤلفات على مذهب الزيدية: الجامع الكافي، وكتاب الأذان بحي على خير العمل –رواه عنه الشريف عمر إبراهيم الزيدي بالإجازة كما سيأتي قريباً –، وكتاب تسمية من روى عن الإمام زيد بن علي عليه السلام وكتاب التعازي، وكتاب فضل الكوفة، وكتاب التاريخ، وكتاب فضل زيارة الحسين .

* وهنا نذكرُ ما نقله ياقوت الحموي في معجم الأدباء: (عن السمعاني أنه قال في ترجمة الحافظ عمر بن إبراهيم العلوي الزيدي –المتوفى سنة ٥٣٩ هـ وأحد الرواة عن أبي عبد الله –بالإجازة–: أخرج إليَّ شذرة من مسموعاته – على الحافظ محمد بن علي العلوي– وجعلت أتفقد فيها حديث الكوفيين فوجدت فيها جزءاً مترجماً –أي معنوناً– بتصحيح الأذان بحي على خير العمل فأخذته لأطالعه، فأخذه من يدي وقال: هذا لايصلح لك، له طلاب غيرك، ثم قال: ينبغي للعالم أن يكون عنده كل شيء، فإن لكل نوع طالباً) . وستأتي ترجمة الشريف عمر بن إبراهيم قريباً .

* كتاب الأذان بحي على خير العمل، للحافظ محمد بن علي العلوي عليه السلام، من أفضل ما صُنّف في الانتصار للفظة (حي على خير العمل)، وأنّه مذهب أهل البيت عليهم السلام .

١٨– قال الذهبي: (الشيخ العلامة المقريء النحوي عالم الكوفة وشيخ الزيدية أبو البركات عمر بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٦٣٦.

حمزة بن يحيى بن الحسين بن الشهيد زيد بن علي العلوي الزيدي الكوفي الحنفي إمام مسجد أبي إسحاق السبيعي ولد سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة وله إجازة من محمد بن علي بن عبد الرحمن العلوي تفرد بها ... قال السمعاني: شيخٌ كبير له معرفة بالفقه، والحديث، واللغة، والتفسير، والنحو، وله التصانيف في النحو، وهو فقير قانع باليسير سمعته يقول: أنا زيدي المذهب لكني أفتي على مذهب السلطان، وحكى الحافظ ابن عساكر عن شيخ حدثه عن أبي البركات أنه يقول بالقدر وبخلق القرآن، توفي في شعبان سنة ٥٣٩) [1]، وانظر أيضاً [2] .

* تأمّل أن عمر بن إبراهيم القائل بخلق القرآن ونفي قضاء الله للمعاصي على العباد، هُو تلميذُ الحافظ أبي عبدالله محمد بن علي العلوي الزيدي، والوحيد الذي انفردَ بإجازة منه.

* جاء في ترجمة الشريف عمر بن إبراهيم أنه العلوي الكوفي " الحنفي "، جاء في شذرات الذهب لعبدالحي الدمشقي ج٢ ص ١٢١ أن الشريف عمر بن إبراهيم كان يقول: (أُفتي برأي أبي حنيفة ظاهراً، وبمذهب جدي زيد بن علي تديناً، وقد اتهم بالرفض والقدر).

- إلى هنا أكتفي بذكر هذه النماذج العلوية الفاطمية الزيدية المُنتمية إلى بيئات وأوطان مختلفة، والمُجتمِعَة على مذهب زيد بن علي عليه السلام، معَ العلم أنّي لم أذكر تراجم سادة الجيل والدّيلم وطبرستان اختصاراً، وإلاّ فهي مبسوطة في كتب الزيدية التاريخية وغيرهم، ككتاب هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين للهادي بن إبراهيم الوزير الحسني عليه السلام، وكتاب التحف شرح الزلف لإمام الزيدية في هذا الزمان السيد مجدالدين بن محمد المؤيدي الحسني حفظه الله وأبقاه[3]، وكتاب أئمة أهل البيت

(١) سير أعلام النبلاء ج ٢٠ ص ١٤٥ – ١٤٦.

(٢) شذرات الذهب لعبدالحي الدمشقي ج٢ ص١٢٢.

(٣) أثناء كتابة البحث كان الإمام مجد الدين المؤيدي رحمه الله تعالى ما يزال على قيد الحياة.

خارج اليمن لعباس محمد زيد الحسني وغيرها . وبهذا نجد أن العلويين الفاطميين في الكوفة وفي الجيل والدّيلم وطبرستان وفي اليمن كانوا على رأيٍ واحد وعلى مذهبٍ واحد، وهو مذهب الإمام زيد بن علي مذهب أهل البيت عليهم السلام، وتبقّى لنا دراسة حالَ أهل البيت في الحجاز فهل سيُوافقون أبناء عمومتهم في المذهب أم لا؟!.

فنقول: بعد أن نُعرّض على ما قاله صاحب الصوارم من أنّ زيدية اليمن هُم سبب تشويه سمعة أمراء مكة تاريخياً! وهذا كلامٌ عجيب يُغنينا الإنصاف فيه عن الإسهاب، أفتجدُ الزيدية أخبروا الرحالة أحمد بن محمد بن جبير الأندلسي بأنّ أشراف مكة زيدية!، أم أنّه حضرَ مكة أثناءَ رحلته وشاهدَ حالَ الأشراف فكتبَ عنهم!، اللهم صل على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين .

أشراف الحجاز

١٩- قال ابن خلدون: (فحدثت الرياسة فيها لبني سليمان بن داود بن حسن المثنى بن الحسن السبط، وكان كبيرهم آخر المائة الثانية محمد بن سليمان ... وكان يلقب بالزيدي نسبة إلى نحلته من مذاهب الإمامية) (١) .

تعليق: البعض يذهب إلى أن الزيدية فرقةٌ من فرق الإمامية، وهذا قولٌ باطل، وقد يكونُ المراد من فرق الشيعة بعُموم القائلين بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وإمامة ذريّته .

٢٠- الشريف قتادة بن إدريس بن مطاعن عليه السلام، أمير مكة المكرمة وحامي حمى الإسلام في الديار الحجازية، الجد الجامع للقتادات الذين ظلّوا يتوارثون حكم الحجاز إلى سنة ١٣٤٤ هـ .

أ- قال ابن سعيد بعدَ أن ذكرَ وفاة أبي عزيز وشيئاً من حال أجداده ما نصّه: (وكان أبو عزيز أدهى وأشهرَ من ملكَ مكة منهم، وكان يخطب للخليفة الناصر ثمّ يخطب لنفسه بالأمير المنصور) (٢).

(١) مقدمة ابن خلدون ج٢ ص ٩٥.

(٢) نقلاً عن الإشراف على تاريخ الأشراف للبلاذري ص ٥٦.

تعليق: كان الإمام عبدالله بن حمزة (ت ٦١٤ هـ) يُلقب بالمنصور بالله، ولعلّ بل من المؤكّد -أقلّه بالنّسبة لي- أن ابن سعيد وَهِم في كلامه، والصحيح أنّه كان يخطب للمنصور بالله عبدالله بن حمزة إمام الزيدية في اليمن، وهناك احتمالٌ آخر قد يرد أنه كان يقصد المنصور الرسولي .

ب- قال أبو شامة في أخبار سنة سبع عشرة وستمائة: (وفيها -في جمادى الأولى- ماتَ بمكة أبو عزيز قتادة بن إدريس أمير مكة، الشريف الحسني الزيدي، وكانَ عادلاً ومنصفاً ... وكانَ في زمانِه يُؤذّنُ بحيّ على خير العمل على مذهب الزيدية) [1] .

جـ - قال ابن كثير: (قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم العلوي الحسني الزيدي .... وقد كانَ قتادة من أكابر الأشراف الحسنيين الزيديين وكانَ عادلاً مُنصفاً) [2].

د- أيضاً قال الشريف محمد بن علي الحسني – من أحفاد الشريف قتادة بن إدريس عليه السلام: (كانَ الشريف قتادة بن إدريس على مذهب أهل بيته، وذلكَ أنّه على كتاب الله وسنة نبيه تابعاً للإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ....وكانَ في زمانه يُؤذّن بحيّ على خير العمل على مذهب الزيدية، وهذه هي شهادة مؤلفي القرون التي بعده، وهي أشد وأصحّ رأيٍ في هذا الإمام الجليل) اهـ [3].

وهو إن شاء الله أصح الأقوال في زيدية الشريف قتادة رحمه الله، ولكي نؤكِد هذا بعد أن استعرضنا بعض كلام علماء ومؤرخي غير الزيدية، سنذكر أقوالَ الزيدية في الشريف أبي عزيز قتادة عليه السلام .

---

(١) نقلاً عن الإشراف على تاريخ الأشراف للبلاذري ص ٥٨.

(٢) البداية والنهاية ج١٣ ص ١٠٩.

(٣) الفصول اللؤلؤية في بعض أنساب الأسر الحسنية ص١١٨ -١٢٢.

[ماذا قالَ علماء ومؤرخو الزيدية عن الشريف قتادة بن إدريس رحمه الله تعالى؟]

أ – قال كبير الزيدية في عصرنا هذا السيد مجدالدين بن محمد المؤيدي الحسني حفظه الله: (وقتادة بن إدريس من أعلام العترة وكرام الأسرة، وكان من أنصار الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام، وقد ترجم له في مطلع البدور، وأثنى عليه بما هو أهله، وذكر طرفاً من فرائد قصائد الإمام إليه) (١).

ب – قال أبو فراس بن دعثم كاتب سيرة الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (السيرة المنصورية الشريفة)، قال ما نصّه: (ووصلَت كُتُب أبي عزيز قتادة بن إدريس تفوق ما نرجوه، جدَّدَ البيعةَ على نفسه وعلى طائفة من بني حسن، عقبة بن يحيى فمَن دونه)(٢).

ج – أنشأَ الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام، لمّا قرعَ مسمعه أنَّ الشريف قتادة جدَّدَ له البيعة في الحجاز ودعاَ له، قصيدةً فريدة غراء قال فيها:

ألا أبلغا عنّي على بُعدِ داره ... قتادةَ والفتح والمبين يشيعُ
بأنَّ الكُماةَ الصيدَ قصَّافةَ القنا ... أتتها جموعٌ منهم وجموعُ

إلى أن قال:

فَقُلْ لأبي الأضياف أعني قَتَادةً ... فتىً بان منه العتقُ وهو رضيعُ
لِيَهْنَكَ أنْ أصبحت تدعو إلى ... وجودُكَ مبذول وأنت منيعُ
جَمَعْتَ لنا شمل العشيرة بعدما ... تشعَّبت واعتال الجميعَ نزوعُ

إلى أن قال:

كَذَا فليكنْ آل النبي محمد ... وإلاّ فبعض المتمين ولوعُ
فَقُمْ غاضباً لله قَومةَ ثائرٍ ... يَرُدُّ صبورَ القوم وهو جَزوعُ
فأنت لداعي الحق حِصْنٌ ومعقل ... وسيف حسام قاطع وقطيعُ(٣)

---

(١) التحف شرح الزلف ضمن سيرة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم.
(٢) السيرة المنصورية الشريفة ص ٦٢ ط دار الفكر المعاصر بيروت .
(٣) انتهى من السيرة المنصورية .

د – قال أبو فراس ما نصه: (قال الفقيه – قاضي الزيدية في مكة بهاء الدين علي بن أحمد الأكوع –: وكنتُ قد قرأتُ عليه – على قتادة – الكتب المُتقدمة الواصلة من الإمام – المنصور بالله – عليه السلام في شهر الله الأصم رجب من سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، فحلفَ – الشريف قتادة – بالله يميناً مؤكدة مغلظة أني باقٍ على طاعة الإمام، ممتثل أوامره، أدينُ الله تعالى بولايته ومحبته) [1].

هـ – أيضاً لو تأملت أخي الباحث كتاب (المجموع المنصوري للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة الجزء الثاني القسم الثاني) تجده يُجيبُ على مسائلٍ قد وردَتْ إليه سألَ عنها الشريف قتادة بن إدريس رحمه الله تعالى، وهذا والله لمن أنصفَ نفسَه مِن نفسِه أكبرُ دليلٍ مع ما سبقَ وإنْ ذَكَرْنا على أن الشريف قتادة كان زيدي المذهب موالٍ لإمام الزيدية في اليمن، وسنذكرُ أسئلة الشريف قتادة، وعلى المهتم مراجعة إجابات المنصور بالله عليها في الكتاب المذكور .

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل السيد الشريف الأمير أبو عزيز قتادة بن إدريس أعزَّه الله تعالى عن:

السؤال الأول : أرضٌ أُجْلِيَ أهلها عنها ثم ادَّعاها قوم ولا بينة لهم عادلة على صحة دعواهم، وقال قوم آخرون: إن في هذه الأرض شيئاً من الوقف ولم يتميز له الوقف من غيره، وربما يأتي من يدعي الوقف ببينة عادلة تشهد عن شهادة من ليس بعدل؟.

السؤال الثاني : في عين استبق إليها رجلان، وهي عند حصن وقرية من قرى المسلمين، وكل واحد منهما يعمل ويريد العين لنفسه، ثم استولى عليها أحدهما بالقوة وطرد الآخر، وكل واحد منهما يدّعي أنها له، والذي استولى عليها يقول: إن جده كان قد عملها قبل ذلك، وليس له بينة على ذلك إلا قول من ليس بثقة؟.

(١) انتهى من السيرة المنصورية .

السؤال الثالث : في قرية أو حصنٍ خراب، وعمرها رجل ولم يعلم لمن ذلك إلا أنه يسمع بالاسم فقال: هو لبني فلان قد أجلوا عنها ولم يعرف لمن هو؛ كيف يكون الحكم في ذلك؟.

السؤال الرابع : في وادٍ يدّعيه قوم ويقولون هو لنا من غير أن يكون لهم فيه عمل ولا شيء يوجب الملك، والوادي آثار العيون القديمة إذا طلب من يعمل فيها شيئاً؛ هل يجوز له أم لا؟ وهل يملكه إذا فعل أم لا؟.

السؤال الخامس : في أرض بيضاء تداعاها طائفتان من الناس حلّفت إحداهما الأخرى، وعمدت الطائفة التي حلفت إلى بعض الأرض فعملت فيها، وزارعت هذه الطائفة غيرهم، وهي أرض متسعة في الطول والعرض هل يملكونها بذلك إذا لم تكن بينة غير سماع أنها كانت لفلان وأخذها قوم من آخرين بدون بينة لأحد على ما يدّعيه؟.

السؤال السادس : في عين فيها شيء من الصدقة فعمل بعض أهلها ولم يعمل الآخرون ولم ينهوا عن العمل ولا أمروا به؛ هل للعامل أن يطالبهم بما عمل ويسلم إليهم نصيبهم من الماء ؟ أم يجب عليه تسليم الماء من غير أن يلزمهم شيء، وأهل الصدقة منهم من يعرف ومنهم من لا يعرف إلا أنهم يعرفون على الجملة؟

السؤال السابع : **وسأل** السيد أبو عزيز أيده الله بعد ذلك قال **مولانا**: يعرفُ أحوال الأعراب وظلمهم وما هم عليه من قبح السيرة، وكان فيما مضى وإلى الآن يتكلف الغارة عليهم وقمع مضرتهم؛ لأنهم صاروا قاطعين السبيل فيصيب من أرواحهم وأموالهم، ما يكون الحكم في ذلك؛ وربما يكون في حلتهم من لا يسير سيرتهم فتصيبه معرة من غير قصد ولا دراية ولا يعرفه العسكر، وإن كان ذلك القليل؟.

تعليق: تأمّل لفظة مولانا الصادرة من أبي عزيز قتادة رحمه الله، وعدد مسائل الشريف قتادة ١٢مسألة ذكرنا معظمها، والبقية في المجموع المنصوري . اللهم صل على محمد وآل محمد .

بقية أشراف الحجاز وغيرها

٢١- قال أبو الفضل أحمد بن علي: (رميثة بمثلثة مصغر أسد الدين أبو عرادة بن أبي نمي بالنون مصغر محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني ... ثم بلغ الناصر أنه أظهرَ مذهب الزيدية فأنكرَ عليه وأرسل إليه عسكرا ففر فلم يزل أمير الحاج يستميله حتى عاد ثم أمنه السلطان [١] أيضاً انظر [٢] وكذلك انظر [٣] .

٢٢ – قال أبو الفضل أحمد بن علي: (ثقبة بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس المكي الحسني الشريف أمير مكة ... وكانَ ثقبة ينصر مذهب الزيدية ولا يكف عبيده عن ظلم الناس وأقام له خطيبا زيديا يخطب يوم العيد [٤] .

٢٣- قال يوسف بن تغري: (وتوفي السيد الشريف عز الدين عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس المكي الحسني أمير مكة ... وكان بخلاف آبائه وأقاربه يحب أهل السنة وينصرهم على الشيعة وربما –لا تفيد الجزم- كان يُذكر أنه شافعي المذهب وهذه نادرة –تأمّل- في السادة الأشراف فإن غالبهم –تأمّل- زيدية يتجاهرون بذلك قيل –صيغة تمريض- إنه ذكر عنده مرة معاوية بن أبي سفيان لينظروا رأيه فيه فقال عجلان معاوية شيخ من كبار قريش لاح له الملك فتلقفه) [٥].

- أيضاً من الأدلة على أنّ سوادَ أشراف الحجاز كانوا يدينون الله بدين الشيعة الزيدية:

أ- ما ذكرَهُ الرحالة ابن جبير عندما قال: (وللحرم أربعة أئمة سنية، وإمام خامس لفرقة

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج٢ ص٢٤٢ .
(٢) شذرات الذهب للدمشقي ج ٣ ص ١٤٩ .
(٣) البدر الطالع للعلامة للشوكاني ج١ ص ٢٥٠.
(٤) الدرر الكامنة ج٢ ص ٧٩ .
(٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ١١ ص ١٣٩.

تسمى الزيدية، وأشراف أهل هذه البلدة على مذهبهم، وهم يزيدون في الأذان حي على خير العمل إثر قول المؤذن حي على الفلاح) [1].

تعليق: علّق صاحب الصوارم على هذه الرواية بتعليقٍ واهٍ، قال فيه: (والرحالة ابن جبير يردد ما شاع في زمانه من تبني الأمراء للمذهب الشيعي الزيدي دون أن يطرح دليله على ذلك؛ ولعل مرد ذلك لأن حديثه عن الحرم المكي ولم يكن عن الأمراء، ليتتبع مدى حقيقة اعتناقهم للمذهب الشيعي الزيدي.) اهـ راجع الصارم الأول.

أقول: الرحالة ابن جبير كانَ يُعبّر عمّا كان قد رآه شخصياً في رحلته، ولم يعتمد على ما كانَ قد ذُكِرَ له عن أشراف مكة !! وأكبر دليل على ذلك أنّه كان يُعاينُ أفعال وأخبارَ أهل مكة في كتابه هذا دونَ أن يُخبَر بها عن طريقٍ آخر، ما وجدنا في كتابه عندما تكلّم واصفاً عاداتَ وتقاليد أهل مكة في شهر رمضان المُبارَك فقالَ ما نصّه (ووقع الاحتفال في المسجد الحرام بهذا الشهر المبارك، وحق ذلك من تجديد الحصر!!، وتكثير الشمع والمشاعيل!، وغير ذلك من الآلات، حتى تلألأ الحرم نورًا !، وسطع ضياءً !!، وتفرقت الأئمة لإقامة التراويح فرقًا!، فالشافعية فوق كل فرقة منها، قد نصبت إمامًا لها في ناحية من نواحي المسجد، والحنبلية كذلك، والحنفية كذلك والزيدية، وأما المالكية فاجتمعت على ثلاثة قراء يتناوبون القراءة» [2].

* ثمّ أرادَ صاحبُ الصوارم التمويه على الأغمار بقوله (ولعل مَرَدّ ذلك لأن حديثه عن الحرم المكي ولم يكن عن الأمراء، ليتتبع مدى حقيقة اعتناقهم للمذهب الشيعي الزيدي)، معَ العِلم أن كلام ابن جبير كان واضحاً فقد قال: (وأشراف هذه البلدة – مكة – على مذهبهم – الزيدية .. الخ)، والأمراء من الأشراف، ولعلَّ لفظة الأشراف أعمّ من الأمراء؛ لأنّه كانَ هُناك أشراف غير أمراء، فعمّهم ابن جبير تحتَ لفظة " أشراف هذه البلدة " .

(١) رحلة ابن جبير ص ٨٤ .

(٢) رحلة ابن جبير ص ١٢٤ – ١٢٥.

ب- أيضاً مما يؤيدُ كلامنا السابق من أنّ أشراف الحجاز كانوا على مذهب الزيدية هُو ما قد أوردناه سابقاً عن ابن كثير عندما قال في البداية والنهاية ما نصّه: (ومَن تابَعه –زيد بن علي– على قوله سُمّوا زيدية، وغالبُ أهل الكوفة منهم روافض، وغالبُ أهل مكة إلى اليوم على مذهب الزيدية وفي مذهبهم حق وهو تعديل الشيخين، وباطلٌ وهو اعتقاد تقديم علي عليهما) اهـ . وابن كثير ت عام (٧٧٤ هـ) .

٢٤ — قال ابن تغري: (وتوفى السيد الشريف زين الدين أبو زهير بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن منجد بن أبي نمي محمد بن أبي سعيد حسن بن علي بن أبي غرير قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله المحض بن موسى بن الحسن بن علي بن أبي طالب المكي الحسني أمير مكة .... وكان رجلا عاقلا ساكنا شجاعا مشكور السيرة أهلاً للإمرة إن لم يكن زيديا على عادة أشراف مكة رحمه الله تعالى) [1].

تعليق: الجدير بالذكر أنّ بركات هذا الذي لو لم يكن زيدياً كعادة أهل بيته! لصلحَ للإمرة، هو حَفيد عجلان بن رميثة الذي يذكر بعض المؤرخين أنه كان شافعياً، وكان ينصر مذاهب السنة على الشيعة!.

٢٥- هُناكَ مُكاتبة بين أمير المدينة المنورة سالم بن قاسم المهنا، وبين إمام أهل البيت عبدالله بن حمزة عليه السلام، ذكرها أبو فراس في السيرة المنصورية، ومن خلالها نستشف مدى الاتصال بينهما –سالم بن قاسم والشريف قتادة– وبين المنصور بالله عبدالله بن حمزة، ونظراً لطولها سنوردها في آخر الرسالة .

٢٦- أوردَ أبو فراس في السيرة المنصورية قصيدةً غرّاء للسيد الشريف يحيى بن علي بن فليتة بن بركات بن حسين بن يوسف بن نعمة بن علي بن داوود بن سليمان بن الإمام

(١) النجوم الزاهرة ج ١٦ ص ١٧٩ .

عبدالله بن موسى، بعثَ بها إلى الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة يواسيه، ويرثي بها شقيقه الأمير صارم الدين إبراهيم بن حمزة، والتي منها هذه الأبيات:

ميـــادين المنـــون إلى اتـــساع ... وممتـــد الحيـــاة إلى انقطـــاع

إلى أن قال:

لقد شَـمَلَ المـصابُ بنـي أبـيكم ... فـروع بنـي العواتـك في وسـاع
وكـم مـن ذي جـوا لمّـا أتانـا ... لإبـراهيم سـيف الحـق نـاعي
وباكيـة تنـوح عليـه شـجواً ... عطـول الجيـد حـاسرة القنـاع

إلى أن قال:

حـذا حـذو الأئمـة مـن عـلي ... بُنـاة المجـد والـشرف اليفـاع

إلى أن قال:

فـصبراً يـا ابـن حمـزة واحتـساباً ... لخطـب المـوت غـير المـستطاع
فهـــم والله أحيـــاءٌ جـــذالى ... بـذا نطـقَ الكتـاب لأذن واعـي
أفـادوا بالجهـاد جنـان خلـد ... مـن الفـردوس عاليـة المطـاع

إلى أن قال:

إلـيكم يـا بنـي الأعـمام منـي ... صـدوق اللفـظ رائقـة الـسماع
بعثتُ بهـا عـلى قـرب الأواخـي ... وبُعـدٍ في المـساكن والربـاع
فـما مـنكم عـلى التحقيـق إلاّ ... صـفي الـود مـشكور الطبـاع
ومـن متـدفق بـالعلم طلـق ... ومـن علـم إلى الـرحمن داعـي
فـلا غـصبت بـسوحكم سراراً ... ولا نـادى بـه في الـدهر نـاعي
فيابـا أحمـد جلـداً وجريـاً ... عـلى منهـاج حيـدرة الـشجاع
ودُم واسـلم بقيـتَ قـرين سـعدٍ ... حميـد الـرأي محمـود المـساعي

* يذكرُ أبو فراس أنّ الشريف يحيى بن علي فليتة السليماني كان ممن يُشارُ إليه بالقيام بأمر الإمامة –الزيدية–، وبايَعَ الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة بعد أن تأكّدَ من أهلية المنصور للقيام بأمر الإمامة، وذلكَ في جامع صعدة –جامع الإمام الهادي إلى الحق– سنة ٥٩٦ هـ.

* وتطرّق السيد مجدالدين المؤيدي الحسني أبقاه الله في كتابه التحف شرح الزلف أثناء ترجمته للشريف قتادة بن إدريس، إلى الشريف يحيى بن علي بن فليته السليماني فقال: (وفي عهد الإمام المنصور بالله منهم السيد الإمام عماد الإسلام يحيى بن علي بن فليته .... وفيه يقول الإمام –المنصور بالله–:

ولو يحيى دَعا قُدماً إليها لكانَ بها إماماً للإمام

٢٧ – قال السيد مجدالدين المؤيدي الحسني عليه السلام في كتابه التحف شرح الزلف:

(السيد الشريف الإمام أبو الحسن عُلَيّ –على صيغة التصغير– بن عيسى بن حمزة بن وهاس بن أبي الطيب داود بن عبد الرحمن بن عبدالله بن داود بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن سليمان بن عبدالله بن الإمام موسى بن عبدالله، وهو القائل:

ما كذا يفعل البنون الكرام أتموت البتول غضبى ونرضى

وهو من مشائخ القاضي شمس الدين عالم الزيدية جعفر بن أحمد بن عبد السلام، وهو الذي حثّ القاضي العلامة شيخ الإسلام زيد بن الحسن البيهقي –المتوفى سنة اثنين وأربعين وخمسمائة هجرية– على الخروج إلى اليمن لنصرة الحق، وهو الذي حمل الزمخشري على تأليف الكشاف، وقد أشار إليه في صدر الديباجة، وترجم له في مطلع البدور، وأورد شيئاً من فضائله.) [1].

٢٨– وجاء في التحف شرح الزلف أيضاً ضمن ترجمة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم (ت ١٠٥٤ هـ)، ما نصّه: (ووصل إلى الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم السيد

(١) انظر ترجمة عُلَي بن عيسى.

الشريف العالم الفاضل المجاهد هاشم بن حازم بن راجح بن أبي نُمَيَّ محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبدالله بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن الإمام عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، خرج إلى اليمن من مكة المشرفة، وزوّجه الإمام ابنته، وأخذ من الجهاد بين يدي الإمام الحظ الأوفر).

* وإلى ذلك يُشير السيد الأمير علي بن عبدالله بن القاسم بن محمد بن الإمام القاسم الحسني عليه السلام (ت ١١٩٠ هـ)، في كتابه (بلوغ الأرب وكنوز الذهب في معرفة المذهب) (ص ٤٠٣)، من إصدارات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، وقد حوَى هذا الكتاب أسماءً كثيرة للسادة الأشراف في الحجاز والمخلاف من المُعاصرين له (ت الإمام ١١٩٠ هـ) ممن كانوا على مذهب الزيدية، والكثير من هذه الأسماء بحاجة إلى أنْ يطّلع عليها علماء الأنساب، حيث أنّ المؤلّف عليه السلام اكتفى بذكر جديّن أو ثلاثة لكل شريف ذكَرَه .

٢٩ – قال السيد مجدالدين في التحف شرح الزلف: (ومن أعلام ال النعمي من أبناء السيد الإمام عماد الإسلام المذكور –يحيى بن علي بن فليتة السليماني– السيد الإمام محمد بن حيدر بن ناصر بن هادي بن عز الدين بن علي بن محمد بن الحسن بن الهادي بن محمد بن المساوى بن عقيل بن الحسن بن محمد بن جحيش بن عطية بن أحمد بن محمد بن سالم بن يحيى بن سرور بن نعمة الأصغر بن دريب بن أحمد بن واصل بن مهني بن سرور بن سلطان بن منيف بن إدريس بن يحيى بن إدريس بن يحيى بن علي بن فليتة بن بركات .. –بقية النسب في ترجمة يحيى بن علي السليماني– .... قال في نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر في ترجمته: السيد العلامة الشهير الحجة الشاعر البليغ والبارع المحقق النحرير، محمد بن حيدر بن ناصر بن هادي القبي النعمي، ... ثم رحل أيضاً إلى صعدة، وسار منها إلى ضحيان سنة ١٣١٥هـ، وأخذ عن ... ومنهم السيد علي بن يحيى العجري المؤيدي، ولازمه وقرأ عليه الثلاثين المسألة – عقيدة الزيدية–).

* كان لهذا السيد دورٌ هام في نشر المذهب الزيدي في بلاد بني مالك وفيفا من جيزان.

* راجِع نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، تجد الأشراف السليمانيين في المخلاف كانوا على مذهب الزيدية.

* وللسيد محمد بن حيدر النعمي (ت ١٣٥١ هـ) قصيدةٌ يمدح فيها إمام الزيدية يحيى حميد الدين عليه السلام .

* يقول إمامنا وقدوتنا السيد مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي الرسي الحسني حفظه الله وأبقاه، مُتكلّما عن نفسه، راوياً لأحد المواقف التي حصَلت له: (مَرَرْنا في تهامة ليلاً وكان برفقتي شريف من آل النعمي، فتذكرتُ هذه القصيدة، فَطَفِقْتُ أترنّمُ بها، وهي:

وسقى بطل بدمعه أطلالها ... عرف الديار فهاله ما هالها

يتذكر العهد القديم معاتباً ... صَرْف الزمان علام غير حالها

ويلومني الجهال فيك وإنما ... قد قلت قافية كثير قالها

وتلومني في حب عزة نسوة ... جعل الإله خدودهن نعالها

وسمعت دعوة صارخ من الندى ... يا معشر النبلاء فقلت أنا لها

فسألني الشريف لمن هذه الأبيات؟ فقلت: للسيد محمد بن حيدر النعمي، فأشار بيده وقال: " هذاك بيته " ورأيت السراج فيه، وأنا لا أعلم أين نحن، وهذه في موافقة عجيبة، وذلك عام (١٣٦٢هـ) . اللهم صل على محمد وآل محمد .

وبهذا السيد نتوقف عن سردِ أسماء أعلام أهل البيت، وذِكر علاقتهم بمذهب آبائهم وأجدادهم مذهب الإمام الأعظم فاتح باب الجهاد والاجتهاد زيد بن علي عليه السلام .

لا يُقال: إنّ مَن ذكرنا فقط هُم من كانوا على مذهب -الشيعة الزيدية- !؛ لأنّنا سنقول: هؤلاء مَن اشتهروا ووصلتنا أخبارهم ناهيكَ بمَن عاصرَهم من أقاربهم، فهم إن شاء الله جميعاً على مذهب آبائهم عليهم السلام، فلا الشريف قتادة بن إدريس عليه السلام كان أولَ من

تزيَّد! بخلاف آبائه – ولا أرى مَن يُحاول أنْ ينفي زيدية الشريف قتادة إلاّ كمن يقول أنّ النهار ليل، والليل نهار والله المستعان –، ولا الشريف علي بن محمد بن فليتة السليماني أول من تزيّد بخلاف آبائه!، ولا .. ولا... إلخ، **نعم !** قد ذكرنا نماذِجَ علويّة فاطمية في أعصارٍ مختلفة مُنتمية انتماءً خالصاً إلى الشيعة الزيدية، وهُم والله أليق وأجدر بهذا المذهب مذهب أحمد بن عيسى بن زيد بن علي والقاسم بن إبراهيم الرسي وعبدالله بن موسى الجون، وقبلهم زيد بن علي، وجعفر الصادق صلوات الله عليهم أجمعين .

ولا يفوتني هُنا أن أُذَكّرَ الباحث عن دين آبائه، بسادة الجيل والدّيلم وطبرستان والذي لم نُوفِهم حقّهم من التعريف في هذه الرسالة، فهُم بِحَقٍّ قد ألقمُوا المخالِف الحجر وكانوا وسيلةً لمعرفة مذهب أهل البيت الحق، فضربوا بعلمهم وبعدلهم وبزهدهم أروع الأمثلة وأندرها، حتى شهِدَ لهم بهذا المُخالِفُ قبل الموافق، والحمد لله.

إلى أبناء الحسن والحسين، بل إلى أبناء آدمَ وحواء، رسالةٌ أخويّة، يشهدُ الله على صدقِ وإخلاص قائلها:

كُلنا يعلم ما وردَ في أهل البيت من أحاديثٍ لو قُلنا تُثقل ظهر البعير ما بَالغنا !، في عِلمهم وفي وجوب مودتهم، وفي وجوب اتباعهم، وأنّهم ملازمون للقرآن ثقل الله الأكبر على الأرض، وهُم مع الحق والحق معهم، يضلُ بعضهم، ولكن لا يضلونَ كلهم!، أَيُعقلُ أن يقول رسول الله ﷺ: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكّتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبر نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، أيُعقل أن يقولَ مَن لا ينطقُ عن الهوى تمسكّوا بالقرآن وبأهل البيت، ثم نجدُ القرآنَ بين أيدينا ولا نجدُ أهل البيت الموافقين للقرآن بعلومهم، بأصولهم، بأحكامهم، بفقههم ؟! هل كذبَ علينا جدنا رسول الله ﷺ وحاشاه ثم حاشاه ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم:٣-٤]، أُيُعْقَلُ أن يكونَ أهل البيت تابعينَ لا متبوعين! مُقتَدينَ لا مُقتدىً بهم؟! أُيُعقلُ أن يكونَ أهل البيت مَن أُمِرْنا باتباعهم مُقلّدينَ لأحمد بن حنبل رحمه الله، أو مُقلدين للإمام الشافعي رحمه الله، أو لمالك بن أنس، أو لأبي

حنيفة رحمها الله ؟! أينَ أقوالُ أهل البيت ؟! أين تقريراتهم ؟! أينَ مؤلفاتهم ؟! أين اجتهاداتهم الفقهية ؟! أينَ رواياتهم الحديثية لسنّة جدّهم الصحيحة ؟ أمْ أنّ الله كلّفنا ما لا نستطيع وأمرنا باتباع جماعةٍ ليست لهم أقوالٌ ظاهرةٌ معروفة وليسَ إلى علومهم طريق؟!. ثبتَ أنّ سلفنا من أهل البيت كانوا يُؤذنونَ بـ" حي على خير العمل "، فهل سيسمح لنا مشائخنا اليوم بالتلفظ بها أم أنهم سيجعلونها في مصافّ البدع ؟! الكثير من سلفنا لا يؤمنون بموالاة أئمة الجور والظلم والخروج عليهم، فهل هذا قولُ مشائخنا اليوم ؟! هل سنهربُ من البدع لنقعَ في الضلالات؟! هل سنجعل الأحكام المُسبَقَة والكرهَ الشخصي يُؤدِّي بنا إلى الهاوية ؟! فإلى متى تظل العقول نائمة ؟! وإلى متى يُخيّم علينا التقليد الأعمى ؟! وإلى متى سنبقى مخدوعين بعبارة " نحن نُحب أهل البيت"؟! أفأحبّهم وأحبُ عدوّهم؟! – هذا المحالُ يا إخوان –، ثم هل فعلاً عجزنا عن معرفة ما كان عليه سلفنا الصالح من أهل البيت، ما إن تَرِدُ علينا مسألةٌ في الأصول أو الأحكام، حتى نهرعَ مُسرعين إلى كُتب ابن تيمية!، وماذا قالَ فيها ابن حنبل !، ولكن ابن القيم قال كذا وكذا!، ورأي الأشعري كأنّه الصواب!، لا بل رأي العسقلاني أقوى وأفضل !، يا سبحان الله ألم نُفكّر أن نقول: ماذا قالَ زين العابدين؟! وماذا قالَ كاملُ أهل البيت عبدالله المحض؟! وماذا قال باقر علم الأنبياء محمد الباقر؟! وماذا قالَ فقيه أهل البيت أحمد بن عيسى بن زيد؟! وماذا قالَ زاهدُ الآل عبدالله بن موسى؟! ماذا قالَ تُرجمان الدين القاسم الرسي المُعاصرُ لسواد مشيخة أبناء الحسن والحسين المتقدمين ؟!.

اعلموا يا أبناء العمومة، ماهيَ إلاّ زلّةُ جدٍّ واحدٍ من أجدادنا، يُبدل فيها دين آبائه المحمدي الصحيح، حتّى ينخرطَ البقيّة معه وعلى مذهبه الجديد، ثمّ يزعمون أنّه مذهب أهل البيت الصحيح!، والدليلُ ما نحنُ فيه وعليه اليوم، سوادنا مُتمذهبون بعدّة مذاهب، وما هُو والله إلاّ الجهل والتفريط في علوم الآباء .

وسأختم رسالتي هذه بذكر أقوال أئمة أهل البيت الزيدية في حقّ مَن يُفرط في علوم آبائه الكرام، مصابيح الدُّجى ونجومُ السماء، نرجو الله أن تقرعَ أسماعَ أصحاب الفطر المحمدية السليمة .

١- قال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي في كتاب الأحكام (٢٤٥ -٢٩٨هـ):

(إن آل محمد ﷺ لايختلفون إلاَّ من جهة التفريط، فمن فرط منهم في علم آبائه ولم يتبع علم أهل بيته أباً فأباً حتى ينتهي إلى علم علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى والنبي ﷺ، شارك العامة في أقاويلها وتابعها في شيء من تأولها لزمه الاختلاف، ولاسيما إذا لم يكن ذا فطن وتمييز، وردّ لما ورد عليه إلى الكتاب وردّ كل متشابه إلى المحكم).

٢- وقال الإمام القاسم بن علي العياني – تقدم نسبه – (٣١٠-٣٩٣هـ) في كتاب التنبيه:

(و**القاسم الرسي** - عليه السلام العالم وبه نقتدي ثم ولده من بعده يقتفون أثره ويعلمون أمره، وما أعلم منهم من بعد القاسم إلى هذه الغاية مختلفين، ولافيما بَعُدَ من الأرض وقرب إلاَّ متلقين، الاَّ أنْ يكون ذو جهل نظنه ولانعرفه بعينه، فلعلّه أنْ يكون لقلة معرفته يتابع المخالفين تعرضاً لدنيئ ما ينال وطمعاً لما يأكل من سحت الأموال، ولعله مع ذلك موافق لأهل بيته في باطن أمره.) .

٣- وقال الإمام القاسم العياني في رسالةٍ له إلى زيدية طبرستان:

(أصل التأويل أول الخبال، والاختلاف في الأئمة أول الضلال، والاعتماد على غير العترة أول الوبال، أصل العلم مع السؤال، وأصل الجهل مع الجدال، العالم في غير علمنا كالجاهل بحقنا، الراغب في عدونا كالزاهد فينا، المحسن إلى عدونا كالمسيئ إلينا، الشاكر لعدونا كالذام لنا، المتعرض لنحلتنا كالمعادي علينا، معارضنا في التأويل كمعارض جدنا في التنزيل، الراعي لما لم يسترع كالمضيع لما يسترعي، القائم بما لم يستأمن عليه كالمعتدي فيما استحفظ، الخاذل لنا كالمعين علينا، المتخلف عن داعينا كالمجيب لعدونا، معارضنا في الحكم كالحاكم بغير الحق، المفرق بين العترة الهادين كالمفرق بين النبيئين، هاهنا أصل الفتنة ياجماعة الشيعة).

٤- وقال الإمام القاسم العياني في كتاب التنبيه:

(يا معشر الإخوان، ومن ينتحل ولاية آل محمد عليه وعليهم السلام، فأنتم أشياع المحقين، ونحن خلف الأئمة المهتدين، عليهم صلوات رب العالمين، فما إلى الحق غيرنا داع، ولا لدعوة الرشد سواكم واع، وقد شاهدت من اختلافكم ما آيسني من اتفاقكم ولقلَّ جداً قوم مختلفين؛ والله يقول عز من قائل: ﴿**وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [الأنفال:٤٦].

٤- قال الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (ت ٦١٤ هـ) في الشافي:

(كيف تخالف الذرية أباها وقد شهد لهم النبي ﷺ بالإستقامة بقوله: «**لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**» ؟).

٥- وقال الهادي إلى الحق عليه السلام في جوابه لأهل صنعاء:

(فهذا وفقكم الله دين المؤمنين وديني وما عليه اعتقادي، لستُ بزنديق ولا دهري، ولا ممن يقول بالطبع، ولا ثنوي، ولا مجبر قدري، ولا حشوي، ولا خارجي. وإلى الله أبرأُ من كل رافضي غوي، ومن كل حروري ناصبي، ومن كل معتزلي غال، ومن جميع الفرق الشاذة، ونعوذ بالله من كل مقالة غالية، ولابد من فرقه ناجية عالية، وهذه الفرق كلها عندي حجتهم داحضة.

والحمد لله، وأنا متمسك بأهل بيت النبؤة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومعدن العلم وأهل الذكر، الذين بهم وُحِّد الرحمن، وفي بيتهم نزل القرآن، والفرقان، ولديهم التأويل والبيان، وبمفاتيح منطقهم نطق كل لسان، وبذلك حث عليهم رسول الله ﷺ بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، مثلهم فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى.» فقد أصبحوا عندي بحمد الله مفاتيح الهدى، ومصابيح الدجى، لو طلبنا شرق الأرض وغربها لم نجد في الشرف مثلهم فأنا أقفوا آثارهم، وأتمثل مثالهم، وأقول بقولهم، وأدين بدينهم، وأحتذي بفعلهم) .

نسخة من مكاتبة الإمام عبد الله بن حمزة الحسني لأمير المدينة

ولنورد ما كُنا قد وَعدنا به من ذكر المكاتبة التي جرت بين أمير المدينة المنورة سالم بن قاسم المهنا رحمه الله، وبين الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة والتي ذكرها صاحب السيرة المنصورية، فقال أبو فراس:

(وفَدَ إليهِ –إلى المنصور بالله– شريفٌ حُسَيْنِي من مدينة الرسول ﷺ بكتابٍ من الشريف سالم بن القاسم بن المهنا الحسيني صاحب المدينة يستطلع الأنباء والأخبار، ويتعرض للمكاتبة والأوطار، فأمرني الإمام عليه السلام بإجابته، فصدَّرتُ الكتاب، وكَتَبَ في آخره: (**لقد بلغنا** أنَّ في حرم جدك رسول الله ﷺ ما يسوؤنا من الملاهي والمعاصي وشرب المسكر، وعدوان السفهاء على الزوار بسرق الأمتعة، فما عذرك وأنت وليه والقائم عليه ولكَ من وراثة النبوة ما يتضاعف عليك به التكليف، ويتضاعف بالتزامه الأجر فتيقظ أيدك الله بتوفيقه .

وقد بلغَنا ما بينكم وبين الشريف الأمير **أبي عزيز** أعز الله الجميع، وجمع شملهم من قطيعة الرحم وسفك الدماء والتعرض لما يقع التدابر والتهاجر، وما هذا يليقُ بتلك المعارف والأصول الزكية والمنابت النبوية والمناصب العلوية. وإذا أردتم الحق جميعاً لم تختلفوا، وإذا أردتم الباطل فلا خير في الجميع؛ لأنه لا يليق بأهل هذا البيت إلاَّ الصلاح واقتفاء الأثر، ولا تلحق الذرية الطيبة السلف الصالح إلاَّ بذلك، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا الْتَنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾ [الطور:٢١]. وقد تَقَدَّمَتْ منَّا مطالعة إليكم، وما رجع منها جواب، وكِدْنا أن ننفد في ذلك وإن كانت الغيوب محتملة والظن جميلاً . واعلم أيدك الله أنه إذا اجتمع أهل البيت سلام الله عليهم، فقد كثَّرهم الله تعالى واستجاب دعوة جدهم صلى الله عليه فيهم حيث قال لعلي وفاطمةسلام الله عليهما وعلى الطيبين من آلهما: " جمع الله شملكما، وأطاب نسلكما، وأخرج منكما كثيراً طيباً " . فالحمدُ لله كثيراً

نالوا أغراضهم، وجدَّدوا معالم دينهم، وكبتوا أعداءهم، وهم لايفتقرون إلى جند من غيرهم إذا اجتمع شملهم، فاجتهد في لمّ جمع الشمل ولم الأمر .

وبلغنا أنّكم بدأتم بداءةً جيدة، وفيها طيبها وشذاها، ونزهتها ومتعتها، ولكنَّا نخشى الجفوة وقلَّة المعرفة بِسِيَرِ الآباء، وعلوم السلف الصالح من الأئمة النجباء سلام الله عليهم . فلا تقع غفلةٌ عن طلب العلم واقتباسه فإنَّ به يُستضاء في الظلمات، وتُحَلُّ الشبهات، وتُفَك المشكلات، وتعلو الدرجات، ولو جاء من ناحيتكم إلينا من تكون له رغبةٌ في العلم، وحرصٌ في طلب الخير فلا ضير، وقد قال تعالى: ﴿**فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ الَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [التوبة:١٢٢] [1].

كلمة أخيرة:

أسأل الله لي وللجميع القبول، وأن يُرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطلَ باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وألاّ يجعلنا ممَن يرونَ الحق فيُولونَ عنه، ولا من الذين يرونَ الباطل فيُقبلونَ عليه .

قمّة العنصرية أن نظنّ أن لا عُلماءَ إلاّ عُلماءنا، ولا كُتُبَ إلاّ كُتبنا، ولا قولَ إلاّ قولُنا، ولا مصادرَ إلاَّ مصادرنا، **قمّة** الخداع والكذب على النفس أن نَدرُسَ موضوعاً معيناً، ونحنُ قد حكمنا عليه بالبطلان أو بالصواب مُسبَقاً .

قمّة التلبيس على العامّة أن نُحوّل النصوص ونُفسرها على غيرِ مُرادِ قائلها . قمّة التعصب أن نثلبَ ونتهكّم على رجال صالحينَ في أنفسهم؛ لأنّهم خالفوا قولنا ومذهبنا.

قمّة الظُلم للنفس أن نتغاضى عن الأخطاء التي لا يعلمُها إلاّ نحن . قمّة المُكابرَة هي الهروب عن الحقيقة .

---

(١) اهـ من السيرة المنصنورية.

هذا وصلى الله وسلم على سيدنا ونبيئنا وحبيبنا محمد بن عبدالله وعلى آله الطيبين الطاهرين مَن أذهب الله عنهم الرجس وطهرّهم تطهيراً، ورضوانه على صحابته الراشدين المتقين، والتابعينَ لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدين، وارض عنّا معهم يارب العالمين .

٢٢ رجب، ١٤٢٥ هـ الموافق الثلاثاء ٧ سبتمبر، ٢٠٠٤ م .

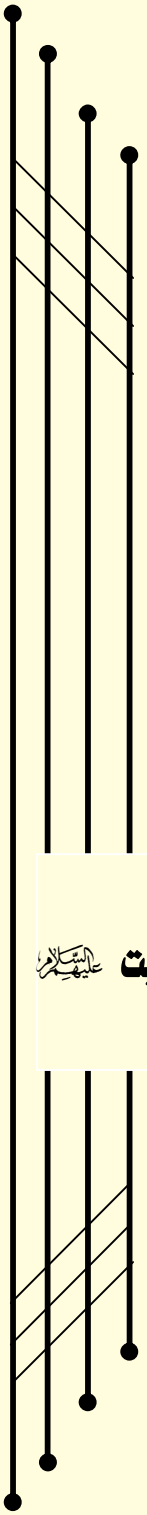

الحَادية والعشرون : سِيَر بعض أئمّة أهل البيت عليهم السلام

ومنها سيرة:

١- الإمام الحسَن بن الحسَن بن عَلي بن أبي طَالب عليه السلام (٤١-٩٦هـ).

٢- الإمام الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام (١٢٨-١٦٩هـ) .

٣- الإمام يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

٤- الإمام الدّاعي إلى الحق الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام (ت٢٧٠هـ) .

٥- الإمام النّاصر الأطروش الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام (٢٣٠-٣٠٤هـ) .

٦- الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام (١٩٨-٢٧٩هـ) .

٧- الإمام المؤيّد بالله أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام (٣٣٣-٤١١هـ) .

٨- الإمام المنصور بالله القاسم بن علي (العياني) بن عبدالله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام (٣١٠-٣٩٣هـ).

٩- شاعر أهل البيت عليهم السلام علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

سِيَر بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله الغر الميامين، ورضوانه على الصحابة المتّقين والتابعين لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدين .

الإمام الرّضا الحسن بن الحسن ابن رسول الله:

نَسَبُه عليه السلام:

هُو الإمام الرّضا الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عليه وعلى آبائه السلام.

مَولِدُه عليه السلام:

لم تُشِر المصَادر التاريخيّة إلى تاريخ ولادة إمامنا الحسن بن الحسن عليه السلام، بالضبط والدقّة، ولكنّها ذكرَت لنا ما نستطيعُ من خِلالِه استنتاج تاريخ مولده عليه السلام، فهذا أبو العباس الحسني أحمد بن إبراهيم بن الحسَن بن إبراهيم بن الإمام محمد بن سليمَان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت٣٥٣هـ)، يذكرُ في كتابه (المَصَابيح)، أنّ الحسن بن الحسن عليه السلام شاركَ في معركة كربلاء، وعُمُرُه عشرون عاماً، أو تِسعة عشرَ عاماً، والمعلومُ أنّ واقعَة الطّف -كربلاء- وقعَت عام ٦١هـ، فيكون تاريخ مَولِد الحسن بن الحسن عليه السلام بهذا في سنة إحدى وأربعين للهجرة، وهي السنة التي صالحَ فيها الإمام الحسن السبط عليه السلام معاوية بن أبي سفيان، وهُنا يكونُ هُناك احتمالان لمكان ولادَتِه صلوات الله عليه، إمّا في الكوفة، أو المدينة المنورة، وهذا الالتباس فيزولُ على فرض أن مولِد الحسن بن الحسن عليه السلام كان في السنة الثانية والأربعين للهجرة، (على افتراض أنّ عُمُرَهُ حال المعركة تسعةَ عشر عاماً)، فيكون مكان ولادته عليه السلام بالمدينة المنورة.

لَقَبُه عليه السلام:

لُقِّبَ الحسن بن الحسن عليه السلام، بـ«**الرّضا**»؛ وذلكَ لمّا اجتمعَ عليه أنصارُهُ ومُريدُوه -كما سيأتي-، ورَضوا به إمَاماً لهُم، فَسمّوهُ بهذا الرّضا، والمعلوم أنّ سادات آل محمد من بني الحسن والحسين، عندما تَنطلقُ دَعواتُهُم بالإمامة إلى الأمصار، فإنّها تكونُ باسم الرّضا من آل محمد، أي بإسم مَن يرضاهُ ويرتضيهِ النّاس لِسَبَقِه بالخيرات، فَلَصِقَ هذه اللقب «الرّضا» بإمامنا الحسن بن الحسن صلوات الله عليه وعلى آبائه الكرام؛ وذلكَ لمّا ارتضوهُ إماماً فيما بينَهُم وبينَ رَبِّهم، وأجابَهُم وقامَ مَعَهُم .

ويُلقّب أيضاً بالحَسَن «**المُثنّى**»، والظّاهر والله أعلَم أنّها تَسميَةٌ مُتأخّرةٌ على عَصِرِه عليه السلام، وهذا اللقب فَلِلتمييز بينَه وبينَ أبيه الحسن السبط، وبين ابنه الحَسن المُثلّث «الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام» .

والِدُهُ عليه السلام:

والِدُ إمامِنا الرّضا عليه السلام، هُو إمامُنا الحسن السبط ابن إمامِنا علي المُرتضى بن أبي طالِب ناصرِ رَسولِنا وقُدوتِنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، فهُو كما تَرى فرعٌ من دوحة نبويّة علويّة باسقَةٌ يانِعَة، والحسن بن علي عليه السلام فغنيٌّ عن التعريف والإطراء، سِبطُ رسول الله، وبِكرُ الوَصيّ والزهراء، وشبيهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سيّدُ النّاس هيبةً وسُؤدداً .

والِدَتُه عليه السلام:

والِدَةُ إمامِنا الرّضا عليه السلام، هِيَ خَولَة بنت مَنظور بن زَيّان -ويُقال: ريّان ورَباب- بن سيّار الفِزاري الغَطفَاني رضي الله عنها، تَزوّجَها الإمام الحسن بن علي عليه السلام، فأعقبَ منها محمّد الأكبَر وبه يُكنّى، والحسن بن الحسن .

نَشأتُه عليه السلام:

نَشأ الإمام الحسن بن الحسن عليه السلام، في كَنف والدهِ الحسن السبط، وفي دار جدّه علي، وجدّته فاطمةالبتول الزهراء عليها السلام، عاشَ حياةً مليئةً بالإرهاب الأموي، إذ أنّ فترةَ

طفولته عليه السلام كانت من أسوأ الفترات التي تُحيط بأهل بيت النبّوة، فعيون بني أميّة مُشدّدة الوطأة على كلّ داخلٍ للحسن بن علي، وعلى كلّ خارجٍ من عِندِه، وما هي إلا سنوات قلائل حتى استُشهِد أباهُ مسموماً سنة ٥٠هـ، وهُو في التّاسعَة من العُمُر، فتربّى في أحضانِ عمّه الحسين بن علي عليه السلام، فأخذَ عنهُ شمائلاً علويّةً فاطميّةً محمّديةً، واغترَفَ من علومهِ الشيء الكثير، فالحسن المثنّى يَقيناً لم يَكن يعتبِر نفسَهُ إلاّ عندَ والِده بعد والِده، ومن هُنا زادَ تعلّقُه بعمّه الحسين، والحسين فكانَ يُكرمهُ ويُحبّه، فَحصلَ وأن قصدَ الحسن بن الحسن عمّه الحسين يُريدهُ أن يُزوّجه إحدى بناتِه، فاختارَ لهُ الحسين فاطمةابنته، وكانَت أحبّ بناته إلى قلبهِ وأشدّهم شِبهاً بفاطمةالزهراء عليها السلام، فعقدَ له الحسين عليها، ولكن دونَ دخول، وهذا فنُخمّن أن يكون في ما بين «٥٨-٦٠هـ»، وهذا فيزيد الأواصر بين الحسن وعمّه قوّةً إلى قوّة، **نعم!** تَشرّب إمامنا الحسن وصايا جدّه أمير المؤمنين الحاثّة على الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر، والقيام بحجّة الله في الأرض، فَعَاشَ يُقاسي مع عمّه ظُلم معَاوية، ثمّ ابنه يزيد، المُنكَر يُؤمَرُ به، والمعروفُ يُنهَى عنه، أبو ترابٍ يُسبّ على المنابِر، وآل بيتِ رسول الله مُضطهَدون، الظُلم مُنتشِرٌ، والأمن مُنعَدِم، كلّ هذا جعلَ أبا عبدالله يَهُبّ هبّةَ الأسد، ويزأرُ زأرَة الحقّ في وجه الظُلم، فتحرّكَ بنفسهِ وأهل بيتهِ وأصحابه مُمتثلاً لأمر الله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [آل عمران:١٠٤]، لَم يترُك إمامنا الحسن بن الحسن عمّه في هذه المعركة، بل شاطرهُ فِكرَهُ وثورَتَهُ على الطّغيان، هذا كلّه وعُمر الحسن بن الحسن عشرون عاماً، بَدأت المُعركَة واستبسَل الحسين وأهل بيته وأصحابه، الكُلّ يَتسابقُ للنّصر أو الشّهادَة، فاستُشهِدَ الحسين، وقِتل عدّةٌ من أهل بيته وأصحابه، وسقطَ إمامُنا الحسن بن الحسن على أرض المعركة مُثخناً بالجراح به رَمقُ الحياة، فأرادوا أن يُجهزوا عليه لولا تدخّل وتوسّط خَالِه أسماء بن خارجَة بن حصن الفزاري، وخؤولته لهُ جاءت من جهة كونه فزارياً قريباً من بني المنظور بن زيّان والِد خولة أم الحسن بن الحسن، **نعم!** تَدخّل أسماء بن خارجة وأخذَ الحسن بن الحسن إلى بيته، وهُناكَ عَمِلَ على مُعالجة جِراحه، وبقيَ عندَهُ لمدّة ثلاثَة أشهر، ثمّ عاد إلى المدينة المنورة، وهُناكَ دخلَ بابنة عمّه فاطمةبنت الحسين

عليها السلام، وتفرّغ للعبادة ونشر العلوم، مع الحُرقة على انتشار الفساد في البلاد، وقامَ على صدقات وأوقاف جدّه أمير المؤمنين، ولم يكُن من بني فاطمة في ذلك الزّمن من الكبار إلاّ هُو، وأخوه زيد، وابن عمّهما علي بن الحسين زين العابدين، وكانَت تجمعُ الجميع رابطةٌ أخويّة قويّة، مَبدَأهُم ومَذهبُهُم وهَدَفُهُم واحد، فصلوات الله عليهِم وعلى آبائهم وأخيار ذريّتهِم إلى يوم الدّين .

بين الحسن بن الحسن، والحجّاج بن يوسف، وعبدالملك بن مروان :

في عام ٧٤هـ، ولّى الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، الحجّاج بن يوسف الثقفي إمارَة المدينة المنورة، وهُناك احتكّ بإمامنا الحسن الرضا عليه السلام، وأرادَ أن يُرغِمَهُ على إدخالِ عمّه عمر بن علي رضوان الله عليهما في صدقات أمير المؤمنين، فرفضَ الحسن بن الحسن إدخالَهُ بعُذر عدم اشتمالِ شرط علي عليه السلام على هذا، وأنّه لن يُغيّر شرط علي الذي اشترطَه في هذه الصدقات، فلمّا رأى الحسن بن الحسن عليه السلام أنّ الحجّاج مُصرّ على مَوقفِه، تغافلَهُ عليه السلام، وخرجَ من المدينة، قاصداً وشاكياً إلى الخليفة عبدالملك بن مروان، وهُناك وفي قصر الخلافة طلب إمامنا الإذن بالدّخول على الخليفة، فلقيَه رجلٌ يُقال له: يحيى بن الحكَم، فسألَ الحسن عَن حاجَته، ووَعدَه أن ينفَعَه بين يدَي الخليفَة، فما لبثَا إلاّ وقد أُذنَ لهما بالدّخول، فاستقبلَهُما عبدالملك بن مروان، وقال للحسن عليه السلام: لَقَد أسرعَ إليكَ الشيب يا حسَن، فقاطَعَهما يحيى بن الحكم، قائلاً: ومَا يَمْنَعُهُ يَا أميرَ المؤمنين، شَيَّبَهُ أمَانِيّ أهل العراق، كُلّ عَامٍ يَقدُمُ عَليهِ مِنهُم رَكبٌ يُمَنّونَهُ الخِلافَة، فردّ عليه إمامنا الحسن عليه السلام، مُبيّناً أنّ هذا التمنّي ليسَ هُو سبب الشّيب، فقال عليه السلام: بئسَ واللّهِ الرّفد رَفدْت، وَليسَ كَمَا قُلتَ، وَلكنّا أهْلُ بَيتٍ يُسرِعُ إلينَا الشّيب . وعُمُر الحسن حينها ثلاثة وثلاثون عاماً تقريباً، نعم ! ثمّ أقبلَ عبدالملك على الحسن يَسألهُ عن حَاجَته، فأخبرهُ الحسن عليه السلام بما كانَ من الحجّاج، ومُحاولته إدخال عمّه عمر في صدقات علي عليه السلام، وهذا مُخالفٌ لشرط علي عليه السلام، فأمر عبدالملك بكتابٍ للحجاج يَمنعه من التعرّض للحسن بن الحسن، ثمّ انصرف الحسن بن الحسن وألْتقى عند باب القصر بيحيى بن الحكم، فعاتبَهُ الحسن بن

الحسن على ما كانَ منه، ومن هذه المَنفعَة التي هي إلى الإيقاع أقرَب، فردّ عليه يحيى بن الحكم، قائلاً: إيهاً عَنك، واللّهِ لا يَزَالُ يَهَابُك، ولَولا هَيبَتُهُ إيّاك مَا قَضَى لَكَ حَاجَة، ومَا ألوْتُك رِفداً، أي: مَا قَصَّرتُ فِي مُعَاوَنَتِك . وهُنا نَجِد يحيى بن الحكم يُشير إلى عقيدة الزيدية في الخروج بالإمامة من شامة بني الحسن، الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام، هُو لم يَقُل ما قالَهُ في حق الحسن، إلاّ وهو يعرف عقيدَته الزيدية في الخروج، ثمّ لَو لاحظنا الحسن بن الحسن وهُو يردّ على يحيى بن الحكم جعلَهُ أمانيّ أهل العراق هي السبب في ظهور الشّيب عليه، لَو لاحظنَا ردّ الحسن لوجدناهُ ينفي أن يكونَ سبب ظهور الشّيب هو أمانيّ أهل العراق عند توافُدهم عليه، ولكنّ سبب ظهوره هُو وراثَة في أهل بيته، والشّاهد هُنا مع ما سبَق، هُو أنّ الحسن المثنى لم ينفِ علاقَتَهُ بأهل العراق، ونحنُ عندما نَذكُر هذا، لا نَذكُرهُ إلاّ مُنّبهين لبعض الحُذّاق من الجعفرية الذين يُريدون تثقيل طرَفِهِم بإثبات تمذهب سادات بني الحسن والحسين من غير أئمّتهم، بإثبات تمذهُبِهِم بمذهب الجعفرية، واعترافِهِم بالنّصوص في حقّ بني عمومتهم، وهذا فَذهابٌ إلى سَرابٍ بقيعَة، والأدلّة على هذا كثيرَة، نذكُر منها ما يخصّ إمامَنا المُترجَم له، نعني الحسن بن الحسن بن علي صلوات الله عليه وعلى آبائه، فنقول:

روَت الجعفرية، ونخصّ الطبرسي في إعلام الورى بأعلام الهُدى (١/ ٤٩٠)، وابن شهر آشوب في المناقب (٣/ ٢٩٦)، رَووا تهكّم وتطَاول الحسن بن الحسن بابن عمّه زين العابدين علي بن الحسين، الذي هُو إمامهُ وحجّة الله عليه!، فقال ابن شهر آشوب: «ونَالَ -تأمّل- مِنهُ -من زين العابدين- الحسَن بن الحسَن بن علي بن أبي طالب فَلم يُكَلّمهُ، ثمّ أتَى مَنزِلَه وَصَرَخَ بِهِ فَخَرَجَ الحسن مُتوثّباً للشر -تأمّل-، فَقال عليه السلام: يَا أخِي إنْ كُنتَ قُلتَ مَا فِيَّ فَأسْتَغفِرُ الله مِنه، وإنْ كُنتَ قُلتَ مَا ليسَ فِيَّ يَغفِر الله لك، فَقَبَّلَ الحسَن مَا بَينَ عَينيه، وقَال: بَلى قُلتُ مَا ليسَ فِيك وأنَا أحَقّ بِه»، وهذا إن صحّ فدليلٌ على عدم اعتبارِ الحسن بن الحسن زين العابدين إماماً منصوصاً عليه، مُفترَضَة من الله طاعته؛ لأنّه عليه السلام صاحبُ القدر والعِلم وهذا فباعتراف شيخ الجعفرية الشيخ المفيد، ومؤرّخوهم لا يقولون بغير هذا فيه، فكيفَ تَصدرُ منه مثلُ هذه الهفوة والتوثّب للشرّ، والافتراء على

إمام الزمان علي بن الحسين، فلو كان هذا التصرّف من الحسن مع غير زين العابدين لقُلنا لا بأس، ولكن أنْ يصِفَ إمامَ زمانهِ المعصوم صغيراً وكبيراً عن الخطأ أو حتّى مُجردّ السّهو والنسيان، أن يَصفِهُ بما ليسَ فيه زوراً وبُهتاناً، ثمّ هُو مَعَ هذا يَخرجُ عليه مُتوثّباً للشرّ، فهذا ما لا تَقولُ به العُقلاء، فإنْ أنتَ وَقفتَ على هذا، عَرفتَ أنّ الحسن بن الحسن لم يكن يعتبر زين العابدين إماماً معصوماً منصوصاً عليه من الله والرّسول، فافهم هذا، واستحضِر ما سيأتي قريباً من ثبوت ادّعاء الحسن بن الحسن الإمامة وخروجه على الظلم.

كُتب ورَسائل وبَيعات ابن الأشعث تَفِد على الحسن بن الحسن عليه السلام:

في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، ولّين الحجاج بن يوسف الثقفي، عبدالرحمن بن محمد الأشعث الكِندي على سجستان، فسارَ عبدالرحمن هذا إلى سجستان بجيشٍ عظيم قوامه ثلاثونَ ألفاً، من جُملتهِم العُلماء والفقهاء والعَوام، فلمّا تمكّن عبدالرحمن بن الأشعث من سجستان، أشارَ عليه الفُقهاء بخلع الظّلم والطّغيان، أشاروا عليه بخلع عبدالملك والحجّاج، فخلَعَهُم وسارَ بجيوشٍ تَحفُل إلى الشام، وهُناك تصدّى له الحجاج بجيش عظيم، وحصلَ بينَهم نيّف وسبعون وقعَة، كانَت الغلبَة فيها كلّها لابن الأشعَث ما عَدى وَقعتين، وهذا كلّه كان في ثلاث سنوات، ما بين ٨١-٨٣هـ، وفقهاء أهل الكوفة كان رأيُ أكثرهم الخروج على الظَالِم، الأمرُ الذي جعلَهُم يلتفّون حولَ ابن الأشعَث بتزايدٍ رَهيب، نعم !اجتمع هؤلاء الفقهاء بابن الأشعث وأشاروا عليه ونَصحوهُ بمُراسلَة أحد الفاطِمِيّيْن، علي بن الحسين، أو الحسن بن الحسن، وأنّ هذا الأمر لا يَلتئمُ إلاّ لَهُم وبِهِم، وعِندي أنّ هذا كانَ في السنة الثالثة من حروب ابن الأشعث والحجاج أي في سنَة ٨٣هـ، فأخذَ ابن الأشعث برأيِهِم، وأرسلَ كتاباً إلى زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، فامتنَعَ عن إجابَتِهم فيمَا دَعوهُ إليه، ولعلّ زين العابدين عليه السلام كان يَخشى من الغَدر، الذي نتجَ عنه مجزرةُ كربلاء، وزين العابدين فكانَ كثيراً ما يذكُر وينتَحبُ على قتلَى كربلاء، وهذا فدليلٌ على أنّ ذلك المنظر المأساوي الذي يتردّد أمامَ عينيه، هُو الذي مَنَعَهُ من قبول بيعات أهل سجستان، وليسَ هذا الامتناع منه عليه السلام تَهاوُناً في فريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر، والجِهَاد للظّلمَة، ولكنّه منهُ عليه السلام

عدم توثّق من أمر المُبايعِينَ له، نعم ! فلمّا يئسَ ابن الأشعث ومَن مَعه من استجابَة علي بن الحسين لهُم، أرسلوا كتاباً ثانياً إلى ابن عمّه الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام، فظهرَ من الحسن بن الحسن بادئ الأمر من التخوّف والتشكّك مثل ما ظهرَ لعلي بن الحسين عليه السلام، فقال لهم الحسن عليه السلام، مُبيّناً لهُم حِرصَه على القيام بحجّة الله، قال عليه السلام: «مَالِي رَغْبَةٌ عَن القِيام بِأمْرِ الله، ولا زُهدٌ في إحيَاء دِين الله، ولَكن لا وَفَاءَ لَكُم، تُبَايُعونَنِي ثُمّ تَخْذُلُونَنِي»، فأصرّ عليه القوم، وتَعهّدوا عِندَهُ بالسّمع والطّاعة، وحُسنَ الائتمَام، فلَم يَجِد الحسن عليه السلام بُدّاً من القيام بفرض الإمامة والأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر، كما لم يَجِد عمّه الحسين السبط عليه السلام بُدّا من الخروج وكُتب أهل الكوفة تتوافدُ عليه من كلّ حَدبٍ وصَوب، وهُنا لو تأمّلنا خِطابَ الإمام السّابق لهم، لَوجدناهُ يُقيمُ عليهِم الحجّة بصدقِ النّصرَة، ولَوَجدنَاهُ زيديّ الخروج والدّعوة والإمامَة، ونقصدُ بالزيدي أي أنّ مبدأهُ هُو مبدأ الزيدية أتْبَاع أهل البيت عليهم السلام، بني الحسن والحسين، وإلاّ فإنّ عهد الحسن بن الحسن لم تكُن فيه هذه التسمية موجودة البتّة، وما ظهرَت إلاّ بعد زيد بن علي عليه السلام، نعم! فلمّا أجابَ الحسن بن الحسن الرُّسُلَ استبشرَ الفقهاء وأصحاب ابن الأشعث بهذا الأمر أيّما بِشر وسرور، وأجمعوا على تَلقيبه عليه السلام بالرّضا، لمّا ارتضَوه إماماً وقائداً لهُم، وفي ذلك يقول شاعرُهُم:

أبْلِغْ أبَا ذُبّانَ مَخْلُوعَ الرَّسَنْ أنْ قَدْ مَضَتْ بَيعَتُنَا لابنِ الحسَنْ

ابن الرّسول المصطَفَى والمؤتَمَن مِنْ خَيرِ فِتيانِ قُريشٍ وَيَمَنْ

والحجّةُ القَائمُ فِي هَذَا الزّمنْ

معركَة دير الجَماجِم، ومُطاردَة الإمام الحسن بن الحسن عليه السلام:

نعم ! ومن هُنا بدأ إمامنا الحسن بن الحسن بعد توفّر النّاصر والمُعين، بدأ الاستعداد والتّأهب للخروج إلى ابن الأشعث ومَن مَعه، وكانَ الفقهاء في ذلك الوقت يحثّون ابن الأشعث لكي يُظهرَ اسم الإمام الرّضا الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، يُظهرَه على منابر المساجِد، فأظهرَه ابن الأشعَث جُمُعة، فلمّا كانت الجُمعة الثّانية أسقطَ

اسمه ولم يَذكُره، كلّ هذا والإمام الحسن في طريقِه إليهِم، وفي تلك الأثناء وقَعَت الملحمَة الكُبرىٰ بينَ جيش ابن الأشعث وجيش الحجّاج، في مكان يُقال له: -الجَماجم- يَبعد عدّة فراسخ عن الكوفة، وكانَ كثير من جيش ابن الأشعث يُقاتلونَ تحتَ رايَة الإمام الحسن المثنّى عليه السلام وهُو غائب لم يَصِلهُم بَعد، إلاّ ما كانَ من ابن الأشعث، نعني إسقاطَهُ اسم الإمام الحسن من الخطبة، وهُناك استبسل أصحاب الإمام عليه السلام أيّما استبسال، ولكنّ النصر مع ذلك لم يَكُن حليفَهم، فانهزمَ ابن الأشعث ومَن معه ولحقوا بفارس ثمّ سجستان، وقُتِلَ عدد كبيرٌ من الفقهاء في هذه المعركة، حتّىٰ سُميّت بمعركة الفقهاء، وتُسمّىٰ بمعركة دير الجماجم، **نعم !** وهذه الوقعة حصلَت والإمام الحسن عليه السلام في طريقهِ إليهِم، فلمّا علم عليه السلام باندلاع الحرب في الكوفة، وهزيمة أصحابه، ونَشاط العيون الأموية في القبض عليه، تَوارَىٰ الإمام الرّضا عن الأنظار، فالتحقَ بالحجاز، ولم يتمكّن منه عبدالملك بن مروان حتّىٰ تُوفّي سنة ٨٦هـ، وجاء بعدَه ابنه الوليد بن عبدالملك الذي اجتهدَ اجتهاداً كبيراً في مُطاردَة الحسن بن الحسن عليه السلام بُغية القبض عليه .

الإمام الحَسن بن الحسن، الإمام العَابِد عليه السلام:

قال الإمام نجم آل الرّسول وفَخرُهم القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام (١٦٩-٢٤٦هـ): بَلَغَنَا أنّ مُوسىٰ النّبي، وإدريس عَليهِمَا السّلام، دَعَوا بِهَذِه الأربعين اسماً، وأنّ رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كَانَ يَدعو بِهَا، وأنّ الحسَن بن الحسَن طَلَبَهُ الحجّاج بن يوسف فَدَعَا بِهَذِه الأسمَاء فَصُرِف عنه:

«سُبْحَانَكَ يَا الله، يَا ربَّ كُلّ شَيءٍ وَوارِثُه، يَا الله الإلهُ الرّفيعُ جَلاله، يَا الله المحمُودُ فِي كُلّ شَيءٍ فِعَالُه، يَا الله يَا رَحمَنُ كُلّ شَيء وَرَاحِمُه، يَا الله يَا حيّ حِينَ لاحَيّ فِي دَيمُومِية مُلكِه وَبَقَائه، يَا الله يَا قَيّوم لايَعزُبُ عَنهُ شَيء عِلمه ويؤوده، يَا الله يَا وَاحدُ يَا أولُ كلّ شيءٍ وآخِره، يا الله يا دَايم بَغير زَوال ولافَناء لملكِه، يا الله يَا صَمَد فِي غَير شبه ولاشيء كمثله، يَا الله يَاوِتر فَلا شَيء كُفوه ولا مُداني لِوَصفِه، يَا الله يا كَبيرُ أنتَ الذي لاتَهتدِي كلّ

القلوبِ لِعَظَمَتِه، يا الله يا بَاريء كلّ شَيء بِلا مِثال خَلا مِنْ غَيرِه، يَا الله يَا كَافِي الوَاسع لما خلق مِن عَطايا فَضله، يا الله يَا نَقي مِن كلّ جَور لَمْ يرضه ولم يخالطه فِعاله، يا الله يا حَنّان أنتَ الذي وَسِعَت كلّ شيء رَحمَته، يَا الله يا مَنّان ذَا الإحسَان قَد عَمّ كلّ شيء مِنّته، يَا الله يَا دَيّان العِباد وَكلّ شَيء يَقومُ خَاضِعَاً لِرَهْبَتِه، يَا الله يا خَالِق مَنْ فِي السّماوات وَمَن فِي الأرض وكلّ شَيء إليه مَعاده، يَا الله يَا تَام فَلا تِصفُ الألسُنُ كلّ جَلال مُلكه وَعزه، يا الله يا مُبتَدئ البَدائع لَم يَتَغ فِي إنشَائها عَوناً مِنْ خَلقه، يَا الله يَا عَلاّم الغُيوب لايؤودهُ شَيء من حفظه، يَا الله يا مُعيد مَا أفنىٰ إذا بَرَزَت الخَلائق لِدَعوَته مِن مَخَافته، يا الله يا حَكيمُ ذَا الأنَاة فَلا شيء يُعَادِله، يا الله يا جَميلُ الفِعَال ذَا المنّ عَلىٰ جَمِيع خَلقِه بِلُطفِه، يَا الله يا عزيز المنيع الغَالب علىٰ أمرِه فَلاشيء يُعادِله، يَا الله المتعَال القَريبُ فِي عُلو ارتفَاعِه، يَا الله يا جَبّار الملك عَلىٰ كلّ شيء بِقهر عزيز سُلطَانه، يَا الله يا نُور كلّ شيء أنتَ الذي انْفَلَقَت الظّلمات بِنورِه، يَا الله يَا قُدّوس الظَاهر مِن كل شيء فَلا شيء يُعادِله، يا الله يَاقريب دُونَ كلّ شيء قربه، يَا الله يَا عَليّ الشامخ فوق كل شيء عُلوه وارتفَاعه، يا الله يا جَليل المتكبّر عَلىٰ كل شيء والعَدل والصّدق أمره، يا الله يا حَمِيد فَلا تَبلغ الأوهَام كلّ شأنِه ومجدِه، يا الله يا بَديع البَدائع ومُعيدُها بَعدَ فَنائِهَا بِعَائدَته، يا الله يا عَظيم ذَا الثّنَا الفَاخِر وَالعِزّ والكِبريَاء فَلا يَذلّ عزه، يَا الله يَاكَريمُ أنتَ الذي مَلأ كلّ شيء عَدله، يَا الله يا عجيب كلّ الآئه وثَنَائه، يا الله يا خَالق الخَلق وَمُبتَدعه وَمغني الخَلق وَوارِثه، يا الله يا رَحيم كُلّ صَريخٍ وَكلّ مَكروب وغِياثه ومعاده، يَا الله يَا قَاهر البَطش الشّديد الذي لا يُطاق انتقَامُه.

ثمّ يَدعو بِهَذَا الدّعاء: اللّهُمّ إنّي أسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ المسكِينِ المُستَكِين، وأبْتَغِي إليكَ ابتغَاء التَائبِ الفَقَير، وأتَضَرّعُ إليكَ تَضَرُّعَ الضّرِير، وأبْتَهِلُ إليكَ ابتهَالَ المُذنِب الذّليل، أسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ مَنْ خَضعَتْ لَكَ رَقَبَتُه، وَرَغِمَت لَكَ أنْفه، وَعَفرَ وَجهه، وسَقَطَتْ لَكَ نَاصِيَته، وانْهَمَلَتْ لَكَ دُمُوعُه، وَفَاضَتْ إليكَ عَبْرَتُه، وأَغْرَقَتهُ خَطَايَاه، وَفَضَحَتهُ عَبَرَاتُه،

وَظَلّتْ عَنهُ حِيلَته، وَذَهَبَتْ عَنه قُوّتُه، وَانقْطَعَت عَنه حُجّته، وأسْلَمَتْه ذُنوبه، أسْألُكُ الهُدَىٰ وأفْضَل الشُكر فِي النّعَماء، وأحسنَ الذّكْرِ فِي الغَفْلَة، وأشَدّ التَذَرّع فِي الرّغبَة، وأبْكَىٰ العُيون فِي الخَشية». اهـ [1].

ثَنَاء الأئمّة والعُلماء على الإمام الرّضا الحسن بن الحسن عليه السلام:

* قال الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام: «هُوَ الذي أجمَعَ عليهِ آلُ الحسن وآلُ الحسين في ولاية صَدَقات علي عليه السلام، ولَم يَجتمعوا علىٰ غيرِه، ولَهُ فضلٌ كبير، وعِلمٌ شَهير»[2].

* قال العلاّمة عبدالله بن الإمام الهادي يحيىٰ بن الحسن القاسمي: «كَانَ مَشهُورَاً بِالفَضْل» [3].

* قال العلاّمة الشّهيد حُميد بن أحمد المحلي: «كانَ عليه السلام مَشهوراً فَضلُه، ظاهراً نُبلُه، يَحكِي في أفعَالِه مَنَاسِبَهُ العَالِية» [4].

* قال العلاّمة محمد بن علي الزّحيف: «كانَ مَشهورَاً فَضلُه، ظَاهراً نُبلُه، وَكَانَ لَهُ مَواقِف عَظيمَة بَين يَدي عمّه الحسين بن علي عليه السلام فِي كربلاء، وكَان فَارِساً، له يومئذٍ عشرونَ سَنة، وقَتلَ يَومئذٍ من جنودِ الضّلال عِدّة» [5].

* قال العلاّمة الحسين بن ناصر الشّرفي: «الإمامُ الكَبير الحسَن بن الحسن بن علي عليه السلام، كَانَ رَجُلاً جَليلاً، مَهيباً، عَابِداً، فَاضِلاً، رَئيسَاً، وَرِعَاً زَاهِداً» [6].

---

(١) من كتاب الذّكر للحافظ محمد بن منصور المرادي رحمه الله تعالى.
(٢) من كتابِه الشّافي.
(٣) من كتابه الجداول.
(٤) من كتابه الحَدائق الورديّة في مَناقب أئمّة الزيدية.
(٥) من كتابه مآثر الأبرار ج١.
(٦) من كتابه مطمح الآمال.

زواجُ الإمام الحسن بن الحسن، وذِكرُ أولادِهِ (ع):

سبقَ وأن أشرنا إشارةً سريعَة إلى أنّ إمامنا الحسن بن الحسن عليه السلام، تزوّج بابنة عمّه فاطمةبنت الحسين عليها السلام، وحاصلُ هذا الزواج، أنّ الإمام الحسن قصدَ عمّه الحسين وطلبَ منه أن يُزوّجَه إحدى ابنتيه، يعني سُكينة وفاطمة، فقال له عمّه الحسين: اختَر أحبَّهما إليك، فاستحيا الحسن عليه السلام من عمّه، ولم يُحِر جَواباً، فقال الحسين عليه السلام: قَد اخْتَرتُ لكَ ابنتي فاطمَة، فَهِيَ أكثَرُهما شَبهاً بأمّي فاطمةبنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فزوّجه إيّاها، وقد كان يُقال بها معناه: إنّ امرأةً تُختَارُ على سُكينة، لُمنطقعةُ الجمال؛ لأنّ سُكينة كانت جَميلة .

نعم ! تزوّج الإمام الحسن بفاطمةبنت الحسين، وأنجبَتْ منه عبدالله، وإبراهيم، والحسن -المثلّث-، وزينب، وأم كلثوم، ويُحكى أنّ جدّه لأمّه، منظور بن زيَّان الفزاري، جاءهُ وقالَ له: لعلَّكَ أحْدَثتَ أهلاً ؟ قال: نعَم، تَزوجّتُ بنت عمّي الحسين بن علي، فقال: بِئسَ ما صَنَعت، أمَا عَلِمتَ أنّ الأرحامَ إذا التقَت أضوَت؟!، كانَ يَنبغي لكَ أن تَتَزوّجَ من العَرب، قال: فإنّ الله قَد رزَقَني منها ولداً، قال: فَأرِنيه، قال: فأخرجَ إليه عبدالله بن الحسن، فَسُرَّ به وفَرِح، وقال: أَنْجَبتَ والله، هذا الليثُ عادٍ ومَعدوٌّ عليه . قال: فإنّ الله رَزَقني منها ولداً آخر، قال: فأرِنيه، فأخرجَ الحسن بن الحسن بن الحسن، فَسُرّ به، وقال: أَنْجَبتَ والله، وهُوَ دونَ الأوّل . قال: فإنّ الله قد رَزَقَني منها ثالثاً، قال: فَأرنيه، فأراهُ إبراهيم بن الحسن بن الحسن، فقال: لا تَعُدْ إليهَا بعدَ هذا .

وللإمام الحسن بن الحسن عليه السلام، جعفر، وداود، وفاطمَة، ومُليكَة، وأم القاسم، أمّهم أم ولد .

استشهَاد الإمام الحسن بن الحسن عليه السلام:

تُشير المصادر إلى أنّ استشهَاد الحسن بن الحسن عليه السلام، في العام السادس والتسعين، وقيل السّابع، وقيل الثّامن، والسّلطة الأمويّة هي المُتّهمة بسمّه عليه السلام، والرّاجح أن يكون عليه السلام قد مات مسموماً على يد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك، وذلك في عام ٩٦هـ،

وعُمره خمسٌ وخمسونَ عامَاً، ودُفِنَ الإمام الحسن في البقيع بالمدنية المنورة، ولا تحديد بالدّقة لمكان قَبره عليه السلام، وقد يُشار إليه بالقُرب من قبر أبيه الحسن بن علي عليه السلام، ولا صحّة لكونه عليه السلام تُوفّي وعُمره خمسٌ أو ستٌّ أو ثمانٌ وثلاثون عاماً، فتكون سنة وفاته عليه السلام في السنة التاسعة والّسبعين للهجرة على أكثر تقدير، وهذا يَجعلُهُ غيرُ مُعاصر للوليد بن عبدالملك وهُو المُتهم بِسَمّه بإجماع المصادر الذي تكلّمت عن هذا، إذ أنّ ولايَة الوليد كانت في الفترة ما بين ٨٦-٩٦هـ، ثمّ إنّه يُعترضُ على هذا القول، بإثبات المَصادر أنّ وقعة دير الجماجم لم تَحدُث إلاّ عام ٨٢ أو ٨٣ هـ، فيكونُ الحسن بن الحسن قد تُوفّيَ حينَها، وهذا وَهم، والصحيح بإذن الله هُو مَا أثبتناه .

نعم ! حَزِنَتْ فاطمةبنت الحسين على زوجها الحسن المثنّى عليه السلام، أيّما حُزن، فقد أُثِرَ أنّها ضربَت فُسطاطاً على قَبره عليه السلام، أي بيتَاً من الشّعر، ومَا بَرِحتهُ تَبكيه وتترّحمُ عليه، فِرضوانُ الله عليه وعليها وعلى آبائهما، وخيار أبنائهما، وسلامٌ وصلاة على أشرف الأنبياء والمُرسلين، وعلى آله الطّيبين الطّاهرين .

الأحد الموافق١٢/ ٧/ ١٤٢٧هـ

المصادِر:

- كتاب المصابيح، لأبي العباس الحسني عليه السلام .
- كتاب الحدائق الورديّة في مناقب أئمّة الزيدية، للشهيد حميد المحلي .
- كتاب مآثر الأبرار في تفصيل مُجملات الأخبار، لمحمد بن علي الزحيف.
- كتاب الشافي، للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة .
- كتاب التحف شرح الزّلف، للإمام مجدالدين بن محمد المؤيدي عليه السلام .
- كتاب الذِّكْر، للحافظ محمد بن منصور المُرادي .
- كتاب مَطمح الآمال، للعلاّمة الحسين بن ناصر الشّرفي .
- كتاب أخبَار فخ ويحيى بن عبدالله، لأحمد بن سهل الرّازي .
- وغيرها .

****

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الحسين بن علي بن الحسن ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

نسبه :

هُو الإمام الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

لقبه:

الفَخِيّ، نسبةً إلى أرض فخ من مكة المكرمة، الأرض التي استُشهِدَ وأهلُ بيتهِ فيها.

مولده:

وُلدَ عليه السلام سنة ١٢٨ للهجرة تقريباً .

والدُه:

* هُو علي بن الحسن المثلث عليه السلام، ويُلقّب بالعابد لكثرة عبادته، وكذلك يُلقّب بالأغر.

* وهُو أحد أولئك النفر من أهل البيت عليهم السلام الذينَ حَبسهُم أبو جعفر المنصور في المطبق، وكان أعمامهُ وبنو عمومتهِ لا يَعرفونَ أوقاتَ الصلاة في سجنهِم المُظلِم إلاَّ بوظائفه من العبادَة وقراءة القرآن .

* وممّا يُؤثرُ عنه عليه السلام، أنّه كان وأبناء عمومته في السجن العباسي، مُقيّدين بقيودٍ ثقيلة، فكانوا إذا أحسّوا الأمان من الجنود العباسية، خلعوا تلك القيود، وإذا أحسّوا بقُربِهم أعادوها، إلاّ عابد أهل البيت علي بن الحسن عليه السلام، فإنّه لَم يَكُن يخلعها !، فقال له عمّه شيخ آل الرسول وكاملهم عبدالله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام: «مَالَكَ لا تَحلُّ قيدَك ؟ فقال علي العابد عليه السلام: لا أفعَل ! حتّى ألقى الله عزّ وجل فأقول: رَبِّ سَلْ أبا جَعفر لِمَ قَيَّدَني ؟!»، فضجرَ كاملُ أهل البيت عليهم السلام، وقال: «يا

ابن أخي، ادعُ على أبي جَعفر، فقال علي العابد عليه السلام: يا عَمّ، إنَّ لأبي جعفَر منزلةً في النّار لا يَصِلُهُا إلاَّ بِما يصلُ إلينا من الأذى، وإنَّ لَنا منزلةً في الجنة، لا نَصِلُ إليها، إلاَّ بالصّبر على ما لَحِقَنا في حقّ الله تعالى مِن أبي جعفر، فإن شئتَ أن أدعُوَ الله تعالى بأن يَضَعَ من مَنزلتنا في الجنّة، وأن يُخفّفَ على أبي جعفر من منزلته في النار فَعَلت، فقال عبدالله المحض عليه السلام: بَل نَصبِر» .

* استُشهِد عليه السلام مسموماً في السجن العباسي ما بين سنة ١٤٢ إلى ١٤٥ هـ، وفيه قُتِلَ جماعُة أهل بيته عليهم السلام ومنهُم عمّه عبدالله المحض عليه السلام .

أمه:

* وهِيَ **زينب بنت عبدالله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب** عليه السلام . أخت الإمام محمد بن عبدالله النفس الزكية، والإمام إبراهيم النفس الرضيّة، لأمهّم وأبيهم، وأمّهم هند بنت أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة بن الأسود رضي الله عنها، وإلى ذلك تشير زينب رحمها الله، وهي تُلاعبُ وتُرقص ابنها الحسين عليه السلام – صاحب الترجمة – وهُو صغير فتقول:

تعلَمْ يابن زينب وهند كَم لكَ بالبطحاء في معد

من خالِ صدق ماجد وجد

* كانَت زينب رحمها الله، وزوجها علي العابد عليه السلام، يُسمّونَ بالزوج الصالح، وممّا يؤثرُ عنهما، أنّه في ليلة زواجهما، قال العابد عليه السلام لها: ما رأيك أن نحيي الليل بالصلاة، شكراً لله أنْ جَمعنا ؟ فما زالا ليلهما يُصلّيان، فلمّا جاء من الغد، قال لها: ما رأيُكَ أن نحيي النهار بالصيام، شكراً لله أنْ جَمعنا ؟ فما زالا على هذه الحال فترةً من الزمان، إلى أنْ أتى إليه عمّه عبدالله المحض عليه السلام وقال له: أَرَغبتَ عن سُنّة جدّك ؟!، أقسمتُ عليكَ إلاّ تَركَت !، وكأنّ الإمام المحض عليه السلام، يُريدُ منه التخفيف من العبادة بهذه الطريقة، قيام الليل وصيام النهار، تتابعاً .

* أيضاً ممّا يُؤثرُ عن أم الحسين زينب بنت عبدالله رحمها الله، أنّه لمّا قرَع مسمَعهَا، سمّ أبي جعفر المنصور لزوجها العابد، وقتلهُ لأبيها المحض، وقتلهُ لأخويها محمد وإبراهيم، كانَت تندُبهُم وتبكي حتّىٰ يُغشىٰ عليها !، وهِيَ معَ ذلكَ لا تَذكرُ أبا جعفرٍ بسوء !، وكانت لا تَزيدُ علىٰ قول: «يا فَاطِرَ السماوات والأرض، يا عَالِمَ الغيبِ والشّهادَة، والحاكمُ بينَ عِبادِه، احكُم بيننَا وبينَ قَومِنا بالحق».

نشأة الإمام الحسين الفخي عليه السلام:

نشأَ الإمام الحسين الفخي عليه السلام في المدينة المنورة، في حِجرِ والديه، وعَليهِما تعلَّم علوم أهل البيت عليهم السلام، ثمَّ ما لَبِثَ إلاَّ وقَد أُخِذ والدُه وجدّه عبدالله المحض إلىٰ السجون العباسيّة، وأيضاً ما لَبِثَ إلاَّ وَقرَعت مسامعهُ أنباء استشهادِهم، وكذلكَ استشهادُ خاليه محمد النفس الزكية وإبراهيم النّفس الرضيّة، فَبَقيَ عليه السلام مَع أمّه وأبناء عمومته وأخواله يحيىٰ النفس التقية، وإدريس، وسليمان، وموسىٰ الجون، أبناء عبدالله المحض عليه وعليهم السلام، وكانَ علي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قد قامَ في تلكَ الفترة علىٰ الخليفة العباسي، في بغداد، فأخذه المهدي العباسي وسجنه، فتوجهَ إليه الإمام الحسين الفخي عليه السلام، واستوهبهُ منه، فوهَبهُ إياه، بعد أن دسَّ إليه السمّ سراً، وما لبثَ علي بن العباس إلا ثلاثة أيام في المدينة المنورة حتّىٰ تفسّخَ لحمهُ، وبها مات رحمه الله .

كَرم الإمام الحسين الفخي عليه السلام:

* رَوىٰ أبو الفرج الأصفهاني في المقاتل: أنَّ الحسين بن علي الفخي عليه السلام، باعَ حائطاً لهُ بأربعينَ ألفَ دينار، فوقفَ بها علىٰ بابِ دار، وصارَ يُفرّقُها علىٰ أهل الحاجات، كفّاً كفّاً، وحفناً حفناً .

* وممّا يؤثرُ عنه عليه السلام أنّه قال: «والذي نَفسي بيدِه، إنّي أخافُ ألاّ تُقبَلَ مِنّي -نفقاته وصدقاته-، لأنَّ الذهب والتّراب قدْ أصبحَ عندي بمنزلةٍ واحدَة»، يُريدُ عليه السلام أنّ الله تعالىٰ قال: ﴿**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّـهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ [آل عمران:٩٢]، والذّهب والمال، لَيست ممّا يحبّه، وليسَت بذي بالٍ عندَه .

بينَ العُمري والي المدينة، والإمام الحسين الفخي عليه السلام في المدينة المنورة:

كانَ أميرُ المدينة المنورة في عهد الخليفة الهادي موسى بن محمد العبّاسي، هُو عمُر بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبيدالله بن عمر بن الخطاب " العُمَري "، وكانَ قَد شدَّدَ على آل علي بن أبي طالب عليه السلام، حتّى أنّه كانَ يَطلُبُهُم للعرضِ عليهِ يومياً، ويَجعلُ بعضَهُم يكفلُ بعضاً، حتَّى يَضمنَ عدمَ تَغيُّبِهِم، فتغيَّبَ الحسن بن محمد بن عبدالله المحض عليه السلام، قيلَ بسبب خلافٍ وقعَ بينهُ وبينَ شخصٍ عُمريٍّ، وَكَزهُ الحسن فشجّه فغاب، فغضِبَ الأمير العُمري لغياب الحسن بن محمد، فأرسَلَ في طَلَب الإمام الحسين الفخي عليه السلام، فَجيءَ به عليه السلام مُتعتعاً مُلبّباً – مشدوداً من ثيابه التي على صدره – حتّى أُدخِل على العُمَري، فقالَ له العُمَري: «إئتني بالحسن بن محمد، وإلاَّ واللَّهِ مَلأتُ ظَهرَك وبَطنَكَ ضرباً»، فقال الإمام الحسين عليه السلام: «إن الحسن بسويقة، وأنا مُقيمٌ بالمدينة، ولستُ أقدرُ عليه، وهُوَ رَجُلٌ حُرٌّ لا يمكنني اقتضابه، ومَا أنَا لهُ بكفيل» . فقالَ لهُ العُمري: «مَا يُصنعُ بهذا الكلام!، والله لتأتيني به، وإلاَّ مَلأت ظهرَك وبَطنكَ ضرباً»، فقال الإمام الحسين عليه السلام: «إنَّ بيني وبينَهُ ستة وثلاثين ميلاً، فأمهلني إذاً، وافتَحْ لي، حتّى أخرُجَ إليه، وأجيئُكَ به»، ثمَّ استحلفَ وتوعّدَ العُمري الحسين عليه السلام، وأمهلهُ إلى الغدِ قبلَ الزّوال .

الإمام الحسين الفخي عليه السلام في سويقة مع بني عبدالله المحض عليه السلام:

رَكِبَ الإمام الحسين عليه السلام، ووصلَ سويقة، وهُناك بعثَ إلى الحسن بن محمد، واجتمعَ إليه آل عبدالله بن الحسن، يحيى وإدريس وسليمان، ثمّ قال الإمام الحسين عليه السلام مُخاطباً الحسن بن محمد: «قَد بَلَغَكَ يا بن عمّ ما كانَ بيني وبينَ هذا الفاسق»، فقالَ الحسن بن محمد: «فامضِ جُعلتُ فداك لِما أحبَبْت، إن أحببتَ جئتُ مَعكَ، حتّى أضعَ يدي في يَدِه السّاعَة»، فقالَ له الإمام الحسين عليه السلام: «ما كانَ الله، لِيَطّلِعَ على أن يكونَ محمّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم حجيجي في دَمِك، ولكنّي أقيكَ بنفسي» .

فكانَ اجتماعُ هؤلاء السّادة، إضافةً إلى الظّلم الذي يتعرّضونَ إليه، وما يُصيبُ أمّة الإسلام في ذلك الزّمان، من إذلالٍ للأولياء، وتكريمٍ للظلمة الجُفاة، والإعانة على الظّلم

والفساد، واندراسٍ للكتاب والسنّة المحمديّة الصحيحة، حتى تُؤوّل على غير تأويلِه، وفُسِّرَ على غير تفسيرِه، كانَ كُلّ هذا حافزاً لهؤلاء النّفر من بني الحسن على القيام بفريضة الله على العباد بأعلى مراتبها، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد، فاجتمعَت كلمةُ بني الحسن على مُبايعَة ابن أختهم الحسين الفخي عليه السلام إماماً لهُم، فقال الحسين الفخي عليه السلام: «نشاورُ القوم»، يعني أبناء عمومتهم؛ لأنّ أهل البيت في ذلك الزّمان، كانوا أكثرَ تقارباً فيما بينهم، وكانوا ثقل الله الأصغر في الأرض، لَم تفش المذهبية والعنصرية والقبليّة بينهم، كما حدث في الأعصار المُتأخّرة، ومعَ ذلكَ فسيبقى منهم طائفةٌ يُمثّلون خطّ أهل البيت السابقين عليهم السلام، فلا تيأس من إيجاد الثِقَل الأصغر لمجرّد علمِكَ بتمذهب جماعاتهم بمذاهبَ شتّى، نعم ! فَبَعثَ الإمام الحسين عليه السلام إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وإلى عبدالله الأفطس بن الحسن بن علي بن علي زين العابدين، فاجتمعُوا جميعاً على أن لا يُعطُوا بأيديهم، وأن يُبلوا عُذراً في جِهادِهم .

إلاّ أنَّ الإمام موسى الكاظم عليه السلام اعتذرَ من الإمام الحسين الفخي عليه السلام في عدم المشاركة في الخروج، لِثِقَلِ ظَهرِهِ، وكَثرةِ ما يَعولُ من الأبناء، وقد كانَ عليه السلام خافَ عليهم القَتل بعده على حَداثَة أعمارَهم، وأمّا البيعَة فقَد أعطاها الإمام الحسين الفخي عليه السلام، عندما سكتَ على إجماعِ مَن حَضر على مُبايعَة الحسين عليه السلام، ويؤكّد بيعتهُ ورضاهُ بإمامة الحسين عليه السلام هُو تأييدهُ الواضح الظّاهرُ لهذا الخروج، وذلكَ عندما قال: «يا بني عمّي أجهدُوا أنفُسَكُم في قتالِهم، وأنَا شَريكُكُم في دمائهم، فإنَّ القومَ فُسّاق، يُسِرّونَ كُفراً، ويُظهرونَ إيماناً»، وهُنا تأمّل قول الكاظم عليه السلام: «وأنَا شَريكُكُم في دمائهم»؛ لأنَّ البعض يرَى أن تخلّفَ الإمام الكاظم عليه السلام عن المشاركة في المعركة، كانَ لعدَم رضاهُ عنها، أو لأنّه لا يَرى الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر، وهذا باطلٌ قطعاً، فإنَّ اعتقادَ أئمة أهل البيت عليهم السلام، أتباع الإمام زيد بن علي عليه السلام في قعودِ الكاظم عن الخروج أنّه إنّما كانَ للعذرِ الذي اعتذرَ به، وأنّهُ حريصٌ على تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكَر، إن لَم يَكن باليد فباللسان والقلب، وكذلكَ كانَ حالُ والده الإمام جعفر الصادق عليه السلام مع النفس الزكية، وما احتجنا إلى التنبيه على هذه المسألة، إلاّ لما رأينا من غلطَ الجعفرية

من الشيعة على نسبةِ عدمِ المُبايعَة من الكاظم للفخي، وذلك فيما رواه الكليني في الكافي، وسننبّه عليه عندَ الكلام عن ماهيّة البيعة باسم الرضا من آل محمد، شعارُ أهل البيت عليهم السلام.

نعم ! وممّن بايع الإمام الحسين الفخي عليه السلام من سادات أهل البيت عليهم السلام، يحيى النفس التقية وإدريس وسليمان أبناء عبدالله المحض، وموسى الكاظم، وعلي بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى، وعبدالله الأفطس، وإبراهيم طباطبا -والدُ نجم آل الرسول القاسم الرسي- بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى، وعمر بن الحسن بن علي بن علي زين العابدين، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم الغمر، والحسن بن محمد بن عبدالله المحض، وكانَ قد اجتمعَ لهُ عليه السلام ستةٌ وعشرونَ رجلاً من ولدَ علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن مواليهِم قدرَ خمسة وعشرون رجلاً .

الإمام الحسين الفخي في المدينة المنورة:

تقدّم الإمام الحسين عليه السلام بمَن معهُ من سادات أهل البيت ومواليهم يُريدون المدينة المنورة، فدخلوها وقتَ صلاة الصّبح، وكان شعارهُم «أَحَدٌ ... أحَدْ»، وكان العُمَري وقتها في المسجد النبوي الشرّيف، فاقتحمَ الإمام الحسين عليه السلام المسجد، وهُناكَ كانَ المؤذنُّ يُريدُ الأذان لصلاة الفجر، فهبَّ عليه النفس التقية يحيى بن عبدالله المحض عليه السلام وقالَ له: «قُل في أذانك " حيَّ على خيرِ العَمَل "» فتمنَّعَ المُؤذّن، فلمّا رأى سيفَ يحيى بن عبدالله عليه السلام مُصلتاً، أَذَّن بحيّ على خير العمل بصوتٍ مَرعوب، فلمّا سمِعَ العُمري الأذان ورأى بني فاطمة عليهن السلام، اقتحمَ دارَ عُمر بن الخطاب، ومنها إلى زقاق عاصم حتى نفذَ وهَرب، وآل علي عليه السلام لا يزالون في المسجد، فتقدَّم الإمام الحسين الفخي عليه السلام، وصلَّى بالنّاس الصبح، ثمَّ صَعَد على منبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، وصلَّى على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، ثمَّ قال: «أيّها النّاس، أنا ابنُ رسول الله، على مِنبَر رسول الله، في مسجد رسول الله، أدعوكُم إلى كتاب الله وسنة رسول الله، إلى أن أستنقِذَكُم ممّا تَعلمُون، أيّها النّاس إنّكُم تطلبُونَ أثرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحجر والعود وهذا – ثمّ مدَّ يدَه – مِن لحمِهِ ودَمِه»، فبايعَهُ بعض الحاضرين، وتخلّف عنه البعض .

نصّ بيعة الإمام الحسين الفخي عليه السلام:

وكانَ عليه السلام عند طلبهِ البيعات من النّاس، يقولُ لهُم: «أُبايعُكُم على كتاب الله وسنة رسول الله، وعلى أن يُطاعَ الله ولا يُعصى، وأدعوكُم إلى الرّضا من آل محمد، وعلى أنْ نَعمَلَ فيكُم بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، والعَدل في الرّعيّة، والقسم بالسويّة، وعلى أن تُقيموا مَعَنا، وتُجاهدوا عَدوّنا، فإن نحنُ وَفّينا لكُم، وَفيتُم لَنا، وإن نَحنُ لم نَفِ لكُم، فلا بيعَة لَنا عليكُم»، ثمَّ يقول: اللهُم اشهد .

خالد البربري يدخل المدينة المنورة بجيشه:

التحقَ العُمري بعدَ فرارهِ من المدينة، بعامل العباسيين على الصوافي خالد البربري، وهُناكَ هيّأ البربري جيشاً، وتوجّهَ إلى المدينة المنورة، حتّى اقتحمَ المَسجِد وهُو يَقدُمُ أصحابَه، وكانَ الإمام الحسين الفخي عليه السلام في جانبٍ من المسجد، فشَتَمهُ البربري وأغلظ عليه في الكلام، فتقدَّم إليه يحيى بن عبدالله المحض عليه السلام وقيلَ أخوه إدريس بن عبدالله عليه السلام، وهَوى عليهِ بسيفهِ فَقَدَّ البيضَةَ والرفادَة والمغفَر، فخرَّ البربري صريعاً، ودارَت رحَى المعركة، وكَانَت الشّوكَة فيها للإمام الحسين ومَن مَعَه، حتّى سُمِعَ العُمريّ يقول فيها مِن هَولِها: «أطعموني حَبّتي ماء» !!، فأصبح بنوه يُسمَّون ببني حَبّتي ماء .

مَسيرُ الإمام الحسين الفخي عليه السلام إلى مكة المكرمة و احتجازهُ بفخّ:

خرجَ الإمام الحسين عليه السلام ومعَهُ مِن الرّجال عدّة بَدر، وذلكَ يوم التاسع عشر من ذي القعدَة سنة ست وتسعين ومائة للهجرة، وكانَ ديوانه قد انطوَى على ثلاثين ألفَ رجُلٍ من أهل الأمصار، وكانَ عليه السلام قَد واعَدَهُم في الصّفا، وجعلَ بينهُم وبينَهُ علامة صاحبِ الجملِ الأحمر، فعَلِمَ الهادي العباسي بخروج الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة، فأعدّ الجيوش تلوَ الجيوش وأرسَلَها لملاقاة الإمام الحسين عليه السلام، مِنها بقيادة العبّاس بن محمد، ومِنها بقيادَة موسى بن عيسى، ومِنها بقيادة محمد بن سليمان بن علي، ومِنها بقيادَة عُبيد بن يقطين، وقَد كانَ موسى بن عيسى قد أرسلَ جمّالاً، ليستطلِعَ لهُ خبرَ الحسين

عليه السلام وجَيشِه، فذهبَ الجمّال وعادَ قائلاً: «ما أظُنُّ القومَ إلاَّ مَنصُورين»!!، فعاودَهُ موسى قائلاً: «كيفَ يا ابنَ الفاعلَة ؟»، فأجابهُ الجمّال: أنّي «ما رأيتُ خلاً ولا فلاً، ولا رأيتُ إلاَّ مُصلّياً ومُبتهلاً، أو ناظراً في مُصحَف، أو مُتقلّداً سَيفاً»، فضربَ موسى بن عيسى يديهِ على الأخرى ثمَّ بكَى!، وقال: «هُمْ والله أكرمُ خَلقِ الله على الله، وأحَقُّ بما في أيدينا مِنَّا، ولكنَّ المُلكَ عقيم، ولَو أنَّ صاحِبَ هذا القبر -يَعني الرسول صلى الله عليه وآله وسلم- نَازعَنا المُلكَ ضَربنَا خيشومهُ بالسيف»، وقد كَانَت الجيوش العباسيّة في مكة المكرمة، تُحاولُ جاهدةً، أن تَحجِبَ أخبار الإمام الحسين عليه السلام عن حُجّاج بيت الله الحرام، معَ حرصِ الإمام الحسين عليه السلام على إرسالِ الرّسول تلو الرّسول، كَي يَستحثَّ أتباعَهُ وأنصارَهُ ومَن كانَ قَد بايَعه، ولكن دُونَ جَدوى، ودُونَ نصير، والله المُستعان، فحُصِرَ الإمام الحسين عليه السلام ومَن مَعه في أرضٍ قريبةٍ من مكة المكرمة حرسها الله تعالى، وتَبعُدُ عَنها ستة أميال واسمها فخ، وقَد تُسمّى اليوم بالزاهر أو الزواهرَة، وهُناكَ استعدَّ الطرَفان للاقتال في مَعركَةٍ غيرِ مُتكافئة لا عَدداً ولا عُدّة .

خطبَة الإمام الحسين عليه السلام في أتباعهِ قبلَ المَعركَة:

استدارَ الإمام الحسين عليه السلام، وهُوَ راكبٌ على حمارٍ كانَ لخالِهِ إدريس بن عبدالله عليه السلام، واختطَبَ في أتباعهِ وشيعته، بعدَ حمدِ الله والصلاة على نبيّه، قائلاً: «يا أهلَ القُرآن، والله إنَّ خِصلَتين أدْناهُما الجنّة لشريفتان، وإن يُبقيكُم الله ويُظفركُم لَيُعمَلَنَّ بكتاب الله وسنة نبيه، ولتَشبعَنَّ الأرملَةُ واليتيم، ولَيعزَّنَ مَن أعزَّهُ الله وأولياؤه، ولَيَذلنَّ من أذلَّه الحق، والحكم من أعدائه، وإن تَكُن الخِصلَةُ الأخرى، فأنتُم تَبَعٌ لِسَلَفِكُم الصالِح تَقدُمُونَ عليهِم وأنتُم دَاعُونَ إليهم: رَسولُ الله، وحَمزةُ، وعليّ، وجَعفر، والحسن، والحُسين، وزيدُ بن علي، ويحيى بن زيد، وعبدالله بن الحسن، ومحمد وإبراهيم ابني عبدالله، فَمِن أيِّ الخِصلَتين تَجزعُون ؟! فواللَّهِ لَوْ لَمْ أجِدْ غَيري لحَاكَمتُهُم إلى الله حتّى ألحقَ بِسَلَفي»، ولهُ عليه السلام خُطبٌ غيرها تضمّنتها كُتُبُ سيرته .

خطبَةُ النفس التقيّة يحيى بن عبدالله المحض عليه السلام في أهلِ فخّ قبل المَعركَة:

خرجَ يحيى بن عبدالله عليه السلام راكباً فَرَسَهُ، وهُوَ مُحَمَّلٌ بعزيمَة أهل البيت عليهم السلام، فاستقبلَ النّاس، حامداً لله، مُصليّا على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، قائلاً: «أبْشِروا مَعشَر مَن حَضرَ مِنَ المُسلمِين، فإنَّكم أنصَارُ الله وأنصَارُ كِتَابِه، وأنْصَارُ رَسولِه وأعوانُ الحق، وخِيارُ أهلِ الأرض، وعَلى مِلّة الإسلام ومِنهَاجِه الذي اختَارَه لأنبيَائِهِ المُرسَلين، وأوليائه الصّابرين، أوَمَا سَمِعتُم الله يَقول: ﴿**إِنَّ اللَّـهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّـهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّـهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة: ١١١، ١١٢].

ثم قال: والله مَا أعرِفُ عَلى ظَهرِ الأرضِ أحَداً سِواكُم، إلاّ مَن كَانَ على مِثلِ رأيِكُم حَالَت بَينكُم وَبينَه المعَاذِير، إمّا فَقيراً لا يَقدرُ على مَا يَحتَمِلُ بهِ إلينَا فَهُو يَدعُو الله في آنَاءِ لَيلِه ونَهَارِه، أو غَنيّاً بَعُدَتْ دارُه مِنّا فَلم تُدركهُ دَعوتُنا، أو مَحبوسٌ عِند الفَسَقَة وقَلبُه عِندنَا، ممّن أرجُو أن يَكونَ ممّن وفّى لله بما اشترى مِنه، فَمَا تَنتظرونَ عِبادَ الله بِجهادِ مَن قَد أقبلَ إلى ذُرِّيَة نبيكم لِيَسبُوا ذَرَارِيهم ويجتاحوا بقيتهم؟.

ثم قال: «اللهم احْكُم بينَنَا وبينَ قَومِنا بالحق وأنتَ خيرُ الحاكِمين.»، ومن كلام يحيى بن عبدالله عليه السلام يستنتجُ الباحث أهميّة الدّعوة في خط أهل البيت عليهم السلام.

إلتقاء الحق والباطل في ساحَة المَعركَة :

تقابَل الزيدية وعلى رأسِهم إمام الهُدى الحسين بن علي الفخي عليه السلام، معَ العباسيين وعلى ميمنَةِ العباسية محمد بن سليمان بن علي العباسي وعلى الميسرَة موسى بن عيسى، والعبّاس بن محمد في القلب، وبينَا الفريقان مُتقابلان، إذْ خَرَج محمد بن سليمان العباسي وسَلَّم على الإمام الحسين عليه السلام، وعرَض عليه أمان ابن عمّه الخليفة الهادي العبّاسي،

والتمكينِ والتيسيرُ لَهُ في البلاد، فما كانَ من الإمام عليه السلام إلاَّ أن ردَّ قائلاً في كلامٍ طويلٍ منه: «... أتَظُنُّ إنّما خَرَجتُ في طَلَب الدّنيا التي تُعظّمُونها، أو للرّغبَة فيما تَعرِضُونَ عليّ مِن أموالِ المُسلمين ؟!، ليسَ ذلكَ كَما تَظُن، إنّما خَرجتُ غَضَباً لله، ونُصرةً لدينِه، وطَلَباً للشهادَة، وأنْ يَجعَلَ مَقامِي هذا حُجَّةً على الأمّة، واقتديتُ في ذلك بأسلافي الماضين المُجاهدين، ولا حاجَةَ لي في شيءٍ ممّا عُرِضَ عليّ، وأنا نافِذٌ فيمَا خَرجتُ له، وماضٍ على بصيرتي حتّى ألحَقَ ربي»، وفي هذا من الحسين عليه السلام تحديدٌ لغرضه وغَرض أسلافه من الخروج على دُولِ الظّلم والعدوان، وأنّه ليسَ كما تضمّنته بعض التواريخ من الرّغبة في انتزاعِ المُلك وحَسب، بَل طَلباً منهُم للإمامة الشرعية التي هي في منزلة خلافة ووراثة النبوّة، والتي لها أهداف ومهامّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من تطبيق الأحكام العادلة غير الجائرة والقسم بالسويّة والعدل في الرّعية، والأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر، وغيرها، وكانَ أهلُ البيت عليهم السلام على اختلاف فروعهم وأزمنتهم وأمكنتهم أحرصَ النّاس على تطبيقِ هذا المَبدأ قدرَ المستطاع، واطّلِعْ على سِيَرِهِم تجد هذا حقّاً حقّاً، وما سيرةُ الحسين الفخي عليه السلام إلاَّ أنموذجاً وضاءً يشهدُ على صدق كلامنا .

وتَشابكَ الحقّ والباطل في معركةٍ غيرُ مُتكافئةٍ حقّاً، واستبسلَ فيها أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم الكرام، فخرَّ سليمان بن عبدالله المحض عليه السلام صريعاً، وكذلك الحسن بن محمد النفس الزكية، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم الغِمر عليه السلام، وفي أحداثِ هذه المعركة يَروي بقيّة السّلَف الفاطميّ الصّالح نجمُ آل الرسول وعالمُهم ومحلّ اتفاقهم، القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم الغمر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ما معناه، أنّ الحسين بن علي الفخي عليه السلام في أرض المعركة مال إلى جانبٍ مِنها، ودَفَن شيئاً !، ثمّ عادَ إلى أرض المعركة مُلتثماً، وكانَ قدْ رآهُ بعضُ أصحابِه يَفعلُ هذا، وعند انتهاء المعركة جاء صاحِبُه ليتفقّد ماذا دَفنَ الحسين، فوجدَ قطعةً من لحمِ وجه الحسين عليه السلام والله المستعان. وما زالَ الحسين عليه السلام يستبسلُ في القتال حتّى أتته نشابةٌ أرسلها حمّاد التركي أخزاه الله فأردَتهُ صريعاً شهيداً، وكانَ هذا يوم التروية الثّامن

من ذي الحجة لعام تسعة وستين ومائة، وكبلاء الحسين عليه السلام كان بلاءُ أصحابه واستبسالهم ومنهُم يحيى بن عبدالله الذي قيلَ أنّه أصبحَ كالقنفذ لكثرة النشابات في جسمه الشريف، وكذلك عَلمُ الآل إدريس بن عبدالله عليه السلام فقد غطّته الدّماء وصَبَغَتْ ثيابه، وكانا ممّن نجا من القتل في معركَة فخ، فحملاَ على عاتقهما إكمال مَسيرة ابن أختهم الحسين، وسلفهم من أهل البيت عليهم السلام، فأكملوا مَسيرَة الزيدية المَرضيّة، فمهَّد يحيى بن عبدالله للدولة الزيدية في بلاد الدّيلم وطبرستان، وكذلك إدريس في بلاد المغرب، فسلامُ الله على تلكم الأرواح، سلاماً لا يبلغُ مدحتهُ الواصفون ولا العادّون ولا القائلون، وألحقَهم بآبائهم الطيبين الطّاهرين، وجعلَنا لهُم شيعةً مُخلصين، مُقتدين .. آمين اللهمّ آمين ..، وفي هذه السنّة المؤلَمة على أهل البيت عليهم السلام، كانَت ولادّة نجم آل الرّسول وترجمان الدّين القاسم الرسي عليه السلام، وقَد كانَ لهُ شأنٌ كبير في مَعرفَة علوم أهل البيت عليهم السلام ومَذاهبِهم ومشاربهم الصافية الصحيحة، لقربُ العهدِ منهُ بأفاضل أهل البيت عليهم السلام من سادات بني الحسن والحسين عليهم سلام الله أجمعين .

قبر الإمام الحسين الفخي عليه السلام وموضعه :

قُبِرَ الإمام الحسين عليه السلام في أرض فخ -الزاهر حالياً-، قريباً من مكة المكرمة وتبعدُ عنها ستّة أميال تقريباً، عند بُستان الديلمي، وقَد كانَ أمير المؤمنين وبقيّة الآل في زمانه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان الرسي الحسني، قد حثَّ وطلبَ من ابن عمّه أمير مكة وشريفها أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن الموسوي الحسني، أن يُعيدَ بناءَ قبر الإمام الحسين الفخي عليه السلام، وقبرَ الحسن بن محمد النفس الزكية، وكان ذلك عام ٦٠١ هـ .

أرض فخ ... وما جاء فيها من الآثار على لسان الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام:

جاء في أرض فخ وأنّه يُقتلُ فيها رجلٌ من آل رسول الله له من الفَضل الشيء الكثير من الآثار، العديد منها عن طريق الحسين ذي الدمعة عليه السلام عن عمّته ريطة بنت

عبدالله بن محمد ابن الحنفية، ومنها عن طريق جعفر الصادق عليه السلام، ومنها عن طريق سفيان بن عيينة عن علي بن أبي طالب عليه السلام وإخباراته المُستقبليّة، و منها عن طريق موسى الجون عليه السلام عن أبيه شيخ آل الرسول عبدالله المحض عليه السلام، أشرنا إليها، ومصادِرها مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني، والشافي للإمام عبدالله بن حمزة الحسني عليه السلام، والمصابيح لأبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسني عليه السلام، والإفادة في تاريخ الأئمة السادة للإمام الناطق بالحق يحيى بن الحسين الهاروني عليه السلام، فلتُراجَع .

مُقدمّة بحث حول دعوات سادات أهل البيت باسم الرّضا من آل محمد عليهم السلام

يغلطُ البعض الكثير من الإخوة الجعفرية، في تفسير دَعوات سادات بني الحسن والحسين عليهم السلام، باسم الرّضا من آل محمد، فيجعلونَ هذه الدّعوات دعواتٍ إلى أشخاصِ أئمتهم الإثني عشر، وعلى أنّهُم هُم المقصودون بالرّضا من آل محمد، أي أنّ الدّعوة لهُم وباسمهِم وبتصرّفُهِم، وأنّ القائم بالدّعوة من أبناء عمومتهم كزيد بن علي عليه السلام إنّما كانَ داعيةً لإمامة ابن أخيه جعفر الصادق على أنّه الرّضا من آل محمد، وكذلك الحسين الفخّي وأنّه إنّما كان يَقصدُ بالرّضا من آل محمد ابن عمّه موسى الكاظم، لا إمامَة نفسِه، وهذا وَهم، وإن كانَ الجعفرية لَم يقولوا بهذا إلاَّ في حقّ زيد بن علي، ولكنّ السيد حسين المدرسي يُحاول في كتابه التاريخ الإسلامي التعميم على جميعِ أئمة الزيدية، وهُوَ لَم يَثبت عن زيد بن علي عليه السلام فضلاً عن أنْ يَثبُت على يحيى بن زيد، والنفس الزكيّة، والنّفس الرضيّة، والحسين الفخي عليه السلام.

و إنّما قُلنا: إنّه وَهمٌ؛ لأنَّ الحقيقة هُي أنَّ هؤلاء السّادَة خَرجوا داعينَ لإمامَة أنفُسهِم، وإن دَعَوا إلى الرّضا من آل محمّد، فهُم الرّضا من آل محمد، دعَا بها زيدُ بن عليٍّ وهُو الرّضا، ودَعا بها النّفس الزكيّة وهُوَ الرّضا، ودَعا بها الحسين الفخي عليه السلام كما مرّ بكَ في سيرته وهُوَ الرّضا، وسنخصّ الكلامَ هُنا على الإمام الحسين الفخي عليه السلام –صاحب الترجمة–، وما مَدى أبعاد دَعوتهِ إلى الرّضا من آل محمّد، ومَن هُو الرّضا الذي يقصده، ومُناقشَة –كما وَعدنا– ما رواهُ الجعفرية حول عدم مُبايعَة الكاظم له، ثمَّ بيانُ وجه الحقّ في هذا المقال.

الدّعوة إلى الرّضا من آل محمّد عليهم وعلى جدّهم أفضل الصلاة والتسليم:

الدّعوة إلى الرّضا من آل محمّد عليهم السلام، كانَ شعاراً تَوارَثَهُ أئمة أهل البيت عليهم السلام، يتعالمُونَ به دَعواتهِم بالإمامَة، دعواتِهم الآمرة بالمعروف والنّاهية عن المُنكَر، القائمَة بما

كان يقومُ به جدّهم رسول الله ﷺ، قدرَ المُستطاع مع إبلاء الجُهد في تحقيق تلك الأهداف السّامية .

لماذا تقوم الجعفرية باستقطاب دعوات سادات بني الحسن والحسين على أنّها دَعواتٌ لأئمتهم؟!.

وهذا تساؤلٌ يجب أنْ يسألَ عنهُ كلُّ ذي لبٍّ سليم، ونحنُ نُجيبُ عليه باختصارٍ غير مُخِلٍّ إن شاء الله تعالى، فنقول: إنَّ الجعفرية أدركَت ضعفَ جانبها، و مَدى عظمَة أنْ يكونَ هؤلاء السادة من بني فاطمةأمثال زيد بن علي، وابنه يحيى، و محمد النفس الزكية، وإبراهيم النفس الرضية، والحسين الفخي، الذينَ دانَت الأمة جمعاء بفضلِهم وتقدّمهم على أهل أعصارِهم، ومَدى عِبادَتِهم وحُسنِ مَذاهِبِهم، مَدى عظمَة أن يكونَ هؤلاء وأمثالُهم على جهلٍ بأئمة أزمانهم المعصومين الإثني عشر، فالدّعوة إلى الرّضا من آل محمد من زيد بن علي عليه السلام، إلى إمامة نفسه، تعني جهلَ الإمام زيد عليه السلام بإمامَة ابن أخيه جعفر الصّادق، تعني جهلَ الإمام زيد عليه السلام بالنّص الإثني عشري برمّته، والإمام زيد هُوَ مَنْ هُو في القُرب من بيتِ المعصومين، فأبوه زين العابدين رابعُ الإثني عشر، وأخوه الباقر خامسُ الإثني عشر، وابن أخيه جعفر الصادق سادس الإثني عشر، فادّعاء زيد الإمامَة لنفسه، يُضعِفُ معرفتهُ بالنّص على هؤلاء الأئمة بأسمائهم وأعدادهم، و هذا يكونُ حجّة عُظمى عندما يكونُ أبناء الأئمة لا يَعلمُونَ أئمة أخوتهم وأبناء إخوتهم الإمامة الربّانية النّصية، وأمثالُ هذا المثالِ كثيرٌ لدى الجعفرية، وفيه فليتأمّل الباحث.

نعم ! والدّعوة إلى الرّضا من آل محمد من مُحمد بن عبدالله النفس الزكيّة عليه السلام، إلى إمامَة نفسه، تَعني جَهْلَ النفس الزكيّة بإمامَة ابن عمّه جعفر الصّادق عليه السلام، تَعني جَهلَ النفس الزكيّة عليه السلام بالنّص الإثني عشري برمّته، والإمام محمد بن عبدالله المحض عليه السلام مَعروفٌ بألمعيّته وعلوّ شأنه في العلم والورَع والتديّن، والقُرب من صالحي أهل البيت عليهم السلام. هذا وقَد حَشرَ الجعفريةُ بَعْضَ الأدلّة في الاستدلال على دعوة الإمام زيد بن علي عليه السلام إلى الرّضا من آل محمد قاصداً بالرّضا ابن أخيه، لا نَفسَه، وهيَ باطلةٌ قطعاً، وليسَ

هذا المُختَصر محلُّ نقاش وإثبات بُطلانها، ومعَ ذلك فإن الجعفرية وإن اجتهدوا في غمطِ زيد بن علي عليه السلام إمامته، فإنّهم لَن يستطيعوا استجلاب أو تحوير أو تبديل أدلّة ادّعاء النفس الزكيّة عليه السلام -تلميذ عمّه زيد بن علي، وأحدُ المُشاركين معه في ثورته- للإمامَة باسم الرّضا من آل محمد، قاصداً نفسَه بالرّضا، لا غيرَها، وهذا الحَدثُ ممّا يُعلَمُ بالضّرورة من التّاريخ، لا يُنكرهُ إلاَّ مُباهت، وأكَّد عليه السيد الخوئي في معجمه، وجعلّه من الأمور التي لا خلافَ حولَها، فإن أرادَ الجعفرية إسقاط شَناعَة جهل الإمام زيد بن علي عليه السلام بإمامة ابن أخيه الصادق عليه السلام، فإنّه لا يَسقُطُ عنهُم شَناعَةُ جَهل النفس الزكية عليه السلام بإمامَة ابن عمّه جعفر الصادق عليه السلام، ولا يسقطُ عنهُم شناعة جهل النفس التقيّة يحيى بن عبدالله عليه السلام بإمامة ابن عمّه موسى الكاظم عليه السلام، ولا يسقطُ عنهُم شناعة جهل القاسم الرسي عليه السلام بإمامة ابن عمّه محمد الجواد عليه السلام، وكذلكَ الحالُ مع -صاحب الترجمة – الإمام الحسين الفخي وجهلهُ بإمامَة ابن عمّه موسى الكاظم عليه السلام، وهُنا سنذكُر أدلّة دعوَة الحسين الفخي عليه السلام إلى الرّضا من آل محمد، وأنّه كانَ الرّضا، لا غيرَه .

نظرةُ سادات أهل البيت في أزمانهم إلى الرضّا من آل محمد ومَن هُو ؟

أ – قالَ الحافظ مُسند أهل الكوفة ومُحدّثها وفخر الزيدية أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد البطحاني بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في كتابه الجامع:

١ – قال محمد بن منصور المرادي –رحمه الله–: سَألتُ أحمد بن عيسى –بن زيد بن علي زين العابدين– عليه السلام، عَن الدّعوة هَلْ إلى الرّضَا مِن آل مُحمّد ؟ فَقالَ: «نَعَم، الدّعوةُ إلى الرضَا، ثمَّ قَالْ: الذِي يَقومُ هُو الرّضَا، ولِكنّهَا دَعوَةٌ جَامِعَة» . هذا وأحمدُ بني عيسى عليه السلام ممّن عاصَر دَعوات بني فاطمة، وهُو الذي ما بينهُ وبين جده زيد بن علي عليه السلام إلا أبٌ واحدٌ فقط !! .

٢ – عن محمد بن منصور المرادي –رحمه الله–، قال: قُلتُ لأحمد بن عيسى عليه السلام: حَدّثني عبدالله بن موسى –الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى– أنَّ زَيدَ بن عَلي،

ومُحمّد بن عبدالله، وحُسينُ بن علي صَاحبُ فخ عليه السلام: دَعَوا إلى الرّضا، فَقَال -أحمد بن عيسى عليه السلام-: «صَدَق، دَعَانِي الحُسينُ صَاحِبُ فَخ إلى الرّضا، وهُوَ كَانَ الرّضَا». وهُنا تأمّل ربطَ زاهد الآل عبدالله بن موسى الجون عليه السلام بين دَعوة زيد بن علي وعمّه النفس الزكيّة، ربطها بالدعوة إلى الرّضا من آل محمّد، مع العلم أن الأخير كانَ قَد دَعا إلى نفسه بلا شكٍّ من الجعفرية في ذلك، ودعوة الإمام زيد بن علي عليه السلام كانَت كدعوة النفس الزكية مثلاً بمثل، وكيفَ لا تكونُ الدّعوات مُتشابهة فيما بينهُما ؟!، والنفس الزكية هُو القائل: «أمَا والله لقد أحيَا زيدُ بن علي، مَا انذَر مِن سُنَنِ المُرسَلين، وأقَامَ عَمودَ الدّين إذ اعوّج، ولَن نَقتَبِسَ إلاّ مِن نُورِه، وزَيدٌ إمامُ الأئمّة». أيضاً تأمّل قول أحمد بن عيسى عليه السلام إنّ الحسين الفخي عليه السلام دَعاهُ إلى الرّضا، وأنّهُ كانَ هُوَ الرّضا، عندها أيقِن أنَّ الدّعوة باسم الرّضا إنّما كانَت لأشخاصِ القائمين عليها، لا لِغيرِهِم كما توهّمَتْ الجعفرية .

ب – رَوى الإمام الناطق بالحق يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

٣- عن الإمام نجم آل الرسول القاسم الرسي عليه السلام، قال: حدّثني أبي -إبراهيم طباطبا أحد المُبايعين للحسين الفخي عليه السلام-، قال: «بَايَعنا الحسين بن علي الفخي عليه السلام على أنّه هُوَ الإمام» . وهُنا تأمّل أنّه قد ثبتَت دَعوة الحسين الفخي عليه السلام إلى الرّضا من آل محمّد، فيأتي شيخ الزيدية إبراهيم طباطبا ليؤيّد أنّه بايعَ الحُسين الفخي على أنّه الإمام، بالرّغم من دعوة الحسين عليه السلام إلى الرّضا، فهُوَ الرّضا .

بيعة الإمام موسى الكاظم عليه السلام، للإمام الحسين الفخي عليه السلام

تُحاولُ الزيدية جاهدةً إبراز أهل البيت عليهم السلام في أزمانهم، بصورَة الجَسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عُضوٌ تَداعى له سائرُ الأعضاء بالسّهر والحُمّى، وليسَ في مُحاولاتِهم هذه أي تعسّفٍ في المقال، أو بُعدٍ عَن الصّواب؛ لأنّه الواقع الذي تستنتجه الفطرة السليمة،

قبلَ المصادر التاريخية والروائية، وخصوصاً في مَن كان منهم قريباً بعهد رسول الله ﷺ، الحسن بن الحسن وعلي بن الحسين، الباقر وزيد بن علي، الصادق والنفس الزكية، الكاظم والحسين الفخي، .. الخ . ولكنَّ الجعفرية للأسف تَّسعَى لخلقِ فجواتٍ عميقة المَدى بين سادات بني الحسن وسادات بني الحُسين، بَل بين سادات بني الحسين أنفُسهم، والله المُستعان، ونحنُ عندما نكتُبُ هذه السطّور غيرُ راغبين بإبراز الجعفرية بهذا اللّباس؛ لأنّنا نَعلمُ أنّهُم اليومَ لا يُحبّونَه، وقَد لا يَدينونَ الله به، ولكن أصولَ مَذهبهم تُحتّم عليهم الاختيار لواحدٍ مِن اثنين:

١- إمّا موالاة أئمتهم الإثني عشر، وصفّ أئمة الزيدية في مصافّ الخارجين عن طاعَة الإمام، المُستبدّين على حقّ أعطاهُ الله له، ولا موالاة لِمَن هذه صفته .

٢- وإمّا موالاة أئمتهم الإثني عشر، وموالاة أئمة الزيدية واعتقاد أنَّ الجميع على صواب، وهُم بهذا سيفتحونَ على أنفُسهِم نوافذَ عديدة، تُدينهُم . والأمرُ لهُم وعليهِم، وما يهمّنا هُنا هُو بيانُ سبب قولنا في الوجه الأول من صفّ سادات بني الحسن والحسين أئمة الزيدية في عداد الخارجين الباغين المُتسلّطين، حتّى لا نكونَ بذلكَ ممّن يرمون بالكَلِم لا يَملكونَ عليه دليلاً؛ وذلكَ أنَّ الجعفرية قَد رَوَتْ أحاديثاً شنيعةً تُصوّر لنا ما كان بينَ زيد بن علي عليه السلام وابن أخيه الصّادق، ولَن نَذكُرها لعدَم ثبوتِ حُجّيتها عند الجعفرية مع ثبوتِ روايتهم لها، ولكنّا سَنُعرّج على سيرة ما بينَ الإمامين العظيمين محمد النفس الزكية وابن عمّه جعفر الصادق عند الجعفرية؛ لأنّا سنحتاجها في الكلام حولَ الفخي والكاظم، فتصفُ الجعفرية أنّهُ قَد جرَى بينهُما من الاختلاف ما أدّى بالنفس الزكيّة إلى إرغام الصادق عليه السلام على البيعَة له، وإن أبى فالسجنُ ملجأه، ووصفِ الباقر للنفس الزكية بأنّه الأحول المشؤوم الدّاعيةُ إلى الباطل، ثم نُعرّج على أصل كلامنا، وهُو علاقةُ ما بينَ الكاظم والحسين الفخي عليه السلام حال طَلَبِ البيعة، فيروي ثقة الجعفرية محمد بن يعقوب الكليني بسنده في كتابه الكافي:

«لَمَّا خَرَجَ الحسين بن علي المقتول بِفخ، واحتَوى عَلى المدينة، دَعَا مُوسَى بن جَعفَر إلى البيعَة، فَأتاه فَقالَ لَه: يَا ابنَ عمّ لا تُكلّفنِي مَا كَلّفَ ابنُ عمّكَ –يقصد النفس الزكية– عَمَّكَ أبا عبدالله –جعفر الصادق– فَيَخرُجَ مِنّي مَا لا أريد، كَمَا خَرَجَ مِن أبي عبدالله مَا لَم يَكُن يُريد!!، فقال له الحسين: إنّمَا عَرَضتُ عَليكَ أمراً فَإن أَردْتَه دَخلتَ فِيه، وإنْ كَرِهتَه لَم أحْمِلكَ عَليه، والله المُستعان، ثمَّ ودّعَهُ، فَقالَ له أبو الحسن موسى بن جعفر حين ودعه: يا ابن عم إنّك مَقتول، فَأجِد الضّرَاب، فإنّ القومَ فُسّاق، يُظهرونَ إيماناً ويسترونَ شِركاً، وإنا لله وإنا إليه راجعون، أحتسبكم عِندَ الله مِن عُصبَة» .

نقد الرواية، واستنتاجات مهمة حولها:

أولاً: هذه الرّواية تُثبت أنَّ الدّعوة من الإمام الحسين الفخي عليه السلام باسم الرّضا من آل محمّد هيَ إنّما كانَت لشخصِ الدّاعي إليها، وليسَت إلى غيره، بدليل: طَلَبِ الإمام الحسين عليه السلام البيعَة من موسى الكاظم عليه السلام، وهذا يفتحُ للباحث آفاقاً واسعةً للبحث في ماهيّة دَعوات الرّضا من آل محمد .

ثانياً: هُنا بُمجرَّد إثبات الجعفرية طَلَب الحسين الفخي عليه السلام البيعَة من ابن عمّه الإمام موسى الكاظم، انتفَت مَعرفَة الإمام الحسين الفخي عليه السلام، بإمامَة ابن عمّه الإمامة النّصية الإثني عشرية المُتسلسلة، انتفَت مَعرفَة الإمام الحسين الفخي بالنّص من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإمامة أبناء عمومته القريبي الوشيجة والرّحم منه، وهذا أيضاً يفتحُ للباحث آفاقاً واسعةً للبحث في ماهيّة صدق النصوص التي يرويها الجعفرية والدّالة على إمامَة الإثني عشر، وأنَّ أفاضل مُعاصري الأئمة يَجهلونَها .

ثالثاً: إنَّ الإمام الكاظم عليه السلام يَرفُضُ مُبايَعَة الحسين عليه السلام عندما دَعاه، ويقولُ له: «يَا ابنَ عمّ لا تُكلّفنِي مَا كَلّفَ ابنُ عمّكَ – يقصد النفس الزكية –عَمَّكَ أبا عبدالله– جعفر الصادق – فَيَخرُجَ مِنّي مَا لا أريد، كَمَا خَرَجَ مِن أبي عبدالله مَا لَم يَكُن يُريد!!»، وهُنا تتّضح لكَ معالِم العلاقات السيئة التي يرسمها الجعفرية بين سادات بني الحسن والحسين، إذْ في هذا الكلام من الكاظم تأكيدٌ لسوء العلاقة بين أبيه الصادق والنفس

الزكيّة -ونحنُ نُنزّهُهما عن كُلّ ما يُشين، ونَروي مُساندَة الصادق ومُبايعته لابن عمّه النفس الزكيّة-، وكذلكَ ننُزّه الإمام الكاظم عليه السلام من صدورِ هذه التهدّدات عنه في حقّ الحسين الفخي بقوله: «فَيَخرُجَ مِنّي مَا لا أريد»، ونَروي مُبايعَة الكاظم عليه السلام للحسين الفخي وحضوره اجتماع سادات بني الحسن عليهم السلام، وإقرارهُ على ما أقرّوا عليه.

اعتراض: لَو قال جعفري: إنّ الإمام الحُسين الفخي والنفس الزكيّة، إنّما خَرجا للأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر فقط، بدون ادّعاءٍ للإمامَة، وأنّهُما مُعترفان مُقِرّان بإمامَة أئمة أزمانهم من الإثني عشر، وأنّهما إنّما كانا دُعاةً لهُم .

جوابه: تماشياً مع كلامك أخي المُعترِض، وإغماضاً للعيون عن النّصوص الثابتات التي تُثبتُ خروجَهم مُدّعين للإمامَة، فهَل للدّاعيَة الفخّي عليه السلام أن يَدعُوَ إمامَه الشرّعي الرّباني موسى الكاظم إلى البيعة ؟ وهَل للكاظِم عليه السلام على ضوء الرواية السابقة أنْ يَرفُضَ بيعةَ داعيته ؟ فإن عَرفتَ سُقمَ وضعف العبارات السابقة، وضعفَ الاعتراض، فعضّد هذا المِثال: بأن هَل للداعية النفس الزكيّة عليه السلام أنْ يَدعُو إمامه الشرعي الرّباني جعفر الصادق إلى البيعة ؟، بل وإرغامهُ عليها -كما وصَفت الروايات الجعفرية-، ثمَّ عضّد ما سبق: بأن هل للداعية النفس التقية يحيى بن عبدالله المحض عليه السلام أن يُغلظَ الكلام على إمامه الشرعيّ الرّباني موسى الكاظم عليه السلام؟ وأن يصفهُ باحتجابِ الأمر هُوَ وأبوه! فإذا عَرفتَ بُطلان هذا الفعل وهذا التصرّف، عرفتَ حينها بطلانَ اعتراضِك، وأنَّ مَن يقول به فإنّما يُريدُ أنْ يُسلِّيَ نفسهُ وأنْ يُقاربَ ويُسدّد، ولَو كانَ هذا منه على حِساب إنصافهِ وعَدم اقتناعه وخداعهِ لنفسه، ولغيرِهِ بما يُحاوِلُ أنْ يُقولبَهُ لهُم إنْ كان مِن الباحثين، الداعين، المُرشدين .

وإكمالاً لسدّ ثغرات هذا الاعتراض الركيك، نذكر ما جَرى بين النفس التقيّة يحيى بن عبدالله المحض عليه السلام وبين الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ونحرصُ على إبراز جهل يحيى بن عبدالله بإمامَة موسى الكاظم، حتّى أتى مَن يُخبرهُ بهذا الأمر بعدَ أنْ قامَ ودَعا -وهي مُدّة طويلةٌ لا ينبغي من النفس التقية أن يكون جاهلاً بهذه الإمامة في حقّ ابن عمه بطولها-، ثمّ ننوّه على استنباط الروح العدوانية التي تُصوّرها الرواية الجعفرية فيما بينهُما،

وما يستحقّ التركيز عليه هُوَ أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام ينصح ويحثّ النفس التقية بطاعَة وبرّ الخليفة العباسي هارون الرشيد والله المُستعان، ويا لهُ من تَناقض بينَ موقفِ الكاظم هُنا من الخلافة العبّاسية، وموقفه من الخلافة العبّاسية في رواية الزيدية في عهد الحسين الفخي عندما وصمَهُم بالفسق، وأنهم يُظهرون إيماناً ويسترون كفراً .

فيروي ثقة الجعفرية محمد بن يعقوب الكليني في الكافي أنهُ قَد كان: «كَتبَ يَحيىٰ بن عبدالله بن الحسن إلىٰ موسىٰ بن جعفر عليه السلام:

" أمّا بَعَد فَإنّي أوصِي نَفسِي بِتقَوىٰ الله، وبِهَا أوصِيك، فإنّها وَصيّة الله فِي الأولّين وَوصِيّتهُ فِي الآخِرين، خَبّرَنِي مَن وَرَدَ عَليَّ مِن أعوانِ الله عَلىٰ دِينه ونَشرِ طَاعَتِه بِمَا كَان مِن تَحَنّثِكَ مَعَ خِذلانِك، وقَد شَاورَتَ فِي الدّعوةِ للرضَا مِن آل مُحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وقَد احْتَجَبتَهَا واحْتَجَبَهَا أبُوكَ مِن قَبلِك، وقَديماً ادّعَيتُم مَا لَيسَ لَكُم وبَسَطتُم آمَالَكُم إلىٰ مَا لَم يُعطِكُم الله، **فَاستَهويتُم وأَظْلَلتُم** وأنَا مُحذّرُكَ الله ما حذَّرَك اللهُ مِن نَفسِه "

فَكَتَبَ إليهِ أبوالحَسن موسىٰ بن جعفر عليه السلام:

«مِن مُوسَىٰ بن أبي عبدالله جَعفر، وعَلي، مُشتركينَ فِي التذلل لله وطَاعَته، إلىٰ يَحيىٰ بن عبدالله بن حسن، أمَّا بَعد: فَإنّي أُحذِّرُكَ اللّهَ ونَفسِي، وأُعلِمُكَ أليمَ عَذابِه وشَديدَ عِقَابِه، وتكَامُل نقمَاته، وأوصِيكَ و نَفسِي بِتقَوىٰ الله، فَإنَّهَا زَينُ الكَلام وتثبيتُ النّعَم، أتَانِي كِتَابُكَ تَذكُرُ فِيه أنّي مُدّعٍ وأبِي مِن قَبل، ومَا سَمِعتَ ذَلك مِنّي (تأمّل)، وسَتُكتَبُ شَهادَتُهم ويُسألُون، ولَم يَدَع حِرصُ الدّنيا ومَطَالِبَهَا لأهلها مَطلباً لآخرَتهم، حَتىٰ يَفسد عليهِم مَطلبُ آخرتِهم فِي دُنياهِم (تأمّل)، وذَكرتَ أنّي ثبَّطْتُ الناسَ عَنكَ لِرَغبَتي فِيمَا فِي يَديَك (تأمّل)، ومَا مَنَعنِي مِن مَدخَلكَ الذي أنتَ فِيه، لَو كُنتُ رَاغباً ضَعفُ عَن سنة ولا قِلّة بَصيرَةٍ بِحُجّة، ولكنَّ الله تبارك وتعالىٰ خَلقَ النَّاسَ أمشَاجَاً وغَرائبَ وغَرائز، فَأخبرنِي عَن حَرفَينِ أسْألك عَنهُما: مَا العَترَفُ فِي بَدَنِك ؟ ومَا الصَهلَجُ فِي الإنسان ؟، ثُمّ اكتُب إليَّ بِخَبَرِ ذَلك، وأنَا مُتقدّمٌ إليكَ أُحذّرُكَ مَعصيةَ الخَليفَة، وأحُثّكَ علىٰ بِرّه وطَاعَتِه، وأنْ تَطلُبَ لِنَفسِكَ أمَاناً قَبلَ أنْ تَأخُذَك الأظفَار ويَلزمُكَ الخِناقُ مِن كل مَكَان، فَتروحُ إلىٰ

النّفس مِن كُل مَكان ولا تَجِده، حَتىٰ يَمُنَّ الله عَليكَ بِمَنّه وفَضلِه ورِقّـة الخَليفَـة أبَقـاهُ الله فَيؤمِنَكَ ويَرحَمَكَ ويَحفَظَ فَيكَ أرْحامَ رَسول الله، والسّلام عَلىٰ مَن اتبعَ الهُدىٰ، ﴿**إنّـا قَـد أوحِي إلينَا أنَّ العَذابَ علىٰ مَن كَذَّبَ وتَولّىٰ**﴾.

قال الجعفري (الرواي): فَبَلَغَنِي أنَّ كِتابَ مُوسَىٰ بن جعفر عليه السلام وقَعَ فِي يَدَي هَـارون فَلمّا قَرأه قال: النّاس يَحملونِي عَلىٰ موسىٰ بن جعفـر، وهُـو بريـئٌ ممَّـا يُرمَـىٰ بِـه»، انتهـت الروايـة والله المُستعان. والعاقـلُ خـصيمُ نفـسه، ودأبُ الباحـثُ التمحـيصُ فـيما وراء السطّور، حتىٰ يحصُلَ علىٰ اليقين، ولا تميلُ به الرّجال عن يمينٍ وعن شمال، و بهـذا و بـما ذكرناهُ سابقاً، نوضّح ما نعنيه في الوجه الثاني، من أنَّ الجعفريّ وإنْ حاول التلبّس بثيـاب الولاء لهؤلاء السّادة من أئمة الزيدية مع الولاء لأئمته الجعفرية، فإنّه سـيفتحُ عـلىٰ نفـسه نوافذ عديدةً قَد لا يستطيع الجمعَ بينها، إلاّ بتحكيم العقل والعَود لقول أئمّة أهل البيـت جميعاً حسنيّهم وحسينيّهم علىٰ مباني الزيدية، وتركَ الهَوىٰ والتعصب لآراء الرّجـال . وإذ قَد ذَكرنا ما ذَكرنا، فإنه وجَب علينا بيان وجه الحق فيما سبقَ مِن المقال:

وجه الحق في علاقة أئمة أهل البيت عليهم السلام ببعضهِم البَعض:

تؤمنُ الزيدية بفضل أصحابِ الفضل مـن سـادات بنـي الحـسن والحُـسين، والكـلُّ عندهم مَعدن النبّـوة، ومحـلّ الرئاسـة والزّعامـة في الـدّين والـدّنيا، يتفاضـلون بالعَمـل والتّقوىٰ، القائمُ المجاهد في سبيل الله أفضلُ من القاعِد، وهذا نصّ الله سـبحانه وتعـالىٰ، ولا نَعدوهُ ولا نزيدُ عليه، فقال عزّ من قائل كريماً: ﴿**لاَّ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّـهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَىٰ القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّـهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّـهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَىٰ القَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:٩٥]، فالقائم المجاهد أفضل من القاعد، والكلّ وعدَهَم الله بالحُسنىٰ، وكذا أهل البيت عليهم السلام .

و تُؤمنُ بمحبّة الصادق للنفس الزكيّة ومُناصرتهِ له بالنّفس والوَلَد، وكذلكَ الحالُ بين الإمام الفخي عليه السلام وموسى الكاظم عليه السلام، وأنّ هؤلاء وإنْ تخلّفوا عن المُشاركَة في ميادين الوَغى مَعَ أبناء عمومتهم، فإنّهم كانوا بقلوبِهم وبدعائهم معهُم مُشايعين مُناصرِين .

تُؤمنُ الزيدية بقيامِ أئمة الجعفرية الذينَ هُم أئمتنا وأعلامُنا في حلالنا وحرامنا، بقيامهم بفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكَر قدرَ المُستطاعَ؛ وإنْ لَم يُشاركوا بأعلى مراتبها وهي اليد؛ لأنَّ مراتب الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكَر ثلاث أعلاها وأفضلها اليد، وأدناها التغيير بالقلب، وأوسطها التغيير باللسان، فَانتفَاء صِفَةِ الأمرِ بِالمعروفِ والنّهي عَن المنكر باليد، لا يَعنِي انتفائهَا عَن اللسان والقلب، وكذلكَ كانَ السجاد عليه السلام عِندَمَا صعدَ المنبر بحضرة طاغية المُسلمين يزيد، وكَذلكَ كان جعفر الصادق عندما انتهرَ مَن يسبّ سادات أهل البيت على المنبر النبوي، وكذلك حالُ سادات بني الحسن والحسين ممّن لَم يُؤثَر عنهم مواقفُ ثوريّة في مَيدان الوغَى، وهذه هيَ نَظرةُ الزيدية إلى أئمة الجعفرية عليهم السلام؛ لأنّ البعض قد يعتقدُ وصمَ الزيدية للباقر عليه السلام بإسدال السّتر وإرخائه، هُو رضاهُ بحُكْم طواغيت بني أميّة هشامٌ وأذنابه، وهذا باطل، أو أنّه لا يأمرُ بالمعروف ولا ينهى عن المنكر مُطلقاً بمجرّد عدم خروجه بالسيف، وهذا أيضاً باطل؛ لأنّ السيف واليد ما هيَ إلاَّ مَرتبةٌ من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويليها مراتب، والاختلاف هُنا في الأجر والفضل، و مرتبة اليد أفضلها وأجلها، والقلب أضعفها، وكذلك كُلّ ما يُوهِمُ الرّكون إلى الظَلَمَة والطّواغيت من أئمة أهل البيت عليهم السلام القائمين والقاعدين، فإنّهُم مُنزّهون عنه، وعن الاعتقادِ به، إذ لَو كانَ هذا اعتقادُهم ما كانُوا لَنا أئمة هُدىً، ولا كانوا لَنا مَرجعاً في أمور الدّين والدّنيا، أعزّهم الله من هذا الاعتقاد .

وتؤمنُ الزيدية أنَّ مُتقدّمي أهل البيت عليهم السلام على مَذهبٍ واحدٍ، لا ثانيَ له، وأنهُم مهما اختلفُوا فإنّهُم لا يُجمعُونَ على باطلٍ قَطعاً، وإجماعهُم حُجّة؛ لأنّهم الثِقَل الأصغَر المُلازمُ للكتاب الكريم .

وتُؤمنُ الزيدية أنّه ستبقى فرقةٌ من أهل البيت سائرةٌ على خُطى سَلفها الصالح حذوَ القُذّة بالقُذّة، ينطبقُ عليهم لقبُ الثّقلُ الأصغر كما انطبقَ على أسلافِهم الماضين، وبهم يتحقّقُ حديث الثقلين والسفينة، وما رأينا فرقةً مِن فِرَق المُسلمين ضمّت واحتوَت من أعلام الذريّة الزكيّة المرضيّة، ما حَوتهُ الزيدية إلى يومِنا هذا، سيدٌ يعقب سيداً، إمام يتلو إماماً، قائمٌ يتلو قائماً، مُجمعينَ على عقيدةٍ في الله واحدَة، فالزمَها تركَب سَفينَة نوح، وإن كُنتَ تَجهلها فقَد لَزمَتك الحجّة على نفسك بقراءة هذه الأسطُر، فحثّ الخُطى إلى الاستزادَة عنها، وأمّا الجاهل فإنه عَدوّ نفسهِ، فلا عليكَ منه، ولا تَكترِث به؛ لأنّه يَهرفُ بمَا لا يَعرف، ويقُولُ بما يُقال لا بِما يَقولْ!، واعتمِد على نفسِك، ومَا يُمليهِ عليكَ بَحثُك وتحرّيك؛ لأنّ الضائقة عليك، والقبرُ لَن يَحوي غَيرَك، والله المستعان . وبهذا نختم كلامنا، فسلام الله على أهل بيت النبوة والرحمة المُذهب عنهم الرجس، نجوم السماء وملاذ الورى.

٨/ ١/ ١٤٢٦ هـ

المصادر:

- الشافي للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة الحسني عليه السلام .
- التحف شرح الزلف للإمام الحجة مجدالدين بن محمد المؤيدي الحسني عليه السلام .
- المصابيح لأبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسني عليه السلام .
- الإفادة في تاريخ الأئمة السادة للإمام الناطق بالحق يحيى بن الحسين الهاروني الحسني عليه السلام .
- تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، للإمام الناطق بالحق يحيى بن الحسين الهاروني الحسني عليه السلام .
- أخبار فخ ويحيى بن عبدالله لأحمد بن سهل الرازي الزيدي .
- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني الزيدي .
- أصول الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني .

****

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام يحيى بن عبدالله بن الحسن ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

نسبه :

هُوَ الإمام يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

كُنيتهُ و لَقبُه :

يُكنّى عليه السلام بأبي الحسين، وقيل أبو عبدالله، و يُلقّب بـ (صاحِب الدّيلم)، نظراً لاستقراره حقبةً من الزّمن في بلاد الدّيلم . وكان عليه السلام يقول: " إنَّ للديّلم مَعَنا خَرجَة فَطَمِعتُ أن تَكونَ مِعِي "، والذي اتُّفِقَ عليه أنّ هذه الخرجَة كانت من نصيب الإمام الحسيني الناصر الأطروش الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام (ت ٣٠٤هـ)، وهُو الذي أسلَم على يديه من عَبَدَة الأشجار والأوثان ألف ألفَ إنسان، وهُوَ المقبور ببلاد طبرستان بالعاصمَة آمل -في إيران حاليّاً-.

والدُه:

* هُوَ عبدالله بن الحسن المثنى ويُلقّب بالمحض؛ لأنّه أوّل فاطمي يَخرُج صَريحاً محضاً من أبوين فاطمِيّين فوالده الحسن المثنى عليه السلام، ووالدتهُ فاطمةبنت الحسين بن علي عليها وعلى آبائها السلام . ويُلقّب أيضاً بالكامل؛ لأنّه كَان يُقال: مَنْ أجمَل النّاس؟ فَيُجَاب: عبد الله بن الحسن، ويُقالُ: مَنْ أجَود النّاس؟ بل لأنه كان يقال: من أجمل الناس؟ فيجاب: عبد الله بن الحسن.

* وعبدالله المحض عليه السلام أحَدُ أولئك النّفر الذي حبسَهُم الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور كافاه الله بصنيعه، فأغلَظَ عليه وعلى بني الحَسن وأثقلَ قيودَهُم، وأجهدَ نفسَهُ في

أذيّتهم، فلا رُحما هاشميّة نفعَتْ، ولا رُحما إسلاميّة أثَّرَتْ، ولله درّ صاحب الترجمة يحيى عليه السلام عندما وصفَ حال أبيه وأبناء عمومتهُ مع أبي جعفرٍ المنصور، فقال مُخاطباً لهارون الرشيد: «وقَد قتَلَ -أبو جعفر المنصور- قَبلَهُ -أي قبلَ محمد النفس الزكيّة- النّفسَ التقيّة أبي عَبدالله بن الحسن وإخوَتُهُ وبَني أخِيه، ومَنَعَهُم رُوحَ الحياة فِي مَطَابِقِه، وحَالَ بَينَهُم وبَينَ خُروجِ النّفسِ في مَطَامِيرِه. لايَعرِفُون اللّيل مِنَ النّهارِ ولا مَواقِيتَ الصّلاة إلا بِقرَاءة أجزَاء القُرآن تَجزئةً، لّما عَانَوا مِن دِرَاسَته فِي آنَاء الليل والنهَار حِينَ الشتاء والصيف، حَالَ أوقَات الصلوات قَرمَاً منهُ إلى قَتلِهِم، وقَطعاً لأرحَامِهِم، وتِرَةً لرسول الله فيهِم. فَولَغَ -أبو جعفر المنصور- فِي دِمَائِهِم وَلغَان الكلب، وضريَ بقتلِ صَغيرِهِم وكَبيرِهِم ضَراوَة الأسَد، ونهَمَ بِهِم نَهم الخنزير، والله لهُ ولمن عَمِل بِعَمَلِه بِالمرصَاد» .

* ويصفُ الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام والدَهُ بأفضل الأوصاف وهُو يتحسّرُ عليهِ وعلى أبناء عمومته من بني الحسن عليهم السلام، فيقول مُخاطباً لهارون الرّشيد: «وكَيفَ لا أطلُبُ بِدِمَائِهِم وأنَامُ عَن ثَأرِهِم ؟ والمَقتُولُ بالجوعِ والعَطَش والنّكَال، فِي ضِيق المحَابس، وثِقَل الأغلال، وعدو العَذاب، وتَرادُف الأسواط، أبي عَبد الله بن الحسن النفس الزكيّة والهمّة السنيّة، والدّيانَة المرضيّة، والخشيَة والبَقيّة، شَيخُ الفَواطِم وسَيّد أبنَاء الرّسُل طُرّا، وأرفَعُ أهل عَصرهِ قَدراً، وأكرَمُ أهل بِلاد الله فِعلاً ثمّ يَتلوهُ إخوَتُه وبَنو أبيه، ثم إخوَتي وبَنو عُمومَتي، نجومُ السّماء، وأوتَاد الدّنيا، وزينَة الأرض، وأمَان الخَلق، ومَعدِنُ الحِكمَة، ويَنبوعُ العِلم، وكَهفُ المظلوم، ومَأوى الملهُوف، مَامِنهُم أحَدٌ إلا مَنْ لَو أقسَمَ عَلى الله لبرّ قَسَمه» .

* استشهد عبدالله المحض عليه السلام سنة ١٤٥ هـ .

أمه:

هيَ قُريبَة بنت عبدالله -يُعرَف بربُيح- بن أبي عبيدَة بن عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المُطلب بن أسد بن عبدالعزى بن قصي .

نشأة الإمام يحيى بن عبدالله:

نَشأ الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام في بلادِ بني المحض في قرية سويقَة من قُرى المدينة المنورة، وبها عاصرَ مَشيخَة بني الحسن عليهم السلام، وعاصرَ نكبَاتهم وعَايَشَ مآسيهَم، يتنقّلُ مُنذ نعومة أظفارَه بينَ الأراملِ واليتامَى، يَرى الجوعَ والفقر، ويَشهدُ الأمرَ بالمنكَر والنهيَ عَن المَعروف، والتقرب إلى سلاطين الجور من عُمَّال السّوء، عاصرَ صَلْبَ وتحريق جسدَ عمّه زيد بن علي عليه السلام، عاصرَ مُصيبةَ يحيى بن زيد قتيل أرض الجوزجان، عاصرَ قتلَةَ أبيه المحض في مطابق بني العبّاس، عاصرَ سيلانَ دم أخيه النفس الزكيّة إلى أحجار الزّيت، عاصرَ مَذبحَة باخمرَى الدائرة على أخيه إبراهيم، عاصرَ وعايشَ وشاركَ موقعَةَ ابن أخته الحسين الفخي في أرض فخ[1].

هكذَا نشأ الإمام صاحب الدّيلم، الفَجيعَة تعقبها الفجيعَة، البلاءُ يَتبَعهُ البلاء، ولله درّه عندما قال مُتوجّعاً من هذه البلاءات والمصائب المُتتابعَات على أهل بيته عليهم السلام، مُخاطباً لهارون الرشيد العباسي: «فَما أنْسَ مِن شَيء فَلا أنسَى مَصَارِعَهُم، ومَا حَلَّ بِهِم مِن سُوء مَقدِرَتِكُم، ولُؤم ظَفَرِكُم، وعَظيم إقدَامِكُم، وقَسوَةَ قُلوبِكُم، إذْ جَاوزتُم قتْلَة مَن كَفَر بالله إفرَاطاً، وعَذابَ مَن عَانَدَ الله إسرَافاً، ومُثلةَ مَن جَحَد الله عُتواً؛ وكَيفَ أنسَاه؟! ومَا أذكُرُه لَيلاً إلا أقَضَّ عَليَّ مَضجَعِي، وأقلقَنِي عَن مَوضِعِي، ولا نَهَاراً إلا أمَرَّ عليَّ عَيشِي، وقَصّرَ إليَّ نفسِي، حَتى لَودَدْتُ أنِّي أجِدُ السبيلَ إلى الاستعَانةِ بالسّبَاع عَليكُم فَضلاً عَن الإنس فَآخُذَ مِنكُم حَقَّ الله الذي أوجَبَ عَليكُم، وأنتصِرَ مِن ظَالِمِكُم؛ فَأشفِي غَليلَ صَدرٍ قَد كَثُرَت بَلابِلُه، وَأُسْكِنَ قَلباً جمّاً وسَاوسه مِن المؤمنين، وأُذهِبَ غَيظَ قُلوبِهِم ولَو يَوماً واحِداً ثمَّ يَقضِي الله فيَّ ما أحَبَّ ..» اهـ، ومنهُ نستشفُّ الويلات التي كانَ يُكابُدها إمامُنا يحيى بن عبدالله الحسني عليه السلام، وحُقَّ له أن يتوجّع، وحُقَّ لنَا أن نتوجّع لوجَعه، سلام الله عليه.

---

(١) الزّاهر حالياً تبعد كيلومترات قليلة عن مكة المكرمة وبها قبره.

الإمام يحيى بن عبدالله مع الإمام الحسين الفخي:

* خرجَ الإمام الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام من المدينة المنورة إلى سويقَة، بأمرٍ من الوالي العُمَري عمُر بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبيدالله بن عمر بن الخطاب، لكي يُحضِرَ الحسن بن محمد بن عبدالله المحض إلى دار الإمارة، وهُناك استقبله بنو المحض وعلى رأسهِم الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام، واجتمعَ الجميع على عدم التسليم للعُمري ولا للخليفة العبّاسي موسى بن محمد، وعلى المُبايعَة للحسين الفخي إمامَ هُدىً عليهِم، لهُ السمعَ والطّاعَة والمُناصرَة، وفي بيعتهِ بالإمامَة الخاصّة، يقولُ الإمام إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى عليه السلام: «بايَعنَا الحُسين بن علي الفخي على أنّهُ الإمام» روى هذا الأثَر عنه ابنهُ نجم آل الرسول وتُرجمانهُم القاسم الرسي عليه السلام.

وقَد كان الحسين الفخي عليه السلام يُريد اجتماعًا أكبرَ لبني فاطمةفأرسلَ إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام وإلى عبدالله الأفطس بن الحسن بن علي بن زين العابدين عليه السلام، فكان الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام رَسولَ الحسين إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام . (للتوسّع حولَ حادثَة فخّ راجع سيرة الإمام الحسين الفخي عليه السلام، ونكتفي هُنا بإبراز دورِ يحيى بن عبدالله عليه السلام في هذه الحادثَة) .

الإمام يحيى بن عبدالله رَسُولٌ إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

يَروي مُحدّث الآل وحَافِظُهم أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام (ت ٣٥٣هـ) في كتابه المصابيح، أنّ الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام قال بعدَ مُبايعتهِ وإخوته للحسين الفخي عليه السلام: «خَرَجتُ عَلى دَابّتي رَكْضَاً مُسرِعَاً حَتى أتيت حَدباً، وهُوَ عَلى مِيلَين مِنَ المدينة وبِهَا مُوسَى بن جَعفر، وكانَ مُوسَى شَديدَ الغِيرَة، فَكَانَ يَأمُرُ بِإغْلاقِ أبْوابِه والاسْتِيثَاقِ مِنهَا، فَدَقَقْتُ بَابَهُ فَأطَلْتُ حَتَى أُجِبْت، وخَبَّرْتُ بِاسْمِي، فَأخْبَرَ الغِلمَانُ بَعضَهُم بَعضَاً مِن وَرَاء الأبْواب، وهِيَ مُقفَلَة حَتّى فُتِحَتْ وأُذِنَ لِي، فَدَخَلتُ، فَقَال: أيْ

أخِي فِي هَذِه السّاعَة؟! قُلتُ: **نَعَم** ! حَتّى مَتى لايُقَام لله بِحَقّ ؟! وحَتّى مَتى نُضْطَهَدُ ونُسْتَذَل ؟ فَقالَ: مَا هَذَا الكَلام!؟ قُلتُ: خَرَج الحُسينُ **وبَايَعنَاه**، فَاستَرجَع -أي قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون-، قُلتُ:جُعِلتُ فِدَاكَ فِي أمْرِنَا هَذا شَيء ؟» اهـ.

ثمّ اجتمعَ الإمام الكاظم عليه السلام مع الحسين الفخي، وبايعَه وأشركَ نفسهُ في أمرهِ هذا، واعتذرَ عن المُشاركَة في الخروج لِثِقَلِ ظَهرِه، وكَثرَة عِيالِه، وفي ذلكَ يقول الكاظم عليه السلام: «يا بني عمّي أجهِدُوا أنفُسَكُم في قتالِهم، وأنَا شَريكُكُم في دمائهم، فإنَّ القومَ فُسّاق، يُسِرّونَ كُفراً، ويُظهرونَ إيماناً»، وبيعَة الإمام الكاظم عليه السلام للحسين الفخي، مأخذٌ يُؤاخَذُ بِهِ أهل النصّ من الجعفرية، إذْ كيفَ للإمام أن يُبايعَ غيرَه ؟!، بل ويَطلُبُ السّماحَ من المُبايَع لَه، لعدم المقدرَة على الخروج !، مهَما يكن -فليسَ هذا مكان التوسّع بل مكان الإشارَة للباحِث- .

* دخلَ الإمام الحسين الفخي المدينة المنورة صُبحاً ومعه أبناء عمومته ومواليهم، وفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان المؤذن يتأهّبُ لأذان الفجر، فداهمهُ يحيى بن عبدالله عليه السلام وكان مُتقلّداً سيفهُ، فأمرَهُ أن يُؤذّن بـ" حيّ على خير العمل "، فرفضَ المؤذّن، فأصلت يحيى عليه السلام سيفَهُ، فأذّن المؤذن، وهو مَرعوب .

* هاجَم البربري عامل بني العباس على الصوافي وحاشيته الإمام الحسين الفخّي، وهُو في المسجد النبوي الشريف، فتقدّم البربري جنودَهُ وجعلَ يُغلِظُ الكلام على الإمام الحسين عليه السلام، فتناولهُ يحيى بن عبدالله -وقيل إدريس بن عبدالله- بسيفهِ فَقَدَّ البيضَةَ والرفادَة والمغفَر، وخرّ صريعاً، فاختلّ جيش البربري وظفرَ الإمام الحسين الفخي عليه السلام ومَن مَعه عليهم .

* وفي ميدان المعركة، وقبلَ أن تُقرَع طبول المَعركة بين الحق والباطل، خرجَ يحيى بن عبدالله عليه السلام راكباً فَرَسَهُ، وهُوَ مُحَمَّلٌ بعزيمَة أهل البيت عليهم السلام، فاستقبلَ النّاس، حامداً لله تعالى، مُصليّا على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، قائلاً: «أبْشِروا مَعشَر مَن حَضرَ مِنَ المُسلمِين، فإنَّكم أنصَارُ الله وأنصَارُ كِتَابِه، وأنْصَارُ رَسولِه وأعوانُ الحق، وخِيارُ أهلِ الأرض، وعَلى مِلّة الإسلامِ ومِنهَاجِه الذي اختَارَه لأنبيَائِهِ المُرسَلين، وأوليائه الصّابرين، أوَ مَا سَمِعتُم الله

عَزّ وجل يَقول: ﴿إِنَّ اللَّـهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّـهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّـهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١، ١١٢].

ثم قال: والله مَا أعرِفُ عَلىٰ ظَهرِ الأرضِ أحَداً سِواكُم، إلاّ مَن كَانَ علىٰ مِثلِ رأيِكُم حَالَت بَينكُم وَبينَه المعَاذِير، إمّا فَقيراً لا يَقدرُ علىٰ مَا يَحتَمِلُ بِهِ إلينَا فَهُو يَدعُو الله في آنَاءِ لَيلِه ونَهَارِه، أو غَنيّاً بَعُدَتْ دارُه مِنّا فَلم تُدركهُ دَعوتُنا، أو مَحبوسٌ عِند الفَسَقَة وقَلبُه عِندنَا، ممّن أرجُو أن يَكونَ ممّن وفّى لله بما اشترىٰ مِنه، فَمَا تَنتظرونَ عِبادَ الله بِجهادِ مَن قَد أقبلَ إلىٰ ذُرِّيَة نبيكم لِيَسبُوا ذَرَارِيهم ويجتاحوا بقيتهم؟. ثم قال: «اللهم احْكُم بيننَا وبينَ قَومِنا بالحق وأنتَ خيرُ الحاكِمين». ومنها مع مواقفه المرسومَة نستشفّ حُسنَ استبسالهُ في مُناصرَة الحق، معَ إمامه الحسين الفخي عليه السلام .

* اشتبكَ الحق والباطل في معركةٍ غير مُتكافئة -معركة فخ- في يوم التروية الثامن من شهر ذي الحجة سنة تسعة وستين ومائة، وفيها قُتِلَ الإمام الحسين الفخي وسليمان بن عبدالله المحض، ونجَا منها إمامنا يحيىٰ بن عبدالله عليه السلام والذي شبّههُ البعض بالقنفذ عندما نجا من المعركة، وذلكَ لكثرة النشابات والجراحات التي عالجته، ونجا معه إدريس بن عبدالله عليه السلام -صاحب المغرب-، والدّماء تخضبُ بدنهُ وثيابه .

* ومن هُنا بدأ الإمام يحيىٰ بن عبدالله عليه السلام رحلتهُ الآمرَة بالمعروف والنّاهيَة عن المُنكر، والتي يَدعو فيها النّاس إلىٰ مُبايعته ونُصرته، في سبيل إحياء السُنن وإماتة البدع، وإظهار دين الله حقّاً حقّاً، مُقتدياً بإخوته محمد وإبراهيم، وبأبناء عمومته زيد وابنه يحيىٰ، ومُقتدياً بابن أخته الحسين الفخي عليه السلام، وكانَ يعوقهُ عن هذه العقيدة الرّاسخة وتحقيقها، تتبّع جواسيس بني العبّاس له، واستبسالِهم في التضييق عليه، ولهذا اضطرّ عليه السلام أن يَنفُذ بدينه ودَعوته إلىٰ أرض الله الواسعَة حتّىٰ تقوىٰ شوكتهُ فتكون حركته مُحصّنةً وعلىٰ الطّغيان قاضية .

الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام مُهاجراً إلى الحبشة :

وكمَا هربَ أصحاب نبي الله وخاتم رسله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أرض الحبشة هاربينَ بدينهم من كُفار قريش، هَربَ يحيى بن عبدالله وأخوه إدريس وابن عمهم إبراهيم طباطبا -والدُ وشيخ نجم آل الرسول القاسم الرسي عليه السلام-، ومَن معهُم، إلى أرض الحبشة هاربين بدينهم خوفاً من بني العبّاس كافاهم الله، وأعانهُم على هذه الرّحلة رجلٌ مِن بني خُزاعة، وهُوَ الذي كان قَد اهتمّ بجراحاتهم بعد المعركة، ثمّ قام بإمدادهم بالمركب والدليل ليشقّوا طريقهُم إلى الحبشة آمنين، وهُناك استقبلَهُم مَلكُها فأجزَلَ صِلَتهُم وأحسنَ اليهِم، وأقاموا فترةً من الزّمن على أمل أن تملّ أعين بني العبّاس من قصّ آثارهم، وتتبع أخبارِهم في بلاد الإسلام، وهُناك عادَ هؤلاء النّفر من بني فاطمة عليها السلام إلى بلاد الإسلام على دُفعات مُتتابعَة، فكانَ أوّلُ الواصلين منهم إلى المدينة المنورة عابدَ الآل إبراهيم طباطبا، وقد كان أرادَ الارتحال إلى البصرة ماراً بالكوفة وهُناك وشَى به مَن وَشى، فعالجتهُ جلاوزةُ بني العبّاس وطُرِحَ في المطبق العبّاسي بأمرٍ من موسى بن محمد الخليفة العباسي كافاه الله بعملِه.

وفي تلكَ الفترة تعرّض سادات أهل البيت عليهم السلام لكثيرٍ من الأذى من قِبلَ السلطة العبّاسية، القاسم بن محمد بن عبدالله المحض قُطّعت أعضاؤه بالمناشير، والحسن بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن، بنيَ عليه في بيتٍ مليءٍ بالتبن، وأثاروا الدخان فيه، فأنجاه الله، وحُبسَ مع خاله موسى الجون، ولمّا كانت هذه الأخبار تقرع مسامع إمامنا يحيى بن عبدالله وأخيه إدريس عليهما السلام كانا يتألمان الشيء الكثير .

الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام يلتقي شيعته، ويبعث رسله إلى الأمصار:

ومعَ ذلك لم يسعهُم إلاّ العودة من الحبشة، فقصدا مكاناً يُقال له: فرع المسور، وقد كان أيام إقامته في الحبشة قد أرسل كُتبه ورسائله إلى علماء المسلمين وعامّتهم، يحثّهم على إجابة داعي الله، وداعي آل الرسول، فأجابه خلق من خيار أهل الأرض، وواعدَهُم

بمنى في شعب الحضارمة، وهُناك التقى منهم سبعين رجلاً، وشارورهم في الأمر، فأشاروا عليه استجلاب المزيد من الأصحاب، بالكتابة والمراسلة، وأنّ فريضة الجهاد لا يعدلها عندَ الله شيء، فوجّه عليه السلام إلى العراق ثلاثة، وإلى المغرب أخاه إدريس، وهُناك أوصاه، وأخبرهُ أنّ لهم رايةٌ في المغرب ستُرفَع، وهُناك أبلى إدريس بن عبدالله عليه السلام بلاءً حسناً، وكان يمين أخيه يحيى وعضيده الأمين.

نعم ! ووجه الإمام يحيى عليه السلام إلى أهل مصر ثلاثة رجالٍ أكفّاء، وكان قد كتبَ معهم الفقيه إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى -وهو أستاذ محمد بن إدريس الشافعي-، كتاباً إلى أبي محمد الحضرمي، يحثّه فيه ومن معه على إجابة داعي أهل البيت، وفي هذه المرحلة خطى يحيى بن عبدالله عليه السلام خطوة قوية لإقامَة ثورةٍ علويّة فاطميّة آمرةٍ بالمعروف ناهيّةٍ عن المنكر، إلاّ أنّ أعين الخلافة العباسية لم تكن بعيدةً عن تصرفات يحيى، ولا عن رُسله وأتباعه في الأمصار، فتعقّبوا رُسلَهُ وأتباعهم، وكانوا يُعذّبون من يقع تحت أيديهم عذاباً نُكراً، إلى أنْ أفشلوا ما كان إمامنا الحسني يحيى عليه السلام قد بناه، مما اضطرّه إلى الفرار فقصد بادئ الأمر بغداد .

الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام في بغداد :

دخل الإمام يحيى عليه السلام بغداد وسط أعينٍ عباسيّة مُتيقّظة، ولجأ إلى بيت بعض أصحابه هناك، فبلغ الخلافة العباسيّة وجود يحيى بن عبدالله في بغداد، فمُنعِ الدخول والخروج منها، وشُدّدت الحراسة، وأُمرَ الحرّاس أن يأتوا بكلّ غريب من كل دربٍ وخانٍ وسوق، بُغية القبض على الإمام عليه السلام، فرجعَ صاحب الإمام يحيى عليه السلام مُغتماً لما أحدثته الخلافة في بغداد، وأخبر يحيى بن عبدالله عليه السلام بهذه الأمور، وهُناك أمره يحيى عليه السلام بأن يشتري له بغلين فارهين، فاشتراها الرجل، وجعلَ منها يحيى عليه السلام بغالاً تُشبه بغال البريد، فلمّا مضى من الليل ثلثاه خرج على أنّه ساعي البريد، وهُناك فتّحت له أبواب المدينة، فمضى ومعه صاحبه، فلمّا دنا من سكّة البريد، نزلَ وتركَ البغل، وبدّل من هيأته، وتعمّم بعمامة خَلِقَة كأنّه أعرابي، وكانت شرطة البريد بأمر الخلافة مشدّدة في معرفة

الأشخاص المارّين بها، فلمّا أراد أن يُجاوز عليه السلام السكّة منعه صاحب المسلحَة، فقال له يحيى عليه السلام: ويحُك أمثلِي يُمنَع !، إنّما يُمنع رجلٌ عليه شارة الدّنيا، فما زال بالرّجل يُحاول معه، حتّى اشترطَ العامل على يحيى عليه السلام أن يُنشده شعراً ويسمحُ له بالعبور، فأنشده عليه السلام، بشعرٍ تمثّل به زيد بن علي وابنه يحيى بن زيد وأخواه محمد النفس الزكية وإبراهيم النفس الرضيّة، فأنشأ عليه السلام:

مُنخَرقُ الخُفَين يَشكو الوجَا ... تَنْكُبُهُ أَطرافُ مَرْوٍ حِدَاد

شرَّدهُ الخوف من أوطانه ... كذاك من يكره حرَّ الجلاد

قد كان في الموت له راحة ... والمَوت حتم فِي رقابِ العباد

وما عرفَت السلطات بخروجه عليه السلام من بغداد، إلاّ عندما وجدت البغلين في الطريق، وعند سؤال أهل السكّة عن المارّين بهم، فقالوا: لم يمرّ بنا إلاّ أعرابي أنشدهُم بعض أبياتٍ من شعر، فسألوهم عن الأبيات، فعرفوا أنّه يحيى بن عبدالله عليه السلام من شعره الذي تمثّل به إلاّ سادات بني الحسن والحسين عليهم السلام، وكان يحيى عليه السلام قد قصد بلاد اليمن .

الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام في اليمن:

دخل الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام اليمن، وهُناك قصد مدينة صنعاء، واختفى عند رجلٍ يُقال له: زكريا بن يحيى بن عمر بن سابور، ومكث عنده ثمانية أشهر، وكان العلماء تلتقيه، وكتبوا عنه علماً جمّاً كثيراً، وكان الشافعي من أصحابه، ثمّ خرج عليه السلام من اليمن قاصداً بلاد طبرستان، بعد أن مرّ بشعاب مكة المكرمة .

مكاتبة الإمام يحيى بن عبدالله لملك طبرستان، ومكوثه في الدّيلم، وأمان الرشيد:

كاتبَ الإمام يحيى عليه السلام ملك طبرستان -شروين- يسأله أن يؤويه ثلاث سنين، فأجابه شروين: أنّه على استعداد أن يؤويه الدّهر كلّه، ولكنّ بلاده غير منيعة إنْ طلبته

السلطات العباسيّة، ولكنّه أشار إليه بالالتحاق بملك الدّيلم -جستان-، وسارَ معهُ عليه السلام إلى ملك الدّيلم، وهناك استقبلهم جستان بكلّ تهليلٍ وترحيب، فعُقِدَت المجالس، وتبصّر النّاس، وتعلموا شرائع الإسلام، فدخلوا فيه على يديه أفواجاً بعد أفواج، فعلا صيته عليه السلام، وكاتبَه أهل الأمصار، فأتته البيعات تحفُل، فبلغ هذه الأخبار بل الصواعق مسامع هارون الرشيد، فاغتم لهذا غمّاً عظيماً، فوجّه من فوره سبعين ألف رجل بقيادة يحيى بن خالد بن برمك، وأمدّه بالمال والعتاد وأشرف بنفسه على القوات، فسار البرمكي من ساعته، وكانت الإمدادت تأتيه يوماً، فكانت قوة الجيش في ازدياد مستمر، واستخدم هارون أيضاً حيلة السياسة مع ملك الدّيلم، فأغدق عليه من الهدايا، المال وثياب الخز والحرير والديباج بكميّات كبيرة وخياليّة، ولكنّ جستان رفض تسليم يحيى عليه السلام لهم، وكتب هارون أماناً إلى يحيى بن عبدالله عليه السلام، على ألاّ يتعرّض له، وأن يعطيه من الأموال الشيء الكثير والأراضي، وأن يُنزلَهُ من البلاد ما أحبّ، فأجابه يحيى بن عبدالله عليه السلام، مُرتكناً على الله ثمّ على حماية جستان التي قد أعطاهُ إياها، فقال عليه السلام لهارون العباسي:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بَعد فَقد فَهمْتُ مَا عَرَضْتَ عليّ مِنَ الأمَان على أن تَبذُلَ لِي أمْوالَ المسلمين، وتُقطِعَني ضِياعَهم التي جَعَلها الله لهم دُوني ودُونَك، ولَم يَجعَل لنَا فِيهَا نَقيراً ولا فَتيلا، فَاستَعظَمتُ الاستِمَاع لهُ فَضلاً عَن الرّكون إليه، واسْتَوحْشتُ منهُ تَنزهاً عَن قَبولِه. فَاحبِس أيّها الإنسَان عنّي مَالَك وإقطَاعَك وقَضَائِكَ حَوائجِي، فَقد أدّبَتْنِي أمّي أدَباً نَاقِصَاً، وَولَدَتْنِي عَاقّا قَاطِعَاً -هذا الكلام منه عليه السلام كناية عن المبالغة في عدم الانقياد منه لهارون-، فَوالله لَو أنَّ مَن قَتلتُم مِن أهلِي تُركاً ودَيالِم على بُعدِ أنْسَابِهم مِنّي وانقِطَاعِ رَحِمِهم عنّي لَوجَبَت عَليّ نُصرَتُهم، والطّلبُ بِدِمَائِهم، إذْ كَانَ مِنكُم قَتلُهم ظُلماً وعُدواناً، والله لَكُم بالمرصَاد لِما ارتَكَبتُم مِن ذَلك، وعَلى الميعَاد لما سَبقَ فِيه من قولِه ووعِيدِه، وكَفَى بالله جَازياً ومُعاقباً ونَاصِراً لأوليَائه ومُنتقمَاً مِن أعدَائه.

وكَيفَ لا أطْلُبُ بِدِمَائهم وأنَامُ عَن ثَأرِهِم؟ والمَقتولُ بِالجوعِ والعَطَشِ والنّكالِ، فِي ضَيّق المحَابِس، وثِقَل الأغلال، وعَدو العَذاب، وتَرادُف الأسْوُط، أبي عَبد الله بن الحسن النفس الزكية والهمّة السَنيّة، والدّيانَةِ المرضيّة، والخَشيَة والبَقيّة، شَيخُ الفَواطم وسيّد أبناء الرّسل، زَمنه طرّا، وأرْفَعُ أهْلِ عَصرِه قَدراً، وأكْرَم أهلِ بِلادِ الله فِعلاً. ثمّ يَتلوه إخْوَته وبَنو أبيه، ثمّ إخْوتي وبَنو عمومَتي، نجومُ السّماء، وأوتَاد الدّنيا، وزِينَة الأرْض، وأمَانُ الخَلق، ومَعدِن الحِكمَة، ويَنبوعُ العِلم، وكَهفُ المظلوم، ومَأوى الملهوف، مَامِنهُم أحَدٌ إلاّ مَنْ لَو أقسَمَ عَلى الله لبرّ قَسَمُه.

فَمَا أنْسَ مِن شَيءٍ فَلا أنْسَى مَصَارِعَهُم، ومَا حَلّ بِهم مِن سُوءِ مَقدِرَتِكُم، ولُؤمِ ظَفَرِكُم، وعَظِيمِ إقْدَامِكُم، وقَسوَةِ قُلوبِكُم، إذْ جَاوزْتم قِتْلَة مَن كَفَرَ بالله إفْرَاطاً، وعَذَابَ مَن عَانَد الله إسْرافاً، ومُثلةَ مَن جَحَدَ الله عتواً. وكَيفَ أنْسَاه؟ ومَا أذْكُرُه لَيلاً إلا أقَضَّ عَليَّ مَضْجَعِي، وأقْلَقَنِي عَن مَوضِعِي، ولا نَهَاراً إلا أمَرَّ عليَّ عَيشِي وقَصّرَ إليَّ نَفسِي، حَتى لَودَدْتُ أنِّي أجِدُ السّبيل إلى الاسْتِعَانَة بِالسّبَاع عَليكُم فَضلاً عَن الإنس فَآخُذَ مِنكُم حَقّ الله الذي أوجَبَ عَليكُم، وأنْتَصِرَ مِن ظَالِمِكُم؛ فَأشْفي غَليلَ صَدرٍ قَد كَثُرَت بَلابِله،

وَاُسْكن قلباً جماً وسَاوِسُه مِنَ المؤمنين، وأُذهِب غَيظَ قُلوبِهم ولَو يَوماً واحداً ثمّ يَقضِي الله فِيَّ مَا أحب. فَإن أعِشْ: فَمُدْرِكٌ ثأرِي دَاعياً إلى الله عَلى سَبيلِ رَشَادٍ أنَا ومَنِ اتّبَعَني، نَسْلُك قَصدَ مَنْ سَلَفَ مِنْ آبآئي وإخْوتِي وإخْواني القَائمينَ بِالقْسط، والدّعَاة إلى الحَق، وإنْ أمتْ: فَعَلَى سُنَنِ مَا مَاتوا، غَيرَ رَاهبٍ لِمَصْرَعِهِم ولا رَاغِبٍ عَن هَدْيِهِم، فَلِي بِهِم أُسوَةٌ حَسَنة، وقُدوةٌ هَادِية.

فَأوّلُ قُدْوَتِي مِنهم: أمير المؤمنين صلوات الله عليه، إذْ كَانَ مَازال قَائماً حِينَ القِيام -على المؤمن- مَعَ الإمكَان حَتماً، والنّهوضِ لمجَاهَدَة الجَائرينَ فَرضَاً، فَاعتَرَضَ عَليه مَنْ كَان كالظّلف مَع الخفّ، ونَازَعَهُ مَن كَانَ كَالظّلْمَةِ مَعَ الشّمْس، فَوَجَدُوا لَعَمْر الله مِنْ حِزبِ الشّيطان مِثلَ مَنْ وَجَدْتَ، وظَاهَرَهُم مِن أعَدَاء الله مِثلَ مَنْ ظَاهَرَكَ، وهُمْ لِمَكَانِ الحقّ عَارِفُون، وبِمَواضِعِ الرّشدِ عَالِمُون، فَبَاعُوا عَظِيمَ جَزَاء الآخرَة بَواتِحِ عَاجِلِ الدّنيَا، ولَذِيذِ الوَلاء الصّدقِ بَغَلِيظِ مَرَارَة الإفْك. ولَو شَاءَ أميرُ المؤمنين لَهَدأتْ لَهُ، وَرَكُنَتْ إليهِ بِمُحَابَاةِ الظّالِمين، واتّخَاذِ المُضِلّين، ومُوالاةِ المَارِقِين، ولِكنْ أبَى الله ورَسُولَه أنْ يَكونَ للخَائِنِينَ مُتّخِذاً، ولا للظّالمينَ مُوالياً، ولَمْ يَكنْ أمْرُهُ عِندَهُم مُشْكِلاً، فَبَدّلوا نِعمَتَ الله كُفراً، واتّخَذُوا آيَاتَ الله هُزؤاً، وأنْكَرُوا كَرَامَةَ الله، وجَحَدُوا فَضِيلَة الله لنَا. فَقَالَ رَابِعُهُم: أنّى تَكونُ لَهُ الخِلافَةُ والنبوّة؟ -حَسَداً وبَغيَاً-، فَقَدِيماً مَا حُسِدَ النّبيئونَ وآل النّبيئين، الذّينَ اخْتَصّهُم الله بِمِثلِ مَا اخْتَصّنَا، وأخْبَرَ عَنهم تَبارك وتَعالى فَقَال: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّـهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ ال إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:٥٤]، فَجَمَعَ لهُم المكَارِمَ والفَضَائلَ والكِتابَ والحِكمَةَ والنبوّة والمُلكَ العَظِيم، فَلمّا أبَوا إلاّ تَمَادِياً فِي الغَيّ وإصْرَاراً عَلى الضّلالِ جَاهَدَهُم أمِيرُ المؤمنينَ حَتّى لَقِيَ الله شَهِيداً صَلواتُ الله عَليه.

ثُمّ تَلاهُ الحَسَن ابنهُ، سَلَيلُ رَسُولِ الله ﷺ، وسَبِيطُهُ وسَيّدُ شَبَابِ أهْلِ الجنّة، إذْ كُلُّ أهْلِهَا سَادَةٌ فَكَيفَ بِسيّدِ السّادَات، فَجَاهَدَ مَنْ كَانَ أمِيرُ المؤمنينَ جَاهَدَه، وسَكَنَ إليهِ مِنَ المُسلِمِينَ مَنْ كَانَ شَايَعَهُ مِنْ ذَوِي السّابِقَةِ وأهْلُ المَأثَرَة، فَكَانَ أوّلَ مَنْ نَقَضَ مَا عُقِدَ لَه ونَكَثَ عَمّا عَاهَدَهُ: عَمُّكَ عُبيدالله بن العَبّاس، حِينَ اطْمَأنّ إليهِ، وظَنَّ أنَّ سَرِيرَتَهُ لله مِثلَ

عَلانِيَتِه، وجّهَهُ عَلى مُقَدّمَتِهِ فِي نَحْوٍ مِنْ عِشرينَ ألفاً مِنَ المُسلِمِين، فَلَمّا نَزَلَ مَسْكَناً مِنْ سَوادِ العراق بَاعَ دِينَهُ وأمَانَتَهُ مِن ابْنِ آكِلَةِ الأكْبَادِ بِمَائَةِ ألفِ دِرْهَم، وفَرّقَ عَسْكَرَهُ لَيلاً، ولَحِقَ بِمُعَاوِيَة، فَدَلَّهُ عَلى عَوَرَاتِ عَسْكَرِ ابْنِ رَسُولِ الله، وأطْمَعَهُ فِي مُبَارَزَتِهِ بَعدَ أنْ كَانَتْ نَفْسُهُ قَد أُحِيطَ بِهَا، وضَاقَ عَلَيهِ مَورِدُهُ ومَصْدَرُه، وظَنّ أنْ لا مَطْمَعَ لَهُ حِينَ اسْتدرج وأمهل لَه. فَارْتَحَلَ الحسَنُ بِنَفْسِهِ بَاذِلاً لَهَا فِي ذَاتِ الله، وَمُحْتَسِباً ثَوابَ الله، حَتّى إذَا صَارَ بِالمَدائِنِ وَثَبَ عَلَيهِ أخُو أسَدٍ فَوَجَأهُ فِي فَخذِهِ فَسَقَطَ لِمَا بِهِ وايَسَ النّاسُ مِنْ إفَاقَتِه، فَتَبَدّدُوا شِيَعَاً وتَفَرّقُوا قِطَعَاً. فَلمّا قَصُرَتْ طَاقَتُهُ، وعَجُزَتْ قُوّتُه، وخَذَلَهُ أعْوانُه، سَالَمَ هُوَ وأخُوهُ مَعْذورِينَ مَظْلومِينَ مَوتُورِين، فَاسْتَقَلَ اللّعينُ ابنُ اللّعينِ حَيَاتَهُمَا واسْتَطَالَ مُدّتَهُمَا فَاحْتَالَ بِالاغْتِيَالِ لابنِ رَسُولِ الله حَتّى نَالَ مُرَادَهُ وَظَفَرَ بِقَتلِه. فَمَضَى مَسْمُوماً شَهِيداً مَغْمُوماً فَقِيداً. وغبر شَقِيقِه وأخوه وابن أمه وأبيه، شريكه في فضله ونظيره في سؤدده على مثل ما انقرض عليه أبوه وأخوه حتى إذا ظنّ أنْ قد أمكنته محبة الله من بوارهم ونصرة الله من افترائهم، دافعه عنها أبناء الدنيا واستدرج بها أبناء الطلقاء، فبعداً للقوم الظالمين، وسحقاً لمن آثر على سليل النبيئين وبقية المهديين الخبيث وابن الأخبثين، والخائن وابن الخائنين، فقتلوه ومنعوه ماء الفرات وهو مبذول لسائر السباع، وأعطشوه وأعطشوا أهله وقتلوهم ظلماً، يناشدونهم فلا يُجابون ويستعطفونهم فلا يرحمون، ثم تهادوا رأسه إلى يزيد الخمور والفجور تقرباً إليه، فبعداً للقوم الظالمين.

ثم توجهت جماعة من أهل العلم والفضل في جيش إلى سجستان، فتذاكروا ما حَلّ بهم من ابن مروان فخلعوه وبايعوا للحسن بن الحسن، ورأسوا عليهم ابن الأشعث إلى أنْ يأتيهم أمره، فكان رئيسهم غير طائل ولا رشيد، نصب العداوة للحسن قبل موافاته، فتفرقت عند ذلك كلمتهم، وفلّ حدهم، ومزقوا كل ممزق. فلما هزم جيش الطواويس احتالوا لجدي الحسن بن الحسن فمضى مسموماً يتحسى الحسرة، ويتجرع الغيظ صلوات الله عليه.

حتى إذا ظهر الفساد في البر والبحر شرى زيد بن علي صلوات الله عليهما نفسه، فما لبث أنْ قُتل، ثم صُلِب ثم أُحْرِق، فأكرم بمصرعه مصرعاً. ثم ما راعهم إلا طلوع إبنه يحيى صلى الله عليه من خراسان فقضى نحبه وقد أعذر صلوات الله عليهما.

وقد كان أخي محمد بن عبدالله دعا بعد زيد وابنه يحيى، فكان أول من أجابه وسارع إليه جدك محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وإخوته وأولاده، فخرج بزعمه يقوم بدعوته، حتى خدع بالدعاء إليه طوائف.

ومعلوم عند الأمة أنكم كنتم لنا تدعون، وإلينا ترجعون، وقد أخذ الله عليكم ميثاقاً لنا، وأخذنا عليكم ميثاقاً لمهدينا محمد بن عبد الله النفس الزكية الخائفة التقية المرضية، فنكثتم ذلك وادعيتم من إرث الخلافة ما لم تكونوا تَدَّعُونه قديماً ولا حديثا، ولا ادعاه لكم أحد من الأمة إلا تقولاً كاذباً، فها أنتم الآن تبغون دين الله عوجا، وذرية رسول الله قتلاً واجتياحا، والآمرين بالمعروف صلبا واستباحا. فمتى ترجعون؟ وأنى تؤفكون!، أولم يكن لكم خاصة وللأمة عامة في محمد بن عبدالله فضلا؟ إذْ لا فضل يعدل في الناس فضله، ولا زهد يشبه زهده، حتى ما يتراجع فيه إثنان ولايتردد فيه مؤمنان، ولقد أجمع عليه أهل الأمصار من أهل الفقه والعلم في كل البلاد لا يتخالجهم فيه الشك ولا تقفهم عنه الظنون. فما ذُكِر عند خاصة ولا عامة الا اعتقدوا محبته، وأوجبوا طاعته، وأقرّوا بفضله، وسارعوا إلى دعوته، إلا ماكان من عناد أهل الإلحاد الذين غلبت عليهم الشقوة وغمصوا النعمة، وتوقعوا النقمة من شيع أعداء الدين، وأفئدة المضلين، وجنود الضالين، وقادة الفاسقين، وأعوان الظالمين، وحزب الخائنين.

وقد كان الدعاء إليه منكم ظاهرا، والطلب له قاهرا، وبإعلان اسمه وكتاب إمامته على أعلامكم: "محمد يامنصور"، يُعرف ذلك ولا يُنكر، ويُسمع فلا يجهل، حتى صرفتموها إليكم وهي تخطب عليه، وكفحتموها عنه وهي مقبلة إليه، حين حضرتم وغاب، وشهدتم إبرامها ورأى قلّة رغبة ممن حضر، وعظيم جرأة ممن اعترض. حتى إذا حصلت لكم بدعوتنا وهدأت عليكم بخطبتنا، وقرت لكم بنسبتنا؛ قالت لكم أجرامكم إلينا، وجنايتكم علينا: إنها لاتتوطأ لكم إلاّ بإبادة خضرائنا، ولا تطمئن لكم دون استئصالنا. فأغرى بنا جدك المتفرعن في قتلنا لاحقاً بأثرة فينا عند المسلمين، ولؤم مقدرة وضراعة مملكة، حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، قبل بلوغ شفاء قلبه من فنائنا. وهيهات لن يدرك الناس ذلك، ولله فينا خبية لا بد من ظهورها، وإرادة لابد من بلوغها.

فالويل له، فكم من عين طال ما غضت عن محارم الله وسهرت متهجدة لله، وبكت في ظلم الليل خوفاً من الله، قد اسحّها بالعبرات باكية، وسمّرها بالمسامير المحـمَّاة فألـصقها بالجدرات المرصوفة قائمة. وكم من وجه طالما ناجى الله مجتهداً وعنا لله متخشعاً، مشوهاً بالعمد مغلولاً مقتولاً ممثولاً به معنوفاً. وتالله إن لو لم يلق الله إلا بقتل النفس الزكية أخي محمد بن عبدالله صلوات الله عليه للقيه بإثم عظيم وخطب كبير. فكيف؟ وقـد قتـل قبلـه النفس التقية أبي عبدالله بن الحسن وإخوته وبني أخيـه، ومـنعهم روح الحيـاة في مطابقـه، وحال بينهم وبين خروج النفس في مطاميره. لايعرفـون الليـل مـن النهـار ولا مواقيـت الصلاة إلا بقراءة أجزاء القرآن تجزئة لما عـانوا مـن دراسـته في آنـاء الليـل والنهـار حـين الشتاء والصيف، حال أوقات الصلوات قرماً منـه إلى قـتلهم، وقطعـاً لأرحـامهم، وتِـرَةً لرسول الله فيهم. فولـغ في دمـائهم ولغـان الكلـب، وضريَ بقتـل صـغيرهم وكبـيرهم ضراوة الأسد، ونهم بهم نهم الخنزير، والله له ولمن عمل بعمله بالمرصاد.

فلما أهلكه الله قابلتنا أنت وأخوك الجبار العنيد الفظ الغليظ بأضعاف فتنته وإحتـذاءً بسيرته قتلاً وعدواناً وتشريداً وتطريداً. فأكلتمانا أكـل الرُّبـا حتـى لفظتنـا الأرض خوفـاً منكما، وتأبدنا في الفلوات هرباً منكما، فأنست بنا الوحوش وأنـسنا بهـا، وألفتنـا البهـائم وألفناها. فلو لم تجترم أنت وأخوك إلاّ قتل الحسين بن علي وأسرته بفخ لكفى بذلك عنـد الله وزراً عظمياً، وسيعلم وقد علم مـا اقـترف، والله مجازيـه، وهـو المنـتقم لأوليائـه مـن أعدائه.

ثم امتحننا الله من بعده بك، فحرصت على قتلنا وطلبت من فرَّ عنك منـا، لا يـؤمنهم منك بُعْدُ دار ولا نأي جار، تتبعهم حيلك وكيدك حيث سيروا من بلاد الـترك والـدّيلم، لا تسكن نفسك ولا يطمئن قلبك دون أنْ تأتي عـن آخرنـا، ولا تـدع صـغيرنا ولا ترثـى لكبيرنا؛ لئلا يبقى داع إلى حق ولا قائل بصدق من أهله. حتى أخرجك الطغيان وحملـك الحسد والشنئان أنْ أظهرت بغضة أمير المؤمنين وأعلنت بنقصه وقرّبت مبغضيه، وأدنيت شانئيه حتى أربيت على بني أمية في عداوته، وأشفيت غلتهم في تناوله، فأمرت بكرب قـبر الحسين صلى الله عليه وتعمية موضعه وقتـل زوّاره واستئـصال محبيـه، وأوعـدت زائريـه وأرعدت وأبرقت على ذكره.

فوالله لقد كانت بنو أمية الذين وصفنا آثارهم مثلاً لكم، وعددنا مساوءَهُم احتجاجاً عليكم على بعد أرحامهم أرأف بنا منكم، وأعطف علينا قلوباً من جميعكم، وأحسن استبقاء لنا ورعاية من قرابتكم. فوالله ما بأمركم خفاء ولا بشأنكم امتراء.

ولِمَ لا نجَاهد وأنت معتكف على معاصي الله صباحاً مساءً، مغّتراً بالمهلة آمناً من النقمة، واثقاً بالسلامة؟!.

تارة تغري بين البهائم بمناطحة كبش ومناقرة ديك ومحارشة كلب، وتارة تفرش الخصيان وتأتي الذكران، وتترك الصلاة صاحياً وسكران، ثم لا يشغلك ذلك عن قتل أولياء الله وانتهاك محارم الله. فسبحان الله ما أعظم حلمه، وأكثر أناته عنك وعن أمثالك، ولكنه تبارك وتعالى لايَعْجل بالعقوبة، وكيف يعجل وهو لا يخاف الفوت؟ وهو شديد العقاب.

وأما ما دعوتني إليه من الأمان وبذلت لي من الأموال فمثلي لا تثني الرغائب عزمته، ولا تنحل لخطير همته، ولا يبطل سعياً باقياً على الأيام أثره، ولا يؤثر جزيلاً عند الله أجره بمالٍ فانٍ وعارٍ باقٍ، هذه صفقة خاسرة وتجارة بائرة، أستعصم الله منها وأسأله أن يعيذني من مثلها بمنّه وطوله. أفأبيع المسلمين؟! وقد سمت إليَّ أبصارهم، وأنبسطت نحوي آمالهم بدعوتي، واشرأبت أعناقهم نحوي! إني إذاً لدنيُّ الهمة، لئيم الرغبة، ضيق العطن.

هذا والأحكام مهملة، والحدود معطلة، والمعاصي مستعملة، والمحارم منتهكة، ودين الله محقور، وبصيرتي مشحوذة وحجة الله عليَّ قائمة في إنكار المنكر.

أفأبيع خطر مقامي بمالكم؟، وشرف موقفي بدراهمكم؟، وألبس العار والشنار بمقامكم؟. ﴿**قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾ [الأنعام:٥٦].

ووالله ما أكلي إلا الجشب، وما لباسي إلا الخشن، ولا شعاري إلا الدرع، ولا صاحبي إلا السيف، ولافراشي إلا الأرض، ولاشهوتي من الدنيا إلا لقاؤكم والرغبة إلى الله في مجاهدتكم، ولو موقفاً واحداً انتظار إحدى الحسنيين في ذلك كله من ظفر أو شهادة. وبعد:

فإن لنا على الله وعداً لا يخلفه، وضماناً سوف ينجزه، حيث يقول: ﴿وَعَدَ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥] . وهو الذي يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾ [القصص:٥]. اهـ رسالته عليه السلام .

حيلَة أبي البختري، والشهادة على يحيى بن عبدالله بالرقّ والعبوديّة، وموقف يحيى عليه السلام:

فلمّا وصل كتاب الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام إلى هارون الرشيد، زاد غمّه غمّاً، وحُرقتهُ حُرقةً، وظنّ أن قد انقضَت مُدّته، فجمع بطانتهُ الخبيثة وشاورهُم في الأمر، فأجابه أبو البختري بحيلةٍ خبيثَة، خلاصتها، أن يشهدَ هُوَ بصفته قاضي القضاة، على أنّ يحيى بن عبدالله عليه السلام عبدٌ لهارون الرشيد، ويُنكر نسبه إلى فاطمةابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يشهدَ سليمان بن فليح على عبودية يحيى عليه السلام، بصفته صاحب ديوان الخراج، وأن يبعثَ معهم بوجوه القوم ليُعضّدوا شهادتهم، وأن يُلزمَ النّاس الشهادة، وأنّ مَن لَم يشهَد، وامتنعَ عن تأديتها، حُلّ قتله وتصفية ماله، وأنّ من شَهِدَ على يحيى بن عبدالله بالعبودية، أُكرِمَ وأُسقِطَ عنه الخراج، فأعجبت هارون الفكرة، بل الحيلة!.

ووجّه بأبي البختري وسليمان بن فليح ومَن معهُم إلى الفضل بن يحيى البرمكي، ونفّذ البرمكي ما أمرهُ هارون وجعل جنده بعددهم الهائل يشهدون على يحيى بن عبدالله بالعبوديّة والرّق . وهُناك وفي المشرق الأقصى جمعَ أبو البختري فقهاء وعلماء دسينا، وقزوين، وزنجان، وأبهر، وشهربرد، وهمذان، والرَّي، ودنباوند، والرويان، وما جاورها من البلدان، وخطبَ فيهم، بأنّ يحيى بن عبدالله دخلَ الدّيلم، عازماً على قتال أهل الإسلام بأهل الشرك، ويُخرجَ يده من طاعة أمير المؤمنين، وقد جاءت الرخصة في

الكذب والخديعة في الحرب، وقد رأينا أن نشهد أنّه عبدٌ لأمير المؤمنين، نطلب بذلك الثواب من الله، وأن ترجع الألفة إلى المسلمين، وقرأ عليهم كتاب هارون، وفيه النعيم لمن أجاب، والتوعد والتهدد لمن انحاز . فأجابه خلقٌ من العرب والعجم في تلك البلاد، وكان الشّرفاء أكثر من الوُضعاء في هذه الصفّة، وبينهم عدد كبير من الفقهاء، فحضروا عند جستان، وشهدوا على يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وابن فاطمةابنة محمد بن عبدالله صلوات الله عليه وعليهم، بالعبودية لهارون الغَويّ لا الرّشيد، فصدَّق جستان دعواهُم على يحيى بن عبدالله، وقال ليحيى: ما وَجدتَ غيري تخدَعهُ بدعوتكَ غيري؟! . فقال له يحيى بن عبدالله عليه السلام: «أيها الرجل إنَّ لك عقلاً وإن لم يكن لك دين -وذلك لأنّ جستان لم يكن مُسلماً-، فتدبر مايقول القوم، وماتقدم منهم إليك، ورده على قلبك وعقلك، واجعل عقلك حكماً دون هواك؛ لو أني كنت كما قالوا ما وجهوا إليك بهذه الأموال وما أردفوها بهذه العساكر ولا بذلوا في دفعك إياي إليهم هذه الأموال، ولا جمعوا لك من ترى من وجوه الجبل وفقهائهم ومعدليهم ليشهدوا عندك بالزور، وما كان عليهم من رجل جاء إلى عدوهم، أو وليّهم ينتمي إلى نسب ليس منه؟»، فلم يقتنع جستان بهذا، ولم يُسلّم ليحيى بن عبدالله براءته بَعَد مَا رأى منَ الشّهود، فاقترح الإمام يحيى عليه السلام أن يبعَث من يتأكّد من نسبه فيسأل أهل مكة والمدينة، فاستطال جستان المدّة، ثمّ اقترح الإمام أن يبعثَ جستان رجالاً ليتبيّنوا كذب هؤلاء الشهود، فاستطال جستان المدّة، فأوجسَ يحيى عليه السلام من جستان خيفةً، لّما رأى ميلَهُ إلى تسليمه إليهِم، فاقترحَ اقتراحاً ثالثاً وهُوَ أن يجمَعَ بينهُ وبين هؤلاء الشّهود بحضور جستان، فأجابه جستان إلى ذلك، فلمّا حضر يحيى عليه السلام والشّهود وجستان، جلس الإمام سلام الله عليه على كرسيّ وابتدأ الكلام قائلاً:

«الحمدلله على ما أولانا من نعمه وأبلانا من محنه وأكرمنا بولادة نبيه، نحمده على جزيل ما أولى وجميل ما أبلى، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، شهادة مُقِرٍّ بوحدانيته خاضع متواضع لربوبيته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله انتخبه واصطفاه واختاره واجتباه صلى الله عليه وعلى آله أجمعين، أما بعد:

معاشر العرب، فإنَّكم كنتم في حمض من الدنيا، بشر دار وأضنك قرار؛ ماؤكم أجاج، وأكلكم ثماج من العلهز والهبيد، والأعاجم لكم قاهرة، وجنودهم عليكم ظاهرة، لم يمنعهم من تحويلكم إلا قلة خير بلدكم.

أنتم مع الدنيا بمنزلة السقب مع الناب الضبعة الضروس متى دنا اليها لينال من درها منعته، وإنْ أتى إليها من أمامها خبطته، أو من ورائها رمحته، أو من عرضها عضته، فما عسى أن يصيب منها، هذا على تفرق شملكم واختلاف كلمتكم، لا تحلون حلالاً ولا تحرمون حراماً ولا تخافون آثاما، قد ران الباطل على قلوبكم فلا تعقلون، وغطّت الحيرة على أبصاركم فما تبصرون، وأسكتت الغفلة أسماعكم فما تسمعون، على أن عودكم نضار، وأنكم ذوو الأخطار.

ثم مَنّ الله عليكم وخصكم دون غيركم فابتعث فيكم محمداً ﷺ منكم خاصة، وأرسله إلى الناس كافة، وجعله بين أظهركم ليميز به بينكم، وهو تبارك وتعالى أعلم بكم منكم بأنفسكم، فاستنقذكم من ظلمة الضلال إلى نور الهدى، وجلا غشاوة العمى عن أبصاركم بضياء مصابيح الحق، واستخرجكم من عمى بحور الكفر إلى جدد أرض الإيمان، وجمَّل برفقه ما انفتق من رتقكم، ورأب بيمينه ما انصدع من شعبكم، وَلَمَّ بإصلاحه ما فرَّقت الأحقاد والجهل من قلوبكم. ثم اقتضب برمحه لكم الدنيا الضبعة فذلت بَعْد عَنَتْ، ثم أبسها بسيفه فأرزمت وتفاجت واجترت بعد ضرس، ودرت ومرى ضرعها بيمن كفه فاختلفت أخلافها وانبعثت أحالبها، فرأمتكم كما ترأم الناب المقلاة طلاها، فشربتم عَلَلاً بعد نهل، وملأتم أسقيتكم فضلاً بعد اكتظاظ، وتركها رسول الله ﷺ تدور حولكم وتلوذ بكم كما تلوذ الزجور بسقبها. فلمَّا أقام أود قناتكم بثقاف الحق، ورحض بظهور الإسلام عن أبدانكم درن الشرك، ولحب لكم الطريق، وسن لكم السنن وشرع لكم الشرائع خافضاً في ذلك جناحه؛ يشاوركم في أمره، ويواسيكم بنفسه، ولم يبغ منكم على ما جاءكم به أجراً إلا أن تودُّوه في قرباه، وما فعل ﷺ ذلك له حتى أنزل الله عليه قرآناً، فقال تبارك وتعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ [الشورى:٢٣].

فلمَّا بلَّغ رسالة ربه وأنجز الله له ما وعده من طاعة العباد، والتمكين في البلاد؛ دُعِيَ صلى الله عليه فأجاب، فصار إلى جوار ربه وكرامته، وقدم على البهجة والسرور، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فوعده الشفاعة عنده والمقام المحمود لديه. فَخلَّف بين أظهركم ذرّيَّته فأخرّتموهم وقدّمتم غيرهم، ووليتم أموركم سواهم. ثم لم نلبث إلا يسيراً حتى جُعِلَ مال ولده حوزاً، وَظُلِمت ابنتُه فدفنت ليلاً، وقتل فيكم وصيه وأخوه وابن عمه وأبو ابنيه، ثم خذل وجرح وسمَّ سبطه الأكبر أبو محمد، ثم قتل سبطه الأصغر أبو عبدالله مع ثمانية عشر رجلاً من أهل بيته الأدنين في مقام واحد، ثم على أثر ذلك نُبِش وصُلب وأُحرق بالنار ولد ولده. ثم هم بعد ذلك يُقتلون ويطرَّدون ويُشَرّدون في البلاد إلى هذه الغاية، قُتِلَ كِبَارُهُم وأُوتِمَ أولادهم وأُرْمِلَتْ نساؤهم.

سبحان الله ما لقي عدوٌّ من عدوه ما لقيَ أهل بيت نبيكم منكم من القتل والحرق والصلب!! وليس فيكم من يغضب لهم إلاّ هزؤاً بالقول، إن غضبتم لهم زعمتم وقمتم معهم كي تنصروهم لم تلبثوا إلاّ يسيراً حتى تخذلوهم وتتفرقوا عنهم. فلو كان محمد ﷺ من السودان البعيدة أنسابهم المنقطعة أسبابهم -إلا أنه قد جاوركم بمثل ما جاوركم به- لوجب عليكم حفظه في ذريته، فكيف وأنتم شجرة هو أصلها، وأغصان هو فرعها، تفخرون على العجم، وتصولون على سائر الأمم، وقد عاقدتموه وعاهدتموه أن تمنعوه مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم؟. فسوءة لكم ثم سوءة، بأيِّ وجه تلقونه غدا؟!، وبأي عذر تعتذرون إليه؟!. أبقلة؟! فما أنتم بقليل، أفتجحدون؟! فذلك يوم لا ينفع جحد، ذاك يوم تبلى فيه السرائر، أم تقولون: قتلناهم؟ فتصدقون، فيأخذكم الجليل أخذ عزيز مقتدر.

لقد هدّمتم ماشيّد الله من بنائكم، وأطفأتم ما أنار من ذكركم، فلو فعلت السماء ما فعلتم لتطأطأت إذلالاً، أو الجبال لصارت دكاً، أو الأرض لمارت مورا. أيُّ عَجَبٍ أعجب من أنّ أحدكم يَقْتُل نفسه في معصية الله ولا ينهزم، يقول بزعمه: لا تتحدث نساء العرب بأني فررت. وقد تحدثت نساء العرب بأنكم خفرتم أماناتكم ونقضتم عهودكم،

ونكصتم على أعقابكم، وفررتم بأجمعكم عن أهل بيت نبيكم، فلا أنتم تنصرونهم للديانة وما افترض الله عليكم، ولا من طريق العصبية والحمية، ولا بقرب جوارهم وتلاصق دارهم منكم. ولا أنتم تعتزلونهم فلا تنصرونهم ولا تنصرون عليهم عدوهم؛ بل صيّرتموهم لُحمةً لسيوفكم، ونهزةً ليشتفي غيظكم من قتلهم واستئصالهم. وطلبتموهم في مظانهم ودارهم، وفي غير دارهم؛ فصرنا طريدة لكم من دار إلى دار، ومن جبل إلى جبل، ومن شاهق إلى شاهق. ثم لم يقنعكم ذلك حتى أخرجتمونا من دار الإسلام إلى دار الشرك، ثم لم ترضوا بذلك من حالنا حتى تداعيتم علينا معشر العرب خاصة من دون جميع العجم من أهل الأمصار والمدائن والبلدان، فخرجتم إلى دار الشرك طلباً لدمائنا دون دماء أهل الشرك تلذذاً منكم بقتلنا، وتقرباً إلى ربكم باجتياحنا؛ زعمتم لأنْ يبقى بين أظهركم من ذرية نبيكم عين تطرف ولا نفس تعرف. ثم لم يقم بذلك منكم إلا أعلامكم، ووجوهكم وعلماؤكم وفقهاؤكم والله المستعان».

فما أنْ بلغ يحيى بن عبدالله عليه السلام آخر كلامه، حتّى انفجر النّاس بُكاءً، فقام قائمُ منهم يقول: ويلكم، هل بقيَ لكم حجة أو علة؟ لو قُتِلتُم عن آخركم وسبيت ذراريكم واصطفيت أموالكم، كان خيراً لكم من أن تشهدوا على ابن نبيكم بالعبودية وتنفونه من نسبه . فلمّا سمعَ أبو البختري كلام القائل، تهدّدهم وزادَ في التخويف بالانتقام الشنيع، وأجبرهُم على الشهادة ضد يحيى عليه السلام . فانذهلَ الإمام عليه السلام لمّا رآهم اجتمعو على شهادة الزور، بعد أن كان بكلامه السّابق طمعَ أنْ يتفرّقوا، فعودهُم بالخطاب قائلاً: «مَا لَكُم فَرّق الله بين كلمتكم وخالف بين أهوائكم ولا بارك لكم في أنفسكم وأولادكم، أما والله لولا خوف الله ومراقبته لقلت مالا تنكرون، ولكن أمسك مخافة أن تُقتلوا وأن أُشرك في دمائكم، ولكن لأنْ أكون مظلوماً أحَبُّ إليَّ من أنْ أكون ظالما. ثم قال: وقد علمت أنكم مكرهون، وأنكم ضعفتم عن الصبر على القتل فوسع الله عليكم وسلمنا وإياكم من هذا الجبار العاتي» .

ثمّ توجّه جستان تجاه الإمام عليه السلام، فقال: بقيَ لكَ علّة تعتلّ بها، بعد شهادة هؤلاء؟،

فقال الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام: «قد تبيّن لك ببكائهم، وترددهم يظهر أنهم مكرهون، فإذا أبيت إلا غدراً فأنظرني آخذ لي ولأصحابي الأمان على نسخة أنشؤها أنا وأوجهها إلى هارون حتى يكتب إقراره بذلك بخطه، ويجمع الفقهاء والمعدلين وبني هاشم فيشهدون عليه بذلك.» . ففرحَ هارون بطلب يحيى هذا، وكتب يحيى بأمانٍ عزيز الأركان، قوي الحجّة والإعذار، جاء فيه:

أمان الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام،وأتباعه،بكتابة يحيى بن عبدالله:

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا كتابُ أمان من أمير المؤمنين -هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب- ليحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب، ولسبعين رجلاً من أصحابه:

إني أَمنّتُك يا يحيى بن عبدالله وسبعين رجلاً من أصحابك بأمان الله الذي لا إله إلاّ هو الذي يعلم من سرائر العباد مايعلم من علانيتهم؛ أماناً صحيحاً جائزاً صادقاً ظاهره كباطنه، وباطنه كظاهره، لا يشوبه غل، ولا يخالطه غش يبطله بوجه من الوجوه، ولا سبب من الأسباب. فأنت يا يحيى بن عبدالله والسبعون رجلاً من أصحابك آمنون بأمان الله على ما أصبت أنت، وهم من مالٍ أو دمٍ أو حدثٍ على أمير المؤمنين -هارون بن محمد- أو على أصحابه وقواده، وجنوده وشيعته، وأتباعه ومواليه، وأهل بيته ورعيته وأهل مملكته. وعلى أنَّ كل من طالبه أو طالب أصحابه بحدثٍ كان منه أو كان منهم من الدماء والأموال، وجميع الحقوق كلها فاستحق الطالب ليحيى بن عبدالله والسبعين رجلا من أصحابه فعلى أمير المؤمنين ضمان ذلك وخلاصه حتى يوفيهم حقوقهم أو يرضيهم بما شاءوا بالغاً ما بلغت تلك المطالبة، من دمٍ أو مالٍ أو حقٍّ أو حدٍّ أو قصاص. وأنه لا يؤاخذه بشيء كان منه أو منهم مما وصفنا في صدر كتابنا هذا، ولا يأخذه وإياهم بضغن ولا ترة ولا حقد ولا وغر بشيء مما كان من كلام أو حرب أو عداوة ظاهرة أو باطنة ولا بما كان منه من المبايعة والدعاء إلى نفسه وإلى خلع أمير المؤمنين وإلى حربه.

وأن أمير المؤمنين -هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب- أعطى يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب، والسبعين رجلاً من أصحابه: عهداً خالصاً مؤكداً وميثاقاً واجباً غليظاً، وذمة الله وذمة رسوله، وذمة أنبيائه المرسلين، وملائكته المقربين. وأنه جعل له هذه العهود والمواثيق والذمم ولأصحابه في عنقه مؤكدة صحيحة، لا براءة له عند الله في دنياه وآخرته إلاّ بالوفاء بها. وأني قد أنفذت ذلك لك ولهم ورضيته وسلمته، وأشهدت الله وملائكته على ذلك وكفى بالله شهيداً. فأنت وإياهم آمنون بأمان الله، ليس عليك ولا عليهم عتب ولا توبيخ ولا تبكيت ولا تعريض ولا أذى فيما كان منك ومنهم إذ كنت في مناواتي ومحاربتي من قتل كان أو قتال أو زلة أو جُرْم أو سفك دم أو جناية في عمد أو خطأ أو أمر من الأمور سلف منك أو منهم في صغير من الأمر ولا كبير في سرٍّ ولا علانية. ولا سبيل إلى نقض ما جعلته لك من أماني ولا إلى نكثه بوجه من الوجوه، ولا سبب من الأسباب. وأني قد أذنت لك بالمقام أنت وأصحابك أين شئت من بلاد المسلمين، لاتخاف أنت ولا هم غدراً ولا خترا ولا إخفارا، حيث أحببت من أرض الله. فأنت وهم آمنون بأمان الله الذي لا إله هو؛ لا ينالك أمر تخافه من ساعات الليل والنهار. ولا أُدخِل في أماني عليك غشاً ولا خديعة ولا مكراً، ولا يكون مني إليك في ذلك دسيس، ولا جاسوس، ولا إشارة، ولا معاريض، لاكتابة، ولا كناية، ولا تصريح ولا بشيء من الأشياء مما تخافه على نفسك من جديد، ولا مشرب ولا مطعم، ولا ملبس، ولا أضمره لك. وجعلت لك ألاّ ترى مني انقباضاً، ولا مجانبة ولا ازورارا.

فإنْ أمير المؤمنين -هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب- نقض ما جعل لك ولأصحابك من أمانكم هذا، أو نكث عنه أو خالفه إلى أمرٍ تكرهه أو أضمر لك في نفسه غير ما أظهر، أو أدخل عليك فيما ذكر من أمانه وتسليمه لك ولأصحابك المسَمَّين التماس الخديعة لك و المكر بك، أو نوى غير ما جعل لك الوفاء به؛ فلا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، وزبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر طالق ثلاثاً بتة، وأنَّ كُلَّ مملوك له من عبد أو أمة وسرية وأمهات أولاده أحرار، وكُلّ امرأة له

وكل امرأة يتزوجها فيما يستقبل فهي طالق ثلاثا، وكل مملوك يملكه فيما يستقبل من ذكرٍ أو أنثى فهم أحرار، وكُلّ مال يملكه أو يستفيده فهو صدقة على الفقراء والمساكين. وإلا فعليه المشي إلى بيت الله الحرام حافياً راجلاً وعليه المحرجات من الأيمان كلها، وأمير المؤمنين – هارون بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس – خليع من إمرة المؤمنين، والأمة من ولايته براء، ولا طاعة له في أعناقهم. والله عليه وبما وكد وجعل على نفسه في هذا الأمان كفيلٌ وكفى بالله شهيداً» .

قال الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام: لما بعث يحيى بالأمان – كتب إلى هارون أنْ يجمع الفقهاء والعلماء ويحلف بطلاق زبيدة باسمها واسم أبيها، وعِتْق كل ما ملك من السراري، وتسبيل كل ما ملك من مال، والمشي إلى بيت الله الحرام، والأيمان المحرجات، وأن يُشهِد الفقهاء على ذلك كله. قال: فأسرع هارون إلى أمانه وأعطاه الشروط التي اشترط له كلها، والأيمان التي طلب والإشهاد عليها.

الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام، في المدينة المنورة، وغضب هارون عليه:

عاد الإمام يحيى عليه السلام وأصحابه إلى بلدانهم، بعدَ أنْ أخذَ ميثاق الله وأمانه من هارون الرشيد، ولكنّ الرشيد ما زال في خاطره هنّ وهنّ من يحيى بن عبدالله.

قال الإمام محمد بن القاسم الرسي الحسني عليه السلام: «كان سبب سخط هارون على يحيى أنه لمّا أمر له بأربعمائة ألف دينار، وأمر له يحيى بن خالد بن برمك بمثلها، صار إلى منزله بأثيب –ناحية سويقة– من أرض الحجاز، فوصل كل من كان له به نسب أو خؤولة أو مَحبّة من العرب وغيرهم حتى أغناهم، فكثر اختلاف الناس إليه وتعظيمهم له»، فكانَت هذه المنزلة العظيمة التي نزلَ بها يحيى بن عبدالله صلوات الله عليه، كفيلةً بإحياء غضب هارون على يحيى عليه السلام، ولكن لم يكن غضب هارون بقدرِ غضبه الذي كان بسبب وشاية بكار بن مصعب الزّبيري، فيقول الإمام محمد بن القاسم الرسي عليه السلام: «حدّثني أبي

قال: كان بكار بن مصعب بن ثابت الزبيري عاملا لهارون على المدينة، فوشى بيحيى بن عبد الله بعدما رجع إلى الحجاز، فكتب إلى هارون أن بالحجاز خليفة يعظمه الناس ويختلفون إليه من جميع الآفاق، ولا يصلح خليفتان في مملكة واحدة، وذكر أنّه يكاتب أهل الآفاق» . فاستدعا هارون يحيى بن عبدالله عليه السلام من المدينة إلى بغداد، وهناكَ ضيّقَ عليه وحبسَه .

الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام، واليمين الزّبيرية:

فحصلَ أن أمرَ به هارون، فأُحضِرَ عليه السلام من حبسِه، وتراشقَ هو والزّبيري الكلام، فكان الزّبيري يُحرّض هارون على إيذاء يحيى بن عبدالله عليه السلام، فعندها أخبرَ يحيى بن عبدالله أنّ بكّاراً هذا، كانَ ممّن رثى أخاه محمد النفس الزكيّة، وأنّه وعدهُ بالخروج معهُ إنْ خرج، فالتفت هارون ناحية بكّار وهُوَ مُغضَب، فزادَ الإمام يحيى عليه السلام في البيّنة فذكرَ رثاء الزبيري لأخيه، ولكنّ الزبيري أنكرَ هذا كلّه، وعندها حلّفَهُ الإمام يحيى عليه السلام، بيمينٍ عسيرة، عُرفَت بعد هذه الحادثة باليمين الزبيرية، فقال الإمام يحيى بن عبدالله عليه السلام، قُل: «بَرَأكَ الله من حَولِه وقوته، وَوَكلَكَ إلى حَولَكَ وَقوّتِك، إنْ كنت قلت هاتين المرثيتين ولا المديح الأول»، فقال الزبيري: بَرأني الله من حَولِه وقوته ووكَلَني إلى حَولِي وقوّتي إنْ كنتُ قلتُ شيئاً ممّا قال. فلمّا حَلف، قال يحيى صلى الله عليه: قَتلتَه والله يا هَارون، فأمرَ هارون بيحيى وسُجِن .

هارون الرشيد ونقض الأمان اليحيَويّ:

ولكنّ الرّشيد لم يستطع التخلّص منه، لمكان الأمان الذي أشهَدَ عليه الفقهاء، وهُنا عمل على جمع الفقهاء وكان منهم محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، وهو القائل: «لما سألني هارون عن أمان يحيى أراد مني ومن غيري أن ندله على رخصة يصل بها إلى قتل يحيى. قال: فدفع إليَّ الأمان، وقال: انظر في هذا الأمان الفاسد. قال: فنظرت فيه فرأيته أصح أمان، ولو كلفت أنْ أكتب مثله على صحته لصعب علي. قال: فقمت

قائما، فقلت: يا أمير المؤمنين حرام الدم ما رأيت أمانا قط أصح منه، ولا أوثق منه، وليس في نقضه حيلة. قال: فأخذ دواة بين يديه فرماني بها فَشجَّ رأسي، ودفعه إلى غيري حتى عرضه على جميع من حضر، فقالوا كلهم: مثل قولي إلاّ أنهم لم يبادوا به، فقال: وهب بن وهب البختري بعدما قال هو: إنه صحيح، هاهنا حيلة. قال: ما هي؟ قال: إنْ قال الفضل بن يحيى إنه نوى وقت ما أعطاه الأمان غير الوفاء فالأمان باطل. قال هارون: فالفضل يقول هذا. قال: فدعا بالفضل ويحيى بن خالد، وابنه جعفر بن يحيى حاضران. فقال هارون: يا فضل، ألستُ إنما نويت بالأمان غير الوفاء؟. قال الفضل: لا. ما نويت بالأمان إلاّ الوفاء. قال: فغضب هارون، وقال: ويلك، أليس إنما نويت غير الوفاء؟. قال: لا يا أمير المؤمنين ما نويت إلاّ الوفاء به. فاشتد غضب هارون، وقال: ويلك اليس نويت غير الوفاء؟. قال: لا، والله الذي لا إله إلاّ هو ما نويت غير الوفاء يا أمير المؤمنين. ونظر أبو البختري إلى يحيى بن خالد، وجعفر بن يحيى، قد تغيرت وجوههما وأربدت، ورمياه بأبصارهما فَعُرِفَ الشَّرُّ في وجوههما. فقال: يا أمير المؤمنين ما تصنع بهذا؟ أُدْعُ لي بسكين. فأحضر له سكين، فقطع الأمان، ثم قال: يا أمير المؤمنين أقتله ودمه في عنقي. قال: فقال له يحيى: " يا دَاعِيٌّ والله لقد علمت قريش إنك لقيط، وإنك تُدعى إلى غير أبيك، وأبوك الذي تدعي أبوته لم يصح له نسب في قريش، إنما هو عبد لبني زمعة، فأنت مُدَّعٍ إلى دَعِيٍّ، وقد جاء في الأثر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ من ادّعى إلى غير أبيه أو اِنتمى إلى غير مَواليه فليتبوأ مقعده من النار ». فكيف ترى حالك وأنت مصرٌ على الدعوة بعد معرفتك بالأثر عن النبي عليه السلام، ثم جرأتك على الله تعالى، واستخفافك لمحارمه في تمزيق أمان قد وكّده ووثّقه جماعة من علماء المسلمين، فهب أن لا مراقبة عندك في رجاء ثواب، ولا خوف من عقاب، فهلاّ سترت على ما يخفي ضميرك مما قد أبديت من هتك سترك، وإبداء عورتك؛ معاندة لله ولدينه، وعداوة منك لله ورسوله ولذرية رسوله. ثم التفت إلى الرشيد، فقال له: يا هارون اتق الله وراقبه فإنه قَلّ ما ينفعك هذا وضرباؤه ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا**﴾ [الفرقان:٢٧، ٢٨]، و﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ**

وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر:٥٢] " . فقال الرشيد لمن حضره من الفقهاء وغيرهم: انظروا؛ لا يستحلَّ أنْ يقول يا أمير المؤمنين. وأراد هارون أن يحتج عليه ليبطل أمانه. فقال يحيى صلى الله عليه: ما جزعك من اسم سمَّاكه أبوك، وقد كان يقال لرسول الله صلى الله عليه: يا محمد، فما ينكر على الداعي له بذلك، وقد سماه الله: رسول الله عليه السلام .» .

وفاته صلوات الله عليه:

فأمرَ الرّشيد بيحيى بن عبدالله عليه السلام إلى الحبس، وهُناك مات رحمة الله عليه ورضوانه، وفي هذا يروي علَمُ آل الرّسول موسى بن عبدالله بن موسى الجون عليه السلام، مقولَة بعض أهلِه: «إنَّ رجلين من أفضَلِ أهلِ زَمَانِهَا، وأفضل أهلِ عَصرِهِمَا، أحَدُهُما مِن ولَد الحسَن والأخَر مِن ولَد الحُسين، لا يُوقَفُ عَلى مَوتِهَا ولا على قِتلِهِمَا كَيفَ كَان، موسى بن جعفر، ويحيى بن عبد الله»، والله المُستعان، فسلامٌ على أمير المؤمنين يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعلى أبيه المحض شيخ آل الرّسول، وعلى جدّه الحسن الرّضا رضيعُ العلوم، وعلى جدّه الحسن السبط ريحانة الرسول، وعلى جده المرتضى وصيّ الرسول، وعلى أمّه فاطمةالبتول، وعلى جدّه رسول الله المُصطفى الأمين، يومُ وُلِدَ، ويومَ ماتَ، ويومَ يُبعثُ حيّاً .

المَصادِر:

- أخبار فخ ويحيى بن عبدالله، لأحمد بن سهل الرّازي .
- التحف شرح الزلف للإمام الحجّة مجدالدين المؤيدي الحسني عليه السلام .
- الشافي للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة الحسني عليه السلام .

****

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله الغرّ الميامين، سُفنُ النّجاة، ونجوم السماء، ورضوانه على الصحابة المتّقين، والتابعين لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدين .

الدّاعي إلى الحق المُبين الحسن بن زيد ابن رسول الله ﷺ :

نسبه:

علَم العترة النبوية، والمُجاهدُ في الله حتّى أتاه اليقين، ناشرُ علوم الآل، ومُبيدُ الشركِ والضّلال، الإمام الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه وعلى آبائه السّلام .

مولده:

لَم تُشر المصادر التاريخية التي بين أيدينا إلى أدنى مَعلومَة عن تاريخ ولادته عليه السلام .

دعوة الإمام يحيى بن عبدالله المحض في بلاد الدّيلم:

بعدَ استشهاد الإمام الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن المثنى عليه السلام في معركة فخ على أيدي جنود الخليفة العباسي موسى الهادي، فرَّ الإمام يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، إلى صنعاء في بلاد اليمن، فخافَ من العباسيين هُناك، ثمّ فرَّ إلى بلاد الحبشة ومنها إلى بلاد تركستان، ثمَّ إلى بلاد الدّيلم ولاذَ بِمَلكِها جستان، فرّحّبَ به وأكرَمَه، وهُناك سَعى الإمام عليه السلام إلى نشر الإسلام وإرساء الدّعوة العلويّة، فكانت هذه الدّعوة منه عليه السلام، بمثابَة الغَرسِ الثابتِ، حيثُ مَهَّدت لاحتضان دَعوات أهل البيت عليهم السلام، أبناء الحسن والحسين، ثِقَلُ الله الأصغر في الأرض .

دعوة الإمام يحيى بن عمر في الكوفة (٢٤٨ هـ) :

قامَ الإمام يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، بالدّعوة إلى الرضا من آل محمد، في الكوفة سنة ٢٤٨ للهجرة، وذلك في أيام المُستعين العباسي، وقَد كانَ خرجَ غاضباً لله، آمراً بالمعروف والنهي عن المُنكر، مُحيياً للسنن مُميتاً للبدَع، على منهجِ سَلفِه من أهل البيت عليهم السلام، فالتحَقَت به الزيدية واستبسلوا في القتال بين يديه، وكانوا يُقاتلونَ ليلاً، ولَم يُخالفهُم النّصر، واستشهد الإمام يحيى عليه السلام سنة ٢٥٠ هـ، وفرَّ مَن نجا مِن أصحابه، وكانَ ممّن نَجوا من هذه الوَقعة الإمام الدّاعي الحسن بن زيد العلوي، وهُوَ صاحبُ التّرجمة .

ملاحظة : الإمام يحيى بن عُمر هو ابن أخي الإمام فقيه آل محمّد ومرجعُ الشيعة الزيدية في الكوفة الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي زين العابدين عليه السلام، وهُو أحدُ المُبايعين لنجم آل الرّسول القاسم بن إبراهيم الرسي عليه السلام، وجمعَ أقوالَهُ وأقوالَ أهل البيت المُتقدّمين، مُسندُ أهل الكوفة ومُحدّثهُم الشريف أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد البطحاني بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عليه وعلى آبائه السّلام، جَمعها في كتابه العظيم جامع عُلوم آل مُحمّد (الجامع الكافي)، وهُو تحتَ التحقيق فالطبع، ويبلغ تقريباً ٦ مجلدات، لاغنى لأيِّ علويٍّ فاطميٍّ بل لأيِّ مسلمٍ عنه . وانتُزِع منه القسم المُختصّ بالفقه وطُبع، وفيه أقوال الحسن بن يحيى بن زيد عمُّ الإمام يحيى بن عُمر، وأقوالُ فقيه الآل أحمد بن عيسى بن زيد بن علي زين العابدين عليه السلام، وأقوالُ القاسم بن إبراهيم الرسي عليه السلام .

دخول الدّعوة الزيدية بلاد طبرستان على يد الدّاعي إلى الحق الحسن بن زيد (٢٥٠هـ):

سبقَ وأنْ أشرنا إلى مشاركة الدّاعي إلى الحق الحسن بن زيد لثورة ابن عمّه يحيى بن

عمر، وكيف أنّه فرَّ من المعركة بعد استشهاد ابن عمّه، ومنها لاذَ ببلاد الرَّي، ويُـشير ابـن خلدون في مقدمته إلى أنّ أمر الزيدية لَم يكن مُنتظماً قبلَ خروج الدّاعي إلى الحق الحسن بن زيد إلى بلاد طبرستان، والحقّ أنَّ الدّاعي في هذه البلاد قد أحيا النّواة التـي بـذرَها سَـلَفُهُ وقدوتهُ الإمام يحيى بن عبدالله المحض عليه السلام كما سبقَ وأنْ أشرنا، فعَمِلَ على نَشر الـدعوة الزيدية هُناك، كما تؤكّـد ذلـكَ مُعظـمُ المـصادر التاريخيـة، ولا يَختلـفُ في زيديتـه اثنـان، وساعدَه على بسطِ نفوذهِ في تلك البلدان، انتشارُ ظُلم عُمّال بنـي العبّـاس للنّـاس، حيـثُ كانَ عاملُ بني العبّاس على جزء من الدّيلم، هُو سليمان بن عبـدالله بـن طـاهر، ولاّه هـذا المنصب محمد -المتولي لقتل الإمام يحيى بن عُمر- بن طـاهر بـن عبـدالله عامـلُ خراسـان والدّيلم، ومعهُ محمد بن أوس البلخي على طبرستان.

وهؤلاء ولاّهُم الولاية العامّة المُستعين العباسي، وعَمِلَ هذان الواليان على ظُلم أهـل تلك الدّيار، محمد بن طاهر استقطعَ أراضيهم، ومحمد بـن أوس آذاهُـم في أبـدانهم التـي يزدادُ حصادُ جنودهِ لهم يوماً بعد يَوم، فكانَ ممّن أنكرَ هذا عليهما الأخوان محمـد وجعفـر ابنا رستم الدّيلمي، وعاضدهُما المظلومون من أهل تلك الديار، فَسعى الأخـوان لمُبايعَـة رجلٍ من الطالبيين المُقيمين في طبرستان، فتوجّهوا إلى (محمـد بـن إبـراهيم بـن عـلي بـن عبدالله بن محمد بن القاسم، "إلى هنا ذُكِرَ نسبُه " قُلت: لعلّ التكملة " بن الحسن بن زيـد بن الحسن السبط، والله أعلم)، وطلبَا منهُ أن يُبايعاه بالإمامَة، فقالَ لَهُم: «أدُلّكُم على رَجُلٍ مِنّا هُو أقومُ بِمَا دَعوتموهُ إليهِ مِنّي، فقالوا: مَن هُو ؟ فقال: الحسن بن زيد».

وكانَ الدّاعي إلى الحق الحسن بن زيد عليه السلام حينها في بلاد الرّي، ينـشرُ العلـم، ويُفَقِّـه النّاس، ويُهَيِّئ لقيام دعوةٍ علويّة جامعَة نافعة، على سُنن أهلِ بيتـه الـسابقين، فعمِـلَ ابنـا رستم محمد وجعفر على الاتصال به، ومُبايعته إماماً لهم، و بايعهُ معهم أهل الثّغور، وعدد من رؤساءُ الدّيلم، فكانت هذه البيعة من الـديلميين للـداعي حـافزاً للتقـدّم إلى حـدود الدّيلم، وفعلاً تقدّموا، ففرَّ جنود العباسيين من الحـدود، فـدخل الـدّاعي بجيـشه بـدون قتال، فذاعَ صيته في مختلف بلاد الدّيلم، وتهافتَت البيعاتُ إليه مـن كُـلّ صَـوب، وبايعـهُ أهل طبرستان قاطبةً، عَدى فئة قليلة مـن سُـكّان الجبـال بقيـادة الأصـبهبذ الطبرسـتاني، فقرَعَت أخبار الحسن بن زيد مَسامِع محمـد بـن أوس البلخـي، فأرسـلَ إلى كُـبراء (قلعـة

كلارستان)، عبدالله بن سعيد ومحمد بن عبدالكريم، يطلبُ منهما التصدّي للحسن بن زيد، ولكنّه تفاجأ بهما قد خَلعَا طاعَتهُ، وذهَبا إلى الحسن ابن زيد وهُو في (سعد أباد) وبايعاه بالسّمع والطّاعَة، ومن هُنا آذنَت الإمامة الزيدية قيامَها وتوطيد دعائمها في هذا الركن منَ العالَم، فقامَ الحسن بن زيد بالتنقلّ بين بلدان الدّيلم ودعوته العادلة في ازدياد والإقبال عليه في ازديادٍ أكبر، فذهبَ إلى (كوشيد) وبايعته المحافل، ثمّ توجه إلى (كيجور) وفيها لقيَ ابن عمّه محمد بن إبراهيم العلوي الحاثِّ النّاس على نُصرته وبيعَتِه، فرّحب محمدٌ بِمقدَمه، واستقبلهُ خير استقبال، ثمَّ نظّم الداعي إلى الحق الحسن بن زيد أمورهُ فأرسلَ دُعاتهُ إلى (سالوس) لأخذ البيعَة له، وتوجّهَ هُو إلى (ناتل وبايدشت) وهي قرية قريبة من عاصمة طبرستان (آمل).

وفي آمل اشتبكَت الزيدية بقيادة محمد وجعفر ابني رستم في حربٍ مع جيوش محمد بن أوس البلخي بقيادة محمد أخشيد، انتهَت بانتصار الزيدية، وسقوط ابن أخشيد من على فرسه وقَطعِ رأسه، وكان مَركِز ثقل البلخي في العاصمة (آمل)، فَزحَفَت الزيدية إليها وفرَّ منها أتباع محمد بن أوس البلخي، ووقف الأخوان بجيشيهما على مشارف (آمل)، وكانَ الداعي إلى الحق الحسن بن زيد لا يزالُ في (بايدشت)، حيثُ وافاهُ رجال الأصبهبذ المُعرِض عنه في بداية دعوته وأعلنوا الولاء له، ثمَّ انقسم رجال الدّاعي إلى فريقين فريقٌ بقيادة محمد بن حمزة أحد قوّاد الإمام، وفريقٌ بقيادته، فذهبَ جيشُ محمد بن حمزة لمساندة محمد وجعفر ابني رستم، والذينَ اشتبكوا فيما بَعد معَ الجيش العباسي المتمركز في (آمل) بقيادة محمد بن أوس البلخي نفسه، فأتى الدّاعي إلى الحق بجيشه ودخلَ مدينة (آمل) من الخَلف، فضعفت قوات الوالي العباسي البلخي، فهربَ البلخي مُخلّياً وراءهُ مدينة (آمل)، للداعي إلى الحق الحسن بن زيد عليه السلام، وبقيَ عليه السلام ظاهراً على بلاد طبرستان إلى أنْ تُوفيّ سنة ٢٧٠ هـ، وبهذا تكون إمامته قُرابة العشرين عاماً، وكانَ ممّن ساندهُ من أهل البيت عليهم السلام على هذه الدعوة كما ذكرَ الأصفهاني في المقاتل: محمد بن جعفر بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكانَ داعيةً بالرّي للحسن بن زيد . ومنهم الكوكبي: الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبدالله الأرقط بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام . ومن آل جعفر بن أبي طالب: عبدالله بن إسماعيل بن

إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم، فسلامُ الله على أهل البيت ما أحرصَهُم على دينهم ودينِ جدّهم، بل ما أحرَصهُم على دينِ ربّهم، وما أحسنَ أهلَ البيتِ على مَذهبِ أهل البيت مُجتمعون، كَلمتُهم واحِدَة، واعتقادُهُم في ربّهم واحد، انظُر هؤلاء في أقصى الشمال الشرقي يدعونَ بَدعوةِ أهل البيت، يدعونَ بدين آبائهم وأجدادِهم، حيثُ هُم الثّقلُ الأصغر المُلازمُ للكتاب.

وانظُر في نفس الفترة الزمنية التي يسعى فيها أبناء الحسن والحسين إلى نشرِ دين أهل البيت في بلاد الجيل والدّيلم وطبرستان، يَسعى الإمام محمد بن القاسم الرسي وابن أخيه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى نشرِ دين أهل البيت عليهم السلام في بلاد الحجاز واليمن، ويجمعُ الجميع نفسُ الهَدف، ونفسُ الدّين، ونفسُ العقيدة، فسلامُ الله على الثِقَلين، الأكبرُ والأصغر .

شيءٌ من شِعرهُ عليه السلام:

ذكرَ الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة في الشافي (١/ ٢٨٢)، أنَّ الداعي إلى الحق الحسن بن زيد عليه السلام، الحقَ في كتابٍ وَردَهُ مِن بني العباس، شِعراً يقولُ فيه:

لا ظُلمَ في دِينَنا ولا أثرَة ... بالسّيفِ نَعلو جَماجِمَ الكَفَرَة
يا قَومَنا بَيعتانِ واحِدَة ... هَاتَا وهَاتاكِ بيعةُ الشجرة
رُدّوا عَلينا تُراثَ والِدِنَا ... خاتَمَهُ والقَضيبُ والحبرَه
وبيتُ ذي العَرش سَلّموهُ لَنا ... تليهِ مِنَّا عِصابةٌ طَهرَة
فَطَالَما دُنِّسَت مَناسِكُهُ ... وأظهَرَت فيه فُسقهَا الفَجَرَة

العملة الرسمية لدولة الحسن بن زيد عليه السلام:

أرسى الحسن بن زيد عليه السلام، دعائمَ دولَةٍ إسلاميَّة، عادِلَة، قائمَة على أُسُسٍ ودعائمَ شرعيّة ثابتة، وحُقَّ لها، أنْ تكونَ الأمَّ المُمّهدةُ لدَعواتُ بني فاطمةمِن بَعدِه في الجيل والدّيلم وطبرستان، وعلى رأسهم دولة النّاصر الكبير الأطروش الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي زين العابدين عليه السلام .

عَمِلَ الحسن بن زيد عليه السلام، على سكّ عُملة رسميّة، كانَ مَنشئها ومصدرها، كما يُشير الباحث فرج الله أحمد يوسف، إلى بلاد (نيسابور)، وليسَ إلى بلاد (آمل) عاصمة طبرستان، وبهذا يستنتج الباحث فرج الله أنَّ بلاد (نيسابور) قد دَخلَت تحتَ حُكم الدّاعي، وأضافَ أنَّ هذا مالَم يُشِر إليه المؤرخون، وقال الباحث أيضاً:

«ونَقَشَ على هذا الدّينار آيتان قُرآنيتان، فَعلى الهامش الخارجي للوجه، نَقَشَ جزء من الآية ٣٣ من سورَة الأحزاب ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [الأحزاب:٣٣]، وهذه الآيَة نَزَلَت في آل البيت، وهُم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمةوالحسن والحسين رضي الله عنهُم، لِذا فقَد نَقَشها الحسن بن زيد على نُقودِه، لُيبيّنَ أحقيَّة العلويين بالخلافة، ولَم تَظهَر هذه الآية إلاَّ على مسكوكات العلويين، فقَد سُجِّلَت على مسكوكات خُلفاء الحسن بن زيد في حُكم الدّولة العلوية بطبرستان، محمد بن زيد (أخي الحسن بن زيد) (٢٧٠ -٢٨٧ هـ)، والحسن بن القاسم (٣٠٤-٣١٦ هـ) .

بينَما نَقَشَ على هامش الظّهر الآية ٣٩ من سورة الحج ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ [الحج:٣٩] ..، نَقشها الحسن بن زيد على مسكوكاته، ليبيّن الأسباب التي دَفعتهُ للخروج على العباسيين الذين استأثروا بالخلافة دونَ العلويين وأشبعوهُم قتلاً وتشريداً .

وسجّلَ في السطر الرّابع من مركز وَجه هذا الدينار، لَقب الدّاعي إلى الحق، وكانَ لَقَبُ الدّاعي يُطلقُ على القائمين بالدّعوة الشيعية -الزيدية- في مُختلفِ أنحاءِ العالَم الإسلامي» اهـ كلام الباحث فرج الله أحمد يوسف .

الوجه:

مركز : لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له

الدّاعي إلى الحق

هامش داخلي : بسم الله ضرب هذا الدينار بنيسابور سنة اثنتين وستين ومائتين

هامش خارجي : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [الأحزاب:٣٣] .

الظهر:

مركز : الله

محمد رسول الله

الحسن بن زيد

هامش: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِير**﴾ [الحج:٣٩] .

دينار الحسن بن زيد المضروب بنيسابور سنة ٢٦٢هـ

رسم توضيحي لكتابات الدينار

المصدر : مجموعة عالم المخطوطات والنوادر، مُلحَق نصف سنوي يصدر عن عالم الكتب، العدد ٢، ص٥٤١ -٥٤٥ . بقلم الباحث فرج الله أحمد يوسف.

خريطَة توضحّ معالمَ بلاد الدّيلم :

نظراً لإشكاليّة مَعرفَة مواقع بعض ما ذَكرنا في كلامنا السابق من البلدان، بسبب الجغرافية الجديدة للعالَم، عثرتُ على خريطَة اجتهدَ فيها الدكتور إبراهيم سلمان الكُروي في تحديد موقع الدّيلم على خارطَة العالَم . فقال في كتابه البويهيون والخلافة العباسية (ص٢٩) : « الاقسام الإدارية لبلاد الدّيلم، وتشمل : أ- قومس. ب- طبرستان . ج- جرجان . د- جيلان

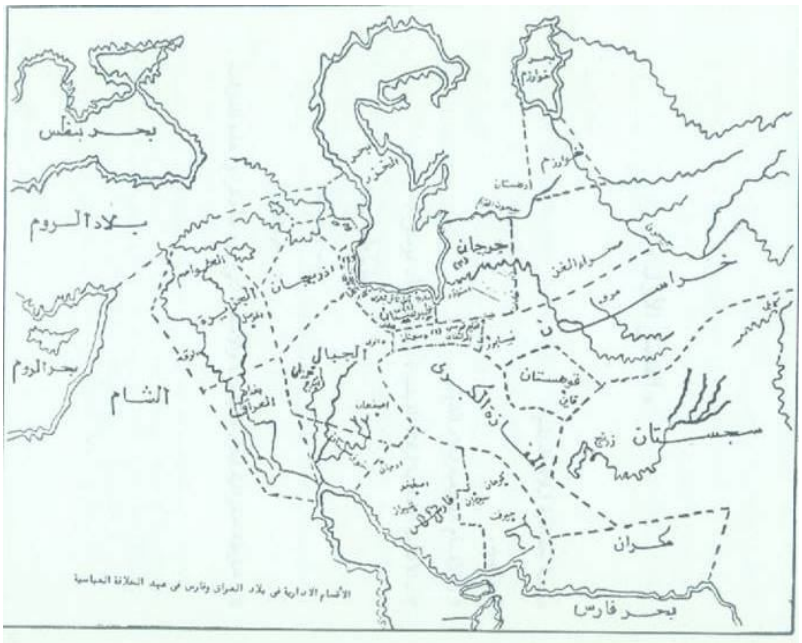

المصدر / كتاب البويهيون والخلافة العباسية للدكتور إبراهيم سلمان الكُروي، ص٢٧.

تراثه الفكري المجيد :

يُشير ابن النديم في الفهرست أنَّ للحسن بن زيد من المؤلفات :

١ - الجامع في الفقه .

٢- كتاب البيان .

٣- الحجة في الإمامة .

وفاته عليه السلام:

توفي الداعي إلى الحق عليه السلام سنة ٢٧٠ هـ، وقامَ من بعده أخوه محمد بن زيد، ثمّ الناصر الأطروش الحسن بن علي عليه السلام .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين[١] .

(١) تم الإنتهاء من كتابة هذا المبحث بتاريخ ١٧/ ١٢/ ١٤٢٥هـ.

المصادر:

- الشافي للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام .
- التحف شرح الزلف للإمام مجدالدين بن محمد المؤيدي عليه السلام .
- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني .
- مقدمة بن خلدون لابن خلدون .
- الفهرست لابن النديم .
- البويهيون والخلافة العباسية للدكتور إبراهيم سلمان الكروي .
- الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي لأحمد شوقي العمرجي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله الغر الميامين، ورضوانه على الصحابة المتّقين والتابعين لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدين .

الإمام الناصر الأطروش الحسن بن علي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

نسبه :

هُو الإمام الناصر الكبير الأطروش الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب، عليه وعلى آبائه السلام .

مولده :

وُلِدَ عليه السلام في المدينة المنورة سنة ٢٢٥ هـ وقيلَ: سنة ٢٣٠ هـ، وكانت أمّه أم ولد، خراسانية الأصل .

صِفَتهُ عليه السلام :

كانَ عليه السلام طَويلَ القَامَة، يَضرِبُ إلى الأدَمة، بِه طَرَش مِن ضَربَةٍ أصَابَت أُذُنَه فِي حَادثَةٍ اتفقَت عليه بنيسابور أو بناحية جرجان.

نشأته وتنقلاته عليه السلام :

نشأ عليه السلام في المدينة المنورة، وتعلّم في أحضان أهل البيت عليهم السلام هُناك، ثمّ ارتحَلَ إلى الكوفة وروى عن مشائخها ومنهم حافظ علوم الآل المُحدّث محمد بن منصور المرادي رحمه الله تعالى، ثمَّ ارتحَلَ إلى طبرستان أيام قيام ابن عمّه الدّاعي إلى الحق الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط عليه السلام، وبقيَ عندَ الدّاعي إلى الحق إلى أنْ تُوفّيَ سنة ٢٧٠ هـ، ثمَّ صحِبَ أخاه الدّاعي محمد بن زيد عليه السلام، وكانَ مُحمّد

كأخيه الحسن، يَعرف للناصر مَكانَهُ وفَضلَه، ورتبتهُ ومنزلتهُ في العِلم بأصول الكتاب والسنّة النبويّة المطهرّة، والنّاصر الأطروش كانَ كذلكَ يحفظُ لهُما مَنزلتهما العظيمة، فيقول النّاصرُ عليه السلام مُتدحاً ابن عمّه الدّاعي محمد بن زيد عليه السلام :

جَلا الشّبُهاتَ فَهُمُكَ يا بن زَيدٍ كَمَا جَلّى دُجى الظُلم النّهارُ

فأنتَ أميرُ هذا الخَلقِ طُرّاً وأنتَ على عُقولِهِمُ عيار

وكانَ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، قد وفدَ إلى طبرستان في مدَّة الدّاعي محمد بن زيد عليه السلام، وإن دلّ هذا على شيء، فإنّما يَدلّ على اجتماعِ أهل البيت عليهم السلام تحتَ رايةِ مَذهبٍ وقولٍ واحدٍ أحَد، حيثُ احتضنت أرض طبرستان في ذلكَ الوقت أربعَة أعلامٍ من سادات أهل البيت عليهم السلام، كُلّهم تحت مَذهَب أهل البيت عليهم السلام، مَذهبِ الإمام زيد بن علي عليه السلام، منهُم الدّاعي إلى الحق الحسن بن زيد وأخوه محمد، من ذرية الحسن بن زيد بن الحسن السبط، ومنهُم الناصر الأطروش الحسن بن علي، من ذرية عمر الأشرف بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، ومنهُم الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، من ذريّة إبراهيم بن الحسن بن الحسن السبط، وإن كانَت المصادر لا تُشيرُ إلى مُقابلةٍ شخصيّة بين الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام وبين الإمام الناصر الأطروش الحسن بن علي، ولكنّها أشارَت إلى وُدٍّ فاطميٍّ قائمٍ بينهما، كما سيأتي .

عِلمُ وفَضل النّاصر عليه السلام :

– قالَ الإمام الناصر الحسن بن علي عليه السلام، مُراسلاً بعضَ أصحابه، ومُبيّناً لِفَضلِه، : «بَعدَ أنْ مَحّصتُ آيَ التنزيل، عارفاً بها، مِنها تفصيلٌ وتَوصيل، ومُحكَمٌ ومُتشابَه، ووعدٌ ووعيد، وقَصصٌ وأمثال، آخذاً باللغة العربيّة التي بِمعرِفَتِها يكونُ الكَمال، مُستنبطاً للسُنّةِ مِن مَعادِنها، مُستَخرجاً للكامِنات مِن مَكامِنها، مُنيراً لِما ادْلَهَمَّ مِن ظُلَمِهَا، مُعلناً لِما كُتِمَ مِن مَستورِها» .

- كانَ لهُ مَجلسٌ لإملاء الحديث، يَجتمعُ فيه فُقهاء البَلد، وأهلُ العِلم كُلّهُم .

- قال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي الحسني عليه السلام :

«النّاصِرُ عالمُ آل مُحمّد، كَبَحرٍ زاخرٍ بعيدُ القَعر ».

- قال الإمام الناطق بالحق أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني الحسني عليه السلام :

« كانَ جامِعاً لِعلمِ القُرآن، والكلام، والفِقه، والحَديثِ والأدب، والأخبارِ واللّغة، جيّدَ الشّعر، مَليحَ النّوادِر، مُفيدُ المَجالِس » .

- قال الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان الحسني عليه السلام :

« لَم يَكُن في عَصرِه مِثلهُ، شُجاعاً وعَلماً ».

- قالَ مُؤرّخ الزيدية الشهيد حميد المحلّي رحمه الله :

«كانَ جامعاً لفنونِ العِلم، مِن أصولِ الدّين، وفُروعِه، ومَعقولِه، ومَسموعِه، راويةً للآثار، عارِفاً بالأخبار، ضارباً في عِلمِ الأدبِ بأقوى سبب».

قالَ خير الدين الزركلي : « كانَ شيخُ الطّالبيين، وعالِمُهم » .

جهوده في نشر العلم :

قُتِلَ الدّاعي محمد بن زيد عليه السلام، في إحدى وقعاتهِ بـ(جرجان) وبها قُبِر، وكانَ ذلكَ يوم جمعةٍ من شهر رمضان سنة ٢٧٧ هـ، والإمام النّاصر عليه السلام كانَ ممّن نجا من القَتلِ في تلكَ الوَقعة، فانهزَم قاصداً (الدّامغان) إلى بيت شيخٍ من بني الحَسن عليهم السلام يُقال له: محمد بن الحسن بن محمد بن جعفر الحسني، ومِن هُناك بلغَ جستان ملكُ (الدّيلم) تواجدهُ بالدّامغان، وكان يُكنّ للإمام الناصر عليه السلام من الإكرام والتقدير الشيء الكثير، فأرسلَ الملكُ رُسله إلى الناصر، يطلبُ بيعتهُ ومُناصرَتهُ، ولكنّ الإمام النّاصر تخوّف عدم وفاء الملكِ له، فأحلَّ الملك عليه في المسألة حتى قالَ للناصر عليه السلام : «فإنّكَ إنْ نَهَضتَ فَهُو كَما قُلتْ، وإن أبيتَ فَقد ألزَمتُكَ الحُجّة فِي ذَلك، وأنَا أُشهِدُ الله عَلى ذَلك، وكَفى بالله

شَهِيداً». فأجابهُ النّاصرُ عليه السلام وقَدِم إليه، وحَسُن حالُ أهل الدّيلم، واجتمعوا حولَ الإمام الأطروش، وبدأ يَنشرُ الإسلام بين عُبّاد الأحجار والأشجار، ويُعلّمهم مبادئ الدين الإسلاميّ الحنيف، يُفقهّهم ويُبصّرهُم أمورَ دينهِم، يحثّهُم على الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، يُجسِّدُ فيهم حُبّ أهل البيت عليهم السلام والولاء لهُم، وفي ذلكَ يقول عليه السلام في إحدى خُطَبِه لمّا دخلَ بلادَ (آمل) عاصمة طبرستان: « أيّها النّاس إني دَخلتُ بلادَ الدّيلم وهُم مُشركون، يَعبدونَ الشّجرَ والحَجر، ولا يَعرفونَ خالقاً، ولا يَدينونَ دِيناً، فَلم أزَل أدعوهُم إلى الإسلام، وأتلطَّفُ بِهِم، حتّى دَخلُوا فيه أرسالاً، وأقبلُوا إليَّ إقبالاً، وظَهرَ لهُم الحق، واعترَفُوا بالتوحيدِ والعَدل، فَهَدى الله بي منهُم زهاءَ مأتي ألفِ رَجُلٍ وامرأة، فهُم الآن يتكلّمون في التوحيدِ والعَدل مُستبصِرين، ويُناظِرونَ عَليهما مُجتَهِدين، ويَدعَونَ إليهما مُحتَسبين، يأمُرونَ بالمعروفِ وينَهَونَ عن المُنكر، ويُقيمونَ حُدودَ الصلوات المكتوبات، والفرائض المَفروضات، وفيهِم مَنْ لَو وَجَد ألفَ دينارٍ مُلقىً على الطّريقِ لَم يأخُذ ذلكَ لنفسِه، ويَنصبَهُ على رأسِ مِزراقه -رُمحه- يَنشِدُهُ في هَواي، واتّباعِ أمري في نُصرَة الحقّ وأهلِه، لا يُولّي أحدٌ منهُم عَن عَدوّهِ ظَهره، وإنّما جِرحاتُهُم في وجُوهِهِم و أفْدَامِهم، يَرَونَ الفِرارَ مِنَ الزّحف إذا كانُوا مَعي كُفراً، والقَتلَ شهادةً ومَغنماً » . وبهذا الصّنيع من الإمام النّاصر عليه السلام معَ أهل الدّيلم، فإنّه مَهَّدَ لدعوةٍ مُحمّديةٍ عَلويّة فاطميّةٍ حُسينيّة جامِعةٍ نافعةٍ، يُحددّ الناصرُ أهدافها فيقول، مُراسلاً لبعضهم : «ولَقَد بَلَغَك -أعزَّك الله-، مَا أدعُو وأهدي إليه، من الأمرِ بالمعروف والنهي عن المُنكَر، إحياءً لِما أُميتَ من كتابِ الله تعالى، ودُفِنَ من سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» .

عَدل النّاصر عليه السلام :

- قال النّاصرُ عليه السلام في بعضِ خُطَبه : «وأنتُم مَعاشِرَ الرّعية، فليسَ عليكُم دوني حجاب، ولا عَلى بابي بَوّاب، ولا على رأسي خَلقٌ من الزّبانيَة، ولا عليَّ أَحدٌ مِن أعوانِ الظّلمَة، كَبيركُم أخي، وشابُّكُم وَلدي، لا آنَسُ إلاَّ بأهلِ العِلم مِنكُم، ولا أستريحُ إلاَّ إلى مُفاوضتِكُم» .

- قال الإمام الناطق بالحق يحيى بن الحسين الهاروني الحسني عليه السلام :

«كانَ [النّاصرُ] يَنظُرُ في الأمورِ بنفسِه، وبَسَطَ العَدل، ورَفَعَ رُسومَ الجور».

- قال ابن جرير الطبري : « ولَم يـرَ النّـاسُ مِثـلَ عَـدلِ الأطـروش، وحُـسنِ سِـيرَتِه، وإقامَتِه للحق».

- قال ابن الأثير : « وكانَ الحَسنُ بن علي حسَن السيرَة، عادلاً، ولَم يَرَ النّـاسُ مِثلَـهُ في عَدلِه، وحُسنِ سرتِه وإقامتهِ للحق » .

- قال ابن حزم : « وكانَ هذا الأطروش،فاضلاً، حَسَنَ المَذهَب، عَدلاً في أحكامِه».

بديهة الناصر عليه السلام وحُسنُ مُناظَرتِه :

روى الإمام يحيى بن الحسين الهاروني الحسن عليه السلام في أماليـه، أنَّ أبـا بكـر محمـد بـن موسى البخاري قال : « دَخَلتُ عَلى الحسين بن عـلي الآمـلي المُحَـدِّث، وكَـانَ فِي الوقـتِ الذي كَان الناصر للحق الحسن بن عـلي عليه السلام في بِـلاد الـدّيلم بَعـد، وقَـد احتَـشَدَ لِفَـتحِ (آمل) وَوردهَا، والحُسين بن علي هَذا يُفتِي العَوام بِأنّهُم يَلزَمُهُم قِتالُ النّاصِر للحـق عليه السلام ويَستَنفِرُهُم لِحَربِه ومَعونَة الخراسانيّة عَلى قَصدِه، وزَعَـم أنـهُ جِهـادٌ، ويَـأمُرُهُم بِـالتجهيز وعَقدِ المرَاكِب، كَمَا يَفعَلُ الغُزَاة، قَال: فَوجَدتهُ مُغتَمّاً ! فَقُلتُ له: أيّهـا الأسـتاذ مَـالِي أرَاكَ مُغتَمّاً حَزيناً، فَألقَى إليَّ كِتَابَاً وَرَدَ عَليه، وقَال: إقرَأه، فَإذَا هُو كِتابُ النّـاصِر للحـق عليه السلام، وفِيه : (يَا أبَا عَلِي، نَحنُ وإيَاكُم خَلفٌ لِسَلفٍ، ومِن سَبيل الخَلَفِ إتّبَاعُ السَّلَف والاقتدَاءُ بِهِم، ومِن سَلَفِكُم الذينَ تَقتَدُونَ بِهِم مِنَ الصّحَابَة عَبد الله بن عُمر، ومُحَمَّـد بـن مـسلمة، وأسامَة بن زيدٍ، وهَؤلاء لَم يُقَاتِلوا مُعَاوية مَعَ عَلي بن أبي طالبٍ عليه السلام مَـعَ تَفـضِيلِهِم عَليّـاً عليه السلام تَأوّلاً مِنهُم أنّهُم لا يُقَاتِلونَ أهلَ الشّهَادَتين، فَأنتَ يَا أبَا عَلي سَبِيلُكَ أنْ تَقتَدِيَ بِهِـم، ولا تُخَالِفَهُم وتُنْزِلَنِي مَنزِلَةَ مُعاوِيَة عَلى رأيكْ!، وتُنزِلَ عَدُوّي هَذَا ابن نُوحٍ مَنزِلَةَ عَـلّي بـن أبي طالبٍ عليه السلام !، فَلا تُقَاتِلنِي كَمَا لَم يُقاتِل سَلفُكَ مُعاويـة، وتَخَـلَّ بَينِـي وبَينَـهُ، كَـمَا خَـلَّى سَلَفُكَ بَينهُمَا، فَتكُفَّ عَن قِتالِ أهل الشهادَتين، كَمَا كَفَّ سَـلَفُك، وتَجَنّـب مُخَالَفَـة أئمّتِـكَ

الذينَ تَقتَدِي بِهِم، ولا سِيّمَا فِيمَا يَتعلّق بِإِرَاقَة الدّمِاء، فَافْهَم يَا أبا عَلي مَا ذَكرتُ لَـك، فَإنـهُ مَحْضُ الإنْصَاف). قالَ: فقلتُ لَه: لَقَدْ أنـصَفَكَ الرّجُـل -أيهـا الأسـتاذ- فِلـمَ تَكرَهُـه؟ فَقَال: نَكرهُه؛ لأنّهُ يُحسِنُ أنْ يُورِدَ مِثلَ هَذهِ الحُجّة؛ ولأنَّـهُ يَـرِدُ مُتقلّـداً مُـصحَفَهُ وسَـيفَه، ويقول: (قالَ أبي رَسول الله ﷺ: «إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، فَهَذا هُو كِتابُ الله أكبرُ الثّقلَـين، وأنَـا عِـترَةُ رَسـولِ الله ﷺ أحَـدُ الثّقلَـين)، ثـمّ يُفتِـي ويُنَاظِر، ولا يَحتاجُ إلى أحَد، أمَا سَمِعتَ مَا قَالَه فِي قصيدةٍ له، قال: وأنشدَ هَذا البيت:

تَـدَاعَا لقتـل بَنـي المُـصطفَى ذَوو الحَـشوِ مِنهَـا ومُرّاقهـا

شيء من شعر الإمام الناصر عليه السلام :

* قال عليه السلام راثياً الدّاعي محمد بن زيد الحسني عليه السلام :

الـدّينُ والـدّنيا تَظـلَّ تفجـعُ أم أنت على الدّاعي تبكي وتجزعُ

وكانَـا بـهِ حيـينَ طـول حياتـه فقَد أصبحُوا ماتوا جميعاً وودّعُوا

إلى قوله عليه السلام :

تَساوىَ الوَرَى في هلكهِ بعدَ مُلكهِ فَكُلّهُمـوا فيـه مُعـزّىً مُفجَـعُ

فلَـم أرَ إلاّ ضـاحكاً في حياتِـه ومُـذ مـاتَ إلاّ باكيـاً يَتوجّـعُ

فلا عُذرَ إذْ لَم يَدفع المـوتُ دونـهُ وكُنّـا بـهِ ريـبَ الحـوادِثِ نَـدفَعُ

عـلى أنّـهُ لَـو شـاءَ نجّـاهُ سـيفهُ وطَرفُ كلمحِ البرقِ أو هُو أسرعُ

ولكـن أَبَـى إلاّ التـأسّي بِعُـصبَةٍ لآلِ رَسـولِ الله بـالطّفِّ صُرَّعُ

إلى قوله عليه السلام :

ومَا ماتَ حتّى ماتَ مِن خَوفهِ العِدا وكانَـت بـهِ في نَومِهـا تتفـزّعُ

ولله مـاذَا ضـمّ حـولَ ضريحـهِ وأعجـبُ منـهُ كيـفَ لا يَتـصدَّعُ

وكانَـت بـه الـدّنيا تـضيقُ بِرحبِهَـا تظلّ وتُمسي منـهُ تخـشَى وتطمـعُ

* ومن شعرِه عليه السلام، قالهُ غَضَباً لله وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

ولمّـا رأيـتُ اعتـداءَ العِبـاد وإظهـارُهُم كـلَّ مـا لا يَحِـل
وعَقـدُ الإمامـة للفاسـقين وكـلَّ ظلـومٍ ظَلـولٍ مُـضِل
وخُمسُ ذَوي الخُمسِ مـا بينهُم لِلَهـوٍ لَهُـم دُولَـةٌ مُبتـدَل
وكـانَ لهُـم عِلـلٌ مِـن دِمـاءِ بنـي المُـصطفىٰ بعـد وردٍ نَهَـل
نَهـضتُ ولَم أبتـئس بالـذي أراهُ بجـورِ الـورىٰ قَـد شَـمَل
عـلىٰ الله في كُـلّ مـا قَـد أروم وأسـعَىٰ لإصـلاحِهِ أتَّكِـل
ومـا الله عَـن خَلقِـهِ غافـلٌ ولا اللهُ عَـن خَلقِـهِ قَـد غَفَـل

* ومن رائع شعره عليه السلام، وقَد كانَ يشقّ ما بين الصّفين في الحروب، مُتقلِّداً مُصحَفَهُ، وسيفه، ويقول : (أنا ابنُ رسول الله، وهذا كِتابُ الله، فمَن أجابَ إلىٰ هذا –المُصحَف–، وإلاَّ فهذا –السيّف–) .

شـيخٌ شَرَىٰ مُهجَتـهُ بالجنّـة واسـتنَّ مـا كـانَ أبـوهُ سـنّه
ولَم يَـزَل عِلـمُ الكتـابِ فنّـه يُقاتـلُ الكُفّـارَ والأظنّـه

بالمـشرفيات والأسـنّة

* ومن شعره عليه السلام، يحثُّ نفسهُ علىٰ الصبر والجلَدُ علىٰ البلوىٰ :

واهـاً لنفسي مـن حَيـارَي واهـاً واهـاً لهـا إنْ سَـألَت مُناهـا
كَلّفتُهـا الـصبرَ عـلىٰ بَلواهـا ورضـع مـرّ الحـقّ مُـذ صِـباها
ولا أرَىٰ إعطاءهـا هَواهـا أريـدُ تَبليغـاً بهـا عَلياهَـا
في هـذهِ الـدّنيا وفي أُخرَاهـا بكُـلِّ مـا أعلَـمُ يُـرضي الله

بينَ الإمام النّاصر الأطروش الحسيني والإمام الهادي إلى الحق الحسني :

لا بدَّ وأنْ تتحققّ مقولَة نبي هذه الأمّة محمد بن عبدالله ﷺ، في أهل بيته، من أنّهُم الثِقَلُ الأصغرُ الملازمُ للثقلِ الأكبر كتاب الله تعالى، وأنّهم سفينة نوح لأمّة محمد، الرّاكبُ بها ينجَو، والمُتخلِّفُ عنها يهلك، والمُقتبسُ من عُلومِهِم هُو المُهتدي، والمُستنيرُ بغيرِ هديهِم هُو المُدَلِّسُ والمُدلَّسُ عَليه، والحائد عن نهج محمد ﷺ، انظُر يا بن آدم وحوّاء، كيفَ اجتمعَت كلمةُ آل البيت عليهم السلام تحتَ رايةٍ واحدة، انظُر علمَ النّاصر الأطروش الحسن بن علي الحسيني الأصل، في أقصى الشمال، بلاد الجيل والدّيلم وطبرستان، وانظُر علمَ الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحسني الأصل، في أقصى الجنوب، بلاد اليمن، انظُر الهادي إلى الحق عليه السلام يصف النّاصر الأطروش فيقول: «النّاصِرُ عالمُ آل مُحمّد، كَبَحرٍ زاخرٍ بعيدُ القَعر»، وانظُر النّاصر يسمعُ بعضَ أصحابه وهُو يقول عن الهادي إلى الحق عليه السلام : كانَ ذلكَ والله فقيهاً، فضحِكَ النّاصر عليه السلام ثمَّ قال : «كانَ ذلكَ من أئمّة الهُدَى»، أيضاً انظُر النّاصر الأطروش عليه السلام، يبكي بنحيبٍ ونشيج لَّما بلَغَهُ وفاة الهادي إلى الحق (سنة ٢٩٨ هـ)، وقال عليه السلام في ذلك المصاب : «اليومُ انهدَّ رُكنُ الإسلام »، هذا ولا يفوتُك أن تتأمّل علاقَة أبناء زيد بن الحسن السبط وعلى رأسهِم الدّاعي الكبير الحسن بن زيد، وأخوه محمد بن زيد عليه السلام، بالنّاصر الأطروش، وانظُر علاقَة الدّاعي الحسن بن زيد الحسني الأصل بثائر أهل البيت وإمامها في الكوفة يحيى بن عمر الحسيني الأصل، ثمّ استلهِم أنّ عمّ يحيى بن عُمر هُو فقيه آل مُحمّد وحاكي إجماعاتهم الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي عليه السلام، واستلهِم أنَّ عمَّ الحسن هذا، هُو فقيه آل مُحمّد أحمد بن عيسى بن زيد بن علي عليه السلام، ثمّ استلهِم أنّ هذينَ العَلمَين من جهابذَة آل محمد ومعهُم زاهد آل محمد عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض الحسني الأصل، مُبايعينَ لأخيهم وابن عمّهم نجم آل الرّسول القاسم بن إبراهيم الرسي الحسني الأصل، ويلتقونَ معهُ في علومهِ ومَذهبهِ، كما يلتقي الهادي إلى الحق في اليمن، والناصر الأطروش في طبرستان، والحسن بن زيد في الري، ويحيى بن عمر في الكوفة، معَ سلفهِم السابّقين من

أهل البيت عليهم السلام، فتأمّل كيفَ أنَّ الجميع اجتمعَوا تحتَ مَذهبٍ واحِد، وهُو مَذهبُ أهل البيت عليهم السلام، مَذهبُ الإمام زيد بن علي عليه السلام .

ولكنَّ العَجب كلّ العَجب لأناسٍ لا يَعرفونَ عن هذه الأسماء شيئاً، ويزدادُ العجب عندما نَجد هؤلاء النّاس يتشدّقون بحبّ أهل البيت واتبّاعهِم والركوب في سفينتهم، وهُم لا يَعرفونَ إلى هؤلاء الأعلامِ ولا إلى عِلمِهِم طريقاً، ولا نَدري أعَصبيّةً أم جهلاً بهم؟! وقَد يُعذر غيرُ أبناء الحسن والحسين في جهلِ هذا -بَل لا يُعذرَون!-، ولكن ما بالُ أبناء عليٍّ وفاطمةالسادة الأشراف، يلتهمونَ عُلومَ غير أهل البيت، ويصدّون عن مَعدن العِلم ؟ يلتهمون كُتبَ الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة -رضوان الله عليهم-، ويقولون هذا دينُ أهل البيت ؟ أئذا قالَ قائلٌ : قالَ زيد بن علي، وقال أحمد بن عيسى، وقال عبدالله بن موسى، وقال القاسم الرسي، وقال الحسن بن يحيى، وقال محمد بن القاسم الرسي، وقال الناصر الحسن بن علي الأطروش، وقال الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين : إنّ هذا المَذهب الذي نحنُ عليه، هُو مَذهبُ آبائنا الفاطميين، القريبي العهدِ بنا -حيث أنّ مَن ذكرنَا بينَ مُعاصرٌ للقرن الأول أوالثاني أوالثالث-، يُجادَلُ في مذهب أهل البيت ؟! وهل يَجدرُ بنا بعدَ ذلك أن نقول، قال ابن تيمية، وقال السبكي، وقال ابن القيم، وقال ابن الجوزية، وقال ابن عبدالسلام، وقال ابن حجر : إنَّ مَذهبَ أهل البيت هُو هذا المَذهَب الذي نحنُ عليه؟!.

وسَنَدعُ صاحِبَ الترجمة، الإمام الناصر الكبير الأطروش الحسن بن علي عليه السلام يُجيب، فيقول عليه السلام :

لا تّتبعُوا غيرَ آل المُصطفى عَلَماً ... هِديكُم فهُم خيرُ الورى آلُ
آلُ النبيّ وعنهُ إرثُ علمِهِمُ ... القائمونَ بنُصحِ الخلقِ لم يآلوا
وقولُهُم مُسندٌ عن قولِ جَدِّهِمُ ... عَن جبرئيلَ عن الباري إذا قَالوا

تراث النّاصر الأطروش عليه السلام الفكريّ المجيد :

للإمام الناصر عليه السلام من المؤلفات الجم الكثير، وله اجتهاداتٌ في الفقه تميّزَ بها، وانتسبَ أصحابهُ ومُقلّدوا اجتهاداته إليه، فأُطلِقَ عليهم الزيدية الناصرية، وكذلكَ الحالَ معَ مَن قلَّد الإمام القاسم الرسي في اجتهاداته الفقهية، سمّوا الزيدية القاسمية، وهُو أيضاً ما حصلَ مع مَن قلّد الإمام الهادي إلى الحق في اجتهاداته الفقهية سمّوا الزيدية الهادوية، ولا يعني هذا أنَّ هذه الفَرقَ من الزيدية لها أصولٌ في عقائدها مُختلفةٌ عن بعضها البعض، فعقائدها واحدَة، وإنّما الخلاف بينها في الأمور الفقهية الفروعية الاجتهادية، التي لا يختلفُ أهلُ العِلم في يسورة وسهولَة الاختلاف فيها، فليتنبّه الواقف على هذا، ولا يغترّ بما سطّرته كُتبُ الملل والنحل، وليجهَد في البحث عن صَدق كلامنا .

ومن تراثه الفكري عليه السلام :

١- البساط .

٢-الاحتساب .

٣- النّاصريات، كتاب في الفقه .

٤- التفسير، احتجّ فيه بألف بيت من الشعر من ألفِ قصيدَة .

٥- الحجج الواضحة بالدلائل الراجحة في الإمامة . (الإمامة) .

٦- الأمالي في الحديث، وأكثرُه في فضائل العترة عليهم السلام .

٧- المغني .

٨- المسفر . حكاه عنه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة الحسني في الشافي.

٩- ألفاظ الناصر . (رتّبهُ أحد تلامذته كان يحضرُ لديه، ويكتُبُ ألفاظه) .

١٠- الباهر في الفقه . (جَمعهُ بعض علماء عصره) .

١١- الحاصر لفقه النّاصر، جَمعه الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الحسني .

١٢- الناظم في فقه الناصر، جمعه الإمام المؤيد بالله .

١٣- الإبانة في فقهه، مشروحة بأربعة مجلدات كبار، للشيخ أبي جعفر الهوسمي.

١٤- أمهات الأولاد .

١٥- الأيمان والنذور .

١٦- فدك والخمس .

١٧- الشهداء وفضل أهل البيت .

١٨- فصاحة أبي طالب .

١٩- كتاب معاذير بني هاشم فيما نقم عليهم. وغيرها .

وفاته عليه السلام، وموضع قبره :

توفي الإمام الناصر عليه السلام، ولهُ من الأولاد : أبو الحسن علي الأديب الشاعر، وأبو القاسم جعفر، وأبو الحسين أحمد، توفي عليه السلام بعدَ حياةٍ مليئةٍ بالكفاح والجهاد ونشر العلم، وذلك سنة ٣٠٤ هـ، في الخامس والعشرين من شهر شعبان، ٢٥/ ٨ / ٣٠٤هـ، وله من العمر نيف وسبعون، وفي ذلك يقول عليه السلام مُنشئاً :

أنافَ على السبعين ذا العامُ رابعُ ... فلا بُدَّ لي أنّي إلى اللّهِ راجعُ

وصِرتُ إلى حدٍّ تقوّمني العَصا ... أدبُّ كأنّي كُلّما قُمتُ راكعُ

وقُبرَ عليه السلام في مدينة آمل عاصمة طبرستان، وإلى ذلك يُشير الشاعر، ذاكراً قبرَهُ عليه السلام في آمل، وقبر الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في صعدة :

عَرّج عَلى قَبرٍ بِصَعـ ... ـدَة وابْكِ مَرمُوساً بآمِلْ

واعلَم بأنّ المُقتدِي ... بِهِمَا سَيبلُغُ حَيثُ يَامِلْ

وقامَ بعد النّاصر الأطروش علمُ العترة المحمديّة الدّاعي الحسن بن القاسم بن الحسن بن علي بن عبد الرحمن الشجري بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

٢٤/ ١٢/ ١٤٢٥هـ

المصادر :

- الإفادة في تاريخ الأئمة السادة للإمام يحيى بن الحسين الهاروني الحسني عليه السلام .
- المصابيح لأبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسني عليه السلام .
- الشافي للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة الحسني عليه السلام .
- الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية للشهيد حُميد المحلي .
- التحف شرح الزلف للإمام مجدالدين بن محمد المؤيدي الحسني عليه السلام .
- مقدمة الاحتساب، للمحقق عبدالكريم أحمد جدبان .
- أعلام المؤلفين الزيدية، للسيد عبدالسلام عباس الوجيه .

****

بسم الله الرحمن الرحيم

سِيرَةُ الإمَام الأعْظَمْ، والبَحْرُ الخِضَمّ، والبَدْرُ الأتَمْ
مُحَمَّدُ بن القَاسِمْ الرَّسِي عليه السلام .

نَسبُه الشريف :

هو محمد -قاموس العترة- بن القاسم -الرسي- بن إبراهيم -طباطبا- بن إسماعيل -الديباج- بن إبراهيم -الغمر- الشبه- بن الحسن -المثنى- الرضا- بن الحسن- السبط- بن علي -الوصي- بن أبي طالب -ناصر رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله-.

سِلسِلَةٌ مِنْ ذَهَبٍ مَنوطةٌ بالشَّهُبِ
أَكْرِمْ بها مِن سِلْسِلَة بينَ وَصيٍّ ونَبي
قَدْ صانَها ربُّ السَّما مِنْ شَائباتِ النَّسَبِ

مولِدُه الشريف :

وُلِدَ ما بين سنة (١٩٨ – ٢٠٢ هـ) .

نُبَذ مُختصرَة عن سيرته سلام الله عليه :

أكثرُ ما وردَنا عن سيرة قاموس العترة أبي عبدالله محمد بن القاسم عليه السلام هُوَ عن طريق حفيده (الإمام المنصور بالله القاسم العياني بن علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي عليه السلام (٣١٠-٣٩٣هـ) عن طريق والده علي بن عبدالله عندما سُئِلَ عن مسائلٍ تخص أبو عبدالله محمد بن القاسم الرسي وسيرته فأجابَ عنها) .

وأيضاً من ضمن ما جاءَ عن سيرة قاموس العترة كان عن طريق (علي بن محمد بن عبيدالله بن عبدالله بن عبيدالله بن الحسن بن عبيدالله بن أبي الفضل وقمر أهل البيت شهيد كربلاء العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهُو وأبوه ممن رافقوا الإمام الهادي إلى

الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي عليه السلام من الرس بالمدينة المنورة إلى اليمن، وهُوَ كاتبُ سيرة الإمام الهادي المطبوعة) . وسنلخص سيرته عليه السلام وأهم ما جرى في عصره بالتالي :

ملاحظة: اختصرنا بعض الكلام لطوله، وحرصنا على إبراز نَصّ الروايات كاملة فيما بينَ « .. »، و ما جاء بين الشرطتين – ... – فهو للتوضيح وليس من النص .

فضل أبي عبدالله محمد بن القاسم الرسي عليه السلام

– قال الإمام القاسم العياني، قالَ أبي –والدي– علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي، حدثني أبي –والدي– عبدالله بن محمد، وعمي عبدالله بن الحسين بن القاسم الرسي، عن الحسين بن القاسم الرسي أنّه قال : سمعتُ أبي القاسم –الرسي– بن إبراهيم وهو يقول : « صَحِبْتُ الصوفية –أي الزهاد والمتورعين– أربعينَ سنة، ودُرتُ الشرقَ والغرب، ولَم أرَ رجلاً أشدَّ ورعاً من ابني محمد» [1].

– قال الإمام القاسم العياني، قال أبي علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي، حدثني عمي عبدالله بن الحسين بن القاسم الرسي فقال : «رأيتُ عمي أبا عبدالله في ليلةٍ من الليالي وهُوَ يطوفُ بالكعبَة في وقتٍ من الليل، لَم يكن يطوفُ بالكعبةِ فيه أحدٌ من الناسِ إلاَّ هُو، ورأيتُهُ مِن حيثُ لَمْ يَرَني، فلمّا قضى طوافَه، رأيتُهُ وقَد رَفَعَ يدَهُ وقَد تطَقْطَقَتْ عَضُدَاه مِنَ الكِبَرْ، فدعا الله بما شاء من الدعاء وقال : اللهمَّ إنْ كُنتَ رأيتني حيثُ نَهَيتَني فلا تَغفِرهُ لي، ثمَّ وضعَ رجلاً على رِجلْ، وقال : اللهمَّ إن كنتُ مَشيتُ بهما حيثُ تَكْرَه فلا تَغفِرهُ لي » [2].

– قال الإمام القاسم العياني، قال أبي علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي، حدثني أبو القاسم طاهر بن يحيى الحسين الحسيني فقال : « كانتَ بنو أبي طالب إذا أتَى محمد إلى جَماعَتِها لا يَتَكَلَّمُ بينَ يديهِ مِنها مُتَكَلِّمْ، إلاَّ مِن بَعدِ كلامِه » [3].

---

(١) مجموع الإمام القاسم العياني، كتاب التنبيه والدلائل ١/ ٩٦.

(٢) مجموع الإمام القاسم العياني، كتاب التنبيه والدلائل ١/ ٩٦.

(٣) مجموع الإمام القاسم العياني، كتاب التنبيه والدلائل ١/ ٩٦.

- قال الإمام القاسم العياني، قال أبي علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي، حدثني أبو القاسم طاهر بن يحيى الحسين الحسيني فقال : « ورأيتُهُ -أي رأى أبو عبدالله- وهُوَ في المسجدِ الحرام، وقَد مرَّ ابن أبي ميسرَة يختالُ ويخطرُ في مَشيَتِه، فَحَصَبَهُ بِكَفٍّ مِن حَصَا، وقالَ له : تَعال، فَلَمّا وقفَ بينَ يديهِ زَجرَهُ، وقالْ : قَد بَلَغَني كلامُكَ في بني أبي طالب، فارتَعَدَ ولم يحر جواباً، وقد كانَ - ابن أبي ميسرة - من رُؤساء هذه الدنيا، وجبابرةِ أهلها » [1] .

- قال الإمام القاسم العياني، قال أبي علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي، حدثني عبدالله بن طاهر، عن أبيه أنه قال : « كانَ قَد وقعَ بينَ بني حسَن وبينَ بني جعفر تلكَ الفتنة، فكانَت فِتنَةُ ظُلمٍ وطَلَبُ رياسَة، فَنَهاهُمْ -أبو عبدالله- عَنها فلَجّوا عليه -أي لم يستمعوا له-، فَلم يدخُل بينَهُم، فلمّا اقتَتلوا قُتِلَ مَن قُتِلْ وبَقيَ في المعرَكِة جَرحى مِنَ الكُل، فَرَفَعَهُم -أبو عبدالله- جميعاً، وجعلَ لَهُم من قامَ بِهِم، وأجرى لَهُم النفقة الكافية حتى بَرُوا، ولَحِقَ كُلُ حزبٍ منهم بأهلِه » [2].

- قال الإمام القاسم العياني، قال أبي علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي، حدثني أبي عبدالله بن محمد، قال : « كانَ أبي محمد بن القاسم يتنزَّهُ عن أكل أرزاقِ السلطان» [3] .

خِطبَةُ القاسم الرسي لابنه أبي عبدالله محمد بن القاسم عليه السلام

- قال الإمام القاسم العياني، قال أبي علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي، حدثني ابن بويه، عن عبدالرحمن بن إبراهيم العامري أنهّ قال : « بَعَثني القاسمُ - الرسي- بن إبراهيم صلوات الله عليه إلى أبي جعفر محمد بن جعفر بن عبيدالله بن علي بن الحسين

(١) مجموع الإمام القاسم العياني، كتاب التنبيه والدلائل ١/ ٩٦.

(٢) مجموع الإمام القاسم العياني، كتاب التنبيه والدلائل ١/ ٩٧.

(٣) مجموع الإمام القاسم العياني، كتاب التنبيه والدلائل ١/ ٩٧.

بن علي بن أبي طالب رحمةُ الله عليه، بكتابٍ يخطبُ فيه ابنته فاطمةابنة محمد بن جعفر لابنِهِ محمد بن القاسم، فكانَ مِنْ رَدِّ أبي جعفر على أبي محمد القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه أنْ كَتَبَ إليه : بسم الله الرحمن الرحيم، وَصَلَ كِتابُكَ أمتَعنا الله بحياتِك، ووهَبَ لنا طولَ عُمُرك، تَذْكُرُ فيه فاطمةبنت محمد بن جعفر، لأبي عبدالله –محمد– والأمرُ فيها إليكْ، وقَد جَعَلتُ الزواجَ بيدِك، فَأَمْلِكْهُ على اسمِ الله وبَرَكَتِه وتوفيقِه، فَمِثْلُ أبي عبدالله يُخْطَب ولا يَخْطِبْ، ولَقَدْ امتلأتُ سروراً بِقُربِهِ منَّا، وكَينُونتِهِ مِنْ جُملَتِنا، جَمَعهُمَا اللهُ على الأُلفة، وكَفَاهُمَا شرَّ إبليس اللعين برحمَتِه »[1].

قيام أبي عبدالله بالدعوة إلى الرضا من آل محمد، ومُبايَعتهِ إماماً

– قال الإمام القاسم العياني، قال أبي علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي: «وكانَ محمد بن القاسم صلوات الله عليه قَد باعَ مِنَ الله نَفسَهُ، فَخرجَ إلى الحيرةِ هُوَ وأخوهُ سليمانُ بن القاسم، فَنزلَ على أشهب بن ربيعة صاحب المعدن، فَبايعَهُ وأخذَ لهُ بيعةً كثيرة، وكانَت لهُ بيعةٌ باليمن، وأخذَ له ابن الجوزي بيعةً بمصر، وكتبَ إليه وهُوَ بالحجاز يُخبِرُهُ بِمَنْ بايَعَ لهُ وبِكثرَةِ أنصارِه، فَلم يَرَ صلوات الله عليه مِنَ التخلُّفِ بَعدَ ما اتَّصَلَ بهِ مِنْ عِلمِ ذلكْ ما اتَّصَلْ، فَخرَجَ إلى مصر حتى كانَ بالعويبد، ثمَّ وردَ عليه كتاب ابن الجوزي يُخبِرُهُ أنَّ جُنودَ بني العبّاس قَدْ ضَبَطَتْ البلد، وأنَّ كُلَّ مَن كانَ بايَعَهُ قَد ذهبَ ونكثَ ببيعته، ولَم يَكُن رَحِمَهُ الله صَحِبَهُ من الحجاز إلاَّ شِرذمة تَقِل عن مُكافحة العساكر، مِن ولَدِ الحسن والحسين وجعفر وعقيل، وجماعة من قريش فيهم عبدالرحمن بن إبراهيم العامري، ونفرٌ من العرب يسير، فَكَرِهَ صلوات الله عليه أن يُلقِي بِشِرذِمَة من المؤمنين قليلة إلى التهلكة، ولَمْ يَرَ في دينِه صلوات الله عليه أنْ يَحمِلَهُم على السيف، وقَد تقرَّرَ عِندَهُ ما تقرَّر، فرَدَّهُم تقيةً فيهم حينَ عَلِمَ قِلَّةَ حداهُم وكثرَةِ عَدوّهِم، ونَكْثِ أهل العهدِ لبيعتِهِم، فَرَجَعَ عندَ ذلكَ غيرَ مُختارٍ للرجوع، بَلْ راجَعَ وهُوَ مُجِدٌّ غيرُ مُتَوان، دُعاتُهُ في جميع

(١) مجموع الإمام القاسم العياني، كتاب التنبيه والدلائل ١/ ٩٧.

البُلدان، وكانَت له بيعةٌ بطبرستان، وكانَت له بيعةٌ بكرمان، وكانَ صلواتُ الله عليهِ حريصاً مُجتهداً على القيام غيرُ مُتَوانٍ ولا مُقَصِّرْ، آلاَ تَسمعونَ مُخاطبَتَهُ لأخيه سُليمان بن القاسم – الرسي – في شعرِه الذي يقولُ فيه :

فَصَبراً جميلاً يا سُليمانُ وانتَظِر فَكَم مِن رجاء عادَ ثم أمانيا

ثُمّ يقولُ في هذه القصيدة البيت الذي يُسْتَشهَدُ به على دَعوته فقال :

وقَدْ يَعلَمُ اللهُ العليمُ بأنني دَعَوتُهُم لو يَقبلُ الله داعيا

ولكنّهُ رحمه الله راجا أهلَ دهرِه بكثرةِ الغدر، والإخلافِ في الأمر، حتى عَلَتْ سِنّه، ولَزِمَهُ مرضٌ في رُكبتيه أَزْمَنَهُ، فزالَ عنهُ فرضُ القيامِ عندَ ذلك، فكانَ كما قال الله عزَّ وجل : ﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ**﴾ [الذاريات: ٥٤]. »

– ثم قال الإمام المنصور بالله القاسم العياني عليه السلام .

– فهذا ذِكرُ أبي رحمة الله عليه من فضائل أبي عبدالله وإمامته .[1].

قاموس العترة النبوية محمد بن القاسم، وابن أخيه الهادي إلى الحق عليهما السلام

دراسة الهادي إلى الحق، على يد عمّه محمد بن القاسم عليه السلام

– تتلمذ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي على يد عمّه محمد بن القاسم فأحاطَ فالمعقولِ والمنقول، وبَرَعَ في شتّى علوم الدين أصولاً وفروعاً وحديثاً ورقائقاً وأخلاقاً، حتى شَهِدَ له بالفَضْل أهلُ بيتِه بل شَهِدَ له القاصي والداني ممّن اطَّلعَ على مصنفاته واجتهاداته، وأشارَ السيد العلامّة المؤرخ محمد بن محمد زبارة الحسني الصنعاني في (خلاصة سيرة الهادي من أرجوزة الأئمة) إلى تلمَذِة الهادي على عمّه عندما قال :

ثمَّ رَوَى العُلُومَ عن أبيه حفاظة الآل وعَن عَمَّيهِ

(١) مجموع الإمام القاسم العياني، كتاب التنبيه والدلائل ١/ ٩٨-٩٩.

عَـــنْهُمْ سَـــمَاعاً ثُـــمَّ بالروايـــة عَـــنْ عُلَـــماءٍ قَـــادَةٍ أئمـــة

- قال الإمام القاسم العياني، قال أبي علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي :

«وأمّا الهادي -يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي -رحمةُ الله عليه، فَلَم يَقُمْ- بالإمامة- حتَّى آل عمُّهُ -محمد بن القاسم- إلى الحالِ التي سَقَطَ عنهُ مَعَهُ فرضُ القيام، ممّا تقدَّم ذِكرُهُ أولاً في كتابنا هذا، - يقصد مرض محمد بن القاسم الذي أقعدَهُ عن الخروج كما تقدّم-، وكانَ قيامُ الهادي قَبلَ وفاةِ عمّه عليهما السلام بسَنَة، وعَمُّهُ يومَئذٍ زَمِنٌ لا يُقاوِمْ، وهُوَ يَعُدُّ إذْ ذَاكَ من السنين نيّفاً وثمانينَ سنة، رحمةُ الله ورضوانُه عليهما»[1].

- قالَ علي بن محمد بن عبيدالله بن عبدالله بن عبيدالله بن الحسن بن عبيدالله بن أبي الفضل العباس بن علي بن أبي طالب : سألتُ أبي محمد بن عُبيدالله بعدَ وُصولي إلى اليمن، كيفَ كانَ خروجُ الهادي إلى الحق ؟ وكيفَ كانَ خُروجُكُمْ، وما لَقيتُم في سَفَرِكُمْ؟

ذِكر صلاة قاموس العترة النبوية محمد بن القاسم، بالهادي إلى الحق عليه السلام

فقالَ: « يا بُني، خَرجْنَا مِن عِندِكُمْ من المدينة لِهلالِ ذي الحجة، فلمّا سِرنا إلى الفرع -موضع في المدينة المنورة- يوماً و كِسرَ يوم، فلمَّا وَصَلنا لَقِينَا الهادي إلى الحق ومَعَهُ أبوهُ الحسين بن القاسم وعمَّاه محمد والحسن أبناء القاسم، وعبدالله بن الحسين -أخوهُ عليه السلام- وجماعةُ فتيانِهم، فَسَلَّموا علينا وتَحَدَّثوا مَعَنا ساعة، ثم انصرفوا إلى منازلِهم وصِرنا إلى منازلِنَا، ثُمَّ عادَ إلينا عندَ حُضور العَتَمَة، وكُنَّا في مسجدٍ قُدَّامَ المنزل الذي كُنَّا فيه، فَلمَّا حَضَرَت صلاةُ العَتمة قُمنا إلى الصلاة . فقالَ الهادي إلى الحق لعمّه محمد بن القاسم : تَقَدَّم يا عَم صَلِّ بِنَا، فقال: سُبحانَ اللَّهِ يا بُني لا يَجوزُ أن أتقدَّمَ عليك، فقالَ الهادي إلى الحق : قَد جَعَلتُ الأمرَ إليك فتَقَدَّمْ فَصَلِّ بنا . فَتَقَدَّمَ محمد بن القاسم صلى الله عليه فَصَلَّى بنا العَتمة، فَلمّا فَرغَ مِن صلاتِه وسَلَّم، التَفَتَ إلى الهادي إلى الحق فقالَ له: يا ابنَ أخي اسْتَغْفِر لي فإنّي قَد تَقَدَّمتُ عَليك وصَليّتُ بِك، وكُنتَ أحقَّ بالتقدُّمِ مِنّي، فقالَ له الهادي

(١) مجموع الإمام القاسم العياني، كتاب التنبيه والدلائل ١/ ٩٩.

إلى الحق : غفرَ اللهُ لكَ يا عَم، فلمَّا سِمِعْتُ يا بُنَي كلامَ محمد بن القاسم للهادي إلى الحق ازدَدْتُ رغبةً فيه ومَحبّةً له ... » [1] .

وداع ودُعاء أبي عبدالله محمد بن القاسم، للإمام الهادي إلى الحق عليه السلام

ثم استطردَ محمد بن عبيدالله رحمةُ الله عليه سَرْدَ القصة لابنه علي، ذاكراً مَوقِفَهُم حالَ سلام أهل الهادي إلى الحق عليه وموادَعَتهم له، قبلَ الرحيل إلى اليمن، فقالَ :

«فلمّا أكْمَلنَا مَا نَحتاجُ إليه إذا بالهادي قَد بَرزَ إلينا ومشايخه وأخوه وبنو عمّهِ مُحدِقينَ به، فَلَقينَاهم فَسَلَّمنا عليهم أجمعين، وسَاروا مَعنا مُشَيّعينَ لنَا ساعة، ثم أمرَ الهادي إلى الحق عليه السلام مشايخَهُ بالإنصراف والوداع له، فوَدَّعُوه فَسَمِعْتُ عندَ وَداعِهم محمد بن القاسم رضي الله عنه، وهُوَ يقول: (يا أبا الحسين لو حَمَلَتني رُكبتاي لَجَاهدتُ مَعَكَ يا بُني، أَشرَكنا الله في كلِ ما أنتَ فيه، وفي كلّ مَشْهَدٍ تَشْهَدُه، وفي كُلِّ مَوقِفٍ تَقِفُهْ)، فازدَدْتُ لذلكَ فرحاً وسروراً، وودَّعناهُم وعادُوا راجعين، واستَقمنا في سيرِنا ...» [2] .

وصية أبي عبدالله محمد بن القاسم للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام

ثم قامَ محمد بن عبيدالله أثناء سيرهم، بإخبار الهادي إلى الحق بما سَمِعَه من دعاء عمه محمد بن القاسم أثناء موادعتِه له، فقال رحمه الله :

«فَحدَّثْتُهُ بما سَمِعتُ مِن عمِّهِ محمد بن القاسم رضي الله عنه، فقال : قَد أوصاني عمي محمد بن القاسم وقال لي : يا أبا الحسين أتُراني أعيشُ إلى وقتٍ تُوجِّهُ إليَّ ممَّا غَنِمتَهُ ولو مِقدارَ عشرة دراهم أتبرَّكُ بها ؟ » [3].

(١) سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، برواية علي بن محمد بن عبيدالله العباسي العلوي، ص ٣٧.

(٢) سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، برواية علي بن محمد بن عبيدالله العباسي العلوي، ص ٣٨.

(٣) سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، برواية علي بن محمد بن عبيدالله العباسي العلوي، ص ٣٩.

إخوَة أبي عبدالله محمد بن القاسم سلام الله عليه

(الحسن بن القاسم الرسي عليه السلام)

- قال الإمام القاسم العياني، قال أبي علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي :

«والحسن بن القاسم فقيه أهل زمانه رحمة الله عليه، مَعَ مَا كانَ يُذكَرُ عنهُ مِن بُصرِهِ بالأمور، وحُسْنِ جوارِهِ للجيران، ورَحمته للأيتام، وتحننه إلى الضُعفاء من الأنام، يَبْغِي بذلِكَ وجه الله، ويَتقرَّبُ به إلى رب الأرباب، فَعرَّفَهُ الله صالِحَ ما قَدَّمْ، وأَلحَقَه بجدِّه النبي المُكرَّم» [1].

(إسماعيل بن القاسم الرسي عليه السلام)

- قال الإمام القاسم العياني، قال أبي علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي :

«وإسماعيلُ بن القاسم في الدّينِ كانَ نسيجَاً وَحدِه، أبرَّ الناسِ بالرحم، وأَبعدَهُ من كل قبيحٍ وإثم، رحمة الله عليه» [2] .

(الحسين بن القاسم الرسي عليه السلام)

- قال الإمام القاسم العياني، قال أبي علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم الرسي :

«والحسين بن القاسم خيرُ خَلَفٍ لِسَلَفْ، أو ربع أهل زمانه، وأبْصَرَهُم بالعربية، وأبْعَدَهُم من الأفعالِ الدَّنيّة، فرحمة الله عليهم أجمعين ونوامي بركَتِه .

فَلَقَد حَذَوا مِن فِعلِ أبيهم ما لَم يَحْذُ أحدٌ من الأولاد، إلاَّ ما كانَ مَنْ كانَ مِثلَهُم من السلفِ والأجداد، ومِن فضلِ أبي عبدالله –محمد بن القاسم– وإخوتِه فَما لا تُحيطُ به، وهُو غيرُ غبيٍّ عِندَ مَنْ عَرَفَهُم، ممّن يقتدي بهم وبسلفهم، ثم بنو القاسم بعدَ ذلكَ لا يُنكرُ بعضُهُم فضلَ بَعضْ، والسلام ».

---

(١) مجموع الإمام القاسم العياني، كتاب التنبيه والدلائل ١/ ٩٩.

(٢) مجموع الإمام القاسم العياني، كتاب التنبيه والدلائل ١/ ٩٩.

ثم استطردَ الإمام المنصور بالله القاسم العياني قائلاً :

« وهذا ما كانَ من جوابِ أبي رضي الله عنه لِمن سألَه، فاللَّـهَ الله يـا إخوتنـا في فكـاكِ أنفُسِكُم، وخلاصِ مُهَجِكُم، فلن تجدوا لها مُخلِّصاً غيرُكم، واعلموا أنَّا بِمَنِّ الله بِـسبيلٍ لا يَضِلُّ مَنْ سَلَكه، ولا يَرشَدُ مَنْ تَرَكَه، واعلموا أنَّ الله نهاكم عن اتباعِ ما سواهُ من الـسُبُل، فقال عزَّ من قائل : ﴿**وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام:١٥٣] . فنسألُ الله أنْ يُوفقنا وإياكم لما يُرضيه».

تراثه الكتابي والفكري المجيد

لقد خلّفَ لنا قاموس العترة محمد بن القاسم صـلوات الله عليـه، ثُراثـاً كتابيـاً عظـيماً شرحَ فيه أصول الدين على مذهب أهل البيت الصحيح الخالي مـن التحريـف والتبـديل والإدعاء، بما لا يُزاد عَليه، وكتب في التفسير للقرآن العظيم الكـريم، وأغـدقَ عليه السلام مـن الوصايا لأبناءه وأحفاده في كتاب الهجرة والوصية .

فمن كُتُبِه :

١- الأصول الثمانية، وقد تسمى الأصول (التسعة) .

٢- تفسير القرآن الكريم .

٣- شرح دعائم الإيمان .

٤- الشرح والتبيين في أصول الدين .

٥- الهجرة والوصية .

٦- أجوبة على أسئلة، في حكاية موسى في القرآن .

٧- مسائل مِنهُ إلى والده القاسم بن إبراهيم .

٨- مُحاورة الوافِد معَ العالِم، وهُو الوافِدُ، والعَالِمُ والدُه القاسم .

وفي العام ١٤٢٣ هـ طُبع كتاب الشرح والتبيين في أصول الدين، وكتاب الأصول الثمانية، وكتاب شرح دعائم الإيمان، وكتاب الهجرة والوصية، وكتاب التفسير، ضِمْنَ مُجلَّدٍ واحد، وهُو تحت عنوان (مجموع كُتُب ورسائل الإمام محمد بن القاسم الرسي عليه السلام).

مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي والد قاموس العترة محمد بن القاسم عليه السلام . انظر فيها إلى (مسائل القاسم عليه السلام) وهي عبارَة عن مسائل سَأَلَها محمد القاسم لوالده القاسم الرسي عليه السلام، أيضاً انظر (الوافِدْ على العَالِمْ) وهُوَ عِبارَة عن مُحاورَة بين محمد بن القاسم ووالده القاسم بن إبراهيم عليه السلام .

وصية قاموس العترة محمد بن القاسم عليه السلام إلى أبنائه وأحفاده على مَرِّ العصور

مما يجدرُ بنا هنا هُو أن نُشيرَ إلى وصيّة محمد بن القاسم إلى أحفاده في هذا الزمان وفي كل زمان، كما رَغِبَ هُوَ أنْ تَصِلَ إليهم وأنْ تقرعَ فِطرَهم السليمَة قبلَ أن تُغضِيَ عنها عصبياتهم **المقيتة**، وأكَّدَ عليهم العملُ بها، فقال عليه السلام في كتاب الهجرة والوصيّة: «... وبعد، **يا بنيَّ ووَلَدِي فَهَذِهِ وصيَّتي لَكُم واختياري**، حينَ كَبُرَتْ سِنّي، وجَرَّبتُ الأمور وأدبرَ عُمُري، وأشْرَفتُ على الرجوعِ إلى صانِعي وإلهي وخالقي، وخِفْتُ أنْ يَحولَ الموتُ الذي لابدَّ منهُ لكلِّ مخلوق بينكُم و بيني، فَتَبْقَوا أغماراً جُهّالاً بما فيهِ رُشدُكم،وألاَّ تَجِدوا بَعدي مَن يُفَهِّمُكُمْ بما فيه صَلاحُكُم، في أُمورِكُم ومعايِشِكُمْ، لِمَا سَتَرَوْنَ مِن اختلافِ أخبارِ النَّاس عَليْكُمْ في الأديان، ومَصالِح المَعاش والآداب وأخبار البلدان، واختلاف النَّاس في هذا كُلِّه قليلُهُ وكثيرُه، إنّما هُو باتباعِ أهوائِهم، واختلافِ عُقولِهم وآرائِهم، وما قَبِلُوا مِن غيٍّ أو رشاد أو خطأ، **والخطأ الغالبُ عليهم من آبائِهِم**، إذ حُقَّت الفُرقَة لكم بالوفاة، وأنْ تَبقُوا بعدي بينَ قرابةٍ وعامّة أكثرهُم جُفاة، وكنْتُم أحداث الأسنان، لم تَخْبرُوا حوادِثَ الدَّهر والزمان، ولم تَفْهَمُوا أمورَ النَّاس واختلافِهِم في الأديان، ولا كيفَ التأني

في المعايش ومصالح الإنسان، وما يَحسُنُ من الأمورِ والأخلاق، ومواضع البُلَغ والأرفاق .

فرأيتُ يا بني أنْ أضعَ لكم إن شاء الله ما تحتاجونَ إليه أعظمَ الحاجة في أصول الدين طَرَفاً، وأن أَرْسُمَ لكُم الصوابَ إن شاء الله تعالى، وبعونِ الله وهِدايَتِه في أمر مَعايشِكُم، والاختيار لَكُم ولِمَن لعلَّ الله أن يَهبْكُمُوه مِنْ نَسْلٍ بَعْدَكُم مَن قبل وصيَّتي، مِن ولدِ جدِّكم القاسم بن إبراهيم رحمة الله عليه، تَزولُ به عنكم شكوكُ الحيرة، وتُكفَونَ به إن شاء الله في الاختيار، والاعتباد طولَ الأمدِ في التجاربِ والخِبرَة، ولَمْ أضَعْ لَكم ما وَضَعتُ من وصيتي إياكُم في هذا الكتاب إلاَّ بعد طلوعي في العمر على الستين، وبعد ما أَحْطتُ بكثيرٍ ممَّا لا يُستَغنى عن خِبرَتِهِ من أمرِ الدنيا والدين، حتى أتيتُ فيه على أكثر ما يُحتاجُ إليه في البحث والخِبرَة، وبعدَ أنْ نظرتُ في كثيرٍ مِن عِلمِ العرب، وكثيرٍ مِن عِلمِ العجم، وبَعد أن خَبرْتُ بالمُحاضَرَة وتخبَّرْتُ بالمسألة أخبارَ كثيرٍ من البلدان والأمم، ... -ثم ساقَ عليه السلام معرفته بالأديان والبلدان وذِكْرِ ما قد زارَه من الأمصار إلى أن قال- ... فَتَمسَّكُوا إن شاء الله بِفَهْمِ ما أُخبِرُكُمْ به، فإنَّ في ذلكَ كفايةٌ لكم كافية، وخِبرةٌ قَد كُفيتُكم تحصيلها شافية، فلستُ الوكُم تحصيلاً لصحيح الأخبار، وما لَمْ يُدْرَك مِثلُه أو بَعضُهُ إلاَّ بعد اختلاف أخبار الناس، أو بعدَ عُمُرٍ طويلٍ وأعمار.

فَتَفَهَّمُوا ما سَأُبَيِّنُهُ لَكُم، والتوفيق والمعونة مِن عندِ الله، تَسْتَغنوا بتحصيلِ ما حصَّلتُ لكُم مِنَ الخبر، عن انتظار التجارب التي لا يحصلُ لكم منها يقينُ الفَهْم إلاَّ بعدَ طولِ العُمُر، وأنا سأضربُ لَكُم مثلاً جامعاً في قبولِ ما كفاكُم الله خِبرتَه، حتى جَمعتُه لكم في آخر عُمُري معاً، وذلك مِنَ المَثَل فيَّ وفِيكُم، وفيما ألقيهِ مِن محصولِ حقائق الاختبار في الدين والدنيا إليكُم .

مَثَلُ رجلٍ كانَ لَهُ وُلدٌ صِغار جهال أغمار، يحتاجون إلى خبرة الأمور في الدنيا والدين كثيرة، واختبارُهم لذلك بطلبٍ بينَهُ وبينَهُم مسافةٍ بعيدة مسيرتها ستونَ سنة، وكانَ أبوهُم قد أخبرَهُم خبرَهَا، ودخلَها وعاينَ أكثرَها، فأخبرَهُم عنها، وهُو والِدُهم لا شكَّ في

نُصْحِهِ لَهُم، وعَطْفِهِ بالرأفةِ والرحمة والرِّقّة عليهم، فرأىٰ أن يُفَهِّمَهُم ما يحتاجونَ إلىٰ فَهْمِه، لَمَّا خَشيَ ألاَّ يَبلُغوهُ، ولا يُحيطوا فيه بِمثلِ اختبارِه وعِلمِه، فَشرَحَ خبرَ تلكَ البلادِ لَهُم، وعَلِمَ أنَّ ما أحاطَ هُوَ بِهِ ممَّا يَحتاجونَ إليه ولا يَستَغنونَ عنه، لن يُدركوهُ إلاَّ في آخرِ أعمارهم التي شبَّهَهَا بمسافة البلد والبلد، فمِثلُ الأمور التي لا يَستَغنُونَ عن خِبرتِها ولا يَستغنِي عنها أحد؛ لأنّي لم أفْهَم الأمور التي سأشرَحُها لَكُم إلاَّ بَعدَ طولِ التَّعمير، والمسافة إلىٰ الإحاطة بالتجارب التي لم أُدركْها إلاَّ بعدَ التمييز، مِنَ الفَهْمَ والنَّظَر ستينَ سنة أو نحوِها.

فإنَّكُم إن لَمْ تَكْتَفُوا بِما أَخْبَرتُ وحدَّثتُ وجرَّبتُ، وأَرَدْتُمْ اختبارَ ذلكَ لأنْفُسِكُم، لَمْ تَفْهَموا منه بعضَ ما فَهِمْت إلاَّ بعدَ أن تُعمِّرُوا شبيهاً ممَّا عمَّرتْ عند إختلاق جِدَتِكُم إن الله عمَّرَكُمْ وأخَّرَكُم، وحينئذٍ لا يبقىٰ إلاَّ اليسيرُ من أعمارِكُم، فَمَنْ كانَ عَقلهُ مِنكُم صَحيحاً، فَسَيعلَمُ إن شاء الله أنَّي لم آلُه إلاَّ رحمةً له من الغلط نظراً صحيحاً ونُصحاً، بل لعلّي أنْ أكونَ بِسبقي لَكُم أقوىٰ مِنكمُ فَهْماً، وأَحسنُ تفقداً للأمور وتَفَهّماً، والله أسألُ أنْ يَهَبَكُم ألباباً وعقولاً وعِلماً .

فَخُذوا يا بني ما قَد كفاكُم الله اختباره، واقْبَلُوهُ وأقِرّوهُ في العَمَل به من قلوبِكُم قراره، والله أسألُ لكُم العونَ والرَّشاد، والتوفيق في أمورِ دينِكُم ودُنياكُم للصوابِ والسَّداد، فإنّه لا يجتَهِدُ لكُم قريبٌ ولا بعيدٌ مِن بَعدي في النُصحِ لَكُم والنظرِ والشَّفَقَة عليْكُم من الغلط الاجتهادي، والله أسألُ لكُم ولي العون والرشد والتوفيق، ولا حولَ ولا قوّة الاَّ بالله العلي العظيم، عليه توكلتُ، وهُو ربّ العرشِ العظيم الكريم، وصلىٰ الله علىٰ محمد عبده ورسوله، وعلىٰ آله الأبرار من ذريته وآله» اهـ[1].

وفاته عليه السلام ومبلغ عمره

توفي إمام الهدىٰ، وعَلَمُ الآل، محمد بن القاسم الرسي، سنةَ ٢٨٤ هـ، وله من العُمُر

(١) من كتاب الهجرة والوصية للإمام محمد بن القاسم الرسي، المجموع ص ٣٤١ الى ٣٤٦.

٨٥ سنة، هَذَا ولَو تَتَبّعْتَ مَن مِنْ رؤوسِ العترة الطاهرة عاصرَهُ قاموس العترة مِنْ أبناء الحسن والحسين عليهم السلام لوَجَدْتَ أَنَّهُ قَدْ عاصرَ أكَابِرَهُم وأَبْعَدُ النَّاس عن التمذهبِ بمذاهبِ الرِّجالِ دونَ مذاهبِ أهل البيت المُطهرين، ولَوْ لَمْ يَكْفِنَا في مَعْرِفَةِ حُسنِ مُتابَعَةِ قاموس العترة عليهم السلام لِسَلَفِهِ مِن أهْلِ البيت في أصول الدين والعقيدة إلاَّ أَنَّهُ وارِثُ عُلومِ والدِه تُرجُمَانُ الدين القاسم بن إبراهيم عليه السلام بالإتفاق، والقاسمُ بن إبراهيم عليه السلام هُو القَائلِ: (**أَدْرَكْتُ مَشْيَخَةَ آل مُحَمَّدٍ مِنْ وَلَدِ الحَسَنْ والحُسَينْ وَمَا بَيْنَهُمْ اخْتِلاف**)، فوجدنَا أنّه قد وُلِدَ عام ١٦٩ هـ أي عَقِب استشهاد الحسين الفخي بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن عليه السلام أو في نفسِ السنة، ووَجَدنا أنّهُ توفي عليه السلام في سنة ٢٤٥ هـ، فكانَ مِنْ نجوم العترة الذينَ عاصرَهُم القاسم الرسي :

١- الإمام يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

٢- الإمام إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت١٧٧هـ) .

٣- الإمام موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت حول سنة ١٨٠هـ).

٤- الإمام موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت١٨٣هـ).

٥- الإمام الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت١٩٠هـ).

٦- الإمام إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت ١٩٠هـ) .

٧- الإمام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم الشبه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت١٩٩هـ).

٨-الإمام محمد بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت ٢٠٠هـ) .

٩- الإمام محمد بن محمد بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت٢٠١هـ).

١٠- الإمام علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت٢٠٣هـ) .

١١- السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب (ت٢٠٨هـ) .

١٢- الإمام علي العريضي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت٢١٠هـ) .

١٣- الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت٢١٣هـ) .

١٤- الإمام محمد بن القاسم بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (ت بعد ٢٢٩هـ، وهو تاريخ خروجه من الحبس).

١٥- الإمام يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت القرن الثاني).

١٦- الإمام أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ٢٤٧هـ).

١٧- الإمام الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت٢٦٠هـ) .

١٨- الإمام عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. (ت٢٤٧هـ) .

فَأَنِعِمْ بها مِن سِلسِلَةِ أعلامٍ جديرَةٌ بالاحترام والاتباع والاقتداء، وأنعِم بهم مِن سَلَفٍ صالحٍ يُقتدَى به في الدين والدنيا، فسلامُ الله على أبي عبدالله قاموس العترة وشيخها يومَ وُلِدَ، ويومَ يموتُ، ويومَ يُبعثُ حياً .

وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين .

وحُرِّرَ يوم الخميس ٢١ / ٩ / ١٤٢٥ هـ الموافق ٨/ ١١/ ٢٠٠٤ م

كتبه :الشريف أبو الحسن الرسي

****

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله الغر الميامين، ورضوانه على الصحابة المتّقين والتابعين لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدين .

الإمام أحمد بن الحسين الهاروني ابن رسول الله ﷺ

نسبه :

هُوَ الإمام المؤيد بالله أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

مولده :

وُلِدَ عليه السلام بآمل طبرستان في الكلاذجة، سنة ٣٣٣ هـ . (وآمل اليوم هي محافظة مازندران الإيرانية، والكلاذجة موضعٌ أيضاً في إيران) .

نشأته عليه السلام :

نشأ عليه السلام على مكارم الأخلاق، وحميد الفِعال، صاحبُ ذهنٍ سيّال وعزيمةٍ في طلب العلم والحقّ قويّة، آثر مشربَ الآباء الأخيار من أهل البيت عليهم السلام، فاجتهد في إعلاء مذهبِهم ومسلكِهم في العدل والتوحيد على مذهب الزيدية الكرام، فاختلف على أبي العباس حافظ أهل البيت عليهم السلام أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن الإمام محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأخذَ عنه علوم أهل البيت عليهم السلام، -وأبو العباس شيخ المؤيد بالله، كان تلميذاً عند الإمام الناصر الأطروش الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام-، ودرس المؤيد بالله عليه السلام أيضاً، على فقيه الزيدية علي بن إسماعيل بن إدريس رحمه الله تعالى، وهكذا كانت حياة الإمام المؤيد بالله الهاروني عليه السلام، حياةً مليئةً

بالجد والاجتهاد والمثابرة في طلب العلم، وله مواقف مشهورة تؤيّد كلامنا زبرتها كتب السّير، لعلّنا نذكر بعضها في قادم كلامنا عنه عليه السلام .

خِطبَته و زواجه عليه السلام :

استصحبَهُ أبوه يوماً لزيارة الشريف أبي الحسين يحيى بن الحسن الحسني الزاهد، فلمّا دخل عليه رحَّب به، وخطبَ منه ابنته –الحسنى– لابنه المؤيد بالله، فأشفعه الشريف ورحّب به، وقال : إنه لا يَصلح لها غيره !، وذَكَرَ صاحب سيرة المؤيد بالله عليه السلام، أنّه كان يقول : إنّها لمّا زُفَّت، بَقِيَتْ في الصلاة ليالي متوالية إلى الصباح، وأنا أستحي أن أعترضَ لها، وساعَدتُها في العبادة، فلَم أرَ أزهدَ منها، ولا أستَر، فعاشَرتُها سنين، ثمَّ مَضت إلى رحمة الله في شبابها، –وقبرُها يُزار في الكلاذجة–.

ورعَه عليه السلام :

كان عليه السلام في الورع والتقشّف والاحتياط والتقزّز إلى حدٍ تقصُر العبارَة دونَه، وليسَ أدلّ على هذا التقشّف والورع إلاَّ كتابه –سياسة المُريدين–، فمن طالعَه وجدَ هذا جليّاً فيه، وهُنا نطرحُ نماذجاً من ورعه وتواضعه على جلال قدره عليه السلام :

نماذج من ورع وتواضع المؤيد بالله عليه السلام :

* **قال صاحب سيرته**: كان المؤيد بالله عليه السلام يحملُ السّمك من السّوق إلى داره قَمْعَاً لنفسِه، وكَسْراً لهواه، وقَسْراً لتكَبّره، وكانت الشيعة يتشبّثون به ويتبرّكون بحملِ ما معهُ من متاع، فلا يُمَكّنُ أحداً من حملِه، ويقول : إنّما أحملُهُ قَسْرَاً للهوى، وتَرْكَاً للتكبّر، لا لإعواز مَنْ يَحمِلُه .

* **قال صاحب سيرته** : كان المؤيد بالله عليه السلام يُجالِسُ الفقراء، وأهل المسكنة، ويُكاثر أهل السّتر والعفّة، ويَمِيلُ إليهم، ويَلبَس الوسط من الثياب القصيرى إلى نصف السّاقين، قصيرة الكمّين، وكان يَرقعُ بيده قميصه، ويشتملُ بإزار إلى أن يَفرغَ من إصلاحه،وكان يلبسُ قلنسوة من صوفٍ أحمر مُبطّنة يحشوها بقطن، ويتعمّم فوقها بعمامةٍ صغيرَة متوسّطة .

* **قال صاحب سيرته** : كان المؤيد بالله عليه السلام يردّ الهدايا والوصايا إلى بيت المال، وكان يُكثرُ ذكرَ الصالحين، وإذا خلا يتلو القرآن بصوتٍ شجّي حزين، وكان غزير الدّمع كثير البكاء، دائمُ التّفكر، يتأوّه في أثناءه، وربّما تبسّم أو كشّر عن أسنانه،وقال القاضي يوسف -وهُو خطيبُ الإمام- : صَحبتُه ستّة عشرة سنة، فلَم أرَهُ مُستغرقاً في الضّحك.

تنبيه : تأمّل أخي القارئ، أنّ صاحب هذه الصفات السّابقة، كان صاحب منزلةٍ رفيعة بين أصحابه، بل كانَ إماماً يتبعه مأمومون كثيرون، تُجبى إليه العشور والزكوات، ومع هذا وذاك فقد كانَ حالُه ما ذكرنا، فلله درّه من إمام .

خروجه ودعوته :

كان دأب أهل البيت عليهم السلام، إعلاء سنّة جدّهم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وكذا كان أئمة الزيدية الذين هم سادات بني الحسن والحسين عليهما السلام، آمرينَ بالمعروف ناهين عن المنكرَ مُقتفين نهج أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين، وآباءه الكرام عليه وعليهم السلام، فلا يكادُ يقرّ لهم قرار، والمُنكَر فاشٍ ظاهر في النّاس، ولا يُقارّون على كظّة الظالم، ولا سَغبِ المظلوم، وهُنا عزم المؤيد بالله عليه السلام على التمّثل بمثال آباءه الكرام، ففجّر دعوَة الحق في مشارق الأرض، ودعا إلى إقامة الكتاب والسنّة، فأجابَهُ جمعٌ غفير من أهالي الجيل والدّيلم، وحصلَ أنْ خرجَ من الرّي في الخَرجَة الأولى فوافى بلاد (جيلان) ونزلَ قريةً يُقال لها: (كازرون)، ونزلَ في مسجد رجلٍ يُقال له: بهرام بن تيجاسف، فاحتشدَ أهل تلك البلاد على هذا المسجد -لمجرّد معرفتهم المُسلفة أنّه سينزلُ في هذا المسجد- وهُم لا يعرفونَ المؤيد بالله عليه السلام، بعينهِ وشخصِه، فحصلَ وأن سألَهُ أحدهُم : يُقال إنّ السيّد أبا الحسين في الطّريق ؟!، فأجابه عليه السلام : نعَم، أنا أبو الحسين الهاروني . فبَرَز بهرام صاحب المسجد، ودعَا بالطّبال، وأمرَ بضربِ الطّبل، ليحتشد النّاس على أبي الحسين عليه السلام، نُصرةً له ومعاونة، فخرجَ معه من تلك القرية سَبعونَ رجلاً من فرسانهم، وحينها عزمَ الإمام المؤيد بالله عليه السلام الخروج إلى بلاد (هَوسم)، وأميرها إذ ذاك شيزويل بن وشمكير، فلمّا وصل عليه السلام إلى هوسم، استعدَّ

للقائه جُند شوزيل يُريدون حربَ الإمام، فجاوزَهم عليه السلام ولم يشتبِك معهُم، مُتّجهاً إلى قرية (كذكاهان)، ونزلَ في دارِ أحدهم، فلمّا جاء الغد، دخلَ عليه حوّى الدّلمي مع زهاء سبعمائة رجل، فبايعوه، وقويَ جانبُ الإمام، وانتقلَ عليه السلام بمنَ معه إلى قرية (كُذَة) وأقام بها حدود سبعة أيام، وكان يشدّد على أصحابه أنْ يأخذوا شيئاً -ثمر أو غيره- من النّاس دونَ إذنهم، وكان عليه السلام بارعاً في سياسَة الحروب، فكان يَجعلُ مَن يتقدّمهُ من أتباعه حتّى يأتيهم بأخبار الطريق أمامهم، وهُنا لمّا قويَ جانبُ الإمام عليه السلام، تقدّم نحو هوسم مُحمّلا بعزيمة تطهيرها من الخنا والفسوق والفجور، وركز راية جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها، وأن يُحكمَ فيها بحُكمِ ثِقَل الله الأصغر -أهل البيت عليهم السلام-، المُلازمون للثقل الأكبر -القرآن الكريم- وغير المنفكّين عنه مادامت السماوات والأرض . فاستعدّ له شوزيل ومَن مَعه، ودارَت رحا الحرب، واستبسلَ المؤيد بالله عليه السلام ومنَ معه حتّى فتح الله على يديه بلاد هوسم، فحكم فيها بالكتاب والسنّة، وانهمَلَت بركات محمّد وآل محمّد على هذه البلاد، شاع العدل والأمن، واستبشَر النّاس به. وكان شوزيل فرّ إلى بلاد جيلان، وكان يتأهّب هُناك للعودة إلى هوسم، وفعلاً عاد بعد سنة إليها بجيش كبيرٍ جرّار، وحاربَ المؤيد بالله عليه السلام بباب هوسم، واستبسلَ شيعة المؤيد وأتباعه، ممّن كانوا لا يرونَ التولّي يوم الزّحف، وترك إمامهم، إلاّ أن الدائرة كانت لشيزويل، وأُخِذ المؤيد بالله أسيراً، وأُخِذ إلى جيلان في قرية تسمّى (كحلوم) وبها سُجِن، وبقي في سجنه أيّاماً، والمُسلمون مُجتمعون على الوالي أن يُطلَقَه، وهُوَ يأبى عليهم، ويقول : إنّه -يعني المؤيد بالله- قتلَ خازني وضاع بسببه خمسة وعشرون ألف درهم، فيا سبحان الله هذا همّه الإصلاح، وذاك همّه جمع المال، فلمّا سمع ذانكين التجني بهذا، أتى إلى الوالي وضَمِنَ هذا المال عن المؤيد بالله، فأطلَق المؤيد عليه السلام بعد أيامٍ من حبسه.

ثمّ عاد المؤيد بالله عليه السلام إلى (برفجان)، ونفسه مكسورةٌ، والعزم على التأسي بعزم آبائه ما زال يملأه ويُغطّيه، فما لبثَ عليه السلام في هذه البلاد، حتّى أتته رُسل كبار الجيل والدّيلم يقولون له : إنْ وَردتَ علينَا بَذلنا أموالنَا، ونُفوسنا لأجلك . فاستجاب عليه السلام، عند توفر الناصر والمعين، وتسارَع النّاس في تلك البلاد على بيعته ولم يتخلّف عنه أحد،

إلاّ رجلٌ يُسمّى –باكر– ومعه نحو عشرة أشخاص، فعاد عليه السلام لاستعادة هوسم من شيزويل، الذي كان حينها في طبرستان، وأمّر عليها في غيابه رجلاً يُقال له: أبو زيد، فلمّا علمَ أبو زيد هذا بقدوم المؤيد بالله في جيشٍ كبير –بلغَ سبعة آلاف رجل–، تركَ هوسَم، وانزوى إلى موضعٍ يُقال له: (كلوا)، فتبِعَه المؤيد بالله عليه السلام وحاربَه وهزمَه هُناك، ولَم يظفر بشخص أبي زيد، فعاد المؤيد عليه السلام إلى هوسم وأقام بها سنتين، حافلة بالأمر والمعروف والنّهي عن المنكر، وتعليم النّاس أمور دينهِم، من حلالٍ وحرام، ومعاملاتٍ وعبادات، وولاءٍ لأهل البيت عليهم السلام أبناء الحسن والحسين ثقل الله الأصغر في الأرض، وعادَ أبو زيد الأمير إلى المؤيد بالله وأظهر التوبة والنسك، وباطنه الانقلاب، وكان يسعى جاهداً لنخر بطانة المؤيد بالله، حتّى تمكّن وأطاح بالمؤيد، فخرج منها عليه السلام، وعاودها عليه السلام، وعاوَد أبو زيد مرّة أخرى، وكان الخذلان من النّاس لدعوته، وميلهُم إلى الدّنيا، قد آلمته، وذلك لخذلان أصحابه القُدامى من أهل جيلان بعد العهود الموثّقة، وعبّر عن هذا عليه السلام قائلاً :

فَررتُ من العداة إلى العداة ... وكُنتُ عَددتُهم زمر الثقات
لقَد خابَتْ ظنوني عندَ قومٍ ... يَرونَ محاسني من سيئاتي
يُهيجون الغواة عليّ هيجاً ... وهُم شرٌّ لديّ من الغواة

وكذا كانت حياة الإمام عليه السلام، جهادٌ وأمرٌ بمعروف ونهيٌ عن مُنكر، ولولا أنّ هذا مقام اختصار، لطوّلنا، و لكنّا نُحيل إلى كتاب سيرته، ففيها الكفاية بإذن الله تعالى .

علمه عليه السلام :

كان عليه السلام عارفاً باللغة والنحو، مُتمكّناً من التصرف في منثورها ومنظومها، وكان يعرف العروض والقوافي، ونقد الشعر، وكان فقيهاً بارعاً، مُتقدّماً فيه مُناظراً، وكان مُتقدّماً في علم الكلام وأصول الفقه، وهُنا نذكر نماذج عن سعة علمه وفضله عليه السلام .

نماذج في سعة عِلمه وفضله عليه السلام :

* **قال صاحب سيرته** : حكى الشيخ أبو طالب بن أبي شجاع، عن الشيخ أبي رشيد أنه قال : لم أرَ السيَد أبا الحسين مُنقطعاً قط (في المناظرات)، مع طولِ مُشاهدتي لـه في مجلس الصاحب (ابن عباد)، وكان لا يُغلَب إن لَم يَغلِبْ .

* **قال صاحب سيرته** : حُكي أنّ الصاحب (ابن عباد) قال ذات ليلة للحاضرين، لِيَذكُر كل واحد منكم أمنيته، فذَكروا، قال : أمَّا أُمنيتي فمجاورة الشريف أبي الحسين بن هارون .

* **قال صاحب سيرته** : وحُكي أنّ يهودياً مُتقدّماً في المناظرة والمجادلة، قَدِم على الصاحب (ابن عباد)، فاتفق أنّه عليه السلام حضر مجلس الصاحب، فكلّم اليهودي في النبوات حتّى أعجزه وأفحمه، فلمّا قام من المجلس ليَخرُج، قال له الصاحب: أيّها السيّد، أشْهَد أنّك أُوتيتَ الحِكمة وفصل الخطاب .

* **قال صاحب سيرته** : وحُكِي أنّهُ وردَ عليه من (كلاّر) مسائل صعبة على أصول الهادي (إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي)، وهذه المسائل موجودة، فقال الصاحب (ابن عباد) : لَستُ أعجبُ من هذا الشريف كيفَ أتى بهذا السحر (وذلك عندما أجاب على المسائل)، وإنّما أتعجّب من رجلٍ بكلار كيف اهتدى إلى مثل هذه الأسئلة.

***قال صاحب سيرته** : سمعتُ الشيخ أبا الفضل بن شروين رحمه الله يقول : دَع إمام زماننا (يعني المؤيد بالله) إنّما الشك في المتقدّمين من أهل البيت وغيرهم، هَل كانوا مثل هذا السيّد في التحقيق في العلوم كلّها أم لا ؟!.

قلت : ولله قائلُ هذه العبارات، ما أعظمَ وقعها على النّفس؟!.

* **قال صاحب سيرته** : وسمعتُ ثقةً، (يقول): إنّ المؤيد بالله حكمَ بقتلِ رجل، وسلّمَهُ إلى أولياء الدّم، فلما همّوا بقتله، اغرورقت عيناه، وجادَ بالدّموع، فقال أولياء

الدّم: ألسنَا نَقتُلُه بحكم الله وحُكمك ؟، فقال : بلى، ولكنّ قلبي يحزنُ عليه من غير اختياري، فعندَ ذلك عفا عنه أولياء الدم، وتاب الرجل، وحَسُنَتْ توبته، وجاهَدَ بين يديه جهاداً كبيراً .

تراث المؤيد بالله عليه السلام الفكري المجيد :

١- كتاب النبوات .

٢- كتاب التجريد (في فقه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين وجده نجم آل الرسول القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام (٢٤٥-٢٩٨هـ) .

٣- شرح كتاب التجريد (٦ مجلدات)، (على قول الهادي وجده القاسم الرسي) .

٤- كتاب البلغة (في الفقه، وهُو على مذهب الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام) .

٥- كتاب نقض الإمامة على ابن قبة الإمامي . (نقض فيه مذهب الجعفرية في الإمامة).

٦- كتاب التفريعات .

٧- كتاب التبصرة (في التوحيد والعدل) .

٨- كتاب الهوسميّات .

٩- كتاب الزيادات .

١٠- الأمالي الصغرى (مصنّف حديثي) .

١١- سياسة المريدين .

١٢- الآداب في علم الكلام .

وفاته عليه السلام :

توفي الإمام المؤيد بالله عليه السلام يوم عرفة سنة إحدى عشرة وأربعمائة (٤١١هـ)، ودُفِنَ يوم الأضحى، وصلى عليه الإمام مانكديم (هُو الإمام المستظهر بالله أحمد بن الحسين بن أبي هاشم محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهُو القائم بعد المؤيد بالله عليه السلام)، مشهده بـ(لَنْجَا)، وأُديمت الختمات -قراءة القرآن- على قبره شهر، وبُنيَ عليه مشهداً، وخلّف عليه السلام من الأولاد الأمير أبو القاسم وحده رضي الله عنه وأرضاه .

المصادر :

١- سيرة الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، لكاتبها الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن محمد بن جعفر بن عبدالرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، على كاتب السيرة وصاحبها أفضلُ السلام .

٢- التحف شرح الزلف، للإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي الحسني عليه السلام .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين .

****

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الأعظم، والبحر الخِضَمّ، والبدرُ الأتمّ، المنصور بالله رب العالمين القاسم بن علي العياني عليه السلام

نسبه الشريف :

هُوَ الإمام القاسم العياني بن علي بن عبدالله بن محمد بن الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن الرضا بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ناصر رسول رب العالمين، عليه وعلى آبائه السلام .

مولده :

وُلِدَ سنة ٣١٠هـ في تبالة من بلاد خثعم في شام اليمن بلاد عسير .

نشأته :

نشأ في بلاد خثعم، وأخذ عن أبيه وغيره من علماء عصره، وأصلح بلدته، واستخرج غيلها القديم .

أولاده :

سليمان، ويحيى، وعبدالله، وعلي، وجعفر.

دعوته :

- قام بزيارة اليمن إجابة لدعوة اليمنيين له، وللإطلاع على أوضاعها عن كثب .

- ثم عاد إلى ترج ببلاد خثعم ووفود اليمنيين تصل إليه عاماً بعد عام، يدعونه للمجيئ إلى بلادهم وقيادتهم وإصلاح شُئونهم، لما توسموا فيه من الخير والصلاح والعلم .

قال الإمام القاسم العياني عليه السلام في هذا الشأن :

"لستُم أعزّكم الله تجهلون حالي، ولا كيفَ كان سبيل مدخلي مع أهل هذا الزمان، أنتم تعلمون أعزّكم الله أنّي أَقمتُ نيفاً وعشرين سنةً مُعتزلاً في رأس جبل، وأهل اليمن يختلفون إليَّ عاماً بعد عام، ويسألوني مع ذلك القيام، فلم أُسعِفهُم على مسألتهم، لا جاهلاً لما في ذلك من الثواب، ولا زاهداً في طاعة رب الأرباب، ولكن لعلمي بأهل زماني، ومَا هُم عليه من كَثرة الإدغال، والميلِ إلى المحال" .

- وعاد إلى اليمن مرّةً ثانية بعد أنْ دعا إلى نفسه بالإمامة في خثعم سنة ٣٨٨ هـ وعمره ٧٨ سنة .

- عند وصوله إلى اليمن سارَعَ يوسف الداعي أحد أحفاد الإمام الهادي، والذي كان قد دعا إلى نفسه سنة ٣٦٩هـ، سارعَ إلى مبايعته والإنضواء تحت لوائه، ثم خرج على الإمام فيما بعد .

أبرز السمات التي توفرت في الإمام القاسم العياني عليه السلام :

- كان من أعلمَ أهل زمانه، وقدْ تركَ كُتُباً عديدة في الفقه، والأصول، وعلم الكلام، وكانت آراؤه الفقهية والأصولية لا تخرج بشكل عام عمّا عُرِفَ عن تراث الإمام الهادي يحيى بن الحسين ت ٢٩٨هـ وجده القاسم بن إبراهيم ت٢٤٦ هـ، وكانَ لا يرى أنَّ الاختلاف بين الأئمة في الفروع مدعاةٌ للنزاع .

- كان الإمام القاسم العياني حريصاً على نشر العلم وتطبيق العدل، الذي كان أساس دعوتِه وإمامته .

- كانَ ذا منهج سياسي ديني إصلاحي عبّر عنه في أعماله ورسائله إلى عُمَّاله وأولاده ومشائخ البلاد .

- لا يميل إلى الشدة ولا يُحب أن يخوض فيما يُزهقُ الأرواح قدر الإمكان.

- كان صاحب التزام دقيق بسنة السلف الصالح من أهل البيت في تعيين الحكام وتوليتهم للبلاد .

- كان ذا ورع شديد، وتسامُحٍ يُضرب به المثل، يظهر هذا جلياً في كتبه ورسائله .

- كان ذا شكيمة قوية في إبعاد الوُلاة الغير أكفّاء عن الحكم، وكانَ هذا سبباً في قيام البعض عليه .

- كان الإمام عليه السلام مناوئاً ومُشدّداً بقدر الإمكان على الفكر الشيعي المُغالي ليُبَينَّ أنَّ الزيدية بعيدون عن مغالاة الروافض كُلّ البعد.

- كانَ الإمام القاسم شاعراً مصقعاً، تُعَبَّرُ عنه أشعاره المسطورة في الكتب والسير.

مؤلفاته عليه السلام :

١- أجوبة المسائل .

٢- أجوبة مسائل الطبريين .

٣- الأدلة من القرآن على توحيد الله تعالى .

٤- الاستفهام .

٥- التثبيت والدلالة .

٦- التجريد .

٧- التفريع .

٨- التنبيه والدلائل .

٩- التوحيد ونفي التحديد .

١٠- الرد على الرافضة، ردّ فيه على من طعنَ عليه .

١١- كتاب حدوث العالم .

١٢- ذم الأهواء .

١٣- وصاياه ورسائله ودعوته (سيرة) .

وفاته عليه السلام :

اعتلَّ الإمام صلوات الله عليه، واشتدت به علته في سنة ٣٩٣ هـ فجمع بنيه وبناته وأوصاهم، ثم توفي صباح يوم الأحد لتسعٍ خلونَ من شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ٩/ ٩/ ٣٩٣ هـ، وقال مؤلف سيرته في هذا الموقف : «ففارقَ الحياةَ حميد الخلائق، حسن الطرائق، شريف المذاهب، جزيل المواهب، واسع الحلم، بازغ العلم، كاملاً في الصفات، جامعاً للخيرات، رؤوفاً بالمؤمنين، عفواً للمذنبين، ساباً للظالمين، مجتهداً في رضاء رب العالمين، زاجراً عن الغي والفساد، شاكراً للنعماء، علماً للقاصدين، هادياً للمهتدين، دامغاً بالحجج للمخالفين، وباذلاً نفسه للمعتفين، يهرب من الدنيا وآثامها، ولا يرغب في شيء من حطامها، تُوفي صلوات الله عليه فلم يورث ورثته ديناراً ولا درهماً، ولا خلّف إلا سلاحه ودوابّه وثيابه، وتخلف دينٌ عليه أكثر منها أضعافاً، فصلوات الله عليه ورحمة الله وغفرانه، ولقد أَبْلَغَ في هدايتنا، ونُصْحِنا وإكرامنا، وكُنَّا في حقوقه مُقصرين، وفيما يجبُ علينا من فروضه مفرطين، فنسأل الله أن يتجاوز عنّا ما فرَّطنا فيه من حقه، ويهبَ لنا ما ضيّعنا من لوازمه وفرضه، فمولانا يعلمُ ما في قلوبنا من محبته، وما وُفّقنا له من مودته».

نعم! ونُحيل المهتمّ على مجموع كُتبه ومقدّمة التّحقيق فقد نقلنَا منها هُنا .

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين .

****

بسم الله الرحمن الرحيم

علي بن محمد الحِمّاني عليه السلام

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضوانه على الصحابة المتّقين، والتابعين لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدّين .

وبعد :

فإنّ لآل البيت عليهم السلام أعلامٌ شاءت المقادير الحياتيّة -وإن شئتَ قُل شاءت السّياسَات المَذهبيّة- أنْ لا نَعلَم عنهُم شيئاً، فكَم من عالمٍ منهم لا ندري عَن مَبلغِ علمِه شيئاً ! وكَم مِن مؤلّفٍ لهُم لا ندَري عنهُ شيئاً ! والحقّ يُقال أتفاجأ بأبناء العترة الرضيّة المرضيّة لا يَعلمونَ عن تاريخِ آبائهِم، عن تيّاراتهم عَن مذاهبِهم، عن تراثهم الفكري -إنْ كانَ لهُم تراثٌ كتابيٌ خالد-، لا يعلمونَ عَن هذا كلّه شيئاً -والعُذر يَعذُرُ مَن كانَ يَجهلُهَا، ولكن لا يَعذُر مَن علِمَها وأيقَنَها، ثمَّ تجاهلَها، بل إنّه سيحتقرُهُ بطرقه الخاصّة-، **نعم** ! لا يهّمني هُنا الإطالَة حول هذا الموضوع المؤلم نِقاشُه، ولكن يهمّني أنْ أُبرِزَ شخصيّة من أعظَم شخصيات أبناء الحسين في زمانه:

نَسبهُ الشريف :

هُوَ زاهدُ الآل وعَلَمُهُم : **علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** .

لقبه :

كان يُلقّب الأفوه، و الكوفي، والحمّاني، وبالأخير اشتُهِر .

مكانتهُ الاجتماعيّة في ذلك الزّمان :

* قال عنه المسعودي، والضميرُ يعود على علـويي الكوفـة : « نقيـبهُم .. وشـاعرُهُم، ومُدَرِّسهم، ولِسانُهُم، ولَم يَكُن أحدٌ بالكوفة من آل عـلي بـن أبي طالـب يتقدَّمـهُ في ذلـك الوقت » .

موهبة الحمّاني الشعرية، وذِكرُ ديوانه :

* قال علي بن محمد الحمّاني مُتحدّثاً عن نفسِه : « أنا شاعرٌ، وأبي شاعرٌ، وجدي شاعرٌ، وأبو جدّي شاعر، إلى أبي طالب »، والحقّ أن ليسَ في قولهِ مُبالَغة أو ادّعاء فلآبائه أشـعارٌ مأثورَة معروفة عند أهل الشأن .

* قال عنهُ الإمام علي الهادي بن محمد الجواد : «إنّهُ أشعرُ العرب» .

* قال ابن عنّبة في عمدة الطالب : «لهُ ديوانٌ مَشهور، وشِعرٌ مذكور» .

- **قُلتُ** : وديوانهُ اليـومَ مَطبـوعٌ اجتهـدَ في إخراجـه محقّقـه -الـدّكتور محمّـد حـسين الأعرجي- اجتهاداً ملحوظاً، فله منّا الدّعاء بوافر البركات في الدّنيا والآخرَة، وأصدرتهُ دار صادر للطباعة والنشر، ببيروت .

علي بن محمدّ الحمّاني عليه السلام زيديّ المَذهَب :

قال الدكتور محمد حسين الأعرجي " محقّق الدّيوان " : «وشِعرُ الحمّاني الـذي وَصـلَ إلينَا مُوزّعٌ على أغراضٍ عديـدةٍ منهـا : الـشكوى، والفَخـر، ...، والـسياسَة، والعقيـدَة، ولكن الاتجاهين الأخيرين أغلبُ على شِعرِه، حتّى إنّكَ لَتَجِـدُ العقيـدة الـشيعيّة الزيديـة غالبةٌ حتى على بعض إخوانيّاته» اهـ .

قُلتُ : ولَقَد تتّبعتُ تاريخَ الحمّاني عليه السلام ومواقفَـه، فـمَا وَجدتُـهُ إلاّ ذا عَقيـدَةٍ زيديّـة، قوّاها عندي أمور، منها:

الأمر الأوّل :

قُربهُ الميداني والرّوحِي من ثورَة إمام الزيدية يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن الحسين السبط في الكوفة، والتي نجَا منها مُثبّت دعائم الزيدية في بلاد طبرستان الدّاعي الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط.

نعم ! ويدلّ على علاقته المعاصِرة لآلام أهل البيت عليهم السلام بالكوفة وثورة يحيى بن عمر عليه السلام، مراثي الحمّاني الحاكيَة عَن أليمِ المرارة التي تذوّقها صاحبها، وسنقفُ على بعضٍ منها قريباً.

الأمرُ الثّاني :

أشعارهُ المتضمنُ عليها ديوانه، فهُوَ شيعيٌّ زيديٌّ بشهادَة مُحققه الدكتور الأعرجي، شيعيٌّ زيديٌ بشهادةِ أقوالهِ التي تُظهرُ تقديمهُ وتفضيلَه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب على أبي بكر وعُمر وعثمان.

تفضيل الحمّاني لعلي بن أبي طالب على المشائخ :

١ – قال عليه السلام، وكأنّهُ يتحدّث عن نفسهِ ويفاخر، أنّه ابنُ مَن ردّ الله لهُ الشّمس حينَ المغيب (وهذا ثابتٌ عند الزيدية)، وأنّهُ ابنُ من لهُ شأنٌ عظيم يوم القيامَة (وهُو ثابتٌ عند الزيدية)، ثمّ يُبيّن أنّ الإمام علي عليه السلام هُو مولى المؤمنين وأحقّهم بمقام رسول الله بنصّ خبر الغدير : « مَن كُنتُ مولاه فعليٌّ مولاه »، (وهذا أيضاً ثابتٌ عند الزيدية)، وإنشاؤه :

ابنُ الذي رُدّت عَليـ ـهِ الشّمسُ في يومِ الحجَاب
وابنُ القَسيم النّار في يومِ المواقفِ والحِساب
مولاهُم يومَ الغَدير، بُرُغمِ مُرتابٍ وآبي

٢- وهُنا يُثبت الوصايَة، وعدد من الخصائص التي تُؤْمِنُ بها **الزيدية** في عليعليه السلام، فقال:

بينَ الوصيِّ وبينَ المُصطفَى نَسبٌ تَختالُ فيه المَعالي والمَحاميدُ
كانَا كَشمسِ نَهارٍ في البروج كَمَ أدارَها ثَمَّ إحكامٌ وتجويدُ
كسيرِها انتَقلا من طاهرٍ عَلمٍ إلى مُطهّرَةٍ آباؤهَا صيدُ
تفرَّقا عندَ عبدالله، واقترنَا بعدَ النبوَّة توفيقٌ وتسديدُ
وذَرَّ ذو العرش ذرَّا طابَ بينَهُما فانبثَّ نورٌ له في الأرض تخليد
نورٌ تفرّق عند ذي البَعث وانشَعَبَت منهُ شعوبٌ لهَا في الدّين تمهيدُ
هُم فِتيَةٌ كسيوف الهند طالَ بهِم عَلى المُطاوِلِ آباءٌ مناجيدُ

إلى آخر شعره .

٣- وهُنا، يُثبت الحمّاني مُؤاخاة الرّسول لعلي بن أبي طالب، وإمامته بخبر المنزلة : «علي منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبيّ بعدي »، فأنشأ قائلاً :

فآخَى عليّاً دونَكُم، وأصارَهُ لكُم عَلماً بينَ الهِدايَة والكُفر
وأنزلَهُ منهُ على رغمَة العِدى كَهارونَ من موسى على قِدَم الدّهر
فَمنْ كانَ في أصحاب موسَى كهارون ؟ لا زِلتُم على زلل الكُفر
وأنزلَهُ منهُ النّبي كَنفسِه روايةُ أبرارٍ تأدّت إلى البِرّ
فَمَن نفسُهُ منكُم كنفسِ مُحمّدٍ ألا بأبي نفسُ المُطهَّرِ والطَّهرِ

الأمرُ الثالث :

اعتقادُ أنّ الخلافَة –الإمامَة–، لا تَصلُح إلاّ في بني فاطمةعليها السلام، وهُوَ قول الزيدية، فقال مُنشئاً:

يا آل أحمدَ أنتم خيرُ مشتَملٍ بالمكرُماتِ، وأنتم خيرُ مُعترَفِ

خِلافَةُ الله فيكـــم غيــرُ خافيَــةٍ يُفضي بِها سَلَفٌ منكُم إلى خَلَـفِ
طِبتُم، فطابَ مواليكُم لطيبتِكُـــم وباءَ أعداؤكُم بالخُبثِ في النُّطَف

... إلخ .

من روائع شِعر الحمّاني :

* قال يرثي الإمام يحيى بن عمر الزيدي :

لَعمري لئن سُرَّتْ قريـشٌ بهُلكِـه لَمَـا كـــانَ وقافـــاً غـــداة التوقّـــفِ
فإنْ ماتَ تلقـاءَ الرِّمـــاحِ، فإنّـــهُ لَمِن مَعشَرٍ يشنونَ مـــوتَ التَّتَـــرُّفِ
فلا تَشمَتوا فالقومُ مَن يَبـقَ منهُـمُ على سَنَنٍ منهُـــم مقـــامَ المُخلِّـــفِ
لهُم مَعَكُـم إمـا جدعتُـم أنوفكـم مقاماتُ ما بينَ الـصَّفَـا والمُعـرَّفِ
تُـــراثٌ لهُـــم مِـــن آدمٍ ومحـمّـــدٍ إلى الثقلين من وصايا ومُصحـف
فَجَـازُوا أبـاهُم عنهُـــم كيـــفَ تُلاقـوا لديـهِ النَّـصفَ مـن خـيرِ

* وقال عليه السلام في قصيدة عظيمة :

عَصيتُ الهَوى وهَجرتُ النساء وكنـــتُ دواءً فأصبحـــتُ داءً
وما أنـسَ لا أنـسَ حتـى المـات نَزيـبَ الظِّبـاء تُجيـبُ الظّبـاءَ
دَعينـي وصَـبري عـلى النّائبـات فبالصّبرِ نِلـتُ الثّـرى والثّـواءَ
وإن يَـكُ دَهـري لَـوَى رأسَـهُ فقَـد لقـيَ الـدّهرُ منّـي التـواء
ليـالِي الـروّي صُـدورَ القنـا وأروي بهـنَّ الـصّدور الظّمـاء
ونحـنُ إذا كـان شُـربُ المُـدام شَربنـا عـلى الـصّافنات الدّمـاء
بَلَغنـا الـسّماء بأحـسابنـا ولـولا الـسّماءُ لَجُزنـا الـسّماء
فَحـسبُكَ مِـن سـؤدَدٍ أنّنـا بُحسنِ البـلاء كَـشَفنا البـلاء

إلى أنْ قال:

هَجـاني أنـاسٌ ولَـم أهجُهُـم أبـى الله لي أنْ أقـولَ الهجـاء

* وقال يصفُ القَمَر، وقَد طَرَحَ جِرمَه على نهر دجلة :

لَم أنسَ دِجلَـة والـدّجى مُتـصرّمٌ والبـدرُ في أُفُـقِ الـسّماءِ مُغـرّبُ
فكأنّهـــا فيـــه رداءٌ أزرقٌ وكأنّــه فيهــا طــرازٌ مُذهَــبُ

* وقال يرثي الإمام يحيى بن عمر الزيدي :

يــا بَقايــا الــسّلف الــصّا لـــح، والتَّجـــرِ الرَّبيـــح
نحـــنُ للأيـــام مـــا بـيـــ ـــنَ قـتيـــلٍ وذبـيـــح
خـابَ وَجـهُ الأرضِ كَـم غيَّـ ـــبَ مـــن وجـــهٍ صَبيـــح
آخِ مِـــن يَومِـــكَ مـــا أوْ داهُ للقلـــبِ الـقريـــح

بهذه الإشارَة العابرَة عن هذه الشخصيّة البارزة -والتي لَم نوفهَا حقّا من الترجمة-، أتوقّف على أمل أنْ نُعيدَ صياغتها ببعض ما يليقُ بصاحبها، مُصطحبينَ مَعنا الإنصاف حال الكِتابَة قدرَ المُستطاع، فما تحلّى قومٌ بالإنصاف إلاّ رجَحت كفّتُهم، وكبّلوا أقلام مُنتقديهم، راجياً منَ الله أن تكون هذه الترجمَة مع سابقاتها من التراجم لأعلام أهل البيت، بداية رحلةٍ ورحلات! بحثية عن مَذاهب الآباء والأجداد -أنا لا أقولُ قلّدوا آباءَ ومشائخ، ولكن أقولُ قلّدوا ثقلَ الله الأصغر على الأرض، أهل البيت-، هذا وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضوانه على الصّحابة الراشدين والتّابعينَ لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدّين .

٣ / ٧/ ١٤٢٦هـ

****

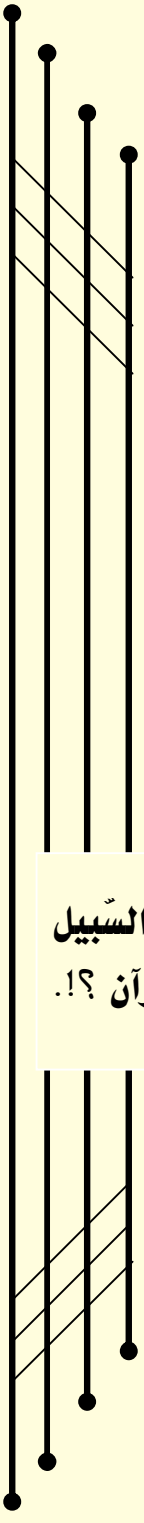

الثانية والعشرون : مَا السّبيل لفَهم القُرآن ؟!.

ما السبيل لفهم القرآن ؟

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُلله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين، سيدنا محمّد وآله الطّاهرين، نجومُ السّماء وعلامات الاهتداء، ورضوان الله على الصّحابة المتّقين، والتابعين لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدّين .

وبعَد :

فقَد كان السّؤال :

«من بعض القراءات للأطروحَات حول القُرآن الكَريم، يظهرُ أنّ الكلّ متّفقٌ على أنّه كتابُ هِدايَة، إلاّ أنّه يُشكلُ علينَا كيف نفهَم القُرآن ؟ وما هي الطّريق التي تُوصلُنا إلى ما يُريدُ الله منّا في القُرآن ؟؛ لأنّ العُلَمَاء اختلفُوا في تَفسير القُرآن، والمَعلوم من استقراءنا لحال الفرق الإسلاميّة وعُلمائها فإنّا نجدُ أنّ المُسلمين لم يُطبّقوا في الأشيَاء المُتّفق عليهَا، وأصبحنا لا نَعلمُ كيفَ نفهمُ القرآن؛ لأنّ كلّ أحدٍ يُفسّرهُ على رأيه»؟.

والجَواب : نسوقهُ من عدّة أمورٍ يترتّب بعضها على بَعض :

الأمرُ الأوّل : أنّ أهل القبلَة قد اتّفقوا على حُرمَة هذا الكِتاب العَزيز، وأنّه مصدرٌ للهدايَة والتّنوير والتّوفيق، ثمّ أجمعُوا على أنّ هذا الكتاب لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا مِن خلفِه، وأنّه لن يتناول عقائد فاسدَة أو مُتناقضَة أبداً ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّـهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**﴾ [النساء:٨٢] .

الأمر الثّاني : أنّ الاختلاف الذي نراهُ اليوم بين طوائفِ أهل الإسلام في تأويلِ وتفسير القُرآن، بتناقُض وتصادم رهيب، لا يعودُ أصلُه إلى أنّ وجه الحقّ غير ظاهر في القُرآن، بل يعودُ أصلُه إلينا أنفُسنَا نحنُ القارئون للقرآن؛ لأنّ طريق تدبّر القرآن هُو العَقل .

الأمر الثّالث : أنّ العُقول تَنقسمُ، إلى عُقولٍ فطريّة صحيحَة المَباني في طُرق التدّبر اعتمَدت مقدّمات النّظر والاستدلال الصّحيحَة، تماماً كما استخدَم إبراهيم الخَليل عليه السلام عقلَه وأبطلَ أُلوهيّة الكواكِب والأصنَام في آيات الأفول، وآيات تكسير الأصنَام، فكذلكَ الله تعالى خلقَ الإنسان على الفطرَة، إلاّ أنّ تلكَ الفطرة تفسُد إذا تأثّرت بالبيئة المُحيطَة بهَا، أو بنَت على مُقدِّمات نظرٍ خاطئة، وعندَها ستكون نتائج النّظَر خاطئَة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحَديث المُتلقّى بالقَبول : «ما مِن مَولود إلاّ ويُولَد على الفطرَة فأبواه يهوّدانه أو يُنصّرانه أو يُمجّسانه»، فلذلك يُصبحُ العَقل الذي يتدبّر القُرآن يستنبطُ معانٍ تُوافقُ ما تأثّر به ذلك المُكلّف، فالسنّي يستنبطُ من القرآن معانٍ تُوافقُ اعتقادَه، والشّيعي كذلك، والأشعريّ، والإباضيّ، وكان من المُفترض أنّ القرآن هُو الذي يُوجّه المكلَّف لا العَكس، فجعلنَا مذاهبنَا التي لوّثت عُقولَنا هي التي تفهمُ القرآن بما يتناسبُ معَها، فلذلكَ اختلفَت عُقولُنا في تدبّر وتفسير القُرآن، نعم! فأصبحَ عندنَا عُقول فطريّة لم تتلوّث بالبيئة المُحيطَة، واعتمدَت مقدّمات نظَر صحيحَة، وعُقول غير فطريّة تلوّثت بالبيئة المُحيطَة، فالعُقول الأولى سيكون تدبّرها وتأويلها وتفسيرها للقرآن صحيحاً، والعُقول الثّانية: وهي عقول أكثر الإسلاميين المُختلفين سيكون تدبّرها وتأويلها وتفسيرها مُتناقضاً مُتصادماً مُهترئاً.

الأمرُ الرّابع : فنحنُ نقرأ في آيات الكِتاب، ما يدلّ على أنّ الله هُو الرّحمن الرّحيم، وأجمَعت الأمّة على ذلك منه جلّ شأنه، والمعلومُ لنَا كمُكلّفين إجماعاً أنّ النبوّة قد انتهَت بنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّه خلّف فينا كتاباً محفوظاً من التّحريف والزّيادَة والنّقصان، وهذا منه جلّ شأنه رحمَةً بنَا -وجود الكتاب المصون من التّحريف والتّبديل-، ولكنّا وقعنَا في تَكليف صعب جدّاً؛ وذلك أنّ الكتاب بين أيدينَا ونحنُ لا نعلمُ كيفَ نفهمَه، فالكتاب والرّسم الموجود، ولكنّ الفَهم تغيّر إلى عشرات الأفهَام، فأيّ تلكَ الأفهَام هُو الصّحيح، يقول السنّي: أنَا (عَقلي) أولَى بفهِم كتاب الله تعالى ومصادر التشّريع عندي كذا وكذا، ويُقرر أصول التّجسيم والجَبر، والأشعريّ يقول: أنَا (عَقلي) أولى بفهم كتاب الله تعالى، ويُقررّ معاني التّفويض والرّؤية، والإباضيّ والجعفريّ والزيديّ كلّهم

يقول: (عُقولنا) أولى بفهم كتاب الله تعالَى، ويقولون: عُقولنا هي العُقول الفطريّة الصّحية التي اعتمدَت مقدّمات النّظر الصّحيحة، إذاً أينَ المَخرَج من هذا كلّه! والكلّ يدّعي هذه المُسلّمات؟ لن يفصلَ هُنا بين هؤلاء المُتخاصِمين إلاّ الشّرع، والشّرع فقَط .

الأمر الخامِس : نظرتُ إلى الشّرع، فوجدتُ أنّه لابدّ وأن يكونَ الله قد علِمَ من حالِنا الافتراقُ على كتابِه وسنّة نبيّه ﷺ، وأنّه لا شكّ قد أخبرَ بذلك سيّدنا محمّد ﷺ، فالله أعدَل من أنْ يتركَنا هكَذا في هذه المِحنَة والتّكليف العَسير الذي لن ينجُوا منه إلاّ أساطينُ أصحاب العُقول، فنظرنَا ولكن قبلَ أنْ ننظر، أيقنّا أنّ الدّليل الذي نبحَث عنه ونحنُ نتكلّم عن رحمةٍ إلهيّة للمكلّفين، يجب أنْ يكونَ جليّا غير آحادي؛ لأنّ لُطف الله أعظم وأجلّ من أنْ يكون وجهه الخَفاء على العِباد، فنظرنَا إلى سنّة رسول الله ﷺ، فوجَدنا رسول الله ﷺ يُوصي أمّة بوصيّة هي سبيل النّجَاة ممّا نحنُ نُعانيه من تفرّق أهل العُقول حول كتاب الله تعالَى، فوجدناه ﷺ يقولُ في الحَديث الصّحيح المُتواتر : «إنّي تاركٌ فيكُم ما إنْ تمسّكتم به لن تضلّوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بَيتي إنّ اللّطيف الخَبير نبّأني أنّهما لن يفترقَا حتّى يردَا عليّ الحوض»، فكانَت الأمّة في مسانيدَها وصحاحها قد روَتْ هذا الحديث وأقرّته تواتراً وتلقيّاً بالقَبول بما يُفيدُ العِلم والقَطع، فأصبحَنا مع هذا الخَبر نُضيِّق أو تتوجّه أنظارُنا من دائرَة واسعَة -لا نهايَة لهَا- من اختلافَات العُقول والمذاهب والطّوائف إلى دائرةٍ أصغَر منهَا، وهي دائرَة العترَة المحمديّة العلويّة الفاطميّة الحسنيّة والحسينيّة، فرسول الله ﷺ لا ينطقُ عَن الهَوى، وقولُه: «إنّي تاركٌ فيكُم»، فيه توصيةٌ وخطابٌ عامٌّ لأمّته ﷺ، «ما إنْ تمسّكتم به»، فيه شرطٌ بالتمسّك، «لن تضلّوا من بَعدي» فيه جوابُ الشّرط وحصول عَدم الضّلال بذلك التمسّك، وعَدم الضّلال هُو معنى الهِداية من القُرآن التي أجمَعت الأمّة عليها منه، فالأمّة كما قررّنا قد أجمَعت على أنّ الكتاب مصدرُ هِداية، وكذلك أخبرَ رسول الله ﷺ أنّ التمسكَّ بالثّقلين هُو سبب عَدم الضّلال، فما هُو الذي نتمسّك به يا رسول الله صلّى الله عليك وآلك : «كِتاب الله»، الكلّ يدّعي التمسّك به، ويُعِل عقلَه لفهمِه، واختلفُوا فيه، وماذا يا رسول الله : «وعترتي أهل بَيتي»، وهُنا ليس الكلّ يتمسّك فيهِم، وفرقٌ بين

أنْ يُقال نحبّهم ولا نتّبعهم، وبين أنْ يُقال نحبّهم ونتّبعهُم، «إنّ اللّطيف الخَبير نبّأني أنّها لن يفترقَا حتّى يردا عليّ الحوض»، فأكّد رسول الله ﷺ أنّ القرآن مصدرُ الهدايَة بالاتّفاق، والعترة، لن يفترقوا عن بعضهم البعض حتى يوم القيامَة.

إذاً من هذا الحَديث تبيّن لنَا أنّ العترَة هُم مداخلُ المكلّفين لفهم القرآن الفَهم الصّحيح، إذا فهمِت العترة القرآن فهُو الوَجه الصّحيح، لماذا نقولُ ذلك؟ هل تقديساً للعترَة؟ أو عُنصريّة؟ نقولُ ذلك: لأنّ مَنْ لا ينطقُ عَن الهوَى هُو مَن قال ذلك، والمُسلمون أجمعوا أنّه لن يكذبَ وحاشاه، ولنْ يقول أمراً لن يتحقّق وحاشاه، ولن يقول أمراً لا مِصداقَ له على الواقِع وحاشاه، ولن يقول أمراً ويُوصّي به ويُشدّد عليه ثمّ لا يكون له دورٌ في هدايَة النّاس، فالكتاب والعترة مصدرُ هِدايَة للبشريّة، قال الإمام جَعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام : «سَمعتُ عَمّي زَيد بن عَلي، وكَانَ بالقُرآنِ عَالِماً، قالَ: «قال الله تعَالَى: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الزُّخرُف:٢٨]، قال: نَحنُ العَقِب وفِينَا الكَلِمَة، وَلَو ضَلَّت الأمّة بأسرِهَا لَم يُوجَد الحقُّ إلاَّ مَعَنا وفِينَا» (١) .

الأمر السّادس : أنّه سيُقال بعدَ ذلك الحَديث (الثّقلين)، إنّ التّكليف سيبقَى قائما باختلاف عُقول من يدّعي محبّة أهل البيت معَ مُتابعَة علومهِم، فإنّا نجدهُم ثلاثُ فِرق تمايزَت وتناقَضت منها الجعفرية والإسماعيليّة والزيدية، فنقول: إنه يجبُ عليكَ ألاّ تَفهَم معنى الرّحمة الإلهيّة والعَدل الإلهي الذي صدّرناه لَك هُو أنّك ستجدُ الحقّ عند الاختلاف بسهولةٍ ويُسر بدون أنْ تُكلَّف عنَاء التدبّر، ولكنّ الرّحمَة والعَدل الإلهي تكون في إيقافِك على ذلك بما لا يجعلُ التّكليف عليك عسيراً، وأنت سابقاً كُنتَ تتكلّم عن عدَد لا نهائيٍّ من الأقوال (لأنّ كلّ من يتكلّم بالعَقل ويفهم القرآن يجب عليك حينها أنْ تبحث وتتدبّر قولَه هل هو صائب أمْ لا ؟ لأنّ الحقّ غير مُنحصِر في مصدرٍ يفهَم القرآن ويُترجمُه بل هُو عامّ في جميع الأمّة، والأمّة تزيد ويزيد اختلافها، واليوم في عصرنا هذا تزيد الأقوال وتكثُر الاختلافات).

(١) المحيط بالإمامة لعلي بن الحُسين الزّيدي.

نعم! ولكنّك الآن بعَد (حديث الثّقلين)، تتكلّم عن فرقٍ وأقوالٍ قليلة تُعدّ بأقلّ من أصابع اليد الواحدَة وعِندي أنّها ثلاث فرق (الجعفرية، والإسماعيليّة، والزيدية)، ولو تدبّرت كلامَنا في الأمر الخامس لوجدت أنّنا ونحن نبحثُ عن دليل الشّرع والرّحمة الإلهيّة التي توجّه العِباد من ذلك الاختلاف حول فَهْمِ الكتاب، لوجدتنا نطلبُ دليلاً قويّا مُتواتراً ليس بآحاديّ، وكان حديثُ الثّقلين كذلك، وكانت دلالته على اتّباع أهل البيت عليهم السلام ظاهرَة .

فعندَما أعملنا عُقولَنا في هذه الفرق الثّلاث، وجدنا أنّ حديث الثّقلين عامّ في العترَة أهل البيت لم يُخصص عليّاً والحسنين وتسعة أئمّة من ذريّة الحُسين أئمّة الإثني عشرية، ووجدنَا أنّهم رووَا أحاديثاً في الإثني عشر لم تتبلور إلاّ بعد عصر الغَيْبَة وأنّ مُعتمدَهم في معرفَة أئمّتهم بعد أئمّتهم كان النّص من السّابق إلى اللاحق لا النّص المحمّدي الاثني عشريّ؛ لأنّ مُتقّدمي الجعفرية لم يكونوا يعرفوا النّص الاثني عشري بالإسم والعَدد؛ لذلك كانوا يتوهون في معرفَة الإمَام بعد الإمام، وهذا فعلُ أكابرُهم ومُلازموا أئمّتهم كمؤمن الطّاق، وهشام بن سَالم، وهشام بن الحكَم، وزرارة بن أعين فقد تاهوا في معرفَة الكاظم بعد الصّادق توهاناً عجيباً بإقرار كُتب الجعفرية ومصادرهِم، وهذا يدلّ على أنّ النّص على الاثني عشَر لم يُكن معروفاً لسلف الجعفرية فضلاً عن بقيّة الأمّة فالعذُر للجميع في جَهل ذلك، إضافةً إلى أنّ دواوين أهل الإسلام خَلَتْ من رواية الاثني عشر بالاسم والعَدد، وروايات المسانيد السنيّة لخبر الاثني عشر خليفَة والاثني عشر أميراً ليسَت من ذَاك البتّة، إضافةً إلى مُصادمَة عقائد الجعفرية لكتاب الله تعالى مُصادمَة واضحَة وقويّة بَداءً، ورجعةً، وتفويضاً بالولاية التكوينيّة للأئمّة، إضافةً إلى نظرتهِم التّأريخية الممجوجَة لسادات بني الحسن والحُسين من غير أئمّتهِم كما يحكونَ عن الإمام النّفس الزكيّة محمّد بن عبدالله بأّنه الأحول المشئوم الدّاعية إلى الباطل، والقَدح الظّاهر في أبيه كامِل أهل البيت، وشيخ بني هاشم عبدالله المحض بن الحسن بن الحسن، وفي يحيى بن عبدالله وغيرهم من سادات بني الحسن والحسين.

نعم! فهذه الأمور كلّها تجعلنُا نضعُ هذه الفرقَة ودَعوىٰ مُتابعتهَا لأهل البيت تحت المِجهر لتخصيصها التبعيّة في اثني عشر إماماً لم يخُصّصهم حديث الثّقلين ولم نجد دليلاً قويّا في روايته وشواهدِه وقرائنِه تُخصّص التبعيّة في هؤلاء لوحدهِم من دون بقيّة سادات بني الحسن والحسين، ولشناعَة اعتقاداتها المُخالفَة للكتاب العَزيز .

نعم! ثمّ أعملَنا عُقولَنا في الفرقَة الثّانية من الشيعة، وهي (الإسماعيلّية)، وجدنَا أنّها تحصر التّبعيّة في سُلالة إسماعيل بن جَعفر، وصيّة من والدٍ إلىٰ وَلد، وتجعلُ هذه العلوم سريّة، وتجعلُ لكلّ ظاهر باطنُ بعيدٌ عن أصلِه وتنزيلِه، لا يُعرَف صدقُ ذلك التّأويل الباطنيّ إلاّ بوحي إلهي، والأمّة أجمَعَتْ علىٰ انقطاع الوَحي، ثمّ ارتَقَتْ هذه الفرقَة في الفلسفَة مُرتقىً عظيماً واحتكرته دوناً عن سائر الأمّة فلا تظهرُ علومُهم إلاّ لخواصّ خواصّهم، فأيقَنت العُقول فساد هذا القَول لتخصيص التّبعيّة بأئمّة بعد أئمّة بالوصيّة، وحديث الثّقلين عامّ في جميع العترة المحمديّة العلويّة الفاطميّة الحسنيّة والحسينيّة، وأنّه لا دَليل لهُم علىٰ ذلك التّخصيص من دون بقيّة سادات بني الحسَن والحُسين، ثمّ رفضناه لمُصادمتهِ لكتاب الله تعالىٰ مُصادمة قويّة يستدركها أبسطُ الباحثين اطّلاعها ويُشنعها عليهِم، ثمّ نرفضُه؛ لأنّ علوم القرآن ودَعوة محمّد ﷺ ليسَ فيها ما يكون سريّا لا يطّلع عليه إلاّ خواصّ الخَواصّ بعد أنْ تُؤخَذ منهُم العُهود والمواثيق علىٰ عَدم الإذاعَة به والكِتمان له، وهذا حالُ الإسماعيليّة .

نعم! ثمّ أعَمْلَنَا عُقولَنا في الفرقَة الثّالثة من الشيعة، وهي (الزيدية)، فوجَدنا أنّها تقولُ بأنّ الإمَامة والهِدايَة عامّ في عترة النّبي ﷺ أهل بيتِه، في أهل الفَضل والصّلاح من ذريّة الحسَن والحُسين بلا تفضيلٍ لبطنٍ علىٰ بَطن، ولذلك كانَ إذا خرجَ داعي بني الحسن أجابَته بنو الحُسين، وإذا خرجَ داعي بني الحسين أجابتهُ بنو الحسَن، وقالت: إنّ الحجّة من حَديث الثّقلين هُو أنّ إجماع بني الحسن والحسين في أصول الدّين أو فروعِه معصومٌ لا يضلّ ولا يُخطئ، وأنّه لن يُخالفَ القرآن؛ لعصمَة قول النّبي ﷺ عندما حكم بمُلازمَة العترَة للكتاب، والكتاب معصومٌ عن الخطَأ، فكذلك قولُ من كان مُلازماً للكِتاب فإنّه

معصومٌ كعصمتِه؛ ولأنّ الرّسول ﷺ أخبرَ أنّ بالتمسّك بالعترة سيكون عَدم الـضّلال، وهذا يَعني العصمَة لإجمَاع العترَة الحسنيّة والحسينيّة، وقالَت الزيدية بعصمَة إجماع أهـل البيت لمّا لم يُكن هناك نصّ على تخصيص العترَة من بعد الحُسين عليه السلام، فآمنت الزيديـة أنّ هذا الحَديث المحمّدي لن يكون عبثاً في إطلاقِه، وأنّه من أقوى نـصوص الـسنّة في تبيـين التبعية، وكذلك كـان أهـل البيـت عليهم السلام باعتبـارهِم عُلـمَاء وأئمّـة في العِلـم في أزمـانهِم يستقرئون ويستلهمون حجيّة هذا الحَديث المحمّدي، وناهيك بهِم مـن عُلـمَاء إنْ لم يكُـن البعض يرى لهُم مزيّة؛ كونهم مُقرِّرون ومُترجمون للحقّ.

قال الإمام الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عَلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت٢٤٧هـ) : «مَا اجتمَعَت الأمّة عليه مِنَ الفَرائض فَإجمَاعُهُم هُو الحجّة عَلى اختِلافِهِم؛ لأنّ النبي ﷺ قال: «مَا كانَ الله ليجمَعَ أمّتي عَلى ضَلالَة»، ومَا اختَلفُوا فِيه مِن حَلالٍ أو حَرام، أو حُكمٍ أو سُنّة، فَدلالَةُ رسول الله ﷺ فِي ذلكَ قَائمَـةٌ بقولـه: «إنّي تَـاركٌ فِـيكُم الثّقلين كِتابُ الله وعِترتِي أهلُ بَيتِي ولَن يَتفرقّا حَتّى يَـردَا عـليَّ الحَـوض»، فَهـذَا مَوضـعُ الحُجّة مِنهُ عَليهِم، وهَذَا خَبرٌ مَشهُور، ونَقلتهُ الأمّة عَن غيرِ تَواطئ، فَأبرارُ آل رَسـول الله ﷺ رُؤسَاء الأمّة وقَادَتُهَا وسَادَتُها، الذينَ قالَ رسول الله ﷺ إنّ الهُـدى فِي التّمـسكِ بِهِم، وإنّما هَذا خَاصٌّ لهُم دونَ غَيرِهِم» [1].

نعم! ثمّ نظرنَا إلى عقائد الزيدية فوجدنَا أنّها عقائد قد شاركَتها فيها طوائفُ وطوائفُ من الأمّة على تفرّق، ولم تنفرد بهَا انفراداً يُشنّع عليها بِه، ثمّ إنّها تستدلّ عليها من الكِتـاب بحجج عقليّة رصينَة يقول بهذا من كان أصوليّا بارعـاً، أيـضاً في الفـروع لم تـشذّ بـأقوال شنيعَة وأقوالها لها دلالات من كتاب الله أو سنّة رسول الله ﷺ أو آثار أهل البيت عليهم السلام أو هي اجتهاداتٌ لا تخالف قواعِد الاجتهَاد وأصـوله، ثـمّ نظرنَـا هـل يُوجَـد مـا يجعلنـا نطمئنّ إلى هذه الفرقة الزيدية من الشيعة باعتبارهَـا مـصداقاً لقـول رسـول الله ﷺ في حديث الثّقلين، بعد أنْ ظهرَ لنا تعميمها الفضل في البَطنين لمّا عمّم الـنّص ولم يُخـصّص،

(١) جامع علوم آل محمّد.

ولّما كانَت في عقائدَها مُوافقَة للكتاب لم تشذّ عنها بأقوال شنيعَة، فننظرُ وإذا سوادُ سادات بني الحسن والحسين من المتقّدمين أهل القرون الثلاثة الأولى ومَن بعدَهم كانوا على قول الزيدية فالأدارسة في المَغرب زيديّة، وثوّار بني الحسن والحسين بإقرار مصادر المؤرّخين زيديّة، وأشراف الكوفة زيديّة، وأشراف الجيل والديلم وطبرستان زيديّة، وأشراف الحجاز زيديّة، وأشراف المخلاف السليمانيّ زيدية، وأشراف اليمامة من بلاد نَجد زيديّة، وأشراف اليمن زيديّة، فحكمَنا أنّ هؤلاء السّادة مع اختلاف بلادهِم وتباعدها وإجماعهم على قول واحدٍ في الاعتقاد دليلٌ على مُتابعَة مُتقدّمي أهلِهم من سادات بني الحسن والحُسين، قال الإمام نجم آل الرّسول القاسم الرّسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (١٦٩-٢٤٦هـ) : «أدركتُ مشيخَة بني الحسَن والحُسين وما بينَهم اختلاف»، وهو كان إمام الزيدية وجدّ إمامها الهادي إلى الحق في بلاد اليمن، وهُو الذي بايعَه سادات الدّنيا من أهل البيت، حيث بايعَه الأئمة عبدالله بن موسى بن عبدالله المحض، وأحمد بن عيسى بن زيد، والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد، والحسن بن يحيى هذا هُو القائل وقد سُئلَ عن القاسم بن إبراهيم، فقال: «سيّدُنا وكَبيرُنَا، والمَنظورُ إليهِ مِن أهلِنَا، ومَا فِي زَمَانِنَا هَذا أعلَمُ مِنه» ثمّ زاد الحسن قائلاً: و «لَو سألتَ أهل الأرض من عُلماء أهل البيت؟ لقالوا فيه: مثلُ قولي» [1].

نعم! فهذه كلّها أدلّة وقرائنُ وشواهِد على صحّة أنْ تكون الزيدية شاهداً لحديث الثّقلين، فيوجبُ ذلك اتّباع إجماعهِم المُستنبط من الكتاب والسنّة لفهم القرآن الكَريم، وأصل مذهبِهم على خمسَة أصول : التّوحيد، والعَدل، والوَعد والوعيد، والأمر بالمَعروف والنّهي عن المُنكر، والإمامَة، ويدخل تحتها تفاصيل الاعتقَاد بشموليّة وقطعيّة واضحَة.

الأمر السّابع : إنّنا إذا لم نقُل بتصديرِ قولٍ جامعٍ واضحٍ ظاهرٍ للعترَة يكون مُلازماً للكتاب، موجوداً على مرّ الأزمَان، يستطيعُ المُكلّفون أنْ يتمسّكوا به، فإننّا بهذا سنُصادرُ حديث الثّقلين، وسنقعُ في إشكاليّة دلالة ذلك الخَبر؛ لأنّنا وجدنا البعض الكَثير للأسَف

(١) المصابيح لأبي العباس الحسني.

يتلوا هذا الخَبر بلا تدبّر، والبعض يهربُ مِن مُصارحَة نفسِه بنتائجِه؛ لئلا يُقحم نفسَه بمُخالفَة عقول الرّجال الذي نشأ على تقليدهِم، الحقّ أنّ هذا الحديث لا مَعنى منه إلاّ اتّباع العترَة، والعَجب من قومٍ يقولون: إنّ معنَى الحَديث بلفظ «إني تاركُ فيكم كتاب الله وسنّتي»، يعني التمسّك بالكتاب والسنّة، والحَديث بلفظ «إنّي تاركُ فيكم كتاب الله وعترتي»، يَعني التمسّك بالكَتاب ومحبّة!! العترَة، أيّ اختلالٍ في المَوازين هذَا، رغم تواتر حديث «كتاب الله وعترتي»، وآحاديّة «كتاب الله وسنّتي»، ولا تضادّ أصلاً فإنّ من يتمسّك بالكتاب والعترَة فإنّه سيتمسّك بالسنّة؛ لأنّ العترَة تستنبط الحقّ وتستلهمهُ وتقرّه من الكتاب والسنّة ثمّ يبثّونَه لنا في أحاديثِهم وكُتبِهم، لتدّبر ذلك أهل الرّجاحَة والإنصَاف .

الأمر الثّامن : أنّه يجبُ التّفريق بين أساس العلوم التي تهمّ المُكلّفين، وعنها يُسألون يوم القيامَة، وبها نجاتهُم وهلاكُهم، من الكتاب والسنّة، وبين أفضَال العلوم التي لا يضرّ جهلها، فالعلوم الضّروريّة هي أصول الدّين وأركانه وفروعُه التي تقوم بها مُعاملاتهم وعباداتهم، وتقوم بها معايشهُم تفرّعاً من واجبات الإمام من إحقاق العَدل ونصرة المظلومين، هذه العَلوم والأمور هي التي لن يخلو عنها علماء وأئمّة أهل البيت وستكون موجودةً على مرّ الأزمان؛ لأنّ من أصول الزيدية أنّ الزمان لن يخلو من صالحٍ للإمامة من أهل البيت يقود الأمّة ويُصحّح لها مفاهيمَها لو اجتمَع النّاس حولَه، وكذلك العلماء المُقتصدون منهُم، هذه العلوم لا تخلو منهُم، والأفضالُ من العُلوم هي علوم الطّب والفيزياء والفَلك والكيميَاء والبَحار فهذه العلوم وإنْ كانَت مصادرها في الكتاب فإنّه يجوزُ أنْ يخلو منها بعض أئمّة أهل البيت عليهم السلام، ويجوزُ أنْ يُوجَد منهُم من يكون بارعاً في استنباطهَا من الكتاب العَزيز، فأمّا أنْ يُقال: إنّ هذا من الشّروط الضّروريّة الواجب توافرها في أهل البيت ليكونوا مدخلاً للقرآن فهذا عندنا من الغُلو، وأكثر ما يثيرُه هُم الجعفرية من الشيعة، ويقولون: إنّ الإمام يعلمُ عدد ذرّات الرّمال، وقطر البحار، ولغَات الحيوانات، وعلوم الدّنيا مع أنّهم يروون من كُتبِهم ما يؤيّد نظرتنا المُتوازنَة المُعتدلة التي لن ينطبقَ غيرها على أرض الواقِع (لعدم وجود أئمّة هكذا "في

زمننا" عند التّحقيق، وحديث الثّقلين يقضي باستمراريّة وجود العترة والكتاب بلا غياب)، فرَوىٰ ثقة الجعفرية الكُليني، بإسنادِه، «إلىٰ أبي الحسن موسىٰ عليه السلام قال: دَخَلَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجِد، فَإذَا جَمَاعَةٌ قَدْ أطَافُوا بِرَجُل، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟». فَقِيلَ: عَلاّمَة! فَقَال: «ومَا العَلاّمَة؟». فَقَالُوا لَه: أعْلَمُ النّاسِ بِأنْسَابِ العَرَبِ وَوَقَائِعِهَا، وأيّامِ الجَاهِلِيّة، والأشْعَارِ العَرَبيّة، قَال: فَقَالَ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ذَاكَ عِلْمٌ لا يَضُرُّ مَنْ جَهِلَهْ (تأمّل)، ولا يَنْفَعُ مَنْ عَلِمَه»، ثمّ قَال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّمَا العِلمُ ثَلاثَة: آيَةٌ مُحكَمَةٌ، أو فَرِيضَةٌ عَادِلَة، أو سُنّةٌ قَائمَة، ومَا خَلاهُنّ فَهُوَ فَضْلٌ»[1].

وأيضًا يروي الكُليني، بإسنادِه، عن بريد بن معاوية، عن أحدهما عليهما السلام [هكذا كُتبَت] فِي قَولِ الله عزَ وجَل: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأويلَه إلاّ اللّهَ والرّاسِخونَ فِي العِلم**﴾[آل عمران:٧]، «فَرَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أفْضَلُ الرّاسِخِينَ فِي العِلم، قَدْ عَلّمَهُ الله عزّ وَجلّ جِمِيع مَا أنزِلَ عَليه مِنَ التنزِيل والتّأوِيل، ومَا كَانَ الله لِيُنَزّلَ عَليهِ شَيئَاً لَمْ يُعَلِّمْهُ تَأويلَه، وأوصِيَاؤه مِن بَعدِهِ يَعلمُونَهُ كُلّه، والذينَ لا يَعْلَمُونَ تَأويلَه، إذَا قَال العَالِمُ فِيهِم بِعلم، فَأجَابَهُم الله بقوله: ﴿**يَقُولُونَ آمنّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رِبّنا**﴾، والقُرآنُ خَاصّ، وعَامٌّ، ومُحْكَمٌ، ومُتَشَابَه، ونَاسِخٌ، ومَنْسُوخٌ، فَالرّاسِخُونَ فِي العِلمِ يَعْلَمُونَه»[2].

نعم! فأفضَال العلوم ليست شرطاً أنْ نجدها عند عُلماء وأئمّة أهل البيت عليهم السلام، ولا يُمتنعُ توفّرها عند أهل الهمّة منهم وعلوّ البَاع في النّظر، وسابقاً كانَ الأئمّة زيد بن عَلي، وجعفر بن محمّد، والقاسم بن إبراهيم، والهادي إلىٰ الحق، وأحمد بن يحيىٰ المرتضىٰ لهم في هذه الفُنون استنباطات يصلُح أنْ تكون نواةً للباحثين يَنطلقوا منها لو كان هُناك من يهتمّ بعلوم العترَة المحمديّة .

الأمر التّاسع : وبه تنفردُ الزيدية أنّك كباحثٍ لنْ تستطيعَ أنْ تَقِفَ علىٰ عقيدة سادات بني الحسَن والحُسين بقوّة وتظافُر من روايات الأبناء قريبي العَهد والنّسب كما ستجدُ

(١) أصول الكَافي.

(٢) أصول الكافي للكليني.

ذلك عند أئمّة الزيدية، ثم لن تجدَ اهتماماً بإجماع أهل البيت وبالاحتجاج بـه كـما سـتجدهُ عند أئمّة أهل البيت الزيدية، ثمّ لنْ تجد أسانيدَ عاليَـة تـصل الخَلـف بالـسّلف مـن بنـي فاطمَة كما ستجدها عندَ أئمّة أهل البيت الزيدية، وهُنا سـأذكُر لُمعـاً مـن أقـوالِهم عليهم السلام في حجيّة قوله، وفي حجيّة إجماعهِم، وبه أنهي الجواب على المسألَة، فمن ذلك :

١- قال الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام، وقد سُئِلَ إنّكم [يا بني فاطمَة] تختلفـون، فقـال عليه السلام : «إنّا نختلفُ ونجتمع، ولن يجمَعنا الله عل ضلالَة» [١] .

٢- قال الإمام جَعفر بن محمّد عليه السلام : «سَمعتُ عَمّي زَيد بن عَـلي، وكَـانَ بـالقُرآنِ عَالِـاً، قَالَ: «قَال الله تعَالَى: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الزُّخرُف:٢٨]، قَال: نَحنُ العَقِب وفِينَا الكَلِمَة، وَلَو ضَلَّت الأمّـة بأسرِهَـا لَم يُوجَـد الحـقُّ إلاَّ مَعَنـا وفِينَا»[٢].

٣- قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : «إنّـما مَثلُنـا فِي هَـذِه الأمّـة كَـسفِينَة نُوحٍ، وكبَابِ حِطَّة فِي بَني إسرائيل» [٣].

٤- قال الإمام النّاصر الأطروش الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمـر بـن عـلي بـن الحسين بن علي بن أبي طالب (٢٣٥-٣٠٤هـ) إمام طبرستان : «فَسَلُونِي عَنْ جَمِيعِ أَمْرِ دِينِكُمْ وَمَا يُحْيِيكُمْ مِنَ العِلْمِ وَتَفْسِيرِ القُرْآنِ، فَإِنَّا نَحْنُ تَرَاجِمَتُهُ وَأَوْلَى الخَلْقِ بِهِ، وَهُـوَ الذِي قُرِنَ بِنَا وَقُرِنَّا بِهِ، فَقَالَ أبي رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِـهِ لَنْ تَضِلُّوا مِنْ بَعْدِي كِتَابَ الله وَعِـتْرَتِي أَهْـلَ بَيْتِـي» [٤]، روى ذلـك عنـه الإمـام أبـو طالب يحيى بن الحسين الهاروني الحسنيّ عليه السلام.

(١) أمالي الإمام أحمد بن عيسى بن زيد.

(٢) المحيط بالإمامة.

(٣) المحيط بالإمامة.

(٤) تيسير المطالب في أمالي أبي طالب.

٥- قال الإمام النّفس الزكيّة محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت١٤٥هـ) : «إنما يحكم الحاكم بمجهود ما عنده إذا لم يجد أثراً ولا سنة، فانظر في ذلك نظراً بليغاً، ثم تَصَفّح الأحكام، وناظر فيها أهل بيتي، فإنّهم أحكم الناس صغاراً، وأعلمهم كباراً، وهم صفوة الله من خلقه، ومعدن العلم» [١].

٦- قال الإمام زيد بن عَلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام : «فاختلافُنا لكُم رحمَة، فإذا نحن أجمعنَا على أمرٍ لم يكُن للنّاس أنْ يَعدوه» [٢] .

٧- قال الإمام الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام : «فَنَحْنُ مَعَ الكِتَابِ، فَنَحْنُ مَعَ الكِتَابِ وَالْكِتَابُ مَعَنَا لاَ نُفَارِقُهُ حَتَّى نَرِدَ عَلَى رَسُوْلِ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله وسلم، حُجَّةً مِنَ اللَّـهِ عَلَى هَذَا الخَلْقِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّونَ حُجَّةً عَلَى مَنْ بُعِثُوْا اليْهِمْ»[٣].

٨- قال الإمام زيد بن عَلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام : «وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَن أهل بَيتي، وعَن اختِلافِهِم. فَاعلَم يَرحَمُك اللهّ تعالى أنّ أهلَ بيتي فِيهِم المُصيب، وفِيهِم المُخطئ، غَيرَ أنّه لا تَكونُ هُدَاةُ الأمّة إلاَّ مِنهُم، فَلا يَصْرِفْكَ عَنهُمُ الجاهِلون، ولا يُزَهِّدْكَ فِيهِمُ الذي لا يَعْلمُون، وإذَا رَأيتَ الرّجُلَ مُنصرِفاً عَن هَديِنَا، زَاهداً في عِلمِنَا، رَاغباً عن مَوَدّتِنَا، فَقَد ضَلَّ ولا شَكّ عَن الحق، وَهُوَ مِنَ المبطِلين الضّالين، وإذَا ضَلّ النّاس عن الحق، لَم تَكن الهُدَاةُ إلاَّ مِنَّا، فَهَذَا قَولِي يَرْحَمُكَ الله تعالى فِي أهلِ بَيتي» [٤].

٩- وقال الإمام زيد بن عَلي عليه السلام مُتكلِّما عن أولئك الذين لا ينظرونَ إلى سادات أهل البيت عليهم السلام، ولا يأبَهونَ بِهِم، إلاّ إذا اتّبعوا مَسلَكهُم، ومَشرَبَهُم، وكأنّهم المتبوعون وسادات الآل الأتباع، والله المُستعان، فيقول الإمام زيد عليه السلام: «وَقَد رأيتَ مَا وَقَعَ

(١) إعلام الأعلام بأدلة الأحكام.

(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام زيدبن علي عليه السلام.

(٣) أمالي المرشد بالله الاثنينية للإمام يحيى بن الحسين الشجري الحسني عليه السلام.

(٤) مجموع كتب ورسائل الإمام زيدبن علي عليه السلام.

النّاسُ فِيهِ مِنَ الاختلاف، تَبرّأوا مِنْ بَعضِهِم، وتَأوّلوا القُرآن بِرأيِهِم علىٰ أهْوائِهِم، واعْتَقَدَتْ كُلّ فِرقَةٍ مِنهُم هَوىٰ، ثمّ تَولّوا عَليه، وتَأوّلوا القُرآن علىٰ رأيِهِم ذَلك، بِخِلافِ مَا تَأوّلَهُ عليه غَيرُهم، ثمّ بَرِئ بَعْضُهُم مِنْ بَعْض، وكُلّهم يَزعم فيما يُزَيَّنُ لَهُ أنّه عَلىٰ هُدىً فِي رَأيِهِ وتَأوُّلِه، وأنَّ مَنْ خَالَفَه علىٰ ضَلالَةٍ أو كُفْرٍ أو شِرْك، لابُدَّ لكلّ أهل هوىً مِنهُم أنْ يَقولوا بَعض ذَلك، وكلّ أهل هوىٰ مِن أهل هِذه القِبلة يَزعمون أنّهم أولَىٰ النّاس بالنبي ﷺ، وأعْلَمهُم بالكتَاب الذي جَاء بِه، وأنّهم أحقّ النّاس بكلّ آيَةٍ ذَكَر الله فيهَا صَفْوَةً أو حَبْوَةً، أو هُدىً لأمّة محمّد ﷺ، وكُلّهم يَزعُمُ أنّ مَن خَالَفَهُم ـ فِي رأيِهِم وتَأويلِهِم ـ مِن أهل بَيتِ نَبيّهم بَرِئوا مِنه، وأنَّ أهلَ بيت نَبيّهِم لَنْ يَهتَدُوا إلاَّ بِمُتَابَعَتِهِم إيّاهُم!!»[1].

نعم! وبهذا القول الأخير لإمامنا الأعظَم زيد بن عَلي عليه السلام أختمُ الكلام هُنا، وهُو لوحدِه يصلُح أنْ يكون جواباً علىٰ أصل السّؤال، ولكن قد كان منا الجهد في التبيين بتدرّج يسهلُ معه التمييز، والله نسألُ التّوفيق لنَا ولكُم وللمسلمين، والحقّ لا يتأثّر بكثرةٍ ولا قلّة، والحمدلله، والصّلاة والسّلام علىٰ سيّدنا محمّد وآله .

وكتبه: الشّريف أبو الحسن الرّسي، غفر الله له ولوالديه والمؤمنين، آمين، وذلك عن مسألَة الأستاذ (علي السّقاف)، نفعَ الله بِه وبعلمِه .

١٣/ ٧/ ١٤٣٣هـ

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام زيدبن علي عليه السلام.

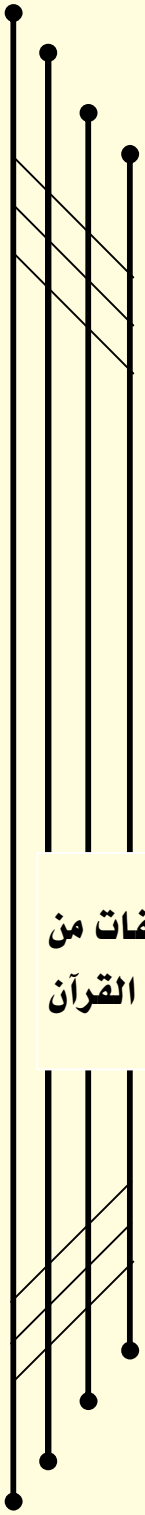

الثالثة والعشرون : نِقاش حول منهجيّة تأصيل الصّفات من مُتشابه القرآن

نِقاش حولَ منهجيّة تأصيل الصّفات مِن مُتشابَه القرآن

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُلله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين، سيدنا محمّد وآله الطّاهرين، نجومُ السّماء وعلامات الاهتداء، ورضوان الله على الصّحابة المتّقين، والتابعين لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدّين .

وبعَد :

فيجدُ القارئُ والباحثُ عن الحقّ في هذه السّطور مُناقشَة حيّة مع أحدِ الإخوَة الأفاضِل من الفرقة السنية وفقّنا الله وإيّاه وإيّاكم للهُدَى والحقّ إنّه على ذلكَ قَدير، وذلكَ حول منهجيّة تأصيل الصّفات من مُتشابَه القرآن الكَريم، ولن أُطيلَ في المقدمّة، ولكن أذكُر خُلاصَة فوائدَه وأبرزَ ما جَاء فيه، ومتى ذكرنَا (إنْ قيلَ)، فهُو خُلاصَة قولِ الآخَر، وإلاّ فإنّ أصل النّقاش في موضعِه كانَ غير مُرتّب فرتّبناهُ هُنا، وكان مُتداخلاً فجمعناهُ جمعاً لا يُخلّ بالمَعنى وافقَ أو خالَف، وكان ابتداء النّقاش بمقدّمات فيها فائدَة إنْ شَاء الله تعالى حول الاتّبَاع.

وتجدرُ الإشارَة إلى أنّ الباحِث سيجدُ المُناقِش قد التزمَ للسلفيّة ببعض التأصيلات التي قد لا يكونُ عليها السلفية، وأنّ نظرَة المُناقِش وفِقهَه لمسألَة الصّفات أكثرُ انفتاحاً من نظريّة السلفية، والعُذر لنَا وله في ذلك أنّه يتكلّم فيمَا يراهُ من فهمِه بعقيدتِه ونحنُ تسايرنَا معَ ذلك، فنبّهنا على ذلك لكَي لا يظنّ ظانّ أنّنا قد أخطأنا تحريرَ عقيدة السلفية هُنا، ونشيرُ إلى أنّ مجرّد مُناقشَة أخينا السّلفي هُنا فإنّه يدخلُ تحتهَا مُجمَل عقيدَة السلفية؛ لأنّه لم يجتهِد كثيراً في الخروج منهَا إلاّ ببعض التّأصيلات، أيضاً ننبّه الباحِث المهتمّ أنّ هذا النّقاش قد تعمّدنا فيه عدَم استخَدام المَنهج الكَلاميّ العَقليّ (عِلم الكَلام)، وإنّما أصلُه مُناقشَة المسألَة من جَهة سياق الآيَات ولغَة العَرب التي نزلَ بها القرآن، وهُو جانبٌ غير مَطروقٌ وغير مُتعسِّر الخروج منه بالقَول الصّحيح إن شَاء الله تعالى، مُقارنةً بالنّقاش

الكَلاميّ العَقلي فلا عُـذر لباحـثٍ أنْ يقـولَ هـذه الزيديـة نفَـت الـصّفات انطلاقـاً مـن فلسفَات وعِلم كَلام مُبتدعَ، فعلى الله نتوكّل:

ذِكر تشنيعِ ابن الجَوزي الحَنبلي،والحِصني الشّافعي على المجسمة الحنابلة:

هذه نصيحَة عالمٍ حنبليّ، عبدالرّحمن بن أبي الحسن التّميمـي القـرشي، المعـروف بـابن الجوزيّ (ت٥٩٧هـ) . نقلَها ويؤكّد مَعنَاهَـا عـالمٌ شـافعيّ، وهـو تقـيّ الـدّين محمـد بـن عبدالمؤمن الحصنيّ الشافعيّ (ت٨٢٩هـ) .

* **قال تقيّ الدّين الحصنيّ الشافعي** : قال أبو الفَرج ابن الجَوزي [الحنبليّ] : « رَأيـتُ مَن تَكلَّم مِن أصحَابِنا -يعني الحنابلة- فِي الأصُول بِـمَا لا يـصلح، وانتـدب للتـصنيف، وهُم ثلاثة : ابن حَامِد، وصِاحبه القَاضِي -يعني أبي يعلَى-، وابن الزّاغوني، صـنّفوا كُتبـا شَانوا بِهَا المذهَب، ورَأيتُهُم قَد نزلُوا إلى مَرتبـة العَـوام، فحمَلـوا الـصِّفات عـلى مُقتـضى الحسّ، فسَمِعُوا أنَّ الله سُبحانَه وتعَالى خَلق آدم عَلى صُورَتِه فَأثبتوا لَه صُورةً وَوجهاً زَائداً عَلى الذّات، وعَينين وفماً ولَهـوات وأضراسًـا ويَـدين، وأصـابعًا وكفّـا وخُنـصُراً وإبهامَـاً وصَدراً وفَخِذاً وسَاقَين وَرِجلَين، وَقالوا: مَا سَمِعنا بِذكر الرّأس، وقالوا: يَجـوز أن يَمـسّ ويُمَسّ، ويُدنِي العَبدَ مِن ذَاتِه، وقال بَعضُهم: وَيَتنفّس، ثمّ إنّهم يُرضُونَ العَوامَّ بِقـولِهم لا كَمَا نعقِل، وقَد أخَذوا بالظّاهِر فِي الأسمَاء وَالصفات فَـسمَّوا الـصِّفات تـسمِيَةً مُبتَدعـة لا دَليل لَهم فِي ذلـك مِـن النّقـل ولا مِـن العَقـل، ولَم يَلتفتـوا إلى النّـصوص الـصّارفة عَـن الظّواهِر إلى المعَانِي الوَاجِبَة لله سُبحانَه وتعَالَى، ولا إلغَاء مَا يُوجِبـه الظّـواهِر مِـن سِـمَات الحدَث، ولَم يَقنَعُوا أنْ يَقولوا صِفَة فِعل حتّى قَالُوا صِفَة ذَات!، ثمّ لمّا أثبَتـوا أنّهـا صِـفات، قالوا: لا نَحمِلُها عَلى مَا تُوجِبُه اللّغَة، مِثل اليَد عَلى النّعمَـة أو القُـدرَة، ولا المجـيء عَـلى مَعنى البِرّ واللّطف، ولا السّاق عَلى الشِّدّة ونَحو ذَلِك، بَل قَالوا: نَحمِلُهَا عَـلى ظَواهِرِهَـا المُتَعَارَف، والظّاهر هُو المعهُود مِن نُعوت الآدَمِيّين، والـشّيء إنّـما يُحمَـل عـلى حَقيقتِـه إذا أمكَن، فإن صَرَف صَارِفٌ حُمِل عَلى المجَاز . وهُم يَتحرّجُون مِـن التّـشبيه، ويَـأنفونَ مِـن إضَافته إليهِم وَيقُولُون : نَحنُ أهل السنة، وكَلامُهم صَريحٌ فِي التّشبيه.

وقد تَبِعَهم خَلقٌ مِن العَوّام عَلى ذَلِك لجهلِهِم ونَقصِ عُقولِهِم وكَفروا تقليداً، وقَد نَصحُت للتّابع والمُتبوع، والله أعلم .

ثمّ قَال [أبو الفرَج الجوزي] لَهم عَلى وَجه التّوبيخ: يَا أصحَابنا أنتم أصحَاب نَقل واتّباع وإمَامُكم الكَبير أحمد بن حنبل يَقول: كيفَ أقول مَا لَم يُقَل ؟!، هَل بَلغَكُم أنّه قال: إنَّ الاستواء مِن صِفَة الذّات المقدّسَة أو صِفَة الفِعل؟! فمِن أين أقدَمتُم عَلى هَذِه الأشياء؟! وهَذا كلّه ابتدَاعٌ قَبيح بِمن يُنكر البدعَة.

ثمّ قُلتم فِي الأحَاديث: تُحمَل عَلى ظَاهِرِها، وظاهرُ القَدم الجَارِحَة، وإنّما يُقال: تُمرّ كمَا جَاءت ولا تُقاسُ بِشيء فَمَنْ قال استوى بِذاته فقد أجرَاهُ مَجرى الحسيّات، وذَلك عَين التّشبيه، فاصرِفوا بالعقول الصَّحيحَة عَنه سُبحانَه مَا لا يَليقُ بِه مِن تَشبيه أو تَجسيم،....، فلا تُدخِلُوا فِي مَذهب هَذا الرّجل الصّالِح السَّلفي أعني الإمَام أحمَد مَا لَيس مِنه، فلقد كَسوتُم هَذا المذهَبَ شَيناً قَبيحاً حتّى صَارَ لا يُقالُ عَن حَنبليٍّ إلاَّ مُجَسِّم،...، وقَد كانَ أبو محمَّدٍ التّمِيميّ [هُو رزق الله بن عبدالوهّاب] يَقول فِي بَعض أئمّتكُم [يُشير إلى القاضي أبي يعلى الفرّاء] : لقَد شَان المذهَب شَيناً قَبيحَاً لا يُغسَلُ إلى يَوم القِيامَة » انتهَى، ومابين المقوفتين [ ] زيادةٌ منّا للتوضيح، وهو منقولٌ من كتاب (دَفع شُبه مَن شبّه وتمرّد)، لتقيّ الدّين الحصني الشّافعي[1].

مُناقشَة أنّ السلفية لا تربط الحقّ بالرّجال،والزيدية تربطُ الحقّ بالرّجال:

وهُنا أخي البَاحث عن الحقّ عدّة تنبيهَات على شبهة أنّ السلفية لا تربطُ الحقّ بالرّجال، وأنّ الزيدية تربطُ الحقّ بالرّجال، منهَا :

التنبيه الأوّل : أنّ السلفية لا تربطُ الحقّ بأشخاص الرّجال، هُو في أصل القاعدَة المدوّنةَ عند السلفيّة صحيح فهُم يقولون: إنّهم يعتمدون الكتاب والسنّة، ولكن عندما

(١) وانظُر أيضاً [دفعُ شبُه التّشبيه بأكفّ التنزيه لابن الجَوزي:٨٠، بتحقيق السيد حسن السقاف، ط٣، دار الإمام النووي] .

يأتي التّطبيق يقولون: نحن نعتمدُ كلام السّلف الصّالح -يعنون بهِ كبار التّابعين، وتابعيهم-، ومسألة الاعتماد على الصّحابة مسألة يتنازعُها أهل المَذاهب.

نعم! فيجعلونَ كلامَ هؤلاء حاكماً على معاني الكتاب والسنّة، فبفهمِ هؤلاء السّلف فَهِمَ السلفيّة الكتاب والسنّة، فالمحصّلَة أخي البِاحث، أنّ الزيدية قالت مُباشرةً باعتماد الطّرف الثّالث الموصِل إلى الكتاب والسنّة (أهل البيت)، ولكنّ السلفيّة قالت بذلك بطريق غير مباشر؛ لأنّي لو سألتُك الآن : كيفَ آخذ بالكتاب والسنّة ؟! هَل من كُتب القاضي عبد الجبّار؟!، أم من كتب أبي الحسن الأشعريّ، عُمدَة الأشاعرة؟! أم من كتب الإباضيّة ؟!، فما سيكونُ جوابُك ؟!، حتماً ستقولُ من طريق السّلف الصّالح المرضيّ طريقتهُم وعقيدتهُم والمعروف عنهُم حسن الاتّباع، إذاً عُدنا إلى ضرورة وجود طرفٍ ثالث يُوصِل إلى علوم الكتاب والسنّة.

فإن قُلتَ : ولكنّ المُشكِل الجوهريّ هُنا أنّ السلفيّة لا تجعلُ الحقّ مُرتبطاً بكلامِ واحدٍ من هؤلاء السّلف من كبار التابعين وتابعيهِم، والزيدية تجعل الحقّ مرتبطاً بكلام أشخاص أهل البيت هؤلاء.

قلنا : هذا كلامُ الجعفرية من الشيعة، فأمّا كلام الزيدية فإنّ الحقّ مُرتبطٌ بما أجمعَ عليه أهل البيت عليهم السلام، لا أنّ كلام الواحد منهم حجّة، وهذا في أئمّة الزيدية عدَا أصحاب الكساء، وهذا فواضحٌ وجهه بحمد الله تَعالى، ونزيدُ في البيَان أنّ للحقّ والوقوف عَليه في أصول الدّين على قول الزيدية ثلاثُ طُرق مُستقلّة مُؤدّاها ونتيجتهُا واحِدة، فأوّل الطّرق: العَقل الفطريّ السّليم المبني على النّظر الصّحيح فيصلُ صاحبُه إلى الحقّ بإذن الله تعالَى، وثاني الطّرق: كتابُ الله تعالَى فمن تدبّره وأمعنَ النّظر فيه بمقدّمات التدبّر الصّحيحَة وصلَ إلى الحَق بتوفيقِ الله تعالى، وثالثُ الطّرق: إجماعُ أهل البيت سادات بني الحسَن والحُسين فإنّه يُوصل إلى الحقّ بفضل الله تعالَى.

فهذه الثّلاث الطّرق قواطعُ لا تتعارضُ ونتيجتهُا واحِدة، فإن اختلفَت العُقول في النّظر، والأفهَام في التدبّر للكتاب، فإنّ إجماع أهل البيت وأئمّتهم المُبيِّنون للحقّ موجودٌ

وموجودون على مرّ الأزمَان، فمن اتّبع أهل البيت فقَد تعقّـلَ وتـدبَّر، والتعقّـل والتـدبّر واجبةٌ عليه لِكَي لا يكونَ مُقلِّداً، فالإجماعُ الفاطميّ لُطفٌ إلهيّ ورحمَـة بالعبـاد، فخرجنَـا بذلك عن تقليدِ الرّجال مُطلقاً، أو بلا مُستنَد شَرعيّ، فتقليدُنا لرسول الله ﷺ لا ينطبقُ عَليه شناعَة تقليدِ الرّجال مُطلقاً؛ لأنّ تقليدَه واتّبَاعه مُستندٌ أتى به الـشّرع وأوجبَـه، ﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة:١٣٣]، فكذلك أهل البيت عليهم السلام لَمن اتّبعَهُم، مـع ضرورَة تـشديدَنا عـلى عـدم التّقليـد الأعمَـى لأجل التثبّت والتيقّن والوصول إلى الخوف والخـشيَة والمعرفَـة التامّـة بـالله تعـالى، فإنّـه بالمعرفَة به يكونُ تنزيهُ، وتنزيهُه يقودُ إلى تعظيمِـه، وتعظيمُـه يـؤّدي إلى إجلالِـه وحُـسن عبادتِه بيقينٍ وتقوىً وصِدق، فلذلك كَانت معرفَة الله تعالى رأس العُلوم، ولن يتأتّى هـذا كلّه بالتّقليد الأعمَى، والحمدُ لله، وسنأتي عـلى كلامِنـا الأخـير بأسـلوبٍ آخَـر في التنّبيـه التّالي.

التنبيه الثّاني : إنّ الطّرف الثالث اللازم لمعرفة الحقّ من الكتـاب والـسنّة، -الطّـرف المُوصِل إلى الكتاب والسنّة-، هُو طرفٌ أشارَ إليه رسول الله ﷺ، وحثّ على اتّباعـه في حديث الثّقلين وغيره من الأحاديث، كالسّفينة، والنّجوم، فللزيدية مُـستندٌ شرعـيّ عـلى اعتماد هذا الطّرف كطرفٍ مُوصِل إلى الكتاب والسنّة، فأمّا السلفيّة فإنّه لا مستندَ لهُم على اختـصاص سـلفِهم ومـا أجمعـوا عليـهِ بـالحقّ والإيـصالِ إلى الكتـاب والـسنّة؛ لأنّـه لا اختصاص لهُم بالفَهم الصّحيح دوناً عن الأشاعرة وسلفِهم، وعن الإباضـيّة وسـلفِهم، فهذا دقيقَة تنبّه لهَـا، فالزيديـة عنـدما قـدّمت إجماعـات أهـل البيـت عليهم السلام، وأقـوالهم في المسائل، فإنّها ما قصدَت أنّ غيرهَم لن يكونَ عالِـماً ولا يـستحقّ أنْ يكـونَ عالمـاً، ولكنّهـا قيّدت علِمَ العالِم صحّةً وبُطلاناً بالعرض عـلى كتـاب الله تعـالى وسـنّة رسـول الله ﷺ وإجماع أهل البيت، فإنْ وافقَ كانَ علمُ ذلك العالِم حجّة بيننا وبين الله تعالى، لّما كان علمهُ مُطابقاً لعلوم أهل البيت الذي بيّنَ رسول الله ﷺ ملازمَتهم للقرآن؛ لذا تجدُ كثـيراً مـن الزيدية يحتجّون بأقوالِ العلماء من غير أهل البيت من شيعتِهم لّما اسـتنبطوا علـومَهم مـن

علوم أهل البيت ولم يُخالفوا علَيها، ومُصنّفات هؤلاء الشيعة مبسوطَة مشهورَة لدى الزيدية، وهُم ليسوا من بني فاطمَة .

التنبيه الثّالث : إنّكَ قد تقولُ: إنّ للسلفيّة اختصاصٌ بالشريعة المطهّرة، فبقيّة المَذاهِب يرجعونَ إليها في الحديث، وهُم لا يرجعونَ إليهِم، فكان هذا دليلٌ على صحّة قولِنا بأنّهم الطّرف الثالث الصّحيح الإيصالِ إلى علوم الكتاب والسنّة، وإنْ لم ينصّ عليهِم الشّرع، فإن قلتُم بهذا : فاعلموا أنَّ جميع الفرق لديها مصنّفات حديثيّة يروونهاَ عن رسول الله ﷺ، وإنّما زيادَة الفضل في اختصاص بعض الفِرق بكثرَة التّحديث لّما توافرَت لهُم ظروف التّحديث والتّدوين والتصنيف، وغيرهم كالزيدية لم يتوافَر لهُ ذلك لّما كانوا مُشتغلين بالإصلاح والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بدءاً بالإمام زيد بن علي عليه السلام، فالزّيادَة في الرّوايَة فَضل، وفي الخَبر عن رسول الله ﷺ : «هِمّة السُّفهَاء الرِّوايَة، وَهِمّة العُلَمَاء الدِّرَايَة»، وقال مالك بن أنَس لإبنَي أختِه أبي بكر وإسماعيل: «إن أحبَبْتُما أنْ يَنفَعَكُما الله بهذا الشّأن فَأقلاَّ مِنهُ، وتفقّهَا فِيه».

وقال ابن مسَعود رضي الله عنه: «لَيْسَ العِلْمُ بِكَثْرَةِ الرَّوِايَةِ، إِنَّمَا العِلْمُ الخَشْيَةُ»، أيضاً فإنّ أصل طلب الحديث هُو الإسنادُ الصّحيح في أي جانبٍ كان، مع السلفيّة، أو مع الجعفرية، أو معَ الزيدية، ثمّ إنّ نَقَلَة الحديث من المحدّثين كالإمام أحمد، والبخاري، والنّسائي، والإمام مالك، وغيرهِم، هؤلاء ممّن تتنازعُ الطوائفُ عقائدَهُم، ولعلّ أبرز من يُنازعُ في هذا هُم الأشاعرة فإنّهم لا يسلّمون بصحّة اتّباع السلفيّة لأكثر أهل الحديث، وأنّهم خصوصاً الحنابلة قد أتَوا بالعجائب والتّلفيقات عن أئمّة السلف وأوّلهم إمام مذهبِهم، وقد صرّح بذلك من الحنابلة أبو الفرج ابن الجوزيّ في كتابه دَفع شُبه التشبيه، وكذلك الزيدية تُنزّه أئمّة المذاهب الأربعَة بعموم من القول بالتشبيه والجبر، فالقول باختصاص السلفيّة لأجل نقلهم لأحاديث الرّسول ﷺ بأنْ يكونوا طرفاً صحيح الإيصال لعلوم الكتاب والسنّة، هو إطلاق ترجيحيّ لا يعدوه، فالمسألَة أخي الباحث دين، والدّين لله وللرّسول، فإنْ أمروا بشيء وصحّ وظهَر كانَ هُو اللازمُ، وهُو الغالب على أيِّ ترجيح .

إلزَام للمُخالِف واختبَارُ له في منهجيّة تأصيلِه للصّفات الإلهيّة :

هُنا أخي البَاحث سنضعُ ثلاثَة أحاديثَ صحيحَة يلتزمُ الآخَر صحّتها، ثمّ يُسألُ عَن وجهها وكيفَ يتم تأصيل الصّفات منهَا :

الحديثُ الأوّل :

- رَوى أبو داود، بإسناده، عن أبي هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَجُلًا أتى النبي ﷺ بِجَارِيَةٍ سَوْدَاءَ، فقالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَلَيَّ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً فقال لها: «**أَيْنَ الله فَأَشَارَتْ إلى السَّمَاءِ بِأُصْبُعِهَا**. فقال لها: فَمَنْ أنا؟! فَأَشَارَتْ إلى النبي وَإِلَى السَّمَاءِ يعني أنت رسول اللَّهِ، فقال: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» (١) .

المطلوب :

- **الصفَة الظّاهرَة من الحديث** : أنّ الله تعالى في السّماء .
- **ما هُو نوعُ هذه الصّفَة** : (حقيقيّة، أم، مجازيّة) ..... ؟!
- **ما هي حقيقَة الكينونَة من الله في السّماء** : (ذاتيّة، أم، غير ذاتيّة) .....؟!.
- **ما معنى (إمرار الصّفة كمَا جاءَت)** في هذا الحديث : .....؟!.
- **ماذا تستفيد من الحديث بعموم** : .....؟!.

(١) سنن أبي داود:٣/ ٢٣٠.

الحديثُ الثّاني :

- رَوىٰ البُخاري، بإسناده، عَن عبد اللَّـهِ بن عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ ، رَأَىٰ بُـصَاقًا في جِدَارِ القِبْلَةِ، فَحَكَّهُ ثُمَّ أَقْبَلَ علىٰ النّاس، فقال: «إذا كَان أحَدكم يُصَلِّي فلا يَبْصُقُ قِبَـلَ وَجْهِهِ، **فإنَّ اللَّـهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صَلَّى** . [1].

المطلوب :

- الصفَة الظّاهرَة من الحديث : أنّ الله تعالىٰ يكونُ قِبَل وجه المُصلّي .
- ما هُو نوعُ هذه الصّفَة : (حقيقيّة، أم، مجازيّة) .....؟!
- ما هي حقيقَة الكينونَة من الله قِبَل وَجه المصلّي : (ذاتيّة، أم، غير ذاتيّة).....؟!
- ما معنىٰ (إمرار الصّفة كمَا جاءَت) في هذا الحديث : .....؟!
- ماذا تستفيد مِن لفظَة (فإنَّ اللَّـهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صَلَّى)، في الدّلالَـة علىٰ أصـل موضـوع الحديث (عدم البصق في الصلاة):.....؟!

(١) صحيح البخاري:١/ ١٥٩.

الحديثُ الثّالث :

- رَوىٰ مسلم، بإسناده، عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّـهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّـهَ عز وجل يقول يوم القِيَامَةِ: يا بن آدَمَ مَرِضْتُ فلم تَعُدْنِي، قال: يا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟!، قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فلم تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ **لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ** . يا بن آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فلم تطعمني قال: يا رَبِّ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فلم تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلك عِنْدِي، يا بن آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فلم تَسْقِنِي، قال: يا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ، قال: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فلم تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذلك عِنْدِي» [1] .

المطلوب :

- الصفَة الظّاهرَة من الحديث : أنّ الله تعالىٰ يكونُ عندَ المريض .
- ما هُو نوعُ هذه الصّفَة : (حقيقيّة، أم، مجازيّة) .....؟!
- ما هي حقيقَة الكينونَة من الله عند المريض : (ذاتيّة، أم، غير ذاتيّة).....؟!
- ما معنىٰ (إمرار الصّفة كمَا جاءَت) في هذا الحديث : .....؟!
- ماذا تستفيد مِن لفظَة (أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ)، في الدّلالَة علىٰ أصل موضوع الحديث (عيادة المريض):.....؟!

سؤالٌ : ما هُو الفرقُ بين الصّفَة وبين الجِسم ؟! .

سؤالٌ آخَر : اليَد الحقيقيّة (التي لا تُكيّف ولا تشبّه ولا تمثّل ولا تعطّل، والتي حقيقتُها الله هُو العالمُ بهَا، وبهَا خلقَ الله آدَم) : هَل هِي صفَة، أم جسم؟ .

(١) صحيح مسلم:٤/ ١٩٩٠.

بيان التّناقض في أصل منهجيّة السلفيّة في تأصيل الصّفات من الأحاديث الثّلاثة السّابقة:

أولاً : ما جاءَ من الجَواب في الثلاثة الأحاديث بخصوص سؤالِنا : «عن الصّفَة الظّاهرَة من الأحادِيث» .

١ – من الحديث الأوّل : قول الجاريَة : «أَيْنَ الله فَأَشَارَتْ إلى السَّمَاءِ بِأُصْبُعِهَا» .

– في هذا الحديث أخذاً بظاهِره، وبإمرار الصّفة كما جاءَت، إثبات صِفَة العلو والكَون الفوقي لله تعالى، أيْ أنّ الله تعالى فوق السّماء، ولا تَعنون بالفوقيّه والعلويّة الصفَة المكانيّة، ولكن تُطلقونَ هذه الصّفَة هكذا ولا تكيّفونَها أو تحدّدونَها، وذلكَ أخذاً بظاهِر الحديث الدّال على أنّ الله في السّماء، وحرف الـ (في) في اللغة يأتي بمعنى الاستعلاء، يعني فوق .

٢– من الحديث الثّاني : قول الرّسول ﷺ : «إذا كَان أحَدكم يُصَلِّي فلا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، فإنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صَلَّى» .

– في هذا الحديث أخذاً بظاهِره، وبإمرار الصّفة كما جاءَت، إثباتُ صفِة الكون السّفلي، أيْ أنّ الله تعالى يكون قِبَل وجه المُصلِّي في حالِ الصّلاة، وهذه الصّفة لا يلزمُ منهَا المكانيّة أو التّحديد، ولا تكيّفونَها،وذلكَ أخذاً بظاهِر الحديث الدّال على أنّ الله تعالى يكونُ قِبَل وجه المُصلّي إذا صلّى.

٣– من الحديث الثّالث : قول الرّسول ﷺ : «قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فلم تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ» .

– في هذا الحديث أخذاً بظاهِره، وبإمرار الصّفة كما جاءَت، إثبات صفَة الكون السّفلي، أيْ أنّ الله تعالى يكون عندَ المريض، وهذه الصّفة لا يلزمُ منها المكانيّة ولا التّحديد، ولا تُكيّفونَها، وذلكَ أخذاً بظاهِر الحديث الدّال على أنّ الله تعالى يكونُ عندَ المريض .

التّناقض في أصلِ القاعدَة :

– من الأحاديث الثّلاثة السّابقَة، فإنّه يلزمُ السّلفي أن يُؤمنَ بهذه الصّفات في حقّ الله تَعالى من الأحاديث الصّحيحة مُتلازمَة، فيكونُ الله تعالى فوق السّماء (كون علويّ)، ويكونُ في نفس الوقت أمام وجه المصلّي (كون سُفليّ)، ويكون أيضاً عندَ المَريض (كون سُفليّ)، وهذا فأهل البيت عليهم السلام، أئمّة الزيدية، يُنزّهون كتاب الله تَعالى، وسنّة رسولهِ صلى الله عليه وآله وسلم عن الإتيانِ بهذه المفاهِيم التي تقربُ إلى الألغاز والأحاجي، ولا يُفهَمُ منها شيء في تأصيل رسالات الأنبياء ولا مغازي كلامهِم، فهربَ السلفيّ إلى إثبات المعنى الحقيقيّ الذّاتي لصفات العلوّ الفوقيّ، واليد، والعين، هرباً من التفويض بمعاني هذه الإطلاقات، وقالوا إنّ السبب في ذلك : هُو أنّ كلام الله تعالى معلومةٌ معانيه فنُثبتُ لها معانٍ حقيقيّة ذاتيّة هي اليد، والعين، والقدم، ولا نكيّف هذه الصّفات، فبالعلّة نفسها التي احتجّ بها السلفيّة على المفوّضة نُحاججُهم في إثبات صَفة الكون العلوي والكون السّفلي في نفس الوقت من ظاهر الأحاديث، فهذا من كلامِ الأحاجي والألغاز قلتُم به هرباً من تأويل ظاهر الصّفة وصرفها عن معناها الأصليّ الظّاهر نهائياً، فوقعتُم في الأحاجي والألغاز التي عبتُم لأجلِها المفوّضَة.

– **إن قلُتم** : لا يلزَمُنا من قول الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا كَان أحَدكم يُصَلِّي فلا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، فإنَّ اللَّـهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صَلَّى»، أن نُطبّق قاعِدَتنا في إثبات صِفات الله تَعالى أخذاً بالظّاهر، وإمراراً للصّفات كما جاءَت، لا يلزمُنا من هذا الحديث ذلك، فهو لا يتكّلم عن أي صفَة لله تَعالى .

قُلنا : هذه مُكابرَة عوارُها ظاهِر، فإنّ فيها إثبات صفَة الكَون الإلهيّ أمام المصلّي، وحالُها في استنباط الصّفة كحالِ الحديث الأولّ من إشارَة الجاريَة إلى أنّ الله في السّماء، فعلى قولِكم في هذا الحديث –حديث كون الله أمام المُصلّي– وأنّه لا يفيد صفَة ظاهرَة، فإنّ حديث الجاريَة أيضاً لا يفيد صفَة ظاهرَة، وهذا بعيدٌ عنُكم وليس يقولُه أهل التّحقيق منُكم، فالصّفة الإلهيّة ظاهرَة منه، فلم يبقَ أمامَكم إلاّ أن تقولوا فيه ما أثبتموهُ

من حديث الجاريَة، وكون الله الفوقي على السّماء، فتقولوا في هذا الحديث بالكون السّفلي وأنّه أمام المصلّي إذا صلّى، أو يكونُ أمامَكم أنْ تُؤوّلوا معناه وتصرفونَه عن ظاهِر الصّفَة بالكون السّفلي، فتقولون المعني بذلكِ احترام القِبلَة والصّلاة، فإن قلُت بالتأويل بهذا المعنى: لزمَكُم مثلَه في حديث الجارية، فيكون معنى إشارتها إلى السّماء ليسَت دليلاً على الكون الفوقيّ وإنّما دليلٌ على أنّ أمر الله تعالى ومملكَة حُكمه وتدبيرِه في السّماء .

ثانياً : ما جاءَ من الجَواب في الثلاثة الأحاديث بخصوص سؤالِنا : «عن نوع الصّفَة الظّاهرَة من الأحادِيث، هل هي حقيقيّة، أم مجازيّة؟» .

١ – من الحديث الأوّل : قول الجاريَة : «أَيْنَ الله فَأَشَارَتْ إلى السَّمَاءِ بِأُصْبُعِهَا» .

– اللازمُ للسلفيّة هُنا أنْ يقولوا أنّ كونَ الله تعالى في السّماء هُو صفَة حقيقيّة، لا تُكيَّف، ولا تُشبّه، ولا تُمثَّل، والمَعنى من قولِهم (حقيقيّة)، هُو أنّ هذا الكَون الفوقيّ على السّماء واقعٌ ليسَ بمجَهول، وحقيقَة وقوعِه هذا لا نكيّفُه ولا نمثّله، وهذا نظيرُ قول المفوّضة بإطلاق معنى الفوقيّة ثمّ هُم لا يؤصِّلون معناها الحقيقيّ بالعلويّة الحقيقيّة على السّماء أو غيرِها من المعاني، فقال ابن تيمية : هذا من ضروب الأحاجي والألغاز، فهذه الإطلاقات لها معاني حقيقيّة واقعَة قائمة بهَا، فالعلو الفوقي في حقّ الله تعالى واقعٌ في الفَوق على السّماء على الحقيقَة ولكن بما لا يلزمَ المَكان والتكييف والتّمثيل . خُلاصَته : من حديث الجارية أنّ صفَة الكون الفوقيّ على السّماء صفَة حقيقيّة واقعَة معلومَة المعاني، مجهولة التكييف، والتمّثيل، لا يلزمُ منها الجهَة، والتحيّز؟! .

٢– من الحديث الثّاني : قول الرّسول ﷺ : «إذا كَان أحَدكم يُصَلِّي فلا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، فإنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صَلَّى» .

– هُنا يلزمُ السلفيّة إطلاقُ الصّفة (الحقيقيّة)، على كون الله تَعالى السّفلي أمام وجه المصلّي، تماماً كما قالوا به في حديث الجاريَة، وأنّه معنىً حقيقيّ واقعٌ عند التّطبيق، ليسَ معناهُ مجهولاً، بل هُو معنى حقيقيّ قائمٌ بالذّات الإلهيّة في ذلك الكون أمام وجه المصلّي، ولا يلزمُ منه التّحديد، أو الجهَة، أو التكييف .

٣- من الحديث الثّالث : قول الرّسول ﷺ : «قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْـدِي فُلَانًـا مَـرِضَ فلم تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ» .

- هُنا يلزمُ السلفيّة إطلاقُ الصّفة (الحقيقيّة)، على كون الله تَعالى السّفلي عندَ المريض، تماماً كما قالوا به في حديث الجاريَة، وأنّه معنىً حقيقـيّ واقـعٌ عنـد التّطبيـق، لـيسَ معنـاهُ مجهولاً، بل هُو معنى حقيقيّ قائمٌ بالذّات الإلهيّة في ذلك الكون عنـد المـريض، ولا يلـزمُ منه التّحديد، أو الجهَة، أو التكييف .

التّناقض في أصلِ القاعدَة :

- من الأحاديث الثّلاثة السّابقَة فإنّه يلَزم السلفي أنْ تكون صِـفات الله تعـالى، التـي وجب علينَا إمرارُها كما جاءَت، يلزمُه أنْ تكون جميعُهـا حقيقيّـة المَعـاني، لا مجهولَـة، ولا مجازيّة، فليزمُ منه أنْ تكون صفَة الكون الفوقيّ من الحديث الأوّل، حديث الجاريَة صفَة حقيقيّة على أرض الواقِع، وكذلك من الحديث الثّاني، بالكون السّفلي، أمام وجه المـصلّي فيلزمُ منها أن تكون صفةً حقيقيّة المعنى على أرض الواقع، وكذلك من الحـديث الثّالـث من الكون السّفلي من الله عند المريض، فيلزمُ أن تكون هذه الصّفة صـفةً حقيقيّـة المَعنـى عند التطبيق على الواقِع .

نعم! وهذا أخي الباحث على أصول أئمّة الزيديـة، مُنتـفٍ ولا يـصحّ؛ لأنّ الـصّفات الحقيقيّة المعاني هذه قائمةٌ بذاتٍ واحِدَة، ومعانيها مُختلفَة ومُتـضادّة، فمنهـا مـا هُـو صـفةٌ حقيقيّة لمعنى الكون العلوي في السّماء، ومنَها ما هُو صفة حقيقيّـة لمعنـى الكـون الـسفلي أمام وجه المصلّي، ومنَها ما هُو صفَة حقيقيّة لمعنى الكون السّفلي عنـدَ المـريض، وهـذا لا تقومُ به ذاتٌ واحِدَة بالمعنى الحقيقي، وإنّما تقوم به بالمعنى المجازيّ، فيكونُ أمرُ الله تعـالى وتدبيره وملائكته في السّماء، ويكون قَبوله ورحمته أمام المـصلّي، ويكـونُ مغفرتـه وقَبولـه عند المريض، فأمّا إثبات الصّفات الحقيقيّة المعاني من ظاهر الصّفات ثمّ يُقال بعـد ذلـك بلا تشبيه ولا تمثيل فهذا تناقُضٌ ظاهِر .

ثالثاً : ما جاءَ من الجَواب في الثلاثة الأحاديث بخصوص سؤالِنا : «عن حقيقَة الكينونَة الإلهيّة هل هي ذاتيّة أم غير ذاتيّة؟» .

١ – من الحديث الأوّل : قول الجاريَة : «أَيْنَ الله ؟ فَأَشَارَتْ إلى السَّمَاءِ بِأُصْبُعِهَا» .

– اللازمُ للسلفيّة هُنا أنهم يقولون: إنّ الله تعالى في السّماء بذاتِه، ثمّ هُم يقولون: إنّ هذا بكيفيّة لا نعلمُها، ولا نشبّهها، ولا نمثّلها، فالله سبحانه وتعالى على أصول السلفيّة أخذاً بظاهر الأحاديث، وإمراراً للصّفات كما جاءت، في السّماء بذاتِه، غير محدود، ولا متحيّز، فالله تعال من حديث الجارية في السّماء بذاتِه، ولِمَن أشكَل عليه المقصَد هُنا، فهُو كقولِنا: فلانٌ أتى بنفسِه، أيْ أتى بذاتِه، فالمعنى من قول السلفيّة من حديث الجارية أنّ الله تعالى بذاتِه في السّماء، ثمّ يقولون: إنّه لا يلزمُ من ذلك تكييف هذا الكون الإلهيّ في السّماء، أو أنْ يُمثّل أو يُشبّه .

٢– من الحديث الثّاني : قول الرّسول ﷺ : «إذا كَان أحَدكم يُصَلِّي فلا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، فإنَّ اللَّـهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صَلَّى» .

– هُنا يلزمُ السلفيّة أنْ يكونَ الله تعالى في الكون السّفلي أمام وجه المُصلّي من الحديث الصحيح بذاتِه الإلهيّة، كما قالوا في حديث الجارية من أنّه سبحانه وتعالى في السماء بذاته الإلهيّة .

٣– من الحديث الثّالث : قول الرّسول ﷺ : «قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فلم تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ» .

– هُنا يلزمُ السلفيّة أن يكونَ الله تعالى في الكون السّلفي عند كلّ مريض من الحديث الصحيح بذاتِه الإلهيّة، كما قالوا في حديث الجارية من أنّه سبحانه وتعالى في السماء بذاته الإلهيّة .

التّناقض في أصلِ القاعدَة :

– من الأحاديث الثّلاثة السّابقَة، على أصول السلفيّة فإنّ الله تعالى يكونُ بذاتِه الإلهيّة في الكون الفوقيّ في السماء، وفي نفس الوقت يكون بذاتِه الإلهيّة في الكون السّفلي أمام كلّ مصلّي –ونحن أمّة المليار المسلِم–، وفي نفس الوقت أيضاً يكون بذاتِه الإلهيّة عند كل مريض –والمرضى بالعَدد كُثر–، فعلى هذا الأصلِ والقاعِدَة تكون الذّات الواحدَة مُتعدّدة، أو مُقسَّمَة، تعالى الله تعالى عن ذلك.

إن قيل : تعدّد الكون في حقّ الذّات الإلهيّة في نفس الوقت كما شرحتُم، غير ممُتنعٌ على القوانين الأُخرويّة، وإنّما هُو ممتنعٌ على القوانين الحسيّة الدنيويّة، فليس تُقاس القوانين الحسيّة الدنيّويّة على القوانين الأُخرويّة، فإنّ هذا غير ممتنعٌ في العالَمِ الإلهيّ أن يكونَ الله بذاتِه الواحِدة في أكثر من كَون، فيكون بذاتِه عند المريض الفلاني، ويكون في نفس الوقت بذاتِه عند المريض الآخَر، ويكون بذاتِه في نفس الوقت عند المصلّي في المغرب، ويكون بذاته عند المصلّي في المشرق، ويكون بذاته في ذلك الوقت في السّماء، هذا غير ممُتنعٌ إذا أسقطَنا القوانين الحسيّة الدنيويّة العقليّة .

قُلنا : ما الجأكُم إلى هذا إلاّ تأصيلُكم الباطل الذي بنيتُم عليه قولَكم في مسألَة الصّفات، فجرّدتم آيات الله تعالى، وأحاديث رسول الله ﷺ، عن المعاني التي لأجلِهَا نزلَتْ، تبييناً، وترغيباً، وترهيباً، وأخذاً بالمتشابَه، وإعراضاً عن المُحكَم، بهذه الأوهَام والتحّقيقات المُتناقضَة التي لا مخرجَ لكُم منهَا إلاّ بهذا الجواب حول القوانين الحسيّة الدنيويّة والأخرويّة، فأمّا أصحابُكم من المفوّضة فقد فطَنوا إلى شناعَة مؤدّى هذا القَول فكانوا أحسنَ منكُم بقولِهم بتجريد الصّفات عن الحقائق لّما عَلمُوا أنّها ستؤدّي إلى المتناقضات وتراكب المستحيلات، فأخبرونَا على أصل قاعدتكُم في المسألَة وما ستنزلونَه من القوانين الحسيّة الدنيويّة عن التطبيق، فيمَا رواه مسلم في صحيحه، أنّ رسول الله ﷺ، قال : «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ على مَنَابِرَ من نُورٍ عن يَمِينِ الرحمن عز وجل وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»، وما رواهُ مسلم، أنّ رسول الله ﷺ، قال: «يَطْوِي الله عز وجل السَّمَاوَاتِ

يوم القِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بيده اليُمْنَى ثُمَّ يقول: أنا المَلِكُ أَيْنَ الجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يقول: أنا المَلِكُ أَيْنَ الجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟».

ففي الحديث الأوّل الصفّة الحقيقيّة الذاتيّة أنّ لله تعالى يَدَان وكلتاهُما يمَين، وفي الحديث الثّاني أنّ لله تعالى يدٌ شِمَال، فانُظر أخي الباحث على أصلِ قاعدتِهم بالأخذ بالظّاهر من الحديث تحجيراً للعقل وللغَة العَرب، قالوا: إنّ قوانين الله تعالى الحسيّة في الآخرَة ليسَت مثل القوانين في الدّنيا، لذلكَ فإنّ المقصود بشمال الله في الحديث الثّاني هي اليَد اليَمين؛ لأنّه في القوانين الحسيّة الأخروية يُصبحُ اسم يد الله تعالى الشّمال، يُصبح اسمُها اليَد اليَمين!، وهذا مأثورٌ عن الشّيخ صالح الفوزَان من المُعاصرين.

رابعاً: ما جاءَ من الجَواب في الثلاثة الأحاديث بخصوص سؤالِنا : «عن ماهية الاستفادَة من إطلاق الأحاديث ؟» .

٢- من الحديث الثّاني : قول الرّسول ﷺ : «إذا كَان أحَدكم يُصَلِّي فلا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، فإنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صَلَّى» .

- اللازمُ للسلفيّة هُنا ألاّ يفقَهوُا ما معَنى قولِ الرّسول ﷺ : «فإنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صَلَّى»؛ لأنّهم يعتبرونَ هذه الجزئيّة من الحديث النّبوي جزئيةٌ غير معلومَة الكَيف، ولا التّمثيل، وأنّها تعني حقيقية المَعنى في الصّفة الذّاتيّة لله تعالى من أنّه يكون قِبل وجه المصلّي، ولا يُعبّر عنَها بالمَجاز في المَعنى، فيُقال: إنّ المعني بذلك هُو احترَام القبلَة، وأنّه موضعٌ لَقبول الأعَمال، والمغفرَة والرّحمَة؛ لأنّهم لو قالوا بهذا المعنى المجازي فقد صرفُوا ظاهِرَ الصّفة عن معناها الحقيقيّ، فبذلِكَ يظهرُ لكَ أخي الباحث عن الحقّ أنّ السلفيّة جرّدت الآيات والأحاديث عن الأسباب التي لأجلَها أطلقَها الله والرّسول ﷺ، فهذا الحديث ما قالَه رسول الله ﷺ وهُو يُريدُ أن يُخبر النّاس أنّ لله تعالى ذاتاً حقيقيّة واقعَة أمام وجه المصلّين، غير مكيّفَة، ولا مشبَّهَة ومُمثَّلَة، وإنّما أرادَ الرّسول ﷺ أن ينهَى المصلّين عن البَصق في موضع سجودهِم وصلاتِهم، وأنّه موضعٌ الله يحترمُه، فواجبٌ احترامُه وتنزيهُه عن البُصاق، فهؤلاء إخوة البحث حمّلوا قول الله والرّسول أكثر ممّا يحتملُه بهذه القاعدَة في الصّفات، والله المُستعان .

٣- من الحديث الثّالث : قول الرّسول ﷺ : «قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فلم تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ» .

- اللازمُ للسلفيّة هُنا ألاّ يفقَهوُا ما معَنى قولِ الرّسول ﷺ : «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ»؛ لأنّهم يعتبرونَ هذه الجزئيّة من الحديث النّبوي جزئيةٌ غير معلومَة الكَيف، ولا التّمثيل، وأنّها تعني حقيقية المَعنى في الصّفة الذّاتيّة لله تعالى من أنّه يكون عند المريض، فلا يقولون بالمَعنى المجازي الذي لأجلِه أطلقَ الله سبحانه وتعالى مثلُ هذا القَول، فالله تعالى لا يُريدُ أنْ يُخبر عبادَه بأنّه واجبٌ عليه أنْ يعودوا المريض؛ لأنّهم سيجدونَه بذاتِه عندَ المريض، ولكنّ المُراد من أنّ المكلّفين لو زاروا المريض لوَجدوا رحمَة الله تعالى وقَبولَه عند زيارتِهم للمريض، والله المُستعان.

مُناقشَة اختلاف قوانين العالَم الحسّي الدّنيويّ عَن العالَم الغَيبي الأُخرويّ:

إن قيلَ : صِفَاتُ الله سُبحانه وتعالى هِي صِفات الله، ومُرتبِطَة بذَات الله عزّ وجل، ثمّ هِي مِن ضِمنِ العَالَمَ الغَيبِي الخَارِج عَن مُشاهدَة ومُعَاينَة البَشَر فمِنَ الطّبيعِي بَل هُو الوَاجب على السلفيّة وعَلى كلّ العُقلاء أنْ لا يُدخِلُوا القَوانين الحسيّة الماديّة في مسَائل الصِّفَات، وأنتم للأسف تُقْحِمُون قَوانين العَالَمَ الحسّي في مَسائل صِفات الله عزّ وجل، وعلى هَذه القوانين اتهمتم العَقيدَة السلفيّة بالتّناقُض فبأيّ حَقٍّ جَاز لَكُم ذَلك؟!.

قُلنَا : يا أخي السّائل بَارك الله فِيك، في أي كِتابٍ وسنّة وشرعٍ نبويّ، تُؤصِّلونَ من قول الرّسول ﷺ : «إذا كَان أَحَدكم يُصَلِّي فلا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، فإنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صَلَّى»، قاعدةً في الصّفات، وتُثبتونَ منه صفةً لازمَةً لله تعالى تكونُ تابعةً للعالَم الأخرويّ دوناً عن العالم الحسّي الدنيويّ، هذا موطنُ الخلاف لو تمّ تحريرُه . الصّحابي حَبر الأمّة عبدالله بن عبّاس رضوان الله عليهَما، عندما فسّر قول الله تَعالى : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ [القلم:٤٢]، قال: معناه : «هُو الأمرُ الشَّدِيدُ المُفظع مِن الهَول يَوم

القِيامَة»[1] والسلفيّة حشرَتْ صفاتاً لله تعالى من هذه الآية، فقالَت: لله ساق ليسَت كالسّيقَان! وفرّعَت فقالت: هي ليسَت بجسم تبعاً للذات الإلهيّة حيث أنّ الذّات ليسَت بجسِم، ثم قالَت: وهذا لا يقتضي المكان والتحيّز فقوانين العالم الأخرويّ ليست كالقوانين العقليّة في العالم الحسّي الدنيويّ، السّؤال: لماذا كلّ هذا الزّيادة والابتداع في الدّين؟!، لماذا لَمْ ننظُر إلى سِياق الكلام وما يُريدُ الله والرّسول أن يُثبتوا للمكلّفين ويُعلّموهُم من خلالِه؟

نعم! كذلكَ نقول في قول الرّسول ﷺ : «إذا كَان أحَدكم يُصَلِّي فلا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، فإنَّ اللَّـهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صَلَّى»، ماذا أرادَ الرّسول ﷺ أنْ يُعلِّم المُصلّي من هذا القَول ؟!، وقد سبقَ وأنْ سألنَا هذا السّؤال فقُلنَا : ما تستفيد من لفظَة (إذا كَان أحَدكم يُصَلِّي فلا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، فإنَّ اللَّـهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صَلَّى)، فقلتُم: نستفيدُ منه (أنّ الله قِبل وجهِ المُصلِّي) !.

نعم! ثمّ إنّ الكَلام في أصلِه وناتجِه حول اختلافِ قوانين العالَم الحسّي عن الغَيبي ليسَ مُهمّاً عندِي في ثمرتِه هُنا أو بتقنينِه وضبطِه، وإنّما الكلام هُو في إنزالكُم هذه الصّفات أخذاً بالظّاهر على الله تَعالى وإقحامُها في هذه القاعِدَة، وهي لا تَحتملُها من نُصوص الكِتاب والسنّة المحمديّة الصّحيحَة، وتأتي أهميّة مُناقشَة هذا عندَ الكَلام على المسألَة من الجَانب العَقليّ، ونحنُ هُنا نتكلّم عن منهجيّة السلفيّة في تأصيل آيات الصّفات من نصوصُ الكِتاب والسنّة ومن لغَة العَرب (الجانب النّقلي)، وقد أشرنَا إلى هذا في المقدّمَة.

مُناقشَة تأصيل السلفيّة العلوّ الحقيقيّ من قولِه تعالى : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[الأعلى:١]**:**

فنقولُ: أمّا قول الله تعالى : ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ [الأعلى:١]، فإنّ صفة العلو تعني العظمَة والقُدرَة من السّياق، لا أنّ الآيَة جاءت تُخبرُ أنّ الله تعالى عالٍ بذاتِه في

(١) تفسير الطبري:٢٩/ ٣٨.

السّماء مثلاً، بدلالَة ما ألحقَه الله تعالى مما يدلّ عليه بقولِه : ﴿**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾ [الأعلى:٢-٣]، فإنّ (الأعلَى) في الآية يدلّ على العظَمة والقُدرَة بدليل ما احتجّ الله له بسردِ ما يدلّ على القُدرَة والخَلق العَظيم، فقال : ﴿**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾ [الأعلى: ٢، ٣]، فهذه الآية نظيرة لقول الله تعالى : ﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ**﴾ [الواقعة:٧٤]، فلا ندري لِمَ التّحجير في الاستنباط من الآيَة بخلاف ما يقتضيها السّياق، فيُستنبطُ أمرٌ ثانٍ، وهُو العلو الذّاتي الحقيقي للذات الإلهيّة، والآيَة ما أراد الله بها إلاّ أنْ تُثبتَ صفَة العظمَة والقُدرَة لله، تماما كقول الله تَعالى: ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى، قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى**﴾ [طه:٦٧-٦٨]، فهل إطلاق لفظة (الأعلى) من سياق الآية يدلّ على أنّ موسَى عالٍ بذاتِه على فرعون والسّحرَة، أم أنّ السياق يعني أنّ موسى هُو القاهرُ بالحجّة والمحجّة على أولئك السّحرَة، فما تعيبونَهُ علينا أخوتنا السلفيّة لَو قُلنا: إنّ الآية القريبة تدلّ على أنّ موسى وهو بمجمع السّحرَة، أعلى منهم بذاتِه يعني أنّه فوقَهُم هل ستنكرونَ هذا علينَا ؟!، لا شكّ أنّكم ستنكرونَه، فأنتُم كذلك فعلتُم مع قوله تعالى : ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ [الأعلى: ١]، جعلتُم لفظة (الأعلَى) صفةً ذاتيّة حقيقيّة، والله ما أرادَ بإطلاقِها في السّياق الاّ إخباراً بقدرته وعظمتِه، والحمدلله .

مُناقشَة تأصيل السلفيّة العلوّ الحقيقيّ من قولِه تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] :

فنقولُ: وأمّا قول الله تعالى : ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر:١٠]، فإنّ الكلامَ هُنا أنّا نتّفق وإيّاكم على أنّ ما يَفعلُه جبريل عليه السلام فإنّه يُنسبُ إلى الله تعالى، فيما هُو من أمرِه إلى جبريل، فنقولُ أوحَى جبريل إلى محمد، فيصحّ أن نقول أوحَى الله إلى محمّد، فننسبُ الوحي مُباشرةً إلى الله تعالى، وإن كان بواسِطَة جبريل، وكذلكَ القَول في الآيَة : ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر:١٠]، فإنّ العمَل الصّالح يصعدُ إلى الملائكَة، الحفظة والخزّان والمُفوّضون من الله بتدبير شئون الخلق، فنسبَ الله تعالى الصّعود إليه، وإنْ كان

صّعود الكلِم الطّيب والعَمل هُو إلى المَلائكَة، ثمّ الملائكَة تعرضُ هـذه الأعـمَال عـلى الله سبحانه وتعالى، ﴿**وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ [فاطر:١٠]، أي يُثبِّتُه عن ذلكَ العَبـد ويُثيبُـه عليه، فسياقُ الآيَة في رَفعْ الأعمال إلى الملائكة (**وإليه يصعَد الكلمُ الطّيب**)، وفي عـرضِ الأعمَال على الله (**والعمَل الصّالح يُرفَعُهُ**)، وعرضُ الأعمَال على الله لا يوجَـد دليـلٌ مـن الآيَة أنّه يكونُ في السّماء، **سلّمنا** بقولِكم بأخذ الآية على ظاهرهَا وأنّ الأعـمَال تـصعَد إلى الله بذاتِه، فإنّه واجبُ علـيكُم أنْ تأخـذوا بظـاهِر الآيـة في قولِـه : ﴿**وَالْعَمَـلُ الـصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ [فاطر:١٠]، فالله سيرفَعُ العمَل الصّالح، والرّفع إلى الفَوق حـسب الظّـاهر، كـما كان الصّعود إلى الفَوق حسب الظّاهر، فمَنْ سيرفَعُ الله العمَل إليهِ ليُثبِّتَه . **نعم!** فالظّاهر من الآية وسياقهَا لمنْ تدبّر أنّ هُناك وسيطٌ بين العمَل وبين المُثبِّت للعمَل، وهُـم الملائكَـة الذين تصعدُ إليهِم الأعمَال، ثم هُم يعرضونَها على الله فيرفعُ بمعنى يُثبّـت الـصّالح منهَـا ويُثيبُ عليه .

سلّمنا : بقولِكم بأخذ الآية على ظاهرها وأنّ الأعمال تصعَد إلى الله بذاتِه، وليـسَت إلى الملائكَة، فأخبرونَا على قاعدتكم التي في الصّفات في القوانين الأخرويّة واختلافهـا عـن القوانين الدنيويّة الحسيّة، والتي جوّزتم لأجلِهَا أنْ يكونَ الله بذاتِـه في الأرض في الكـون السّفلي أمام كلّ مصلٍّ، وجوّزْتم أنْ يكون الله بذاتِه في نفس الوقت في الكون السّفلي عند كلّ مريض، فإنّ الصعود في قول الله تعالى : ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر:١٠]، قد لا يُقصدُ به صفَة العلوّ في الكون الفوقي، فإنّه قد يكونُ المَقصود بـه الـصّعود إلى الكـون السّفلي للذات الإلهيّة وهي عند كل مريض، أو أمَام كلّ مصلّي . **إن قلـتُم**: هـذا لا يـصحّ فالصّعود يكون من الأسفَل إلى الأعلَى، لا مِنَ الأسـفَل إلى مُحاذاتـه، أو مـن الأسـفَل إلى ماهُو أسفَل منه. **قُلنا**: على قولِكم العام في القوانين الأُخرويّـة والدّنيويّـة فـإنّ هـذا غـير مُتنِع؛ لأنّ القوانين الأُخرويّة لا تُقاس بعالَمِنا المحسوس، فلا يصحّ لكُـم أنْ تُثبتـوا صـفَة الكون الفوقي من لفظَة (الـصّعود) مـن الآيَـة؛ لأنّهـا قـد تحتمـلُ معنـىً آخَـر، هـذا هُـو التّحجير، فتنبّهوا هداناَ الله وإيّاكم.

مُناقشَة تأصيل السلفيّة العلوّ الحقيقيّ من قولِه تعالى : ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:٥٥]:

فنقولُ: وأمّا قول الله تعالى : **﴿إِذْ قَالَ اللَّـهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾** [آل عمران:٥٥]، فإنّ الكلامَ على سياق الآيَة : **﴿إِذْ قَالَ اللَّـهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الذِينَ كَفَرُواْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾** [آل عمران:٥٥].

فاليهود أخزاهُم الله أرادوا أنْ يذلّوا ويُهينوا عيسى عليه السلام ومَن معَه من الحواريين والمؤمنين، فأرادوُا أمَرين: الأمر الأوّل: أنْ يذلّوا عيسى عليه السلام ويُهينوهُ بالعذاب ثمّ بالقَتل. والأمر الثّاني الذي أرادَه اليهود : هُو إهانَة أتباعِه من الحواريين والمؤمنين.

فجاء الله سبحانه وتعالى بهذه الآيَة يُفخِّمُ أمرَ عيسى وأصحابَه، فتناولَت الآيَة الأمرَين اللَّذَين تواطئَتْ عليها بنو إسرائيل، فأمّا ما يخصّ إهانَتهم لعيسى عليه السلام فإنّ الله تَعالى قال : **﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ الَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذِينَ كَفَرُواْ﴾** [آل عمران:٥٥]، أي رافُعُكَ ومُقرِّبُك ومُطهِّرُكَ من هؤلاء اليهود إلى مكانٍ أطهَر وأشرَف، وهي السّماء، فقوله تعالى: **﴿إِلَيَّ﴾**، زيادَة في التّشريف والتفخيم للمكان الذي سيرفعُ الله إليه عيسَى عليه السلام، لا أنّ هذه الآية تدلّ على أنّ الله سيرفعُ عيسَى إلى الكون الذي هُو بذاتِه فيه في السّماء، ولو كان هذا هُو المُراد للزمَ السلفيّة أنْ يقولوا بأنّ الله تعالى في السّماء (بين السّماوات) حيث يُقيم عيسى عليه السلام، وهذا فلا يقولونَه ولا يُؤمنونَ به،

نعم! فهذا أخي الباحث من التفخيم الإلهيّ لمنزلَة عيسى عليه السلام، فيُقرّبُه إليه ويرفعُه مكاناً أطهَر من المكان الذي أرادَ به اليهود المكيدَة . ثمّ أخبرَ الله تعالى فيما يخصّ أصحاب عيسى عليه السلام وما أرادَه بهم اليهود من ذلّ وهوان، قال جلّ شأنه: **﴿وَجَاعِلُ الذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الذِينَ كَفَرُواْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ﴾** [آل عمران:٥٥]، فالمُراد أخي الباحث من الآية ككل هُو تنزيهُ وتطهير وتشريف وتفخيم أمر عيسى وأصحابُه، لا أنّ الآيَة جائت تُثبتُ صفاتاً ذاتيّة لله تَعالى، فتدبّر ذلك، وقارنهُ بقول إبراهيم الخَليل عليه السلام : **﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾** [الصافات:٩٩]، فهل ذهبَ إبراهيم عليه السلام إلى ذاتِ الله على الحقيقَة، أم أنّ

إبراهيم عليه السلام كان يُفخِّمُ أمرَ مسيرِه في رضا الله وطلَب هدايتِه، فعبّر عن ذلكَ بمثابَة الذّهاب إلى الله تَعالى، وفي الحديث : «مَن قعد فِي المَسجد فقد زَارَ الله تعالى، وحَقّ عَلى المَزور إكرَام زَائرِه»، فهَل هذا يعني أنّي لو قلتُ: أنا ذاهبٌ لزيارَة الله، وأنا أقصدُ القعود في المسجِد، هَل يلزمُ من هذا إثباتُ صفةٍ لله تعالى وهي الكون السّفلي بذاتِه الحقيقيّة في المسجد ليزورَه النّاس؟! أمْ أنّ هذا تفخيمٌ لأمر الطّاعَة والقعود في المَسجد وأنّها بمثابَة زيارَة الله؟ فهذا من ذاك أخي الباحث في قوله تعالى : ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ [آل عمران:٥٥]، فنسبَ الله تعالى رفعَ عيسى عليه السلام إلى السّماء، كمَن كانَ عندَ الله تفخيماً لشأن عيسى عليه السلام وتطهيراً له من أعدائه الذين غالَوا في العَداوة تعذيباً وتقتيلاً، لا أنّ هذا يدلّ على أنّ هناك صفَة حقيقية ذاتيّة لله من الآيَة تقضي بأنّ الله في الكون العُلوي في السماء، كما أنّه من قول إبراهيم لا يُستنتجُ أنّ لله تعالى ذاتا حقيقيّة هاجرَ إليها إبراهيم، وكذلك من حديث الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم في زيارَة القاعدين في المساجد لله تعالى فإنّها لا تقضي صفةً ذاتيّة حقيقيّة يزورُها القاعدون في المساجد، والله المُستعان . ومنه اعلَم أخي الباحث أنّ هذا الفَهم من الآيات ما تولّد عند السلفيّة إلاّ عندما أخلّوا بواجب ربط معاني الآيات في كتاب الله تعالى ببعضهَا البعض، وقصروا النّظر على بعض السّياق دونَ بعضهِ، وهمّشوا لغَة العَرب وبلاغَتها فلم يَجعلوا لَها تأثيراً في مقاصِد الإطلاق الإلهيّ، قال ابن عبّاس : «إذا خَفِي عَليكُم شَيءٌ مِنَ القُرآنِ فَابتغُوه فِي الشِّعر، فَإنّه دِيوان العَرَب» (١)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد . نعم! هذا ما أحببنا التنويه عليهِ هُنا، والله نسألُ أنْ يعصِمَ ويُسدِّد.

مُناقشَة تأصيل السلفيّة العلوّ الحقيقيّ من قولِه تعالى : ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء﴾[الملك:١٦]:

فنقولُ: وأمّا قول الله تعالى : ﴿**أَأَمِنتُم مَن فِي السَّمَاء**﴾ [المُلك:١٦]، وسياق الآيَة: ﴿**أَأَمِنتُم من فِي السَّمَاء أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**﴾ [المُلك:١٦]،

(١) تفسير ابن أبي حاتم:١٠/ ٣٣٦٦، المستدرك على الصحيحين:٢/ ٥٤٢.

فتوهّمتُم أنّ لله تَعالى صفَةُ العلو الفوقي في السّماء، والحقّ أنّ هذا تمحّل في إثباتِ صفةٍ ذاتيّة إلهيّة لو كانَ الله يُريدُ إثباتَ مثلِهَا لطفحَ بها القرآن صراحةً، فهذا استنباطٌ لا يصحّ من الآيَة، وسأخبرُكَ ما يُقنِعُكَ أخي السّلفي إنْ أنتَ تزوّدَت بالإنصاف، فقول الله تَعالى: ﴿**أَأَمِنتُم من فِي السَّمَاء**﴾، معناهُ: أأمنتُم مَن أمرهُ وسلطانُه وملائكة عذابِه في السّماء أنْ يأمُرهُم بإنزال العَذاب فيخسِفَ بكُم، هذه بلاغَة القرآن في الاختصار في الألفاظ بما لا يُخلّ بالفَهم عندَ مَنْ تدبّر وتفّهم، وأخذَ العِلم من أهلِه، ومعلومٌ أنّ لله سبحانَه وتعالى ملائكةً للعذاب موكولون بتنفيذ أوامر الله تَعالى بإنزالِ العذاب على مَن يستحقّ وهُم في السّماء، ودليلٌ على قولِنا القريب: قولُ الله تَعالى في حقّ أبي جَهل: ﴿**فَلْيَدْعُ نَادِيَه**﴾، أي فليدُع جماعَته وعصبَته، فقال تَعالى: ﴿**سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ**﴾، أي سنأمُر الزّبانيَة ملائكَة العذاب أن يكَفوا رسول الله ﷺ أبا جَهل وجماعَته، فملائكَة العذاب بهِم يُعذّبُ الله تعالى، وعليه قول الله تعالى: ﴿**أَأَمِنتُم من فِي السَّمَاء**﴾، أي أأمنتُم مَن في السّماء قُدرته وملائكَة عذابِه أنْ يأمُرَهُم فيخسفُوا بكمُ الأرض. سلّمنا بأنّ المعنى من الآية ﴿**أَأَمِنتُم من فِي السَّمَاء**﴾، حسب ظاهِرها أنّ لله تعالى ذاتاً حقيقيّة في السّماء في الكون الفوقي، فإنّكم تقولون بأنّ الله تعالى في نفس الوقت بذاتِه الحقيقيّة في الأرض كونٌ سُفليّ أمام كلّ مصلّي، وعند كلّ مريض من ظاهر الأحاديث الصّحيحة عندَكم والواجبُ عليكم إمرارها كما جاءت وإثبات ظاهر صفاتِهَا، والله يقولُ في الآية: ﴿**أَأَمِنتُم من فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**﴾ [المُلك:١٦]، فيلزمُ من ذلكَ أن يخسِفَ الله بالأرض وهُو في الأرض بذاتِه عند المصلّين والمرضَى، هذا تناقُض وكأنّي بمَن يعلو صوتُه بأنّ قوانين العالَم الأخرويّ ليست كقوانين العالَم الدّنيوي، فعندَها سأقول: ارْحَمْ عَقلَك، فأنتَ مَن تتمحّل في التدّخل في إثباتِ الصّفات من الآيات القرآنيّة بما لاتتحمّلُه ولا تُشيرُ إليه من قريبٍ ولا بَعيد، فتجعلُها أصولاً، وليتَ أنّك تجعلُها احتمالاً وظنّاً والله المُستعَان.

سلّمنا بأنّ المعنى من الآية ﴿**أَأَمِنتُم من فِي السَّمَاء**﴾، حسب ظاهِرها أنّ لله تعالى ذاتاً حقيقيّة في السّماء في الكون الفوقي، وأنّها لا تَعني مَن قُدرتُه ومملكَة حُكمه في السّماء وملائكَة عذابِه، فأخبرونا كيفَ ستُفسّرونَ قولَ الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي**

أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّـهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٠]، ونخصّ قول الله تعالى : **﴿قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم﴾** [الأنفال:٧٠]، هَل الأسرَى من ظاهر الآية بالمعنى الحقيقيّ الذّاتي في أيدي المُسلمين قابضين عليهِم، أو فوقَ أيديهِم، يحملونَهُم حملاً حقيقياً ذاتياً، أم أنّ المَعنى الصّحيح: **﴿قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم﴾**، أي قُل : لِمَن هُو تحتُ رحمتكُم وسُلطانكم ومقدرتُكم من الأسرَى، فلا يترتّب على هذه الآية كوناً حقيقياً ذاتياً في أيدي المسلمين، أو فوقَ أيديهم، من هؤلاء الأسرَى، فكذلك نقول في قول الله تعالى : **﴿أَأَمِنتُم من فِي السَّمَاء﴾**، فإنّه لا يترتّب عليه كوناً حقيقياً ذاتياً من الله تعالى في السّماء، أو فوقها، لّما كانَ المعنى مُتوجّهاً إلى إثبات قُدرَة الله تَعالى على الإتيان بالعذاب على الكافرين، وأسمَى مراتب إثبات القُدرَة هُو أنْ يأمُر الآمرُ غيرَهُ بالإتيان بالعذاب، لا أنْ يأتيَ بهَا بذاتِه، فيكونُ معنى الآية: أأمنتمُ من أمرهُ وملائكَة عذابِه في السّماء أنْ يأمُرَهُم فيُرسل عليكُم حاصباً من العذاب، وهذا فبيّنٌ وجهه ولله الحمد .

مُناقشَة تأصيل السلفيّة العلوّ الحقيقيّ من قولِه تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٩٢]:

فنقولُ: وأمّا قول الله تعالى : **﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾** [الشعراء:١٩٢، ١٩٣]، فما في هذه الآيَة ما يُوحي بالكون الفوقيّ في السماء للذات الإلهيّة، إلاّ أنْ يُتوهَّمَ أنّ معنى قوله تعالى في الآية : **﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ﴾**، أنّ هذا من نزول الأعلى إلى الأسفَل، وليسَ هذا هُو المَعنى في الآيَة، فالتّنزيل في هذه الآية غير النّزول كذا يقوله أهل اللغة وهُو وجهٌ قوي، فقوله تعالى : **﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ﴾**، أي إنّه لكلامُ وبيانُ وحجّة وترتيبُ ربّ العالمين، يعني القرآن، **﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾**، أوحاهُ إلى جبريل عليه السلام فنزلَ به عليك يا محمّد، **﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ﴾** [الشعراء:١٩٤]. فالشّاهد هُنا أنّ (التّنزيل) في هذه الآية ليسَ كالنّزول، قال ابن فارس : «والتنزيل ترتيب الشيء ووضعه منزله» (١)، وقال ابن منظور: «والتّنزيلُ

(١) معجم مقاييس اللغة:٥/ ٤١٧.

أيضاً: التّرتيب»[1]، وعموماً والله يُحب الإنصاف فالقرآن قد يأتي فيه لفظة (التنزيل) بمعنى النّزول، إلاّ أنّ هذه (اللفظة) إذا اقترنت بالله تَعالى، يكونُ المَعنى أمرهُ تعالى للرّوح الأمين بإنزال القرآن والوحي على نبيّنا محمّد ﷺ، وهذا غير مُخالفٍ على سياق الآيات ولغَة العرب تشهدُ له. سلّمنا إنّ التنزيل بمعنى النّزول وأنّه يُنسبُ إلى الله تعالى في حقّ القرآن، فإنّه لا يترتّب عليه إثبات صفةٍ ذاتيّة لله تَعالى يكونُ معها في الكون الفَوقي في السماء؛ لأنّ النّزول على شرطكم الذي شيّدتُم به أصل مسألَة الصّفات والأخذ الحقيقي ليس شرطُه أن يكون من الأعلى إلى الأسفَل كمَا هو الحال في العالم الحسّي الدنيويّ، فقد يكون النّزول من الأسفَل إلى الأعلى باعتبار الذّات الإلهيّة في الكون السّفلي عند المصلّين وعند كل مريض، وسيعضِّدُه قول الله تَعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ**﴾ [الزُّخرُف:٨٤]، فيكونُ على حسب مُعتقدكم في السّماء بذاتِه الحقيقيّة إله حاكم، وفي الأرض بذاتِه الحقيقيّة إله حاكِم.

نعم! فالحقّ في المسألَة إخوةَ البَحث أنّ القرآن نزّلَه الله تَعالى على الرّوح الأمين، والرّوح الأمين نزّله على نبيّنا محمّد ﷺ، وتنزيلُ الله تعالى للقرآن ليسَ إنزالُ فوقٍ وتَحت، وإنّما هُو قذفٌ في رُوح جبريل عليه السلام، وكذا جاءت الأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام، وكذلك تنزيلُ جبريل عليه السلام فإنّه قذفٌ في قلب محمّد ﷺ، أو تحديثٌ له، فأمّا أنْ نُؤصِّلَ من كلمَة (نزول) و (صعود) صفاتاً لله تعالى نجعلُها له ذاتيّةً هكذا تخميناً ورمياً بالظّن، مع اعتقادنا (اعتقاد السلفيّة) بأنّ هذا الفَهم إنّما هُو منطبقٌ على العالم الحسيّ الدنيويّ لمعاني (النزول)، (والصعود)، فإنّنا بهذا قد وقعنَا في المُتناقضَات، نؤمنُ بالكون الفَوقي من لفظة (النّزول)، (والصّعود)، ثمّ نقول بأنّ هذا (النّزول)، (والصّعود) ليسَ بمعناه المعلوم في عالمنا الدّنيوي الحسّي، فقد يكون (لهُ معنىً آخَر)، فنقولُ لهُم على إثرِه فما بالُكم وأنتُم تَجهلون معنى (الصّعود)، و (النّزول) أصلّتم صفاتاً لله تعالى ذاتيّةً حقيقيّة وآليتُم عليهَا وعادَيتُم عبادَ الله، أفلا سكتّم عن هذا التّأصيل والتفصيل وأخذتُم بالمعَنى الظّاهر والمجازيّ الذي اتّفقتُم وأجمعَتم معَ الأمّة عليه؟ والله المُستعان.

---

(١) لسان العرب:١١/ ٦٥٧.

مُناقشَة تأصيل السلفيّة العلوّ الحقيقيّ من قولِه تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]:

فنقولُ: وأمّا قول الله تعالى : **﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِن فَوْقِهِمْ﴾** [النحل:٥٠]، وقوله تعالى: **﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾** [الأنعام:١٨]، فإنّ فيه تقصيرٌ فاحشٌ بأنْ يُستنبَط من هذه الآيات صفاتٌ ذاتيّة لله تعالى والله المُستعان، فكأنّ الله تعالى يُريدُ أنْ يُثبتَ من قوله: **﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم من فَوْقِهِمْ﴾**، أنّه فوقَ عبادِه من الإنس والجنّ والملائكَة والدّواب، والله سُبحانه إنّما أرادَ أنْ يُخبِرَ أنّ عذابَهُ فوقَهُم فُهم يخافُونَ الله تَعالى أنْ يُصيبَهُم بِه، فيكون المَعنى : يخافونَ ربّهم أنْ يُصيبَهُم العذابُ من فوقِهم، فالله فوقَهُم بقوّته وجبروتِه وعذابِه كما قال جلّ شأنه: **﴿وَقَالَ المَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾** [الأعراف:١٢٧]، فإنّما فرعون فوقَهُم بالقَهر والغلبَة والتنكيل، لا أنّه فوقَهُم بذاتِه، والله المُستعان.

هذا ما نُريدُ أن تفقهَه أيّها الباحث فالسلفيّة قد حمّلت آيات الله تعالى أكثر ممّا تحتملُه فاستنبطَت منها صفاتاً لازمَة لمّا تشابَه عليهِم إطلاقُ ظاهِرها بمَا فيه من جزَالة عربيّة، ومُخاطبَةٍ لقومٍ هُم أفصحُ مَن نطقَ بالضّاد، فقالوا زيادةً في الإيمَان نزيدُ على بقيّة النّاس (من الصحابة وكبار التابعين) فنستنبطُ ونفصّل صفات الله من القرآن، فقالوا من قوله تعالى: **﴿بل يداه مبسوطتان﴾** [المائدة:٦٤]، له يدان مبسوطتان، ومن قوله تعالى: **﴿بأعيننا﴾**، له عينان، ومن قوله تعالى : **﴿تنزيل رب العالمين﴾** [الشعراء:١٩٢]، فيه نزول من أعلى أسفل إذاً الله في السماء، ومن قوله: **﴿وهُو القاهرُ فوقَ عبادِه﴾** [الأنعام:١٨]، دليلٌ على أنّه بذاتِه فوقَهُم فيكون في السماء، وهذا والله تمحّل في الاستنباط، ورأيّ وابتداع، فهذه الصّفات التي فصّلوها لله من آيات الكتاب إمّا أنْ يقومَ القرآن بدلالتها بشكلٍ قاطعٍ مُحكمٍ لا يحتملُ التأويل كصفات العلم والقدرَة والغنى والرّحمة وأمثالَها من صفات الله تعالى التي تواترت آيات القرآن على إثباتها لله تعالى، وهذا

لنْ يجدوا له طريقاً من القرآن -نعني وجود أدلّة قطعيّة من القرآن تُثبتُ مُرادَهم من هذه الصّفات وإلحاقها بالله تعالى إلحاقاً حقيقياً ذاتياً-، إلاّ بمجرّد الظنّ والاحتمال من الاستنباط الخاطئ لوجه تنزيل وإطلاق هذه الصّفات، والله المستعان.

فإن قالوا : قد روينا أحاديثَ صحيحة تُعضّد وجه استنباطنا لهذه الصّفات من القرآن، فهناك أحاديث تُبت اليد، والقدم، والسّاق. قُلنا : هذه الآحاديث آحاديّة أم متواترَة قطعيّة . إن قلُتم : آحاديّة ولكنّ تفيد العِلم والقَطع في العقائد وفي إثبات صفات الله تَعالى . قُلنا : إذاً نتّفق وإيّاكم أنّ دلالتكُم من القرآن التي استنبطُتم منها صفات الله تعالى، دلالة ظنّية؛ لأنّها مُحتملَة المَعنى؛ ولأنّ القرآن لم يُصرِّح بها تصريحاً يجعلُنا نقطعُ بصدقِ قولِكم كما صرّح في صفاته الأخرى نعني العلم والقدرة والرّحمة، ونحنُ لن نقبل منكم أي مُزايدَة إلاّ بالقَطع فيما يخصّ كتاب الله تَعالى ولنْ تقدروا إلاّ بابتغاءكم سلّماً إلى السماء، وما أنتم ببالغيها .

نعم! فأمّا أحاديث الصّفات الآحاديّة فلكُم أنْ تختاروا لأنفسكم ما تريدون منهَا وتجعلوها بينَكم وبين الله فتلقَونَه على الظنّ، فأمّا نحنُ فإنّ الظنّ لا يُغني معنا من الحقّ شيئاً، خصوصاً في أصول ديننا، خصوصاً في صفات ربّنا، ثمّ إنّنا سنُنازعُكم ما استنبطتُموه من صفاتٍ لله تعالى من الأحاديث حتى تكونوا أنتُم الرّاجعون فنردّ أصولَها إلى أصول القرآن المُحكمَة، فإنّ كثيراً من الأحاديث الآحاديّة قد تعاملتُم معها بالاستنباط كما تعاملتُم مع القرآن بتحميل النّصوص وسياقاتها أكثر ممّا تحتملُه، فأمّا ما كان من النصوص الحديثيّة ولم يستقِم له تأويل وهُو مخالفٌ لكتاب الله تعالى فإنّه مردود.

نعم! ما سردناهُ هُنا نصيحَة لأهل البَحث والتحرّي فهو وصفٌ والله دقيق لحال السلفيّة في مسألَة الصّفات، فأمّا التفصيل الذي يؤمنون به من صفات الله تعالى قدمًا، ويداً، وعيناً، وساقاً، وعلوّاً في السماء، وأصابعَ، ونواجِذ ولهَوات، فما كان الرّسول ﷺ يُؤمنُ بها ولا بلغَنا عن الصّحابَة أنّهم كانوا يُثبتون ذلك لله تعالى، ولا سلفنا من أهل البيت ومن كبار التابعين، حتّى أصحابُ السلفيّة الحنابلة أنفُسهِم فمنهُم مَن عابَ عليهِم

هذا القَول، فقال ابن الجَوزي الحنبليّ مُخاطباً لهُم : «يَا أصحَابنا أنتم أصحَاب نَقل واتّباع وإمَامُكم الكَبير أحمد بن حنبل يَقول: كيفَ أقول مَا لَم يُقَل ؟!، هَل بَلغَكُم أنّه قال أنَّ الاستواء مِن صِفَة الذّات المقدّسَة أو صِفَة الفِعل؟! فمِن أين أقدَمتُم عَلىٰ هَذِه الأشياء؟! وهَذا كلّه ابتدَاعٌ قَبيح بِمن يُنكر البدعَة»[1]. نعم! وأمّا استنباط هذه العقائد الخطيرَة من الأحاديث الآحاديّة فأمرٌ طارئٌ لا يستقيم، فالشّرع لله وللرسول ﷺ، والحمدلله .

(١) دفع شبه التشبيه:٨٠.

مُناقشَة أنّ الزيدية قالَت بالتّأويل وذلكَ يعَني أنّه ظهرَ لها معنىً حقيقيّ أوجبَ التّأويل:

إن قيل: لَو لَمْ تكن هَذه النصوص الشرعيّة الذي استند إليهَا السلفيّة نُصوصٌ تَدل على الصِّفَات لَمَا أعمَلتُم وأعمَل أهل الكلام عَليها التّأويل، والتّأويل عِندَكُم هُو صَرفُ المعنى الظّاهِر للنّص إلى مَعنىً مَجازي لِعِلَّةٍ تُوجِبُ هَذا الصَّرف، فَكونكم أعمَلتم التّأويل دَلّ هَذا على وجُود دلالة ظاهِرَة فِي النّصُوص عَلى إثبَات الصِّفَات، لكنّكُم أوجَبتم على أنفُسِكُم صَرف المعَاني الظّاهِرَة لِظنّكم أنّ هَذه المعَاني الظّاهِرة تَستلزمُ التّجسيمَ والتّشبيه، وهَذا مَعناه أنّ سَبَبكم الرّئيسي والحقيقِي فِي قَولكم بِتلكَ التّأويلات لَيسَ هُو أنَّ تِلك النّصوص لا عِلاقة لها بصِفَاتٍ أو لا تُثبت صِفَاتاً أو مَا إلى ذلك، بل هُو اعتقادكم أنّ هَذه الصِّفَات تَستلزم التّجسيم، ولكن كما قد مرّ سَابقاً لا يُوجَد لديكم أي دليل على لزوميّة التّجسيم إلاّ بإنزالكُم القَوانين الحسيّة الماديّة الدّنيويّة فِي العَالم الغَيبي.

قُلنَا : باركَ الله فهمَكُم أخي المُعترِض، مَاذهبتُم إليه من الاستدلال على صحّة منهج السلفيّة فيما ذَهَبَتْ إليه في آيات الصّفات، وجعلت أساسه أنّ الزيدية لّما ظهرَ لهَا دلالَة ظاهر تلكَ الآيات عَلى الصّفات الذّاتية الحقيقيّة لله لجأتْ إلى التأويل، فإنّ هذا مبنيّ على أيّ الأقوال ظهَرَتْ في مسألَة الصّفات أولاً، فمَنْ يدرُس مَنهَج الصّحابة وكبار التّابعين، يجدهُم عندما يمرّون على آيات الصّفات فإنّهم يتأوّلونَها حسبَ سياقَاتِهَا ولا يأخذون من معاني الآيات إلاّ معنًى واحِداً فقَط كما قال ابن عبّاس في قوله تعالى : ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ [القلم: ٤٢]، فقال به أو بمعناه وقد نقلناه: هو يوم الشّدة والكرب، وقال رضوان الله عليه : «إذا خَفِي عَليكُم شَيءٌ مِنَ القُرآنِ فَابتغُوه فِي الشِّعر، فَإنّه دِيوان العَرَب»، يحثّ النّاس على تأويل مُتشابَه الآيات لّما أشكلَ عليهِم من لغَة العرب معنى السّاق. فما كان يخطرُ ببالِه أنْ يُثبِتَ صفةً ذاتيّة حقيقية لله اسمهُا (السّاق) . وكذا كان سلفنا نحن الزيدية من أهل البيت عليهم السلام فإنّ المتقدّمين من أهل البيت عليهم السلام، ونخصّ الإمام زيدَ بن عَلي عليه السلام ومَن دونَه فإنّهم كانوا لا يتكلّمون إلاّ بالتأويل لآيات الصّفات بدون إشارَة إلى

منهجِ غيرِهِم (منهج السلفيّة) لمّا كان غير موجودٍ مُنتشرٍ في زمانِهم، بخلافِ مسألَة الجبر والقَدر فقد تكلّموا عنها لمّا كان اشتهارُها في تلك الأعصار معلوماً.

نعم! وبعد تلكَ الحقبَة بدأت تلكَ الأقوال (منهج السلفيّة) تنتشِر، فلمّا زادَوا في الإثبات، زادَ أهل البيت عليهم السلام في الإنكار وإبراز التأويل -لا أنّهم ابتدعُوه فهُو منهج أهل القرن الأوّل، ومنهج سلفِهم الصّالح من أهل البيت وكبار التّابعين-. ثمّ اعلَم أخي الفاضل أنّ منهج المفوّضَة أقدم من منهَج السلفيّة، فقالوا : نُمرّ الصّفات كما جاءَت فلا نُثبتُ لها معانٍ حقيقيّة قائمة بها، فجعلتهُم (السلفيّة) فيما بَعد سلفاً لهُم فزادوا وقالوا: (بل نُثبتُ لها معنىً حقيقياً ذاتياً لنُخرج الكلام عن الألغاز والمعاني التي لا فائدَة منها)، فتجدُ السلفيّة إذا أرادوا أنْ يستكثروا على النّاس بقولِهم النّاجم والحديث الجديد، ويُريدون أن يُوهِموا النّاس بأنّهم مُتّبِعون لا مُبتدعون تجدهُم يسوقون لكَ كلامَ بعض التّابعيين المتقدّمين من القائلين بالتفويض -إمرار الصفات كما جاءت من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه-، فيجعلون هؤلاء لهُم سلفاً في عقيدتهم -التي فصّلوا بها الصفات وجعلوا لها معانٍ حقيقية ذاتيّة قائمة بالله تعالى-، فيحصلُ التلبيس والتّغرير على العامّي، وينجرّ كثيرٌ من الباحثين وراء هذه الدّقيقة فلا يتنبّهونَ لهَا فيقولون: نحنُ نتّبع السّلف الصّالح، وإنّا لَنْ نفَهم الكتاب والسنّة بأفضَل مِن فهَم السّلف الصّالح، والحقّ أنَّ هؤلاء السّلف لو حصلَ وفصّلنا آرائهم ما أصبحَنا إلاّ بقلّة قليلَة من المتأخرين على رأي السلفيّة، والله المستعان.

نعم! وما دامَ أنَّ الكلامَ قد أطلِقَ هُنا، والحديثُ ذو شجون، فنزيدُ في الفائدَة عنْ مُبتدأ قول المفوّضَة، وهُو أنّهم أُتُوا في مسألَة الصّفات من طريق الحديث أكثرَ منه من طريق القرآن، فهُم كانوا على التأويل، فلمّا تكاثرَت عليهِم أحاديث الصفات، كالقدم، واليد، والرجل، والأصابع، والنواجذ، أشكلَ عليهِم الأمر، فالإسناد صحيح، ولا تشريعَ أمامَهُم يتواترُ طريقه عن الصحابة وكبار التّابعين في المسألَة، فاحتاروا بين أنْ يردّوا الأحاديث وبين أن يُثبتوا هذه الصّفات كمعانٍ حقيقية لاحقَة بالله تَعالى، فقالوا

بالتفويض، فقام بعضهُم يربطُ أحاديث الآحاد بما قد يُطابقها في القرآن، فيُفسّر الحَديث الآحَاد بالقُرآن، فجاءَ بعدهم السلفيّة فقلبوا أسلوب الاستدلال، فأصبحُوا يُفسّرون الآيَة بالحديث، ويجعلونَ القرآن الأصل في إثبات الصّفَة والحديثُ شاهِدٌ لهَا، فاختلطَ الحابِل بالنابل، والزيدية بَقِيَتْ على منهَج القُدامى من أهل البيت وكبار التابعين والصحابة تقول بالتأويل، ولا تعتمدُ على الآحاد الظنيّة المُفضيَة إلى الاعتقاد في الذات الإلهيّة بمَا لا يصحّ، فلا نزيدُ في دين الله تعالى ما لَم يردَنا من الكتاب والسنة ولا من طريق إجماع أهل البيت عليهم السلام، والعجيبُ أيّها الباحث أنّ السلفيّ يستميتُ لإثبات صفةٍ ذاتيّة لله تعالى مثل النواجذ مثلاً أو غيرها بما طريقُه الآحَاد.

فإذا قُلنَا له اتّبع أهل البيت لقول الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّي تاركٌ فيكُم ما إنْ تمسّكتم به لن تضلّوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لنْ يفترقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوض»، هذا الحديث مُتواترٌ صريحٌ في الاتّباع لأهل البيت وتقديم أقوالِهم ومنهجِهم، قال: لا، هذا آحاديّ، وإنْ كان صحيحاً، ثمّ إنَّ هذا الحديث يحملُ متناقضات، إلى آخره من الاعتذارات.

فإذا أتى حديثٌ آحاديّ يُثبتُ صفةً جديدة لله تعالى، يحملُ المتناقضات العظيمَة، هبّوا إليه يلتقفونَه، فكانَ شيئاً وافق الهَوى . الله أسألُ ألاّ أكونَ قد كتبتُ هُنا ما يُخالفُ على الحقّ، ولكنّ عُذري -وخطابي لِمَنْ هُو باحثٌ جديرٌ بكلمَة الباحث المُنصِف-، بإنّي بشرٌ أصيبُ وأُخطئ، وإنّي قد عرضتُ لكَ مخاضَ وولادَة الفكر السلفيّ في الصّفات وعليكَ التّبعَة في البَحث، فإنْ وجدتَ خيراً فاتّبع، وإنْ وجدتَ خللاً فسدّ الخَلل، وما هذا بالنّسبَة لي إلاّ نتاج تجربةٍ طويلَة واستقراء دَام سَنوات في كتب أهل الخِلاف والمذاهب في هذه المسألة وغيرها من المسائل، والحمدلله .

مُناقشَة عامّة وهامّة حول منهجيّة تأصيل الصّفات من الآيَات :

إن قيلَ : مِن قولِ الله تعالى ﴿**بَل يداهُ مبسوطتان يُنفقُ كيفَ يشاء**﴾ [المائدة:٦٤]، هل يصحّ أنْ نستنبِطَ من الآيَة أنّ لله تعالى يداً حقيقيّة ذاتيّة ؟!.

قُلنَا : هذه الآيَة لا تدلّ من إطلاقِهَا إلاَّ عَلى الكَرم، دونَ إثبَات اليَد كصفَة حقيقيّة ذاتيّة لله تَعالى؛ لأنّ الله سُبحانه وتعالى أطلقَ الآيَة لردّ قَول اليهود بأنّه بخيل، فردّ عليهم جلّ شأنُه بأنّه كريم، فمعنى السّياق لا يتحمّل غير الرّد على البُخل بالكرَم، فلا يصحّ أنْ يكونَ وجهُ قولِ اليهود أنّ الله بَخيل بِما أجمعَت الأمّة عليه من مقصدهِم هذا، فيردّ الله عليهِم بأنّه كريم، ثمّ يزيدُ في معنى الآية أنّ يديه مُبسوطَتين حقيقةً، وأنّ هذا من صفاتِ الذات، فالآيَة جاءَت تُقرّرُ معنىً واحداً وهُو الكَرم، لمّا كَان اليهود قرّروا معنىً واحداً وهُو البُخل.

إن قيل: من الآيَة ﴿**بَل يداه مبسوطتان**﴾، ألا يصحّ أنْ يكونَ في الآيَة دلالَة على أنّ لله تعالى يَدين مبسوطَتين على الحقيقَة، خصوصاً وأنّ الله تعالى قال: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥]، فالله خلقَ آدَم بيديه .

قُلنَا : لا يصحّ أنْ يُستنبَطَ صفةٌ ذاتيّة إلهيّة كدلالَة موجّهة قطعيّة من سياقٍ لا يدلّ على إثبات هذه الصّفَة، وإنّما يُثبتُ معنىً آخَر، فكذلك قول الله تَعالى : ﴿**بَل يداهُ مَبسُوطتَان**﴾، فإنّه أتى في سياقٍ لا يُقرّر صفَة اليدَين تقريراً موجّهاً قطعيّاً، وإنّما جاء السياق يُقرّر من هذا الإطلاق صفةً مجازيّة وهي الكَرم، فكونُ أنّي أجعلُ من هذه الآيَة دليلاً قطعياً كصفَة ذاتيّة -هي اليَدان المبسوطَة- فهذا لا يصحّ استنباطُه، لمّا كان المقصدُ الإلهيّ من إطلاق السّياق ليسَ إثبات اليَد، وإنّما أطلقُه بمجازِ العَرب ليُعبّر بهِ عن الكرَم، فلا تتحمّل الآيَة أنْ تكون بذاتِهَا دليلاً قطعيّاً على إثبات -اليدين المبسوطَة- لله تَعالى.

فإن قيل: فيكونُ وجه استنباط اليدين منهَا، مُحتملاً وظنّياً يشهدُ له خلقُ الله تعالى لآدم بيديه . **قُلنا** : لايصحّ أنْ تكونَ دليلاً لا ظنيّ ولا قطعيّ، وأحسنُ حالِ المُخالِف في إيمانِه بدلالة الآية على اليدين المبسوطَة أنْ يقولَ عنه هذا القَول -نعني الدلالة المُحتملَة الظنيّة-، فأمّا نحنُ فهي لا تُفيدُ عندنا أي دلالَة على المعنى الحقيقي سواءً كان قطعياً أو ظنّياً؛ لأنّ الله تعالى أطلقَ الآية لا يُريد أنْ يُقرّر منهَا إلاّ معنى واحداً وهُو الكَرم، فلا

نؤصّل من الآيَة معانٍ أخرى تخصّ الذّات الإلهيّة ليسَ طريقُها القَطع والتّوجيه، ولَو أرادَ الله تَعالى مِنّا أنْ نستبطَ من هذه الآيَة صفةً ذاتيّة لهُ لطفحَ القرآن بالسياقات الصّريحَة القطعيّة بذاتِهَا لإبراز هذا المعنى، كما أخبرَ جلّ شأنه صراحَة بصفاتِها الأخرى كالعلم والقدرَة والرّحمة وأمثالِهَا.

نعم! فاللازمُ للسلفيّ على قوَد مذهبِه أنْ يفصِلَ بين الآيَتين، آيَة الكرَم، وآيَة خلق آدَم، فيجعلَ دليل آيَة الكرم مُخصَّصاً لِمَا أرادَ الله منه بإطلاق السياق، ولا يُحمّلها بما لا تحتملُه إلاّ بما موجبُه الظنّ، والظنّ لا يُؤصِّل صفاتاً لله تعالى؛ لأنّ هذه الصفَة (اليَد) وإنْ وجدَ لها السلفيّ ما يُرجّحُ وجهها من القرآن بآيَة خلق آدم، فإنّه لن يجِد ما يُرجّحُ لَهُ ظنّه فيما هُو يخصّ العَين والسّاق (من القرآن)، فلهذا آثرنَا أنْ يلتزِمَ هذه القاعِدَة في عدَم الاعتماد على الاستنباط للصفَات المُحتملَة على قاعدِته، فلا يجعلَها طريقاً لإثبات صفاتٍ قطعيّة حقيقيّة ذاتيّة لاحقَة بالله تعالى، فأمّا نحنُ فلا يكفينا إلاّ ظاهرُ التّنزيل مُحكمُه وما أراد الرّحمنُ إفهامَ العباد بهِ دونَ التمحّل في استنباط ما هُو مُحتمَل بلا طريقٍ قطعيّ يُؤكّدُه.

نعم! فأمّا قولُ الله تَعالى : ﴿**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥]، فإنّ هذه الآيَة هي الأقوى -على قاعدة السلفيّة- في الاستنباط للصفات، دون آية بسط اليَد، فلهُم -على مَذهبهم- أنْ يستنبطوا من هذه الآيَة صفَة اليَد في حقّ الله تعالى لمّا كانَت هي الظّاهرَة من السياق، ولكن ليسَ لهُم أنْ يستنبطُوا صفَة اليَد من آية الكرَم لمّا لم تكن هي الظّاهرة من السياق.

نعم! ثمّ هُنا في هذه الآيَة فإنّ السلفيّة بالخِيار أنْ يقولوا : اليَدان من الآيَة لازمَة لله تعالى كصفَة حقيقية ذاتيّة -وهذا يلزمُهم منُه دليلٌ قطعيّ على أنّها صفَة ذاتيّة غير مُنفصِلَة عن الذات الإلهيّة-، فالآيَة لا تحتملُ ذلك، إلاّ أنْ يقيسوا علاقَة يد الإنسان بارتباطها بذاتِه، فيقولون بمثلِها في الله تَعالى، وهذا نُلزمُهم به بناءً على قاعدتِهم في القوانين الأخرويّة واختلافها عن القوانين الحسيّة الدنيويّة، فإنّ اليدين في العالم الأخرويّ ليسَ من شرطِهَا أنْ تكونَ من ذاتِ الله تعالى لازمَةً لهَا، وقد يكونُ الله نسبَها لَه كنسبَة تملّكٍ

وقُدرَة، كما نسبَ إليهِ إنزال الوحي، والمُنزلُ الحقيقي على نبيّنا محمّد ﷺ هُو جبريل، هذا ليس للتضييق ولكن للتفهيم أنّ السلفيّة استغلّت قاعدَة اختلاف القوانين الأخرويّة عن القوانين الدنيويّة الحسيّة استغلالاً سيئاً في فَهم الصّفات، ولا مجال لهُم من أنْ يجعلوا كلامَنا هذا مُوَجّها وصائباً وإنْ كان فيه تضييقاً، فكلامهُم أيضاً في مسألَة الصّفات بعموم موجّهٌ على خصومهِم وفيه تضييق وتجميد للعَقل تماماً، فكذلكَ نقولُ لهُم في آية خلق الله لآدَم: ما دليلُكم على أنّ اليدين التي خلقَ الله بهَا آدَم لاحقةٌ بالذّات الإلهيّة غيرُ مُنفصلَةٍ عنَها، فتجعلونها صفةً حقيقيّة لازمةً للذات الإلهيّة، ظاهرُ الآيَة وسياقُها، وقولُ الرّسول ﷺ، والصّحابَة لا يدلّ على ذلك -نعني النسبَة الحقيقيّة اللازمَة للذات الإلهيّة-؟.

نعم! ووجهٌ آخَر نقولُ لهُم فيه: ماذا عليُكم لو قلتُم: بقولِ أصحابكم من المفوّضَة وقلتُم هي يدٌ لا نعلمُ حقيقتَها وكُنهَها ؟ وهَل هي لازمةٌ للذات الإلهيّة ؟ أم أنّ الله تعالى يُريدُ بها أمراً آخَر ؟ فتكونون بهَذا قد كفيتُم أنفُسَكم أن تنسبوا لله تعالى من ظاهِر الإطلاق صفةً حقيقية لازمةً لذاتِه الإلهيّة لم تدلّ عليهَا الآيَة بشيءٍ من القَطع سِوى النِسبَة إليه، والنسبَة إليه ليس بالضّرورة إجماعاً أنْ تكون لاحقةً بذاتِه، فتكونُ غير منفصلَة عنهَا.

إنْ قلتُم: كلام المفوّضَة أشبَه بالألغاز والأحاجي، فكيفَ تكون يدٌ ينسبُها الله إليه ولا يكونُ لها معنى حقيقيّ قائمٌ بهَا .

قُلنا: المفوّضَة قد أثبتوا معنى مجازيّ، وهُو إثبات القُدرَة، ثمّ أثبتوا معنى آخَر، وهو اليد في خلق الله، ولكنّهم فوّضوا أمر هذه اليد وحقيقتها إلى الله، فقالوا: لا نعلمُ مالمقصودُ بهَا على التحقيق، فكانوا أقلّ خطراً منكُم لمّا اقتحمتُم خطر إلحاق هذه الصّفات بالذّات الإلهيّة بلا دليلٍ يدلّ على ذلك من ظاهِر الآيَة سوى النسبَة إلى الله، فولجتُم تُزيدون في التّحديد وعدم انفصال تلكَ اليدين عن الله تعالى، وأنّها من صفاتِه اللازمَة له، ولا دليلَ يقولُ بهذا من كتابٍ ولا سنّة وقول أهل العِلم من الصحابة وكبار التّابعين، إلاّ ما قاسَته عُقولُكم مِن ضرورة تعلق ما نسبَه الله إليه من اليدين بذاتِه، وأنّ هذه اليَدين هي من الذّات الإلهيّة لا تنفصلُ عنهَا، وهذا قياساً منكم بالعالم الحسيّ الدنيويّ الذي

تُنكرونَ تدخّله في العالم الأخرويّ لمّا رأيتُم علاقَة يد الإنسان بذاتِه، فقستُم عليها ما أطلقَ الله تعالى من نسبة اليدين إليه، فقلتُ: هي لاحقةٌ بذاتِه.

أطلنَا هُنا بترديد الكلام، رجاء الدّخول للموضوع من أكثر من جانبٍ لحصول التّفهيم، **فالخلاصَة**: أنّ إثبات صفةً ذاتيّة حقيقيّة لازمَة للذات الإلهيّة من آية خلق الله لآدَم أمرٌ زائدٌ لا تحتملُه الآيَة، ولا دليل يقومُ به سوى التخيّل للذات الإلهيّة والتّفصيل والقياس بالمخلوقَات.

نعم! فأمّا نحن الزيدية فأغنَانَا طلبُ القطعيّات عن الولوج في الظنيّات، وأغنتنا لغة العرب التي نزلَ القرآن بهَا عن توهّم ألفاظٍ ظاهرةٍ حقيقيّة -كما تقول السلفيّة- أو غير حقيقيّة -كما تقول المفوّضة- تُنسبُ للذات الإلهيّة لمّا كانَ طريقُ إثباتِها الظنّ والاحتمال من نصوص القرآن، فأخذنَا بما أجمعَت عليه الأمّة من سلفيّة، ومفوّضَة، وأشاعرَة، وشيعَة، وإباضيّة، وهُو إثبات معنى القُدرَة والعظمَة والعزّة من مُحاجّة الله تعالى لإبليس، فأمّا أن نُثبِتَ لله تعالى يداً، وعيناً، وساقاً، بالاحتمال والاستنباط الظنّي فلا طريقَ لذلك، أيضاً نحنُ مُتبّعِين في هذا لصاحب الشريعَة لا مُبتدعين، فالرّسول ﷺ ما قالَ لله يد، ولا عَين، بما طريقُه التواترُ عنه، ولا قرّر هذا المعنى الخاصّ أصحابُه، فأما أنْ تأتي بعض الرّوايات بما يُشارُ فيها إلى العين واليد فإنّها لا تخلو من أنْ تكونَ غير آتيَة لتقرير تلك الصّفَة بعينَها تماماً كآيَة الكرم، وإمّا أنْ تكون آتيَة لتقرير تلك الصّفَة بطريقٍ آحاديّ لا يصمِد ولا يصحّ الاعتماد عليه، ثمّ إنّ لنَا أنّا اعتمدنا على ما تواترَ من سنّة رسول الله ﷺ من الحثّ على اتّباع أهل البيت عليهم السلام، وأهل البيت عليهم السلام مُجمعون على أنّ الله تعالى لا يُوصَفُ باليد الخاصّة، ولا العَين، ولا القَدم، وإنّما يُوصَف بمعاني هذه الصفات المجازيّة التي أطلِقَت في القرآن، لا أنّها تعني معانٍ خاصّة، وما مثلنا ومثل السّلفي أو القائل بالتفويض إلاّ مثل من يقول: واجبٌ عليكُم أن تُثبتوا من قول الله تعالى في حقّ القرآن: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فُصّلَت:٤٢]، أنّ الله أثبتَ أنْ للقرآن يَدين، فواجبٌ عليكم معشر الزيدية أنْ تُثبتوا للقرآن يدَين، فلستُم أدرى من الله بما يصفُ به قُرآنَه.

فنقولُ : يا إخوان، الله أثبتَ أنّ للقرآن يدين بالمعنى الخاصّ المفهوم من اليَدين، أمّ أنّ لهذا الإطلاقِ معنىً آخَر يُريدُ به الله أنّ الباطلَ لا يتخلّل هذا القرآن ولا يشوبُه، فلو أراد الله تعالى منّا أنْ نُؤمنَ أنّ للقرآن يدين بالمعنى الخاصّ غير المجازيّ لما فتر نبيّنا محمّد ﷺ يُنبّه على هذه الصّفَة في حقّ القرآن فيجعُلها خاصّة لازمَة بشكلٍ قاطعٍ لا يحتملُ الظنّ، ولطفحَ القرآن بإثبات هذه الصّفة الخاصّة للقرآن باليدين، وكذلك الصحابَة وأهل البيت لم يُقرّروا من ظاهر الآية أنّه لازمٌ أنْ يكون للقرآن يدين خاصّتين، فما يصمدُ أيّها الباحث إلاّ قولُ أهل العِلم في المسألة من أهل البيت أئمّة الزيدية، ثمّ أخبرُك أخي الباحث أنّ السلفيّة خصوصاً دون المفوّضَة فإنّها سَتُلزِمُنَا من قول الله تعالى : ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ منْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فُصّلَت:٤٢]، بأنْ نقول أنّ للقرآن يدين حقيقيّتين ذاتيةٌ لازمةٌ للقرآن غير مُنفصلَة عنه، وإن كُنّا لا نراهَا في عالمنا الدّنيوي الحسّي فإنّه جائزٌ في العالم الأخروي أنْ يكون القرآن الذي تقرأهُ الآن، جائزٌ أنْ يكونَ له يدين حقيقيّتين[1]، ثمّ هذه اليدان الحقيقيتان ليس لازمُها أنْ تشغل حيّزا ومكاناً وجهةً من الجَهة التي أنتَ فيها؛ لأنّ هذا فيه إنزالٌ للعالَم الحسّي الدنيويّ على العالم الأخروي والله المستعان.

فهذا من ذاكَ أخي الباحث في شأن إطلاق الله تعالى لخلق آدَم، فتوهّموا صفةً لازمةً حقيقيّة، وتوهّمت المفوّضَة صفةً خاصّة، واتّفقوا جميعاً على أنّ الله تعالى كان يُخاطبُ إبليس بهذا الخطاب إظهاراً لقدرتِه وعزّته وكبريائِه بخلقِه لآدم وتشنيعاً على إبليس لّما لم يسجُد لآدَم، وهُو (الله) الخالقُ له لا عَن مثالٍ سابِق، وليسَ بواسطَة المَلائكَة .

مُناقشَة أنّ النّصوص المُتشابهَة قد تحتملُ معنيين حقيقيٌّ ومجَازيّ :

إنْ قيلَ : أنتُم تُحاجّونَ السلفيّة في آيات الصّفات، والآيَة قد تحتملُ مَعنيين، المَعنى الأوّل هُو المَعنى الحقيقيّ، والمَعنى الثّاني هُو المَعنى المَجازيّ، وأنتُم أخذتُم بالمَعنى

(١) ولَو قالوا بهذا لزمهم أن يكون القرآن مَخلوق .

المجازيّ وتركتُم المَعنى الحقيقيّ، كقولِنا : زيدٌ كَثيرُ الرّماد، فهذا الكَلام يُثبتُ مَعنيين، المَعنى الأوّل: أنّ زيداً كَريمٌ، والمَعنى الثّاني: أنّ زيداً له رمادٌ كَثيرٌ على الحَقيقَة، وكذلكَ في آيات القُرآن الكَريم .

قُلنَا : ليسَ هذا الكَلام مُطَّرد عل مذهب السلفيّة، وإنّما هُو نادرٌ أو شاذّ من تقريراتهِم، أعنِي تقريرَ أكثَر من مِعنىً للآيَة بإثبَات المَجاز؛ لأنّ الظّاهر من مذهب السلفيّة إنكَار المَجاز في القرآن الكريم، فكيَف بإثباتِ أكثر من معنىً للآيَات مِن هذا القَبيل؟!، ونُجيبُ على هذا التّساؤل فنقولُ: كونُك أخي المُعترِض تَرى أنّ السّياق الوَاحِد مِثل قول الله تَعالى : ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ [المائدة:٦٤]، يحتملُ مَعنَيَين اثنين، المعنى الأوّل : بإثبات صفَة اليَد الحقيقيّة لله سبحانه وتعَالى، ثمّ هي مَبسوطَة حقيقَة . والمعنى الثاني من الآية : هي عبارَة عن الكرَم والجود . وتمثّلَت لهذا -حمل السّياق على أكثر من معنى-، بقولِهم: (كثير الرّماد)، فهذا الجمُلة تحتملُ معنيين : المَعنى الأوّل: كثرَة الرّمَاد حقيقةً. والثاني: دلالَة على الكَرم.

نعم! فهذا منكم أخي في الله كمَن ينظُر من خُرم صغير في بابٍ كبير يُطلّ على بستانٍ كبير، فلا تكادُ تلحظُ من الحقيقَة شيئاً، وإلاّ فإنّ غيرَك قد يقول (قلبهُ كبير)، فما سيكونُ المَعنى غَير الرّحمة والشّفقَة والتسامُح، وقد يَقول قائلٌ (فلانٌ يدُه نديّة)، وفلانٌ هذا ليسَ لهُ يدٌ فهي مبتورَة، فمَا سيكونُ المَعنى غير الكَرم، ولله المَثل الأعلَى، وسيأتي أمثلةٌ أخرى الزم، فالآيَة أخي في الله لا تحتملُ في إطلاقِهَا إلاّ معنى واحد، وهُو الذي لأجلِه أطلقَ الله السّياق، وأُعطيكَ على هذا أمثِلَة :

١- اليهود قالَت يد الله مغلولَة فمَا رأيُكَ ؟ ماذا كانَت تُريدُ اليهود بهذه الحكايَة بأنّ يد الله مغلولَة؟ هَل كانَت تُريد في إطلاقِهَا مَعنيين، المعنى الأوّل: إثبات يد لله حقيقية مغلولة (مقبوضَة) إلى عُنقِه ؟ والمعنى الثاني : البُخل ؟ أم أنّ المُراد من سياق الكلام

إثبات معنىً واحد وهُو البُخل على الله سبحانه وتعَالى فقَط ؟ وأنّ مَنْ أقحَم قول اليهود معنىً آخَر حقيقيّ في إثبات اليد المغلولَة المقبوضَة إلى العُنق فقد حمّل الآيَة أكثر ممّا تحتملُه واستنبطَ منهَا شاذّاً، قال ابن عبّاس : «لَيسَ يَعنونَ بِذلِكَ أنَّ يَدَ الله مُوثَّقة، ولَكنَّهُم يَقولون: إنّهُ بَخيلٌ أمسَكَ مَا عِندَه» (١).

فكذلكَ أخي السّلفي أطلقَ الله تعالى قولَه : ﴿**بَل يداهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفقُ كيفَ يشَاء**﴾ [المائدة:٦٤]، لا يُريدُ إثباتَ معنىً ثانٍ غَير الكَرم، ولكنّ السلفيّة تستنبطُ من الآيَة صفةً حقيقيّة لازمةً لله تَعالى وهي اليَد المبسوطَة، وهذا ابتداعٌ وأخذٌ بالرأي في كتاب الله تَعالى، الله يُريدُ أنْ يُخبِر ببلاغَة القرآن ومجازيّته التي كانَت تُخاطبُ العرب -أهل اللغة والمَجاز- بأنّه كريمٌ، كما حكَى عن اليهود بالمعنى المجازيّ وصفَهُم لهُ أنّه بخيل بِغَلّ اليَد إلى العُنق، فأخبرَ جلّ شأنَه أنّ يَديه مبسوطَتين، يعني أنّه كريم، كقولنَا فلانٌ يَده مبسوطَة ونديّة، أريدُ أنّه كريم، ولا أريدُ أن أثبِتَ أنْ له يداً مبسوطَة ممدودَة ونديّة رطبَة على الحقيقة .

فائدَة : القَول باحِتَمال سياقات القرآن أكثَر من معنىً، المعنى الأوّل : بالتأوّيل حسب ظاهر السّياق، كتأويل اليد بالنّعمَة والكرَم . والمعنى الثّاني: إثبات صفَة أو هيئَة حقيقيّة مُستنبطَة من ظاهِر الآيَة، هُو طريقٌ ظنّيٌ لإثبات العقائد، خصوصاً وأنّ الأمر عظيمٌ في حقّ الذّات الإلهيّة، وأنّ القَول به إقحامٌ شديد للآيَة بما لا يدلّ عليه سياقُها .

٢- قول الله تعالى : ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ**﴾ [هود:٣٧]، الله يُريدُ أن يُخبرُ نبيّه نوح عليه السلام أنّ يصنعَ الفُلكَ، وأنْ لا يخشَى الكافرين، فإنّه سيكون في عَين الله، يعني في حفظِهِ وحياطَتِه وصيانتِه فلن يضرّه أذى الكافرين، هكذا أنزلَ الله القرآن على محمّد بهذا المَعنى العربي المُبين ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف:٢]، فجَاءت السلفيّة فقالَت : لا، إنّ الآيَة لهَا معنىً

(١) تفسير الطبري:٦/ ٣٠٠.

ثانٍ، وهُو أنّ الله لهُ عَينان، وإن كانَ المعنى العام من الآيَة هُو الحِفظُ والرّعاية من الله لنوح بالمعنى المجازيّ، ولكنّ في هذا دلالَة على أنّ لله عَينَين يُحيطُ نوحاً بهَما ويرعاه!، والله المُستَعان، حُمِّلت الآية بإثبات صفَةٍ ليسَت لها علاقَةٌ بهَا من قريبٍ ولا بَعيد إلا الظّن والابتداع، هذا كلّه على أصل المُخالف من تسميَة العَين واليَد الحقيقيّة صِفات، وإلاّ فإنّها ليسَت كذلك بل هي جوارحٌ وأجسَام.

نعم! لا أُطيل باستحضار آيات الصّفات، فالقَصد التّنبيه بأنّ واجب التّكليف هُو الاحتكام إلى آيات القرآن كما نزلَتْ سياقاتُها مجازيةً كانَت أو حقيقيّة، وللسّبب الذي لأجلِه نزلَت، فأمّا الابتداع بتحميل الآيات صفاتاً، أو أموراً باطنيّة كما يعتقدُه الباطنية، فهذا لايصحّ، ولربّما وجدَ الباطنيّ طريقاً إلى السّلفي من هذه القاعِدَة، وإنْ تغايَرت .

إنْ قيل: فهَل يجوزُ التّعبير عن كرمِ الله تعالى بقولِنَا: (كثيرِ الرَّماد) ؟!.

قُلنَا : بخصوص المَثَل السّائر (كثير الرّماد)، وهَل ينطبقُ على مجاز آيَة بسط اليَد؟ فيكونُ مرادفاً لقولِنا (كرَم الله)، فإنّه مُرادِف، فإن أردتَ أنْ تقولَ: أنّه قد يكونُ مُحتملاً المعنى المجازي من قولِنا (كثير الرّماد)، وقد يكونُ المُراد المعنى الحقيقي (بكثرَة الرّمَاد)، فأقولُ لكَ: هبني رأيتُكُ أخي المُعترِض : تُنفقُ مالاً كثيراً وأنت تسيرُ في الشّارع على الفقراء، فعُدتُ لأصحابي وقلتُ لهُم إنّ ذلكَ الرّجل –أعنيكَ– كثيرُ الرّمَاد، فالظّاهر الحقيقيّ من المَثل، وهُو كثرَة الرّماد لا ينطبقُ عليكَ حالَ الإنفاق، ولا عندَ التّحقيق، وإنّما استخدمتُه في حقّك لمّا كان معناه مشهوراً من لغَة أصحابي العربيّة، وأنّهم سيفهمونَ منهُ أنّكَ كريمٌ . فيأتي شخصٌ ثالِث بَلَغَتْهُ هذه الحكايَة عنّي بعد أسبوع –وأنا غير حاضِر– فيقول لأصحابي أنّ فلاناً –يَعنِيني– بقطعٍ ويقين أرادَ بقولِه (كثير الرّماد)، أرادَ أنّ فُلاناً (أنتَ) له رمادٌ كثير، فمَا أدْرَى هذا الطّرف الثّالث بأنّي أريدُ المعنى الحقيقي من الرّماد الكثير من كلامي في ذلك الموضع بالتّحديد، فحمّل ظاهِر كلامي بالظّن والتخمين مالا يحتملُه فتجرّأ عليَّ وقوّلني مالَم أقُله، –فهذا المعنى في الصّفات الإلهيّة أشدّ، لأنّها أقدَس وأعظَم–، فأنتُم أخي السلفيّ تمثّلونَ ذلك الطّرف الثّالث فتجعلون آيَة (بسط اليد)

معنىً حقيقيًا قطعياً مُوَجّها جاء ليُثبتَ يدَين مُبسوطتَين على الحقيقَة الذاتيّة اللازمَة للذّات الإلهيّة، وليسَ لكُم بهذا علمٌ ولا كتابٌ مُنير .

ثمّ ما رأيكُم أخي المُعترِض، من قولِ الله تَعالى في حقّ القرآن العظيم : ﴿**لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ**﴾ [فُصّلَت:٤٢]، لو قلتُ لكَ: إنّ هذه الآيَة معناها أنّ للقرآن يدَين حقيقيّتين بقطعٍ وجزم وإيمانٍ واعتقَاد، والسيّاق أتى يُقرّر معنىً آخَر، وهُو عدَم مُداخلَة الرّيب والباطِل لهذا الكتاب؟!.

إنْ قيل : كزيادَة توضيحٍ على مِثالكُم القَريب، فإنّ المَعنى الحَقيقي مِن قولِنَا (كثيرُ الرّماد)، غيرُ مُمْتنِع التحقّق، والمُتمثِّل بكثرَة الرَّماد؛ لأنّه لو لم تكُن حقيقَة ذلك القَول يصحّ أنْ تنطبقَ على ذلك الكَريم -كثرَة الرّماد حقيقةً- لما استخدمتُ هذا التّعبير، فتخصيصيّ لهذا المَثَل المُحتمِل للمَعنيين الحقيقيّ والمَجازيّ يدلّ على تأصيلِ المَعنى الحَقيقيّ منه، وكذلك نقولُ في آيات الصّفات في القرآن الكَريم، فكمَا أنّ العَقلَ لم يُنكِر احتمالَ أنْ يكون لذلك الكَريم رمادٌ حقيقيّ، كذلكَ فإنّ العَقل لا يجبُ أنْ يُنكِر المَعنى الحقيقيّ من آيات الصّفات على الله تعالَى من إثبات اليَدين المبسوطَتين من آيَة الكَرم، وإثبات العَين من آيَة الحِفظ، والوَجه والسّاق وغيرهَا من آيات الصّفات، فليسَ للعَقل الحقّ في إسقاطِ الوَجه الحقيقيّ المُحتمَل من الآيَة بإثباتِه للمعنى المجازيّ فقَط الكَرَم، والحِفظ، وغيرهَا؟!.

قُلنَا: بخصُوص ما عقّبتُم عليه مِن توضيحٍ للمثال، فإنّي نظرتُ إليه وجدتهُ غير صحيح المَباني؛ لأنّي وجدتُك تُثبتُ كثرَة الرّماد بالمعنى الحقيقي قياساً بواقِعِك وحال بقيّة النّاس من أنّه لا يُمتنعُ ذلكِ علينَا في المثال، أمّا الله تَعالى فلا يُقاس بشيء ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير**﴾ [الشورى:١١].

نعم! ثمّ إنّه إنْ أشكلَ عليكَ تطبيقُ هذا المَثل (كثير الرّماد) واستشكلَ عليه تطبيقُه، وهو عندي صحيح لو طُبِّقَ جيّداً، فإنّي أذكُر لكَ أمثلَة أخرى هي عندي في الحجّة مثلُ ذلكَ المَثل، فاستنبِط منَها بأمثلةٍ -كالمثال السّابق- أموراً حقيقيّة لازمَة إنْ استطَعتَ،

فمنهَا قولُنا (فلانٌ يَده نديّة) نعني به الكَرم، و (فلانٌ يدهُ من حديد) نعني به البطش والقوّة، وفلانٌ (قلبهُ حجَر) نعني به القسوة، و (الحربّ شمّرت عن ساقِها وكشّرت عن أنيابهَا) نعني اشتدّت وبلَغت أوجَها، و (فلانٌ في عيني) نعني في حفظي ورعايَتي، و (فلانٌ أصابعه ذهبيّة) نعني به المَهارة في الحِرفَة، و (زيدٌ أذُن عمرو) نعني به أنّه السّامع واحِد، فيصلُ عمرو من الخَبر ما يصلُ زَيد، و (زيدٌ عينُ عُمرو) نعني به أنّ المُبصِر واحد، فَيصِلُ عمرو من الخَبر ما يصلُ زَيد، وكذلكَ يقول رسول الله ﷺ: «إنّ اللَّهَ قال مَن عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إليّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إليّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليّ بِالنَّوَافِلِ حتىٰ أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيْءٍ أنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وأنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1]، فلا يلزمُ من هذه الإطلاقَات التي أُطلِقَت لمعاني مجازيّة تعني حفظَ الله تعالىٰ لذلك العَبد، لا يعني أنْ يصحّ تطبيقُها، وأنْ تُنسبَ إلىٰ الله تعالىٰ بالمعَنىٰ الحقيقيّ الذاتي، علمًا بأنّه أخي في الله يوجَد نصوص أخرىٰ قرآنية وحديثيّة -علىٰ مذهبِكم- تُثبتُ لله تعالىٰ العَين والقدم، فعلىٰ قَود كلامَكم الذي تُحاجّونَا فيه في آيَة بسطِ اليدين، فإنّه يصحّ لنَا أنْ نقولَ: -والعياذ بالله- بأنّ يد المؤمن هي يدُ الله علىٰ الحقيقة الذاتيّة لله سبحانه وتعالىٰ، وأنْ رجل المؤمن هي رجلُ الله علىٰ الحقيقة الذاتيّة لله سبحانه وتعالىٰ، وهذا الحديث وإنْ كان معناهُ إثبات حفظ الله للعبد وتوفيقه وتسديده، فإنّه أيضاً يحتملُ أنْ يكون الله تعالىٰ: «يَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها»، ولن تردّ هذا عليّ أخي السّلفي إلاّ بإرجاعي إلىٰ أصل سياق الكلام الذي لأجلِه أطلقَ الله الكلام من الآية أو الحديث القدسيّ، فعندهَا أقولُ لكَ: (هذا ما نُريدُ إفهامَك من آيَة بسط اليدَين) حتىٰ وإنْ كُنتَ ترىٰ أنّ لها شاهداً في مواضعَ أخرىٰ تعتبرها دليلاً علىٰ أنّ لله تعالىٰ يداً، فإنّ سياق الآيَة في الكرم لا يقضي بالحُكم من هذه الآيَة أنّها دليلٌ موجّه قطعيّ لإثبات اليدين المبسوطَة، فكيفَ لو كان دليلُك الخارجيّ مُتشابَه أيضاً غير صامِد، والله المُستعان.

(١) صحيح البخاري:٥/ ٢٣٨٤.

هذا ولو كُنتَ أجبتَ عن سؤال القريب عن المَعنى الذي ستؤصّلِه من قول الله تعالى في حقّ القرآن العظيم : ﴿**لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ**﴾ [فُصِّلَت:٤٢]، لاتّضحَ لكَ مغزى كلامِنا هُنا بالكلّية .

إنْ قيلَ: الذي أنَا عَليه وأظنّك تُوافِقُني، أنّ الأصلَ فِي اللّغَة هُو عَدمُ نَفي المعَاني الظّاهِرَة مِن الكَلام، ويُلجَأ إلى النّفي فِي حَالة وُجود مَانعٍ يَمنَعُ النَّفيَ، وأنَا أدَّعِي أنّ المانعَ الذي يَدّعِيه الزيدية والمعتزلة هُو المانعُ العَقليّ، وقَد سَبقَ بَيَان ضَعفِه وَعَدم صِحَّة الرّكُون إليه.

قُلنَا : لا بَأس أنْ نُعيد التّنبيه هُنا أنّنا في هذا النّقاش قَد أهملنَا الجانِب العَقلي الكَلاميّ تماماً، واحتكمتُ وإيّاك إلى النّصوص ولغَة القرآن وسياقاته، فهذا من مُميّزات النّقاش هُنا، والذي نسألُ الله أن يستفيدَ منه القارئ الكريم، وتعقيباً على كلامكُم القَريب، فأقول: إنّ الأصل أخي المُعترِض من اللغَة، أنّ العربيّ إذا أطلقَ الكلام، وكان يُريدُ إثبات معنىً مجازيّ، فإنّنا لا نَحكمُ بالظّاهر الحقيقيّ من إطلاقِه هذا إلاّ بدليلٍ قطعيّ يُخبرنُا هُو به، أو يصلُنَا عنه بطريقٍ تُفيدُ القَطع، وكذلك الله سبُحانه وتعالى في آيَة بسط اليَد، أطلقَ كلاماً مجازّياً معناه الكَرم، فنحنُ لا نتعدّى على الذّات الإلهيّة ونتمحّل من هذا السّياق بأنْ نُثبتَ لهُ معناه الحقيقي، بل ونزيدُ ونقولُ هُو لله تعالى صفة ذاتيّة مُلازمَة له، وليسَ لنَا بهذا دَليل من هذه الآيَة؛ لأنّ لازِمَها إثبات أنّ لله تعالى يدَين مبسوطتَين، فالله أرادَ أنْ يُخبِرَ العِباد بأنّه كريم بإطلاقِ هذا السّياق المجازيّ فلا نزيدُ بتكلّف مالَم يُكلِّفنا الله تعالى ولا الرّسول ﷺ في الاستنبَاط، أليسَ هذا أسلَم أخي المُعترِض مِنَ التّخمين؟!.

إن قيلَ: الصَّوابُ بِرَأيي أنّ العربيّ إذا أطلقَ الكلام، وكان يُريدُ إثبات معنىً مجازيّ فقط دون أنْ يُثبت أيّ مَعانٍ ظَاهريّة مُرتبطَة بالألفَاظ التي سَيسْتَخْدِمُهَا في تعبيره، فَإنه إمّا

- سَيُبيِّنُ بُطلان إثبات تِلك المعَاني الظاهريّة الحقيقيّة.
- أو سَيسْتَخدِم ألفاظَاً لا يُمْكِنُ عَقلاً أنْ تَصِحّ فِيمَن يَتكَلَّمُ عَنه.

ومِن هُنا فنصُوص الصِّفات الثّابتة في كتاب الله تعالىٰ بما أنّ الله أطلقهَا علىٰ نفسِه بدون أنْ يَنفِي المعَاني الظاهريّة الحقيقيّة المُرتَبِطَة بالنّصُوص، وبِدُون وُجود مَانع عَقلي يَمنَعُ إنزَالها فِي حَق الله تعَالىٰ فَلا يَصحّ نَفيُ مَا فِيهَا مِن إثبات الصّفات، ويُوصَفُ الله عزّ وجلّ بمَا وَصفَ بِه نفسَه، فَيُقال: يَدا الله مَبسوطَتان يُنفقُ كَيف يَشاء، ولا يُقال: لَيسَ لَه يَدان، خُصوصاً وقَد تَكاثرت النّصوص مِن القُرآن ومِن السنّة في إثبَات اليَدَين في أكثر من سِياق وبألفاظ كَثيرَة مُتعدِّدَة.

قُلنَا :لا بأسَ أخي المُعترِض، أمَا وإنْ كانَ هذا كلامُك، فهَبْ أنّ الكلام بين زيد وعَمرو حَول بذاءَة اللسان، فقال زيد لعمرو : «**إنّ السّكوت من نِعم الله تعالىٰ التي لا تُقدَّر، ولكنّ سعيداً طويلُ اللّسَان**» . نعم! فطبِّق كلامَك أعلاه بجزمٍ وعَزم علىٰ هذا المِثال، واستنبِط منه معانٍ حقيقيّة، وإيّاك أنْ تَقول مِنَ المُحتمَل؟ لأنّ المقام في الصّفات مقام قطعٍ وجَزم بغرض الشّارع الحكيم ممّا يُريدُه من هذا الإطلاق المجازيّ -علىٰ قولِك-، لا يحتملُ التّخمين والتّفصيل بالاستنباط الذي لم نُكلَّفه.

فقالَ : سَأطبِّقُ كَلامِي عَلىٰ مِثالِكَ، فقولُكَ : «إنّ السّكوت من نِعم الله تعالىٰ التي لا تُقدَّر، ولكنّ سعيداً طويلُ اللّسَان» .

فالمعاني المُستنبَطَةُ مِن عِبارَة سَعيدٌ طَويلُ اللِّسَان:

١- **سَعيدٌ كَلامُه بَذيء**: هَذا المعنىٰ دَلَّ عَليه السِّياق، وهُو مَعنىً صَحيحٌ -جَزْماً-.

٢- **سَعيدٌ لَه لِسَان** : هَذا المعنَىٰ دَلّ عَليه نِسبَةُ اللِّسَان إلىٰ سَعيدٍ، **ولا يُوجَد مَانعُ عَقليٌّ** يَمنَعُ استنبَاطَ هَذا المعنَىٰ، وبالتّالي فَهُو مَعنىً صَحيحٌ -جَزماً وليسَ تَخمِيناً-.

٣- **سَعيدٌ لِسَانُه طَويلٌ** : هَذا المعنَىٰ دَلّ عَليه وَصْفُ لِسَانِ سَعيدٍ بالطّول، لكن بِمَا أنّ سَعيداً طُولُ لِسَانِهِ طُولٌ عَادِيٌّ مِثل أيّ لِسَانٍ، **فهذا مَانعٌ عَقليٌّ** يَمنَعُنَا مِنَ استنبَاط هَذا المعَنَىٰ.

إذاً تبيّن لنا قطعاً أنَّ المعنىٰ الأوّل و الثّاني صَحِيحَان، بَينمَا المعَنىٰ الثّالث غَير مُرادٍ ولا يَصحّ استنبَاطُه.

قُلنَا : تأصيلُكَ أخي المُعترِض بذاءَة اللّسان من قولِ زيدٍ صحيحٌ ولا نُخالفُك فيه، وهُو المَعنى الأوّل حسبَ ترتيبكُم؛ لأنّه المَعنى الذي لأجلِه أطلقَ زيدٌ السّياق فنجزمُ بِه، وكلامُك في المَعنيَين الثّاني والثّالث موطنُ الخَلل أخي المُعترِض بارك الله فَهمَك، وسأوردُ لكَ الجَواب عَليه من عدّة وجُوه :

أولاً: إثباتُك من مُرادِ زَيد أنّ -سعيداً طويلُ اللّسان-، إثباُتك من ظاهر هذا الإطلاق أن يكون لسعيد لسانٌ حقيقيّ، هذا تحميلٌ لكلام زيد بأكثَر ممّا جاء يُثبتُه، زيدٌ أراد أنْ يُثبِتَ أنّ سعيداً كلامُه بذيء، وأنتَ أخي السّلفي تُثبتُ أنّ زيداً **يُثبتُ بهذا** أنّ لسعيدٍ لسان حقيقيّ، فكلامُك هذا **استنباط**، وليسَ لهُ علاقَة بشيءٍ ممّا يُريدُ زيد أنْ يُعلِمَه لعمرو، فزيدٌ أراد أن يُخبر عَمراً أنّ سعيداً بذيء الكلام، لا أنّ سعيداً له لسانٌ حقيقيّ، فأنتَ زِدت في الاستنباط من سياق الآية المجازيّ، واستنبطت معنى حقيقيّ لم يكُن الشّارع من القرآن يُريدُ أنْ يُثبتَه، فأصّلتَ من الآيات صفاتاً لم يقصِد الشّارع سبحانه وتعالى تأصيلَها، وجعلتَ ذلك لازماً ودليلاً صامداً قويّاً .

ثانياً : قولكَ أنّه **لا يمتنعُ عقلاً** إثبات المعنى الحقيقي -اللسان الحقيقي-، من إطلاق المعنى المجازيّ -طول اللّسان لإثبات بذاءة الكلام-، فإنّ عدَم الامتناع العقلي لهذا الاستنباط والأخذُ للمعنى الحقيقي من ظاهر الإطلاق المجازي بإثبات اللّسان الحقيقيّ اللازم لذات سعيد، فإنّما هُو بالقياس العَقلي ببقيّة النّاس وأنّ لهُم ألسُن، فكونُ -سعيد لسانُه طويل-، يُقصدُ به أنّه بذيء اللّسان، فلا يُمتنعُ عقلاً أن يكون لسعيد لسانٌ حقيقيّ من إطلاق السّياق، ولو قُلتُ لكَ -سعيدٌ ليسَ له ظهرٌ يَلجأ إليه-، أعني أنّه لا يوجد له ركنٌ وعشيرةٌ يلجأ إليها فتنصُرَه، فإنّك من إطلاقِ كلامي المجازيّ هذا ستقول: إنّ المعنى بحزم وجزم هُو إثبات المعنى المجازيّ فقط، وهُو أنّ سعيداً ليسَ له عزوة وعشيرة يمنعونَه وينصرونَه، وستقول: إنّ المعنى الحقيقي ممُتنعٌ من إطلاق زيد، فإنّه ما يعني أنّ زيداً ليس له ظهرٌ حقيقةً، فهذا ممُتنعٌ عقلاً وليسَ يظهُر من سياق الكلام أنّ هذا مقصدُه،

فعندها اعلَم أخي السّلفي أنّك تقيسُ حال سعيد هذا وامتناع المعنى الحقيقيّ -بأن لا يَكونَ لَه ظهرٌ حقيقيّ- من إطلاق زيد قوله المجازّي -سعيدٌ ليس له ظهرٌ يلجأ اليه-، أنّك بهذا تُطلقُ المُمانعَة العقليّة، وعَدم المُمانعَة انطلاقاً من قياسِك ونظرتِك إلى بقيّة المخلوقين من النّاس، والله سُبحانه وتعالى لا يُقاس بالنّاس، ولا بغيرِه من المخلوقات، حتى تجعلَ لعقلِك القُدرَة على ألاّ يمتنِع على إثبات الصّفات الحقيقيّة من المعاني المجازيّة في حقّه سبحانه وتعالى، فمن قوله تعالى : ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ [المائدة:٦٤]، أثبَتّ بجَزم أنّ المعنى المجازي هُو الكَرم، وهُو الذي لأجلِه أطلقَ الله السّياق ردّاً على اليهود عندما وصفوه بالبُخل.

ثمّ زدتُم فقلتُم (تأمّل) : إنّه من هذا الإطلاق المجازي فإنّا نستنبطُ صفة اليَدين المبسوطتين بالمعنى الحقيقي والذّاتي اللازم لله تعالى، فحملّتم أولاً السّياق ومُراد الشّارع الحكيم أكثَر مما يحتمِل.

ثمّ ثنّيتُم فقلتُم: إنّه لا يمتنعُ عقلاً من أنْ يكون لله سبحانه وتعالى يدان مبسوطتَان حقيقيتان لازمةٌ لذات الله تعالى، وهُنا كيفَ عرفتُم أنّه لا يمتنعُ عقلاً على الله سبحانه وتعالى أن يكون له يدان مبسوطتَان حقيقيّتان ذاتيّة؟!، والذّات الإلهيّة أجلّ وأعزّ وأقدَس مِن إنْ يتوهّمها مُتوهِّم.

اللسان في حقّ سعيد أثبتموهُ حقيقةً من الإطلاق المجازي، قلتم: لا يمتنع عقلاً أن يكون لسعيد لسان قياساً بما رأتهُ عقولُكم من حال بقيّة النّاس، ثمّ امتنعتُم بعقولِكم على ألاّ يكون لسعيد ظهرٌ بالمعنى الحقيقي، وأنّ هذا لا يحتملُه كلامُ زيد، وإطلاقُه عندما أراد أنْ يُثبت أنّه لا عشيرة له ينصرونَه.

فهُنا لا ندري أخوتنا السلفيّة ما هي قُدرَة عقولكم في عَدم المُمانعَة من إطلاق المعاني الحقيقيّة من الآيات ذات السياقات المجازيّة على الله سبحانه وتعالى؟! كقول الله تعالى: ﴿**فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ [الطور:٤٨]، فالله أراد بهذه الآية إثبات معنى مجازي وهُو الحِفظ والنّصرة، فكيفَ تقولُ: أنَا أثبتُ لله تعالى عيناً حقيقيّة من الآيَة؛ لأنّه لا يُمتنع عقلاً أنْ

يكون لله تعالى عَين، بأيّ قُدرَة عقليّة عرفتَ أنّ الله تعالى يتّصف بالعين الحقيقيّة الذاتيّة وأنّ هذا لا يُمتنع عليه؟! **إن قُلتَ**: هُناك آيات ظاهرها إثبات المعنى الحقيقيّ كآية خلق الله لآدم، فهذا دليلٌ على أنّ الله تعالى لا يُمتنع أنْ يكون له يدين يخلُق بهما.

قُلنا : هل هذه الآية مُحتمِلَة المجازيّة ؟، ولا تملكُ إلاّ أنْ تقول: نعَم هي مُحتملَة أن يكونَ معناها (مَا مَنعكَ أنْ تسجُد لِما خلقتُ بِنفسِي) وهذا غير ممُتنع من إطلاق المَجاز، فعندَها سيكون كلامُك عند التّحقيق ظنّي، وصفات الله تعالى إنّما يكون طريقُ إثباتِها قطعياً ومتواترا من آيات الكتاب بالمعاني الموجّهة التي تثبتُ ذلك كآيات العلم والقدرة والرّحمة، أو من طريق السنّة المطهّرة المتواترة، فأمّا أنْ نُحمّل كلام الله وتعالى بالخطابات المجازيّة لمعانٍ حقيقيّة وصفات ذاتيّة وليس معنَا إلاّ الظنّ وعدم اليقين، ونقولُ: إنّ هذا غير ممُتنع عقلاً على الله سبحانه وتعالى، أنْ يكون له يدان، وقدمان، وساق، وأضراس، وعينان، ووجه، وأصابع، وأنّ هذا كلّه لا يمنعُه العَقل على الله تعالى، فما هُو طريقُ عقلِكَ إلى عدم امتناعِ ذلك على الله سبحانه وتعالى؟ **فإن قُلتَ**: أُثبتُ ما أثبتَه الله ورسوله، **فنقول:** إثباتُك خاطئ وَجهُهُ حَديث الآحاد الظنّي، ومَا استنبطتَه من الكتاب فإنّما عقلكَ هُو الذي استنبطَ المعاني الحقيقيّة من الإطلاقات المجازيّة، لا أنّ النّقل وسياق الكلام هُو الذي أثبتَ ذلك، وهذه دقيقَة أخي المُعترِض، لو تأمّلتها، فإنّك بكلامِك وإثباتك المعاني الحقيقية من السياقات المجازيّة **فإنّك تجعلُ العَقل هُو المُستنبط للصّفة عند التّحقيق**، فإذا لم يكُن المعنى الحقيقي مُمتنع عقلاً لم تُثبته، وإذا كان المعنى الحقيقيّ غير ممُتنع عقلا أثبّته، وإنْ كان النّقل ودلالته من السّياق المجازيّ في وادٍ آخَر (كإثبات الكرم، أو الحفظ).

نعم! فالنّقل من الكتاب الكريم ليس بدليلٍ لكَ عند التّحقيق، وإنّما أحاديث الآحاد هي دليلُك ومُعتمَدك، وهذه أكبرُ حظّك عند التحقيق، فأمّا نحن فما نُثبتُ لله سبحانه وتعالى إلاّ ما أثبتته النّصوص المُحكمة، والسنّة المتواترة، وهذا كافٍ في بيان المُراد، والحمد لله .

نعم! ولو عُدتُ وقُلتُ لكَ أخي المُعترِض : عندما قال زيدٌ لعمرو (السّكوت نعمَة، ولكنّ سعيداً لسانهُ طويل)، فمن هذا المثال عدّة أمور :

١- **المُتكلِّمُ** : زيد .

٢- **ما يُريدُ إثباتُه لعمرو** : أنّ سعيداً كلامُه بذيئ .

٣- مَن هُو الذي استنبطَ المعنى الحقيقيّ ونسبَ -اللسان الحقيقي لسعيد- من سياق النّص المجازي : الجَوابُ هُو عقلُك، واستنباطك، وقياسُك حال زيد ببقيّة النّاس .

وعليه : الذي أنا منه على يقين ومُؤمنٌ به هُو أنّ زيداً أطلقَ كلامَه لعمرو يُريدُ إخبارَه أنّ سعيداً كلامُه بذيئ.

- ومنه، ولله المثل الأعلى، قول الله تعالى، آمراً نوح النّبي عليه السلام بأنْ يصنع الفُلك ولا يخشى الكافرين، فقال جلّ شأنه : ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ [هود: ٣٧].

١- **المُتكلِّمُ** : الله عزّ وجلّ .

٢- **ما يُريد إثباته من الآيَة** : الأمر لنوح النّبي عليه السلام أن يصنَع السّفينة ولا يخشى الكافرين فإنّه يكون في حفظ الله تعالى ورعايته .

٣- **مَن هُو الذي استنبطَ المعنى الحقيقيّ ونسبَ -العينين الحقيقيّتين- من سياق النّص المجازي** : الجوابُ هُو عقلُك، واستنباطك، وقياس عقلِك لربّه ببقيّة المخلوقات حتّى قُلتَ: إنّه لا يُمتنع عقلاً أنْ يكون لله عينان .

وعليه : الذي يهمّني كمكلّف من مُراد الله تعالى بإطلاقِه للآيَة هُو أنْ أؤمنَ بمُرادِه الذي لأجلِه أطلق الآيَة، وهُو إخبارُه لنبيّه نوح عليه السلام أنْ يصنَع السّفينة، وأنْ لا يَخشى الكافرين فإنّه سيحفظُه ويرعاهُ منهُم، فما استنبطَه السلفيّ بعقلِه بما هُو خارج مُراد الله تعالى الذي لأجلِه أطلقَ الآيَة، وقاسَه بعقلِه، فأنا غير مُتعبّد ولا مكلّف مِن الله تعالى أنْ أفتّش عنه، أو أؤمن به، فهذا الفِعل من السّلفي هُو مثالٌ حيّ لقول الله تعالى : ﴿**وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ**﴾ [آل عمران:٠٧].

إنْ قيلَ: مِثالُك أخي الزّيدي الذي ضَربتُموه يَتعسّر فيه عَدم قِياس سَعيدٍ بالنّاسِ؛ لأنّ سَعيداً مِنَ النّاس، لكن إنْ شِئتَ فَليكُن الكَلام عَن الجنّ أو الملائكَة التي نَجهَلُ قَوانِينَهُم وكَيفيّاتِهم. فَلو أنّ زَيداً سَاحِرٌ لَه اتّصالٌ بالجنّ، وسَعيدٌ أحَدُ عَفَارِيتِه الذين لَه عَلاقَةٌ بِهِم، وزَيدٌ يُريد أنْ يُخبر عَن بذَاءةِ كَلامِ العِفريتِ سَعيد، فعبّرَ عَن ذَلِكَ بِقولِه: «العِفريتُ سَعيدٌ طَويلُ اللِّسَان»، وعَلى افتراضِ مِصدَاقيّة ودِقّة زَيدٍ فِي كَلامِه عَن عِفريتِه فِي مِثل هَذه الحالَة، نَستبطُ المعَانِيَ التّالية:

١ - **العِفريتُ سَعيدٌ كَلامُه بَذيء**: هَذا المعنَى دَلّ عَليه السِّياق، وهُو مَعنىً صَحيحٌ -جَزْماً-.

٢- **العِفريتُ سَعيدٌ لَه لِسَان** : هَذا المعنى دَلّ عَليه نِسبَة اللِّسَان إلى سَعيدٍ، ولا يُوجَد مَانعٌ عَقليٌّ يَمنَع استنبَاط هَذا المعنَى، وبالتّالي فَهُو مَعنىً صَحيحٌ -جَزماً وليسَ تخميناً-.

٣- **العِفريتُ سَعيدٌ لِسَانُه طَويل** : هَذا المعنى دَلّ عَليه وَصْفُ لِسانُ سَعيدٍ بالطّول، وهُو مَعنى صَحيح جَزماً، -بافترَاض صِحّة ودِقّة كَلام زَيد ومِصدَاقِيَّتِه-، ولا يُوجَد مَانع يَمنعُنَا مِن استنبَاطِ هَذا المعَنى.

نعم! وَلو كَان زَيدٌ السَّاحرُ يُريد فَقط لا غَير إثباتَ بَذاءة كَلامِ عِفريته لقَال مَثلاً: «مَع أنَّ سَعيداً عِفريتٌ مِن الجنّ لَيسَ لَه لِسَان إلاّ أنّ لِسَانَه طَويلٌ بالقَبَائحِ وَالوسَاخَات». أو لقَالَ: «العِفريتُ سَعيدٌ كَلامُه بَذيء» .

وَالمقصُود مُعلِّمِي أنَّ الأصلَ هُو عَدَم نَفي المَعاني الظّاهِرَة مِنَ الكَلام مَا لَم يَمنَع ذَلك مَانعٌ صَحِيحٌ.

قُلنَا : عظيمٌ أخي المُعترِض أنْ وَصَلنا إلى هذه المَرحَلَة، فعندي أنّنا نسير على خُطىً منهجيّة استفدنَا منهَا، وسيستفيدُ منها القارئ الكريم بإذن الله تعالى، وهِي إلى الوصول إلى الحق أقرَب بإذن الله تعالى . فَنكون إلى هُنَا قَد قلّصنا الخِلاف في نقطتين رئيسَتين، وهي عند التّحقيق نقطَة واحِدَة، نذكرُها هُنا ونبيّنُ لكَ من خلالها أموراً .

النقطة الأولى : أنّ صفات الله تعالى ليسَ مصدرُ تأصيلِها هُو تأصيلُ الله تعالى لهَا من أصلِ الخطاب الذي أطلَقه للسياقات المجازيّة، وإنّما وجهُ تأصيلِها أنّه لا يُمتنَع عقلاً أنْ تُستنبطَ معانٍ حقيقيّة من أصل هذا الإطلاق المجازيّ .

النقطة الثانية : أنّ إطلاق العلماء على آيات الصّفات، -آيات متشابهة-، يعني هذا أنّه قد يُستنبطُ منهَا معانٍ حقيقيّة، فهذا تجويزٌ لا مَنع .

مثالٌ : من حال الإنسان

- قُلتَ أخي السّلفي : أنّ المعاني الحقيقيّة من الألفاظ المجازيّة لا مانِعَ من استنباطِهَا، فقولُ زيد (سعيدٌ لسانهُ طويل) وسياقُ كلامِه كان يتكلّم فيه عن نعمَة السكوت، ويُريدُ من مجاز إطلاقِه إثبات بذاءة الكلام في حقّ سعيد، قُلتَ أنّه لا يُمتنع أن يكون لسعيد لسان حقيقي من ظاهر ومجاز قول زيد (سعيدٌ لسانهُ طويل)، وقُلت أنّه لَم يمنَع مانعٌ عقلي من أن يكون لسعيد لسانٌ حقيقي لازمٌ لذاتِه .

- فُهنا حكمتَ **بَعدم وجود مانِع عقليّ** من أن يكونَ لسعيد (لسان حقيقي) من ظاهر إطلاق المجاز، لمّا كان عقلُكَ **مُحيطاً** بحال سعيد وأنّه لن يكونَ إلاّ واحداً من النّاس، والعادة من النّاس أن تكون لهُم (ألسُن)، ولَو كان هُناك مَانع عقليّ لَمَا حكمتَ أنّه يوجد لسعيد (لسان حقيقي) من ظاهر قول زيد.

مثالٌ : من حال الجنّ

- قُلتَ أخي السّلفي : ولو كانَ الكلامُ مُتوجّهاً من زيد إلى عفريتٍ من الجنّ، فكان زيدٌ له علاقَة بالجنّ يُخاطبهُم ويعرفُ منطقَهُم، فقال زيد لعمرو : «إنّ السكوت نعمَة، ولكنّ سعيدًا الجنّي لسانهُ طويل»، كانَ يعني أنّ سعيداً الجنّي هذا كان كلامُه بذيء، وقُلتَ: إنّه لا يوجد مانِع عقليّ من أنْ يكونَ لسعيد الجنّي لساناً حقيقياً، وهُنا لا نعلمُ **كيفَ حكمَ عقلُك** من كلام زيد المجازيّ أنّ سعيداً الجنّي لا يُمتنعُ عقلاً أنْ يكون له لسانٌ

حقيقيّ، وأنتَ لا تعرفُ المَعقول وغير المعقول من صفَة الجنّ الحقيقيّة، لو كُنت تقول: (**إنّه من المُحتمَل أنْ يكون لسعيدٍ الجنّي لساناً حقيقياً**)، لكان هذا أليَق، ولكنّك (تقول: إنّ هذا بحزمٍ وجَزم)، فما أدراك (بجزمٍ ويقين) أنّ الجنّ لهُم ألسنٌ حقيقيّة وعقلُك **لم يُحِط** بماهيّة صفَة الجن، فبعضهُم قد لا يكون له لسان وإنّما هُو لطيفٌ، وبعضهم قد يظهَر منه اللّسان إذا تشكّل بغيرِه فقط، وما إلى ذلكَ من الموانع العقليّة التي لا تجعلُك تكون **قاطعاً** بنسبَة اللّسان الحقيقي إلى سعيدٍ الجنّي، فلا يكون أمامك إلاّ أنْ تحتِمَل وتقول: إنّه يمكن أنْ يكون لسعيد لسان حقيقي، ويمكن ألاّ يكون لسعيدٍ الجنّي هذا لسان حقيقي، فتكون قد أخرجتَ عقيدتَك من اليقين إلى الشكّ في الصّفات، ثمّ هذا الكلام فيما يخصّ الجنّ ممّا قد يطّلع الواحد على بعض صفاتِهم تحقيقاً بمشاهدَة العيان فيُحيط عقلُه بماهيّتهم أو ببعضهَا، وإنْ كان إحاطةً ببعض ما هيّتهم لمّا كانَ للجن القدرة على التشكّل والتغيّر .

مثالٌ : من حال الذّات الإلهيّة المقدّسَة

– قُلتَ أخي السّلفي : إنّ المعاني الحقيقيّة من الألفاظ المجازيّة لا مانِعَ من استنباطِهَا من سياقات القرآن الكريم المجازيّة، فقول الله تعالى، وهُو يتكلّم آمراً النبيّ نوح عليه السلام بصناعَة السّفينَة، وألاّ يخشى كيد الكافرين فإنّه سيكون في حفظه ورعايَته : ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ [هود: ٣٢]، فقُلتَ أخي السّلفي : إنّه **لا مانع عقلاً** من استنباط صفة العين الحقيقيّة لله سبحانه وتعالى من إطلاقِه للمعنى المجازيّ، وأنّ ذلك **غير ممُتنع عقلاً** أنْ يكون لله عيناً، فهُنا نقولُ لَك: كيفَ عرفتَ بعقلِك أنّه لا يُمتنَعُ عليه عقلاً أنْ يكونَ له عيناً حقيقية، **والذّات الإلهيّة بإجماع الأمّة لا يجوزُ عليها التوهّم والقياس ببقيّة المخلوقات أو المُتوهّمات؟** فكيفَ جوّزتَ لعقلِك أنْ يستنبِط أنّه لا يُمتنعُ عقلاً أنْ يكونَ لله عيناً، ثمّ قُلت: لا يُمتنع عقلاً أنْ يكون لله يدان مبسوطتان، ولا يُمتنع عقلاً أنْ يكون لله أصابع، وأضراس، وساق، وقدم، كصفات حقيقيّة لازمَة للذات الإلهيّة، هذه الاستنباطات التي لَم يمنعها عقلُك، كيفَ لَم يمنعَها عقلُك **وأنت غير مُحيطٍ بهذه الذّات الإلهيّة وقد جاءك**

المَنع الإلهيّ أنْ تتوهّمها بصفاتٍ ليسَ لها طريقٌ قاطعٌ ومتواتر من نصوص القرآن المُحكمَة أو نصوص السنّة المتواترة، والمُشكل أنّك تقول: إنّ هذا بيقين وجَزم بأنّه لا يمتنعُ عقلاً أنْ يكون لله هذه الصفات بالمعاني الحقيقية، ثمّ تزيدُ أيضاً من الإحاطة العقليّة وتقولُ: إنّها لازمةٌ للذّات الإلهيّة غير مُنفكّة عنها.

وهُنا لا يخلو حال عقلِك من أحد أمرَين : إمّا أنْ يكون عقلُك مُحيطٌ بهذه الذّات الإلهيّة حتّى استنبطَ بيقين وجَزم معاني حقيقيّة لازمَة لها غير مُمتنعَة من جَهة العَقل، -كما يُحيطُ النّاس بعقولِهم معرفَة بعضِهم البَعض-. **وإمّا أنْ يكونَ** عقلُك مُحيطٌ ببعض هذه الذّات الإلهيّة حتّى استنبطَ بيقين وجزم معاني حقيقيّة لازمَة لها، -كما يُحيّط الرّوحانيّون ببعض صفات الجنّ-.

نعم! وهذا كلّه ممتنعٌ عقلاً وشرعاً على الذات الإلهيّة، فإنّه ما مِن أحدٍ يعرفُ عقلُه ما يُمتنعُ من المعاني الحقيقية على الذات الإلهيّة ممّا لا يُمتنع، إلاّ بأمور نقليّة صريحَة مُتواترَة مُفيدَة للعلم، كما صرّح الكتاب والسّنة من صفات العلم والقدرة والرّحمة، وغيرُها مما طريقُه التّخمين العقليّ دون لازم السّياق النّصي المُوجّه معناه إلى المجازيّة دون إثبات المعاني الحقيقيّة من الشّارع الحكيم فهذا ليس دليلاً نقلياً، بل هُو استنباطٌ عقليّ، فلو كان هُناك حديثٌ آحاديّ مفاده أنّ لله تعالى أكثر من مائة عين، وكان الغرض من عموم الحديث إثبات إحاطة الله تعالى بالكون، وبما يصدرُ من العباد، هَل ستقول: إنّ هذا غير ممُتنع على الله سبحانه وتعالى عقلاً فنثبتُ له مائة عين حقيقيّة، فتكون لا رحمتَ عقلَك، ولا عقلَ السّامع لك، ولا نزّهت الله تعالى عن أن يُحيطَ به أيّ وهَم، وأنت قد ادّعيتَ الإحاطَة بالذّات الإلهيّة من حيث لا تعَلم، فقولُك أنّ هذه الصّفة مُتنعَة عليه عقلاً فلا نُثبتُها من ظاهر سياقها بالمعنى الحقيقي اللازم للذّات، وقولُك في موضع آخَر هذه الصّفة غير مُمتنعَة عقلاً فنُثبتها بمعناها الحقيقي اللازم للذّات، هذا ليس إلاّ من الإحاطة العقليّة بالذّات الإلهيّة وما يمتنعُ عليهَا وما لا يُمتنع، والله تعالى يقول : ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾ [طه:١١٠].

ثمّ كانَ من الكَلام ما تداخَل، فنقلنَا فيه حجّةَ المُعترِض ضمنَ كلامِنَا، فنقول:

إنّ آيات الصّفات فِي القرآن إمّا أنْ تكون في سياقها أتَتْ لتأصيل معنى مجازيّ ظاهِر لا ينصرِف المعنى إلى غيرِه من المعاني الحقيقيّة اللازمَة من هذه الصّفات، كقول الله تعالى: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ [هود: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء**﴾ [المائدة: ٦٤]، فهذه وأمثالُها ظاهرٌ منها الإخبارُ عن معانٍ مجازيّة هي الحفظ والرّعايَة والكَرم فلا ينصرفُ التأّصيل منها بمُراد الشّارع الكريم إلى إثبات معانٍ حقيقيّة من المجازات المُطلقَة باللسان العربي للقرآن، لأنّ هذا يكون تحميلاً للآيَة بما لا يحتملُه مُراد الشّارع الحكيم منهَا، ويكونُ استنباطاً مُحتملاً، ويكونُ الباعثُ على إثباتِه الإحاطَة العقليّة بالمعاني الحقيقيّة الجائز إثباتُها على الذّات الإلهيّة، وهذا لا يُحيطُ به أحَد حتى يُؤصّل ما يُمتنَع إثباتُه حقيقةً وما لا يُمتنع تأصيلُه حقيقةً من الصّفات، فوجبَ التوقّف عن صرف ظاهر الخطاب المجازي إلى معاني حقيقية لمنع الشّارع الحكيم من توهّم الذّات الإلهيّة والإحاطَة بمعاني صفاتها الحقيقيّة إلاّ بما طريقُه التّصريح المتواتر من الآيات المُحكمات، والنّصوص النبويّة المتواترَة، وهذا لا يقوم معه استنباطَكم إلاّ بصرف إطلاقات الشّارع إلى معاني حقيقيّة لم يكُن يُريدُ أنْ يُثبتَها بقدر ما كان يُريدُ أنْ يُبيّن أموراً مجازيّة يفهُمها المُكلّفون من الخِطاب العربي، وهذا وجهه في الآيات وكثير من الأحاديث.

فيُصبحُ **الأصل** من مُراد الشّارع الحكيم هُو إثبات المعاني المجازيّة، **والطّارئ** هُو استنباط الإنسان معانٍ حقيقيّة مُحتملَة على الذّات الإلهيّة، وهذا الاحتمَال لا يُجزَم بحالِه إلاّ بالإحاطَة بالذّات الإلهيّة، فتكونُ هذه الإحاطَة طريقُ الجَزم، والأمّة مُجمعَة أنّه لا يجوز توهّم الذّات الإلهيّة بإثبات المعاني الحقيقيّة المُحتملَة الظنّية من الاستنباط لِما لهذا من التعدّي على الذات الإلهيّة بما مُوجبُه التّوهم الذي جرّ إليه الاحتمَال، فكان السّكوت عن الاستنباط بما طريقُه ظنّي ومُحتمَل، وفيه من التوهّم والتمحّل، والاكتفاء بمُراد الله تعالى من هذه الإطلاقات المجازيّة هُو الأولَى، فالقرآن نزلَ بلغَة العرب، ولُغة العَرب المجازُ

منهَا لا ينصرفُ إلى المعاني الحقيقيّة إلاّ إذا كُنّا مُحيطين بالجواز العَقلي من عدمِه في تحقيق هذه المعاني الحقيقيّة، فقولُنا: سعيدٌ أسَد، هذا لا نحملُه على المعنى الحقيقيّ لّما عرفت عقُولنا أنّ سعيداً هذا لن يكون أسداً، فصرفناه إلى الشّجاعة ونفينا المعنى الحقيقي، وذلك لَمَا أحاطَتْ به عقولُنا من ماهيّة ذاتِ سعيدٍ هذا واحتمالِها للمعنى الحقيقي من عدمِه من الإطلاق المجازي.

فكذلك قولُنا في الذّات الإلهيّة، ولله المَثَلُ الأعلى، فكونُ الكلام جرى مجرى المجاز، والله تعالى لا يُريدُ أن يُؤصِّل معانٍ حقيقيّة منه، لِمَا يحكمُ به السّياق من إثبات مُرادٍ آخَر، وهُو المعنى المجازي كالكَرم أو الحفظ، فإنّ قطْعَنا ويقينَنا بأنّ هذه الإطلاقات المجازيّة بإطلاق اليدين المبسوطَة، أو إطلاق العين، تحتملُ تحتهَا معانٍ حقيقيّة فهذا استنباط لم يُرِد الله تعالى من سياق الآيات إثباتُه كمعانٍ حقيقيّة، فكان وجه استنباطِه هُو التّخمين والقياس العَقلي، وهُنا لا يستطيعُ الواحد من السلفيّة أنْ يُجوِّز بعقلِه هل يجوزُ أن أثبتَ من مراد الله تعالى معنى حقيقيّ قائم بإطلاقه المجازي، أو لا أستطيع؛ لأنّ هذا الإثبات مُترتّب على معرفَة كُنه هذه الذّات وما يجوزُ عليهَا ممّا لا يجوز من المعاني الحقيقيّة للصفات، كما عرفَنا من حال وكُنه ذات سعيد وأنّه لن يكون أسداً من الإطلاق المجازي لّما عرفَنا أنّ ذات سعيد لا تحتملُ هذا المعنى المجازيّ.

فإنْ قيل : ولكنّنا حملَنا المعنى المجازي على الصفات الحقيقيّة الظّاهرَة منه، **لأمرَين، الأوّل** : أنّ الله تعالى ما أطلقَ هذا المعنى من الصفة المجازيّة، إلاّ وهُو عالمٌ أنّ حقيقته تنطبقُ عليه، فأطلق الكَرم بمجاز بسط اليدين، وهُو عالمٌ أنّ بسطَ اليدَين جائزٌ عليه.

والأمر الثّاني: أنّ الله تعالى لا يَكذب، فنحن واثقونَ في قولِه.

فإن قيل بهذا : ولا أحبّ للعربيّ، والعالم بالقرآن أنْ يذهبَ إليه، فقد جهِلَ معاني المَجاز وإطلاقاتها من لغَة العَرب، فإنّ مُطلِقَ المَجاز ليس يُشترطُ فيه أنْ يكون مُثبتاً للمعنى الحقيقي من إطلاقِه، فكذلك ليسَ شرطُ إطلاق الله تعالى لمجاز بسط اليَدين لإثبات الكرم، أن يكون مُشترِطاً إثبات معانٍ حقيقية لذاتِه هي اليدين المبسوطَة، فقولُكم الأوّل بالّدلائل العقليّة في الاستنباط أقوى من هذا لو تدبّرتموه.

والأمر الثّاني : أنّ إطلاق المجازات بالاستعارَة للمعاني بما هُو من لُغَة العرب ليس شرطُه أنْ يكونَ صاحبُه كاذباً، فكذلك لو قال العربيّ الذي نزلَ القرآن بلغتِه، ونزلَ ليُفّهِمَه ويُحجَّه ببلاغَةٍ عجيبة، نعم! لو قالَ العربي : فلانٌ أسَد، فهذا لا يعني أنّه كذب، وكذلك لا يعني أنّه مُلتزمٌ لإثبات المعنى الحقيقي من إطلاقِه المجازيّ، فكذلك الله تعالى في إطلاقاتِه المجازيّة في القرآن، فما تجدون بُدّا من أنْ تقولوا: إنّ طريقَ إثباتِ الصّفات كمعانٍ حقيقيّة من الآيات المجازيّة هُو الاستنباط والقياس العقليّ بما لم تُحيطوا بِه.

نعم! وفي المعنى الأخير من أنّ المعاني الحقيقية تُستنبطُ من الأمرين السّابقَين، وهي أنّ الله تعالى أعلمُ بحقيقَة ما ينسبُه إلى نفسِه من المعاني المجازيّة، وأنّ الله لا يكذِب، فنسألُكم على هذا من إطلاق الله تعالى للمعاني المجازيّة في القرآن، عن قول الله تعالى المجازي: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ [يوسف:٨٢]، فهذاً معنًى مجازيّ ظاهِر أطلقَه الله تعالى في القرآن، فلا يكون على شرطكم إلاّ أن تُسلِّموا وتُثْبِتُوا أنّ القريَة تُسألُ من قِبل النّاس حقيقةً، وكذلك العِير تُسألُ من مُخاطبَة النّاس لها حقيقةً، فالله تعالى -على حدّ قولكم- أعلمُ بمجازِه إذا أطلقَه فإنّه لنْ يُطلِقَه إلاّ وهُو يُريدُ معانٍ حقيقيّة، وكذلك أنّ الله تعالى لا يكذِب، فإنْ وقفتَ أخي الباحث على هذا الخَلل هُنا، فاعلَم أنّ هذا القَول يلزمُه الإنسلاخ من لغة العَرب البتّة، ويلزمُ منه تحميلُ كثيرٍ من آيات الكتاب معانٍ حقيقية لم يكُن مقصد الشّارع الحكيم إثباتها بقدر ما كان إثبات المعاني المجازيّة منها، فالآيَة القريبة ليست تدلّ على سؤال النّاس للقريَة كقريَة، وإنّما سُؤال أهل القريَة، وكذلك سُؤال العَير ليس فيه طلبُ السّؤال من الدّواب، ولكن المطلوب سُؤال أهل القافلَة وأصحَاب العير التي كانوا فيهَا، فلَم يحتَج المكلّفون أنْ يفهموا من هذه الإطلاقات المجازية معانٍ حقيقيّة، فكذلك في آيات الصّفات فالله تعالى أطلق معانٍ مجازيّة فعبّر بالكرم ببسط اليَدين، وعبّر عن الحفظ بالعَين، فلا يلزمُ من هذا أنْ يكونَ هُناك إثباتٌ للمعاني الحقيقيّة من الآيات، ولكنّ المُكلّف ينصرفُ نظرهُ إلى المعنى المجازيّ، وهُو إثبات الكرم والحفظ، وهذا فبيّن وجهه من هذا القَول، فلا نُعيدُه بعد هذا؛ لأنّه أصبحَ ترديداً .

نعم! بقيَ أنْ نُشيرَ إلى آيات الصّفات التي كان وجه سياقاتها مُوهماً إثباتاً لصفاتٍ حقيقيّة، غلبَتْ على وجه المجاز منه من ظاهرها، كقول الله تعالى: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥]، وهُنا نقولُ: إنّ الآيَة مُحتملَة المَجَاز، لا يصحّ القطعُ منهَا أنْ يكونَ وجهها جاء ليُقرّ المعنى الحقيقي لصفَة اليَد وإثباتها لله تعالى ذاتاً، وما كان مُحتمَلاً وطريقةُ إثبات العقائد لم يُعتمَد على مَن يُؤصَّل منه صفاتاً للذات الإلهيّة، لّما كان طريقُ ذلك هُو الظنّ وعَدم القَطع، ونحنُ مُستغنون عن أنْ نُثبتَ لله تعالى صفاتاً لسنا على يقينٍ من نسبتِها إليه، فنكون بهذا قد تعدّينا بالتوهّم عليه بما لا يحقّ لَنا، فأغنانا عن الولوج بالمُتشابَه التنزيهُ العام عن ما مُوجبُه الإحاطَة، خصوصاً إذا كُنّا مُتأكّدين أنّ طريق إثبات الصّفة من الآيَة -وهي مُحتملَة- أنه يكون هُنا بتواترٍ من القرآن بنصوصٍ مُحكمَة غير مُحتملَة التأويل تُؤّيد هذا الفَهم، فتُخرجه من حيّز الاحتمال إلى حيّز القَطع واليقين، والقرآن في إطلاقاته لصفات اليد لم يَجزِم بإثبات هذه الصّفة الحقيقيّة، فُهو بين آتٍ من طريق المجاز الذي لا يصلُح أنْ يكون دليلاً على إثبات المعاني الحقيقية من مُراد الشّارع، وإمّا أنْ يكون مُحتملاً المجاز وغيرِه، فعندَها نلجأ إلى طريقه عدم الإثبات تنزيهاً لله تعالى عن التوهّم، وهُو فِقهُ قول الله تعالى المُحكَم: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١]، هذا من جانب، وجانبٌ آخَر فإنّ الشّارع الحَكيم قد تعبّدنا في مثل هذه الأمور إذا تشابَه معنا وجه تأويل القرآن خصوصاً في أمثال هذه الآيات التي يخطرُ أمرها، لما يترتّب عليَها من توهّم الذّات، ونِسبَة المعاني الحقيقيّة لهَا بما قد لا يصحّ ولا يكونُ هُو وجهه من إطلاق المعنى، فإنّ الله تعالى قد تعبّدنا بالأحاديث المتواترة بالرّجوع إلى أهل العِلم من أهل بيت نبيّنا، سادات بني الحسن والحسين، فلّما رجعنا إليهِم رأيناهُم مُجمعون قولاً واحداً أوّلهم وآخرهُم من أهل حلّهم وعقدهِم من الأئمّة والمقتصدين على أنّه لا يجوز حملُ هذه الآيات على ظواهِرها وأنّها من مُتشابَه الكتاب الذي واجبٌ ردّ أصلِه إلى مُحكم القرآن، ومُحكم القرآن هُو عدم التوهّم بإثبات الصّفات لله تعالى بالمعاني الحقيقيّة إلاّ بما كان طريقُه العلم القطعيّ، وأنّ هذه الآيات مجازيّة لا تُؤخذُ على ظاهِرهَا، فهذا إجماعُ أهل البيت، والله تعالى يقول: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل:٤٣].

فنحنُ ما نُثبتُ لربّنا من صفاتِه الاّ ما كُنّا على يقينٍ من مُرادِه منه، كما تيقّنا أنّه يريد أنّه رحيم وقادرٌ وعالم من كثير من الآيات، فأمّا أن يكون صاحبُ يدين حقيقيّتين، أو وجه حقيقيّ، أو أضراس حقيقيّة، فهذا نكيعُ، ونجبنُ عن إثباتِه لربّنا، فنحنُ ما ننسبُ إلى غيرنا من الصّفات الحقيقيّة إلاّ ما كُنّا مُتأكّدين منه، أو نعلمُ هذا منهُ بالضّرورة، فكيفَ بربّنا وخالقِنا، والله المُستعان.

نعم! فيكون المعنى المجازي من قول الله تعالى: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥]، فُهو ما منعَك أنْ تسجد لِما خلقتُ بنفسي، والتّعبير باليد على الذّات والنّفس مُحتملٌ إطلاقُه من لغَة العَرب، كأن يُقال هذا فعلٌ يدَيك، وليس شرطٌ أن تكونَ أنتَ الفاعل المُباشر بيديَك، وإنّما قد تكونُ أنّت السّبب في ذلك، فنُسبَ إليكَ العَمل بالمعنى المجازي -فقال هذا فعلُ يديك-، أو هذا فعلُ يمينك، وكذلك قال الله تعالى لليهود : ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّـهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [الحج:١٠]، يعني ذلكَ بما قدّمت أنفُسُكم، ليسَ أنّ معصيَة اليهود كانَت فقط بأيديهِم، دونَ ألسنتِهم، أو فروجِهم، أو أعينِهم، أو أقدامِهم، وإنّما خصّ الله تعالى ذكر اليَدين لّما كانَ المعنى من الخطاب العربيّ في نسبَة الصّنعَة إلى صاحبَها أدلّ وأقوَم، فلو كان قول الله تعالى (ذلكَ بما قدّمت أعيُنكم)، أو (ذلك بما قدّمت أرجُلكم)، لَما كان هذا من الخطاب العربيّ في دلالته بشيء، إلاّ أن يكونَ يُريد أن يخصّ أعمال الأعين، أو أو أعمال الأرجُل، والله لا يُريدُ إثبات هذا المعنى من إطلاق سياق الآيَة بما قدّمت أيدي اليهود، فإنّه يُريدُ جميعَ أعمالِهم مما كان طريقُ اليد أو غيرها، وكذلك قول الله تعالى : ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّـهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [الأنفال:٥٠، ٥١].

وعليه فإنّ الخطاب القرآني بالمعاني المجازيّة قد يُطلَق إلى اليَدين، ولا يُعنى بها المعنى الحقيقيّ، ولكن ليُراد بها التّعبير عن عموم النّسبَة إلى الأشخاص بتحقّق ذلكَ الفعل، أو تلكَ الأفعَال منهم، كما نسبَ الله تعالى خَلْقَ آدَم إلى يديه، فهذا ليس بشرطٍ منه أنْ يكونَ لله تعالى يدين حقيقيّتين بها خلقَ آدَم، وإنّما يكون المعنى أنّ الله تعالى نسبَ إيجاد آدَم إلى نفسِه باستخدام لفظ المجاز، فيكون كمن يقول: هذا صُنع يَدي، يُريدُ أنّ هذا الإنجاز

والعَمل أنّا المُتسبّب فيه، وهُو الذي أنا أريدُه، فظهرَ لكَ أنّ المعنى من الآية مُحتملٌ للمجاز، وأنّ ظاهرَها بالمعنى الحقيقي ممُتنعٌ يَحتاج إلى قَطعٍ وليس القرآن يُعضّده ولا يدلّ عليه، وكذلك نحن يتحوّل قولُنا باحتماليّة الآية إلى قطعٍ من مُراد الله تعالى بالمعنى المجازيّ دون الحقيقيّ، وذلكَ بأتباعنا لأهل البيت عليهم السلام، وما أجمَعُوا عليه في المسألَة من عدم اعتبار المعنى الحقيقي من هذه الآيَة، وأنّ المُراد هُو المعنى المجازي قطعاً، فكنّا مُتمسّكين بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي إنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يفترقا حتى يردَا عليّ الحَوض»، ناهيكَ أيضاً عن امتناعِ العَقل الفطريّ السّليم فهو أيضاً دلالةٌ موجّهة قائمَة، والحمد لله، أيضاً نشير هُنا استطراداً إلى قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّـهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الحجرات:٠١]، فظاهرُ الآيَة هُنا لا يختلفُ -حسب قولِك- عن ظاهر الآيَة في قوله تعالى: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥].

فعلى قولِك من أنّ الظّاهر من آيات الصّفات هُو مُراد الشّارع مُطلقاً بالمعنى الحقيقي، فنقول كذلك -على قولِك- جاءت آيَة الحُجرات بما ظاهره إثبات المعنى الحقيقي لليدَين في حقّ الله تعالى، -**تأمّل هذه فهي دقيقة**-، ولكنّ هذا ليس من مُرادِ الشّارع الحكيم إثباتُه من الآيَة، بل المعنى مُنصرفٌ للمجاز وهُو توجيهُه للمسلمين ألاّ يبتّوا في أمرٍ بين يَدي الله والرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، بمعنى لا يبتّوا ويَفتاتوا في أمورِ الأمرُ فيها لله وللرسّول صلى الله عليه وآله وسلم، كقولِ العربيّ: لا تتكلّم بين يَدي والِدك، فالله تعالى ما أرادَ أن يُثبتَ من آيَة الحُجرات أنّ له جلّ شأنه يَدان حقيقيتان، فالمعنى والمقصَد للشّارع الحكيم ليس موجّه لإثبات هذا المعنى الحقيقي، وإنّما جاء الإطلاق مجازياً لمّا كان هذا مفهوماً في إطلاقِه للصّحابَة بأنْ لا يبتّوا في أمورِهم دون الله والرّسول، فكذلك القَول في صفَة اليدين الظّاهرة (لكُم) من خلق الله لآدَم فإنّه وإن خفيَ عليك الوجه المجازيّ فهذا لا يعني أنّه غير موجود، فوجبَ عليك إعادة تدبّر الآيَة ليظهَر لكَ أنّ إطلاق المجاز عليهَا ظاهرٌ مُتحقّق غير ممُتنع، ولاحظ أنّي أحكي الأقوال الأخيرة بمقتضى قولك ومذهبِك، أيضاً يلزمُكَ من هذا المَبدأ، أن تُؤصّل للرحمَة الإلهيّة يداً تليقُ بهَا، فالله تعالى يقول: ﴿**وَهُوَ الذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ**

رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف:٥٧]، فإن قُلتَ: إنّ الرحمَة لا يُعقَل لها اليَد الحقيقيّة، قُلنا -على حسب تأصيلِك- فلسَتَ بأعلَم مِنَ الله تعالى بما يُطلقُه من مجازاتِه، فإنّه يُريُد حقيقَة مجازِه، بإثبات اليدين الحقيقيّتين للرحمَة، والله لا يكذِب، فمنهُ يتّضح لكَ أخي الباحث مُجانَبة عقيدَة السلفيّة للصواب، ومَحدوديّة النّظر في تناول الآيات، لا نقول النّظر العقلاني الكَلامي، ولكن نقول النّظر القُرآني النّقلي.

إنْ قيلَ: لِماذا جَعل أئمّة الزيدية قَوله تَعالى: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ [المائدة:٦٤]، مِن قَبيل المتشابه الذي يُوهِم التجسيم إذا كَان الأمر كما تَزعُمُ أنّ هَذه الآيَة وَاضِحَةَ المعنَى لَيس فِيهَا مَا يُثبتُ صِفَة اليَدين لله تعالى؟ ولماذا قَال الإمَام يحيى بن حمزة رحمة الله عليه أنّ المانِع مِن أخذ المعَاني الظّاهرة هُو مَانعٌ عَقليّ، كمَا سَبق النّقل عَنه مِن كِتاب الكَاشِف الأمِين؟!.

قُلنَا : بخصوص الآيات المتشابهة من القرآن الكريم أخي المُعترِض، فإنّه عند التّحقيق لا يُوجّه مثل هذا المعنى إلاّ إلى بعض الآيات مثل قوله تعالى: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥]، وقوله تعالى : ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَام**﴾ [الرحمن:٢٧]، وغيرها من أمثالها في معاني التشبيه، والجبر.

نعم! هذه هي الآيات المُتشابهَة عند التّحقيق، وكون أنّ بعض العُلماء انصرَف إلى جميع آيات الصّفات فليس هذا عندي إلاّ من باب ما أصّله المُخالِف من جميع آيات الصّفات بالمعاني الحقيقيّة التي لا تحتملُها الآيَة.

سلّمنا أنّ جميع آيات الصّفات بصفّ العلماء لها مِنَ المتشابَه، تَعني احتمالَها أكثر من معنى، فإنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام يمنعون منهَا المعاني التي تُصادُم النّقل والعَقل والتي ليسَ يُريدُ الله تعالى أنْ يُؤصِّلَهُ منها حسبَ السّياق، فعاد كلامُنا وكلامهُم إلى معنىً واحِد، وهُو الامتناع على أيّ استنباط واحتمال من الآيَة سواءً سُميّت مُتشابَهة أو لم تُسمَّ يُخالف النّقل والعقل، فأمّا مُخالفَة النّقل فإنّ كتاب الله تعالى ينفي الإحاطة بالله تعالى أو ببعض صفاتِه التي لم يُخبر عنهَا بطريقٍ صريحٍ ومُتواتر، وليست المعاني الحقيقية من هذه

بل هي من استنباط النّاس بعقولِهم، وكذلك نفى أنْ يكون كمثلِه شيء يُتوهّم على أصلِه، والمانع العقليّ هُو أنّ الإنسان لا يستطيعُ أنْ يُقرّر لله صفاتاً حقيقيّة لازمة لذاتِه باستنباطِه من المجازات؛ لأنّ الذّات الإلهيّة فوق مُستوى عقلِه حتّى يقولَ هذا من الصّفات (البطن، الظّهر، العَوَر، الساق الواحدَة، الدّم، اللحم)، ممتنعٌ على الله تعالى عقلاً، ويقول (العين، القدم، الأضراس) هذه غير ممُتنعَة عقلاً، فهذه دلالة عقليّة إضافة إلى الدلالة النقليّة في عدم مقدرة العقل البشري الإحاطَة بالاستنباط من المتشابه الذي لم يأتِ السّياق لإثباتِه وإنّما انصرَف إلى إثبات معانٍ مجازيّة أخرى، فتفهّمه تجده كما قُلنا بإذن الله تعالى.

سلّمنا فإنّ إدخال العلماء لآيات الصفات وجعلها من المتشابَه ومَا استنبطتموه منه لا يعني التّصحيح المُطلق للمعاني المُحتملَة من هذه السياقات المجازيّة، أو أنها من الدلالات الصحيحة المُحتملَة، ولو كان هذا وجهه صحيحاً لكانَ هذا للباطنيّ أعظم طريق لصرفِ آيات الصّفات إلى معاني باطنيّة يُلحقونَها بالأئمّة وبأصولِهم الأخرَى، وهذا لا يصحّ الاعتماد عليه كدليل.

إن قيلَ: من واقع تجربةٍ شخصيّة ومَعرفتي بالنّاس حتّى عَوامّ الزيدية، أعتقدُ أنّ العَقيدَة السلفيّة في الصِّفات هِي الأقرب للفطرَة، والنّاس بمجرّد قِراءتِهم لِكتَاب الله تعالى وسَماعهم نُصوص الصِّفات يفهمونَ المراد من السّياق، ويَفهَمُون كذلك إثبَات الصِّفات، والمقصد القَول أنّ الاستنباط الذي أقولُه يَحصل بشكلٍ تِلقَائي وَلا يَحتاج النّاس لِعَالم أنْ يَستنبِطَ لَهم هَذه المعَاني، وهذا من الأسبَاب الذي جَعَلَكم كزيديّة تَجعلون آيَات الصِّفَات مِن المتشابهَات، وهَذا خِلافاً للعَقيدة الزيدية والمعتزليّة التي تَنفي الصفات عَن الله عز وجل فَإنها تحتاج إلى أن تُدَرَّسَ للنَّاس كَي يَعرِفُونَها ويَعتَقِدونَ بِهَا، وَعِندي قنَاعة أنَّ العَقيدة الزيدية والمعتزلية لا يُمكنُ أن تَثبُتَ بِغَير عِلم الكَلام، ولذلك عَوامّ الزيدية عَلى نَقيضِ العَقيدَة الزيدية؛ لأنّهم لا يَعرفُون عِلمَ الكَلام.

قُلنَا: قولُكم أنّ المعنى الحقيقي من آيات الصّفات في القرآن، هُو المَعنى الذي يسبقُ

إلى ذهن العامّة من الزيدية أو غيرهِم، ولَو لم يصرفهُم عنه الزيدية بعلم الكلام لَما كانَوا مُنصرفين، وأنّه لا يوجد للزيدية من هذا يُفهّمون النّاس بخلافِه إلاّ بعلم الكلام، وهذا أخي في الله وَهم، فليس السّابق إلى الأذهان من كثيرٍ من آيات الصّفات هُو المعنى الحقيقي، بل بعضها، وهذا البعض فإنّ الله تعالى قد تعبّد العامّة بأنْ لا يأخذوا في القرآن بنظرهِم دون أهل العِلم فيُبيّنوا لهُم مقاصد القرآن، ولو كان هذا دليلاً من سابقيّة الفَهم للعامّة، لفهِم القرآن مَنْ كانَ كيفَما أراد وقصّرَ في نظرِه، فالعودَة إلى أهل العِلم بما يسبقُ إلى الذهن منه معانٍ ليست مقصودَة ليسَ هذا من باب تحريف الظّاهر، بل هُو من باب ردّ المُتشابه إلى المُحكم حتى لا يعتقِد المكلّف على رأي ورَيب بفهِمه القاصِر، وهُو ليسَ بأهل لإثبات معاني ومغازي القرآن، وليس مثلك في هذا إلاّ مثل مَنْ يقول : إنّ العامّي إذا قرأ القرآن فإنه يسبقُ إلى ذهنه أنّ الله تعالى هُو الذي يُضلّ النّاس قهراً وقسراً، ﴿**وَمَن يُضْلِلِ اللَّـهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ [الرعد:٣٣]، وأنّ هذا الاعتقاد من العامة وما سبقَ إلى أذهانهِم من إضلال الله القسريّ لهُم هُو الحقّ لولا أنّ العلماء فصّلوا لهُم المسائل وأعادوا مُتشابه قول الله تعالى إلى المُحكم من معاني الضّلال والهداية، فليسَ هذا من ذاك، فإنّ العامّي لن يسبق إلى ذهنِه إثباتُ عينٍ حقيقيّة من قوله تعالى : ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ [هود: ٣٧]، ولن يسبق إلى ذهنِه يدان مبسوطتان من قولِه تعالَى: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [المائدة:٦٤]، ولكنّه قد يسبق إلى ذهنه معنى حقيقي من قوله تعالى : ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥].

فَهُنا واجبٌ على العلماء أن يُبيّنوا لهذا العامّي مقاصد الشّارع الحكيم من إطلاقات القرآن الكريم، فيكونُ حالُهم في التبيين، كحال من يُبيّن معاني الهداية والضّلال التي التبسَتْ على العامّي، فما يسبقُ إلى ذهن العامّي ليس دليلاً موجّهاً باركَ الله علمَك أخي الفاضل، ثمّ أزيدُ مُعلّقاً على إشاراتك أنّه ليس للزيدية دليلٌ على تفهيم العامّي بُطلان المعنى الظّاهر من الإطلاق المجازيّ إلاّ بعلم الكلام، والحقّ أنّه هذا ليسَ صحيحٌ إطلاقاً فنحنُ هنُا نتناقشُ معَكم بغير طريقِ علِم الكلام، وإنّما بمعاني القرآن وسياقاتها ولغة القرآن، ولم نتطرّق إلى علم الكلام البتّة، وهذا لا يمنعُ أنْ يكون لعلم الكلام العقليّ طريقٌ إلى إثبات المنع يستخدمه العُلماء للتبيين إذا تكلّموا عن أمور تفصيليّة عند

المُخالفين، فالشّاهد أنّ علم الكلام وسيلَة لإثبات عقيدة الزيدية، وليسَت ركيزَة وحيدَة، والدّليل ما نحنُ فيه هُنا، والحمدُلله .

وأضيفُ هُنا للفائدَة فإنّ البعض قد يتوهّم تناوُلَ بَعض الأئمّة عليهم السلام لتبيين بلاغَات القرآن من قولِه تعالى : ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾، فيقولونَ عبّر عَن الكَرم باليَدين، ولم يُقل: (بل يَده مَبسوطَة)، لأسبابَ بلاغيّة، فاليدَان، بمعنَى النِّعم الظّاهرَة، والنِّعم الباطنَة، فيتوهّم البعض أنّ هذا التّأويل من الأئمّة عليهم السلام صرفٌ لظاهِر الآيَة، وليسَ هُو كذلك وإنْ جرَى ضمنَ نفي حقائقِ هذه الصّفات ردّاً على السلفيّة؛ لأنّ ظاهِر الآيَة عندَهم عليهم السلام لم يُثبِت أصلاً يداً ولا يَدين حقيقيّتين، وإنّما التّأويل منهُم لتبيين بلاغَة القُرآن وإعجازِه ولماذا عبّر عن كرمِه جلّ شأنه بهذا الأسلوب المَجازيّ دونَ غيرِه من الأساليب، فلا يُقال لمّا فطَن أئمّة الزيدية أنّ الآيَة تُثبت يدين لله أوّلوها إلى النِّعم الظّاهرة والباطنَة؛ لأنّ سياق الآيَة لم يأتِ أصلاً بإثبات يَدين مبسوطتَين ولا عينين ولا وجهاً، فأصبح الكَلام عن المنهَج البلاغيّ في القرآن، وبذلك المَنهج البلاغيّ الإعجازيّ باختيار تلكَ الألفاظ في تلك الإطلاقَات المجازيّة وغيرها تحدّى اللهُ بلُغَاء وفُصحَاء العَرب، فعجزوا عن الإتيان بمثلِه، فالمجَاز أصلُ بلاغَة العَرب، وبهذا تمّت المُناقشَة والمُدارسَة مع أخي في الله السّلفي، نسألُ الله لنَا وله وللمؤمنين التّوفيق والهدايَة، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وآله الطّاهرين .

٨/ ١٢/ ١٤٣٠هـ

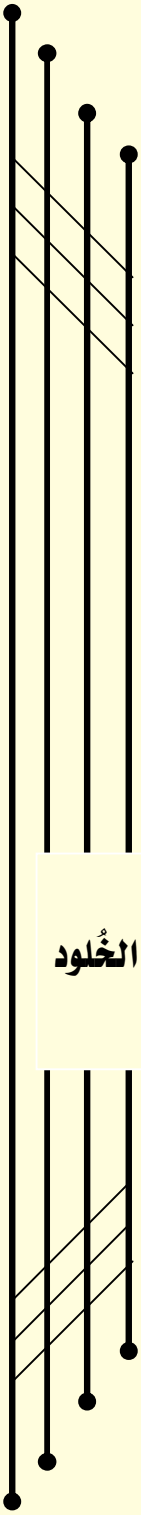

الرابعة والعشرون : مَسائل في عقيدَة الخُلود

مَسائل في عقيدة الخُلود

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُلله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين، سيدنا محمّد وآله الطّاهرين، نجومُ السّماء وعلامات الاهتداء، ورضوان الله على الصّحابة المتّقين، والتابعين لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدّين .

وبعَد :

فيجِد البَاحِث في طيّات هذه الصّفحَات مَسائلَ لأحَد الإخوَة السلفيّة تعمّدَ فيها توهينَ عقيدَة خُلودِ أصحاب الكبائر المُصرّينَ من أهل القبلَة كما هُو المشهورُ من مذهب أهل البيت عليهم السلام، فاتّجَه إلى عَدد من الرّاويات المُتشابهَة المأثورَة في كُتب الأصحَاب يستخرجُ منها ما يدلّ على مُرادِه من ردِّ عَقيدَة الخُلود، أيضاً أتَى بآيات من كتابِ الله تعالى يُريدُ أن يستظهِرَ بها على نقضِ عقيدَة الخُلود، وتجدرُ الإشارَة لَمن أرادَ تحصيلَ فائدةٍ أكبَر أن يقرأ المُهتمّ ما سطَّره الفَقير في مبَحث (صِدق الوَعيد في مِيزان الثّقلين).

نعم! وهُنا أسوقُ تلكَ المسائل والإجابَة عَليها، والله نسألُ عِصمَة التّوفيق .

المَسألة الأولَى :

آياتُ الوَعيد في القرآن الكريم، آياتٌ وجهُها عامّ، والسّنة قد خصّصَتهَا بأحاديث الشّفاعَة المُتواترَة، فكيفَ تقولُ الزيدية في ذلك ؟.

والجَواب :

بُخصُوص تَخصيصِ السنّة لعُموم القرآن، فَهو قولٌ صَحيح على الجملَة، ولكنّ الحاصل هُنا هُو العَكس أخي السّائل، فآيات الكتاب خصّصت الشّفاعَة، ومُستحقّي الرّحمة، من عُصاة أهل القبلَة أصحاب الكبائر، بالتّائبين المُستغفِرين، قال الله

تَعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقال الله تَعالىٰ: ﴿يا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُواْ إِنْ تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الأنفال:٢٩]، ومَن ماتَ وهُو علىٰ غير التّقوىٰ مُصرٌّ علىٰ العصيان والكبائر، فهذا كيفَ يُقال: إنّ الله سيرحمُه بشفاعَة النّبي ﷺ، فتلكَ الأحاديث التي تَحكي عنهَا التّواتر فهي في حالهَا إمّا ضعيفٌ في طريقِه، وإمّا صَحيحٌ قابلٌ للتّأويل بما يُوافقُ القُرآن، وإمّا صحيحٌ -علىٰ شرطُكم- لا يقبلُ التّأويل وهُو يخُالف تخصيصَات القُرآن ومُحكماتِه، وهذا فلا يُعمَل به علىٰ مَباني الزيدية.

المَسألة الثّانيَة:

روَىٰ الإمَام المرشد بالله من أئمّة الزيدية، بإسنادِه: «قَالَ: أخبرَنا أبو نَصر إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله الكسائي بقراءتي عليه، قَال: أخبرَنا أبو بَكر محمّد بن أحمَد بن محمد بن حشيش المعدل قراءة عليه، قال: أخبرنا أبو جَعفر محمّد بن عَلي بن مخلد الدّركاني، قال: حدّثنا إسماعيل بن عَمرو، قال: حدثنا حَفص بن سليمان، عَن كثير بن زاذان، عَن عاصم بن ضمرة، عن عَلي بن أبي طالب عليه السلام، قَال: قَال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرأ القُرآن فَاستظهَرَهُ وحَفِظَه أدخَلَه الله الجنّة، وشَفّعَه فِي عَشَرة مِن أهل بيته كلّهم قَد وَجَبت لَه النّار»، فمَا تقولُ الزيدية في هذه الرّواية؟.

والجَواب:

نقولُ فيه: إنّ هذه الرّواية ضعيفَة جداً، لجهالَة كثير بن زاذان، وهي لا تُروىٰ بهذا الوَجه إلاّ من طريقِه، وليسَ له روايَة عند الزيدية فيما بحثتُ عنه إلاّ هذه الرّوايَة، وكذلكَ قال أهل الجرح والتّعديل: قال يحيىٰ بن معين: لا أعرفُه. وقال أبو حاتم، وأبو

زرعة: شيخٌ مجهول. روىٰ له ابن ماجة والتّرمذي حديثٌ واحِد .[1]، وروىٰ الترمذي خبرَ المرشدِ بالله بإسنادِه عن كثير بن زاذان، ثمّ قال التّرمذي : «هَـذا حَـديثٌ غَريـبٌ لا نَعرِفـهُ إلا مِن هذا الوَجه، وَلَيسَ إِسنَادُه بِصَحِيح»[2].

نعم! فهذا الخبَر لا يصحّ أن يُحتجّ به عـن الإمـام عـلي عليه السلام . أيـضاً قـد أشـار الـسيّد العلامة علي بن محمّد العجـري رحمـه الله تعـالىٰ إلىٰ الجَهالَـة فيـه، وذلـك في كتابِـه مفتـاح السّعادة .

المَسألة الثّالثَة :

روَىٰ الحافِظ محمّد بن منصور المُرادي، في كتابِه الذِّكر، بإسنادِه، قالَ: «حَدّثنا محمّد بن إسماعيل، عن أبي غسّان، عَن عثمان بن مَطر، عَن أبي جَريـر، عَـن [عَـامر بـن شراحِيـل] الشِّعبي، عَن حُذيفة، فِي قَوله: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَـزَعٍ يَوْمَئِـذٍ آمِنُوْنَ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِيْ النَّارِ**﴾ [الفتح: ٢٦]، قال: «مَنْ جَاء بِلا إله إلاّ الله، وَجبَتْ لَه الجنّة، ومَن جَاء بالشِّرك، وجَبَتْ لَه النّار»، فـمَا تقـولُ الزيديـة في هـذه الرّواية ؟.

والجَواب :

علىٰ هذه الرّواية، أنّها صحيحَة المَتن لا تُخالفُ علىٰ عقيـدَة الخلـود، فالمقـصودُ بقولـه: «مَنْ جَاء بلا إله إلاّ الله»، يَعني قائماً بواجبَاتها، وحُدودِها، التي قالَ الله تعالىٰ فيها: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر:٧]، فيلتزمُ المُسلمُ مع شـهادته بالفرائض ولا يرتكبُ الكَبائر والمَعَاصِي، فـإنْ مـاتَ عـلىٰ ذلـك غـير مُـصرٍّ عـلىٰ كبـيرَة، «**وجبَت لَه الجَنّة**»، فالكلامُ في الخَبر هُو عن المؤمنين المتّقين الذين يـشهدونَ بـلا إلـه إلاّ

(١) تهذيب الكمال:٢٤/ ١١١.

(٢) سنن الترمذي:٥/ ١٧١.

الله مُخلصَةٌ قلوبُهم، ويُبيّنه ما رواه الحاكم بسندٍ صحيح، وصحّحه الذّهبي، عَن مُعاوية بن معتب، عَن أبي هريرة أنه سَمِعَه يَقول : سَألتُ رَسُول الله ﷺ مَاذَا رَدَّ إليك رَبّك فِي الشّفَاعَة؟! . فقال: «والذي نَفسِي بِيدِه لقد ظَننتُ أنّكَ أوّل مَنْ يَسألُني عَن ذلك لِمَا رَأيت مِن حِرصِك عَلى العِلم، والذي نَفسِي بِيدِه لَمَا يهمّني مِن انقصَافِهم عَلى بَاب الجنّة أهمّ عِندي مِن تمام شفَاعَتي، وشَفاعتي لِمَن شَهِدَ أنَّ لا إلهَ إلاَّ الله **مُخلصاً**، يُصَدِّق قَلبه لِسَانه، ولسانهُ قلبَه» (١).

المَسألة الرّابعَة :

روَى الإمام أبو طالب، في أماليه، بإسنادِه، قالَ: «حدّثنا محمّد بن بندارٍ، قال: حَدّثنا الحسَن بن سُفيَان، قَال: حدّثنا إبراهِيم بن يَعقوب، قَال: حَدّثنا سَعيد بن سُليمان، قال: حدّثنا يحيى بن المتوكل، قَال: حدثنا عُمر بن محمد بن يزيد، عَن عبد الله بن دينارٍ، عن ابن عُمَر، قال: قَال رَسُول الله ﷺ : «الأعمال عند الله سبعةٌ: عَمَلانِ مُوجِبَان، وعَمَلان بأمثالها، وعَملٌ بعشرَة أمثاله، وعملٌ بسبعمائةٍ، وعملٌ لا يَعلم ثوابه إلا الله، فأمّا المُوجِبَان: فمَن لَقِي الله تَعالَى يَعبُده مُخلصاً لا يُشرك بِه شَيئاً وجبَت لَه الجنّة، ومَنْ لَقِي الله قَد أشرك به وَجَبت لَه النّار، ومَن عَمِل سَيّئةً جُزِي مِثلَها، ومَن أرادَ أن يَعمَل حَسَنةً ولم يَعمل بِهَا جُزِي مَثلَها، ومَن عَمِل حسنةً جُزي عَشراً ومَن أنفَقَ مَالاً في سَبيل الله ضُوعِفَت لَه نَفَقَته الدِّرهم بسبعُمائةٍ، والدِّينار بِسبعُمائةٍ، والصِّيام لله لا يَعلم ثوابَ عَامِلِه إلاَّ الله تبارَكَ وتعَالى»، فمَا تقولُ الزيدية في هذه الرّواية ؟.

والجَواب :

على هذه الرّواية، أنّه لا يوجَد في مَتنها ما يدلّ على عقيدَة عدم الخلود، فقولُه ﷺ : «فأمّا المُوجِبَان: فمَن لَقِي الله تَعالَى يَعبُده **مُخلصاً** لا يُشرك بِه شَيئاً وجبَت لَه

(١) المستدرك على الصحيحين:١/ ١٤١.

الجنّة»، فالمُرادُ هُنا المؤمنين المُخلصين المُتّقين، الذي قال الله تعالى فيهِم : ﴿**إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا**﴾ [النساء:٣١]، لا أنّ المُراد بالمُخلصين أصحاب الكبائر والمعاصي المُوبقَة، فهؤلاء ليسوا بمُخلصين عند التّحقيق، قال عثمان بن عفّان: «فَاجتنبُوا الخَمر فَوالله لا يَجتمعُ الإيمَان وإدمَان الخَمرِ فِي قلبِ رَجلٍ، إلاَّ أوشكَ أحَدهُما أنْ يُخرِجَ صَاحِبَه» (١) .

المَسألة الخامسَة :

روَى الإمام المُرشد بالله، في أماليه، بإسنادِه، أنّ رسول الله ﷺ، قَال: «ومَن صَام مِن رَجب إحدَى وَعشرين يَوماً شفعَ يَوم القيامة بمثلِ رَبيعَة وَمُضر كَلّهم مِن أهل الخطَايَا والذّنوب»، فمَا تقولُ الزيدية في هذه الرّواية ؟.

والجَواب :

وهذا الخبَر لا دلالَة فيه على عدم الخلود، فإنّ أهل البيت قد حملَوا ما هُو أصرحُ من رواية المُخالفين، حديث (شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي)، حملتهُ على أنّ الشفاعة تكون لأصحاب الكبائر التّائبين أصحاب الحسنات القليلَة، فكذلك نقولُ في حديث المرشد بالله عليه السلام المُقتبس، فإنّ أهل الخطايا والذّنوب من هذا الصّنف، أو من أصحاب الصّغائر، أمّا أنْ يكونوا من المُصرّين أصحاب الكبائر العُصاة فالشّفاعة لهم مُخالفَة لكتاب الله تعالى، ولإجمَاع أهل البَيت عليهم السلام، وقد قال الله تعالى بما ينطبقُ حالُه مع كلامنا القريب حول خبر المرشد بالله، قال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّـهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّـهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا، إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّـهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّـهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠]، فالذين تكون

(١) مصنّف عبد الرّزاق:٩/ ٢٣٦.

لهم الشّفاعة من أصحاب الخطايا والذّنوب هم أولئكَ العصاة التّائبون مَن قلّت حسناتهُم، فيكونُ تقديرُ الكلام، «مِن أصحاب الخطايا والذّنوب [التّائبين]»، الذين قلّت حسناتُهم فتكونُ منزلتُهم ودرجتهُم في الجنّة غير رفيعَة، فيُشفَع لهُم إكراماً من الله ليرتقوا منزلةً أعظم منها في الجنّة، وهذا لا غُبارَ عليه.

المَسألة السّادسَة :

روَىٰ الحافِظ محمّد بن منصور المرادي، في كتابِه الذِّكر، بإسنادِه، قَال: «حدثنا محمّد بن إسماعيل، عَن عِيسىٰ بن عَبد الله [بن محمّد بن عُمر بن عَلي]، قَال: أخبرَني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ قَرأ مَائة مَرّة قُل هُو الله أحَد فِي دُبُر كلّ صَلاة مَكتوبَة جَاز الصِّرَاطَ وعَن يَمينه ثَمانية أذرُع، وعَن شِماله ثَمانية أذرع، وهو يَطَّلِع في النّار يَميناً وشِمالاً وَجبريل صلّىٰ الله عليه آخِذ بِحجزَته، مَنْ رَأىٰ فِيها مِمّن يَعرفُ دَخَلَها بِذنبٍ غَير الشِّرك أخَذَ بِيَدِه فَأدخَلَه الجنّة بِشفَاعَتِه»، فمَا تقولُ الزيدية في هذه الرّواية ؟.

والجَواب :

علىٰ هذه الرّواية، نُدرجه من خمسَة وجوه :

الوجهُ الأوّل : أنّ الرّواية صحيحَةُ السَّنَد، وهي مُتأوّلَة غير محمولَة علىٰ ظاهِرها حيث أنّها من مُتشابَه الحديث، والمُتشابَه إجماعاً يُرجَع إلىٰ المُحكَم، والمُحكم من كتاب الله تعالىٰ وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، أنّه لا شفاعَة لأصحاب الكبائر، وأنّ أصحاب النّار المستوجبين العصَاة المُصرّين حُكِم لهُم بالخلود، وعَدم الرّحمة.

مثالٌ علىٰ ذلك : أنْ يكونٌ فلانٌ من أهل القبلَة مُشترياً بعهد الله وأيمانِه ثمناً قليلاً، يشهدُ الزور، ويمتهنُ الحلفَان لكسب الثّمن القليل الحقير، فإنّه علىٰ مُقتضىٰ ظاهر الحديث السّابق سيخرجُ من النّار إلىٰ الجنّة، سينظرُ الله إليه بعين الرّحمة، والقرآن في الآية

المُحكمَة يقول: ﴿**إِنَّ الذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّـهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّـهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران:٧٧]، فبأيّ القَولين سنأخُذ أخي المُنصِف، هَل ما جاء في الحديث المُتشابَه، أو ما جاء في الآية المُحكمَة ؟!، أم نجمعُ بعدم تكذيب الحديث الصّحيح، فنردّ مُتشابَه السنّة إلى مُحكم الكتاب، فنقول: إنّ المُرادَ من الحديث لن يُخالفَ على المُراد من الكتاب، والمُراد من الكتاب هُو عدم النّظر أو الرّحمَة أو التزكيَة لهذا الذي اشترى بعهد الله تعالى ثمناً قليلاً، فيكونُ الحديث مُتأوّلاً عن ظاهِره، فكيفَ لو صحّ أنّ أهل البيت عليهم السلام، ذريّة أمير المؤمنين عليه السلام، الثّقل الثّاني المُلازم للقرآن في الحقّ، قد أجمعوا على أنّه لا خروج لمن يستحقّ النّار من النّار، فهذا تعضيدٌ للمُحكم من كتاب الله تعالى، هذا ثَقلٌ أصغر، وذاكَ ثقلٌ أكبَر، فالحديث لا يُؤخَذ على ظاهِره لمن أرادَ الحقّ، فأمّا مَن يبحَثُ عن الأعذار بتصيّد الرّوايات فمَا هذا بباحثٍ عن الحقّ عند التّحقيق، وإلاّ فآيات الكتاب قد مرّت في مبحثنَا من سبعٍ وثلاثين آية تدلّ على الخلود تلميحاً وتصريحاً، ومن إجماعات العترة، فمن انصرَف إلى ظاهِر هذا الحديث دونَها فقد ظلمَ نفسَه.

الوجه الثّاني: إضافةً إلى مُخالفَة ظاهر هذه الرّواية عن أمير المؤمنين لمُحكم الكتاب، وإجماع ذريّته الطّاهرة، وأنّ الحقّ منها التأويل ليعودَ المُتشابَه من الحديث إلى المُحكم من الكتاب، فإنّه قد وردَ عن أمير المؤمنين نفسُه ما يُخالفُ على الظّاهر الذي قد يُفهَم من الرّواية السّابقة، فجاء عنهُ عليه السلام ما يشهدُ بالخلود لأصحاب الكبائر دون الخروج.

روى الإمام أبو طالب عليه السلام، بإسنادِه، إلى الحسين -ذو الدّمعة- بن زيد بن علي، عن جَعفر -الصادق- بن محمّدٍ، عن محمد -الباقر- بن علي، عن علي -زين العابدين- بن الحسين، عن الحسين -الشهيد- بن علي، عن علي -المرتضى- عليه السلام، قال: قالَ رَسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فِي الزّنَا سِتٌّ خِصَالٍ: ثَلاثٌ فِي الدّنيا، وثَلاثٌ فِي الآخِرَة، فَأمّا التِي فِي الدّنيا: فَإنّهَا تُذهِبُ البَهَاء، وتُعَجّلُ الفَنَاء، وتَقطَعُ الرّزق، وأمّا التِي فِي الآخِرَة: فَسُوءُ الحِسَاب، وسَخَطُ الرّحمَن، **والخُلودُ فِي النّار**»[1]، فمن استحقّ الخلود لم يخرُج من النّار.

(١) أمالي أبي طالب:٤٥٤.

الوجه الثّالث : وفيه روايةٌ ثانية عن أمير المؤمنين عليه السلام تُفسِدُ ما قد يستنتجُه المُخالفُ من ظاهر الرواية السّابقة، وإيهامِها عدم القَول بالخلود، فروىٰ الإمام أبو طالب، بإسناده، عن محمّد بن الحنفيّة، أنّه قال : «لمّا قَدِمَ أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ البصرة بَعدَ قِتَال الجمَل دَعَاهُ الأحنَفُ بن قَيسٍ رَضي الله تعالىٰ عنه، واتخذَ لَهُ طَعَاماً،...، [فوعظَهم أمير المؤمنين، فكان من قولِه لهُم]، فَإنْ فَاتَكَ يَا أحْنَف مَا ذَكرتُ لَكَ فَلتَرفُلَنّ فِي سَرابيل القَطِرَان، ولَتَطُوفَنّ بَينَهُمَا وبَينَ حَمِيمٍ آنٍ، فَكم يَومَئذٍ فِي النّار مِن صُلبٍ محطوم، ووجهٍ مَشؤوم، ولَو رَأيتَ وقَد قَام منادٍ ينادي: يا أهل الجنّة ونَعيمهَا وحُليّها وحُلَلِهَا خُلوداً لا مَوتَ فِيهَا، ثمّ يَلتَفِتُ إلىٰ أهل النّار فَيقول: يَا أهلَ النّار يَا أهلَ النّار، يَا أهلَ السّلاسِل والأغلال، خُلوداً لا مَوتَ، **فَعِندَهَا انقَطَعَ رَجَاؤهُم** وتَقَطّعَت بِهِمُ الأسبَاب، فَهَذَا مَا أعدّ الله عزّ وجلّ للمُجرِمِين، وذَلك مَا أعدّ الله عزّ وجَلّ للمُتقين» [1]، وهُنا لا يفوتُك أنّ هذا هُو قولُ أمير المؤمنين عليه السلام الخاصّ به والذي هُو عقيدته التي فَهِمهَا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهُو انقطاع الرّجاء لمن استحقّ النّار، هذا وهُو عليه السلام يُخاطب إخوانَه من المسلمين، فهذه الرّواية أعظمُ في الدّلالة علىٰ عقيدَة أمير المؤمنين؛ لأنّها تُمثّلُ فَهمَه لعقيدَة وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي منه الرّواية الرئيسَة محلّ النّقاش المُوهمَة عدم الخلود، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يَفهَم منها ما جاءَ به ظاهرُها، فهي قطعاً عندهُ مُؤّلة، وإلاّ ما قالَ بالخلود لعصاة المسلمين في الرّواية القريبَة، وقطعَ عنهُم الرّجَاء.

نعم! فهذا من عقيدة أمير المؤمنين موافقةٌ لما أجمعَت عليه ذريّته من ذات عقائدِهم التي اختاروها لأنفُسِهم؛ لأنّ العقيدَة لا تُؤخَذ من مجرّد رواية حديثيّة بدون إعمَال النَّظر، فالحديث قد يكونُ مُتشابهاً أو غير ذلك .

الوَجه الرّابع : في تأويل هذا الخَبر بإرجاع مُتشابَهه إلىٰ مُحكم عقيدة القرآن، وإجماع أهل البيت عليهم السلام، وقد تأوّل هذا الخبَر الإمام المهدي لدين الله محمّد بن القاسم الحسيني عليه السلام في كتابه (البدور المُضيئة)، فليُراجَع .

(١) أمالي أبي طالب:٥٩٦.

الوجَه الخَامس : إنّ أقصَى ما قَد يُجاب على هذه المسألَة إنْ لم يقتنِع المُخالِف بالتّأويل، بأنّ الحديث إذا جاء من طريقٍ (إسنادٍ) صحيحٍ، وشذّ متنُه، لُمخالفَة الكتاب، وصحيح السنّة، وإجماع العترَة، ولَم يقبَل التأويل، فإنّه مَردود، ولا يؤثّر ذلكَ على وثاقَة رجالِه، كما هُو معلومٌ في فنّ الحديث، وقد يَحكمُ البعض بنكارَة بعض الرّوايات في الصّحاح السنيّة، بدون قَدح في الرّجال، فيكون هذا من ذاك، والحمدُ لله.

أحاديث تدلّ على الخُلود من كُتب المُخالفين

نعم! وللفائدَة والمَقام يتدلّ فيه المُخالف من بعض الرّوايات التي أكثرُها صالحٌ بالتّأويل من كُتب أهل البيت عليهم السلام، وليسَ للمُخالِف في ما يحتجّ فيه بقطعِ الدّلالة على مُخالفَة إجماع أهل البيت عليهم السلام في إثباتِ الخُلود، فإنّا نُوردُ هُنا رواياتاً من كُتب المُخالفين تُثبتُ الخُلود فتكون أدلّ على المُراد من تعارُض أحاديث إثبات الشّفاعَة لأصحاب الكَبائر مع أحاديثَ أخرَى، فضلاً عن مُعارضتَها لمُحكمات ونصوص الكِتاب العَزيز، فمن ذلك:

١ -ما رواهُ البُخاري، في صحيحِه، بإسنادِه، «عن الحَسَنِ، حدثنا جُنْدَبٌ رضي الله عنه، في هذا المَسْجِدِ فما نَسِينَا وما نَخَافُ أَنْ يَكْذِبَ جُنْدَبٌ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ: «كَان بِرَجُلٍ جِرَاحٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقال الله بَدَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ **حَرَّمْتُ عليه الجَنَّةَ**» [1] .

تعليق: ومَن حرّم الله عَليه الجّنة من قولِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل من قولِ الله تعالَى في كما في الخَبر، فقد حرَّم الله عَليه الجنّة، والمُخالِف يروي أحاديثاً في إثباتِ شفاعَة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم لذلك المُسلِم القاتلِ لنفسِه، وأنّ الله سيُخرجُه من النّار إلى الجنّة المُحرَّمَة عَليه!، ويروي البخاري أيضاً ما هو أصرحُ منه، عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من تَرَدَّى من جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ في نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فيه خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ في يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ في يَدِهِ يَجَأُ بها في بَطْنِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا» [2].

(١) صحيح البخاري:١/ ٤٥٩.

(٢) صحيح البخاري:٥/ ٢١٧٩.

٢-ما رواهُ البُخاري، في صحيحِه، بإسنادِه، «عن عَاصِمٍ، قال: سمعت أَبَا عُثْمَانَ، قال: سَمعت سَعْدًا، وهو أَوَّلُ من رَمَى بِسَهْمٍ في سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبَا بَكْرَةَ وكان تَسَوَّرَ حِصْنَ الطَّائِفِ في أُنَاسٍ فَجَاءَ إلى النبي ﷺ، فَقَالَا سَمِعْنَا النبي ﷺ يَقول: «مَنِ ادَّعَى إلى غَيْرِ أبيه، وهو يَعْلَمُ **فَالْجَنَّةُ عليه حَرَامٌ**»[1].

٣-ما رواهُ البُخاري، في صحيحِه، بإسنادِه، «عن سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ رضي الله عنه،قال: قال النبي ﷺ : «رَأيت اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إلى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَانْطَلَقْنَا حتى أَتَيْنَا على نَهَرٍ من دَمٍ فيه رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بين يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الذي في النَّهَرِ فإذا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ في فيه فَرَدَّهُ حَيْثُ كان، فَجَعَلَ كُلَّمَا جاء لِيَخْرُجَ رَمَى في فيه بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كما كان، فَقُلتُ: مَا هَذا؟!. فَقال: الذي رَأَيْتَهُ في النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا»[2].

تعليق: هُنا تأمّل عَدم خُروجِ آكل الرّبا من نَهرِ الدَّم، وهُو العذابُ والنّار، وقارنهُ بآيَة خلود أصحاب الرّبا، علماً بأنّ البخاري أوردَ هذا الحديث ضِمنَ تَأويل الآيَة: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة:٢٧٥]، فكمَا أنّ الرّجل لم يستطِع الخُروج من نَهر الدّم، فكذلك لن يستطيعَ الخُروجَ من النّار، ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم:٤].

٤- ما رواهُ البُخاري، في صحيحِه، بإسنادِه، عَن أبي هُريرَة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا **يَنْظُرُ الله اليْهِمْ يوم القِيَامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ** رَجُلٌ كان له فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ فَمَنَعَهُ من ابن السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إلا لِدُنْيَا فَإِنْ

(١) صحيح البخاري:٤/ ١٥٧٢.

(٢) صحيح البخاري:٢/ ٧٣٤.

أَعْطَاهُ منها رضي وَإِنْ لم يُعْطِهِ منها سَخِطَ، وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ العَصْرِ فقال: والله الذي لَا إلهَ غَيْرُهُ لقد أَعْطَيْتُ بها كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ ثُمَّ قَرَأَ هذه الآيَةَ : ﴿**إِنَّ الذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّـهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾[آل عمران:٧٧] [(١)].

تعليق: هُنا تأمّل مُعارضَة هذا الخَبر لأحاديث الشّفاعَة التي هي رحمَةٌ من الله تعالى بأصحاب الكَبائر والفسقَة!، ففيه أنّ الله لا ينظُر إليهِم يوم القيامَة ولا يُزكّيهِم وأنّ لهُم العذابُ الأليم، وهذا الخَبر وأمثالُه هُو الموافقُ للكتاب العَزيز، وغيرُه هُو المُخالِف، فالله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ الذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّـهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّـهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران:٧٧]، فتنبّه أخي الباحِث باركَ الله فهمَك.

٥-ما رواهُ البُخاري، في صحيحِه، أنّ العَلاء بن زيَاد كان يُذكِّرُ النَّار، فقالَ له رجلٌ: لِمَ تُقنِّطُ النّاس؟!، فقالَ العَلاء بن زِياد: «وأنا أَقْدِرُ أَنْ أُقَنِّطَ الناس!، وَاللَّـهُ عز وجل يقول: ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّـهِ**﴾ [الزُّمَر:٥٣]، وَيَقُولُ: ﴿**وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ [غافر:٤٣]، **وَلَكِنَّكُمْ تُحِبُّونَ أَنْ تُبَشَّرُوا بِالْجَنَّةِ علىٰ مَسَاوِئِ أَعْمَالِكُمْ، وَإِنَّمَا بَعَثَ الله مُحَمَّدًا** ﷺ **مُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَمُنْذِرًا بِالنَّارِ مَن عَصَاهُ**»[(٢)] .

تعليق: هُنا تأمّل أخي البَاحث أنّنا في تأصيلِنا لعقيدَة الوَعيد لم نَعدُ قولَ العَلاء بن زياد العَدويّ البَصريّ في الرّواية القريبَة، فلا التّقنيطُ من رحمَة الله بسدّ باب التّوبَة وعَدم المَغفرَة والتّكفير للتّائبين المُستغفرين وإن عَظُمَت أعمالهُم، ولا التّبشيرُ بالجنّة بلا توبةٍ ولا ندمٍ ولا رجوعٍ عن المعاصي والكَبائر والفَواحِش، فالوعدُ للمُحسنين، والوَعيدُ على المُفسدين في دينِ الله تعالى، المُخالفين لما جاءَ يؤصِّله ويُعلِّمنا إيّاه رسولنا ﷺ .

---

(١) صحيح البخاري:٢/ ٨٣١.

(٢) صحيح البخاري:٤/ ١٨١٣.

٦- ما رواهُ البُخاري، في صحيحِه، بإسنادِه، عَن نَافِعٍ، عن عبد اللَّـهِ بـن عُمَـرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَال: «مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ في الدُّنْيَا، ثُمَّ **لم يَتُبْ منها** حُرِمَهَا في الآخِرَةِ»[1].

تعليق: هُنا تأمّل أخي البَاحث أنّ مَنْ شربَ الخَمر في الدّنيا حُرِّمت عليه الجنّة في الآخرَة، وتأمّل تقييد رسول الله ﷺ دخولَ الجنّة والشّرب من خمرهَا بالتّوبَة في الدّنيا، فلا توبَة ولا ندمَ في الآخرَة، تجدهُ عين تأصيل أئمّة أهل البيت عليهم السلام في المسألَة، فإنّ مَن مات مُصرّاً على شُرب الخَمر في الدّنيا، أو على فعل الكبيرَة بعُموم، فإنّه لن يدخُلَ الجّنة خالداً مخلّداً في النّار، ﴿**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّـهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا**﴾ [النساء:١٢٣]، وقَد قال رسول الله ﷺ : «لا يدخُل الجنّة مُدمنُ خَمر» .

٧- ما رواهُ البُخاري، في صحيحِه، بإسنادِه، أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه قَال: أَتَيْتُ النبي ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وهُو نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وقد اسْتَيْقَظَ فقال: («مَا مِن عَبْدٍ قَال: لَا إلـهَ إلاّ الله، ثُـمَّ مَـاتَ عـلى ذلـك إلاَّ دَخَـل الجَنَّـةَ، قُلـتُ: وَإِنْ زَنَـى وَإِنْ سَرَقَ؟!، قال: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، قُلـتُ: وَإِنْ زَنَـى وَإِنْ سَرَقَ؟!، قـالَ: وَإِنْ زَنَـى وَإِنْ سَرَقَ، قُلت: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟!، قالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ على رَغْمِ أَنْفِ أبي ذَرٍّ».

وكَان أبو ذَرٍّ إذا حَدَّثَ بهذا قال وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أبي ذَرٍّ. قَال أبو عَبْد اللَّـهِ [البُخـاري] هَذا عِنْدَ المَوْتِ أو قَبْلَهُ إذا تَابَ وَنَدِمَ وقال لَا إلهَ إلاّ الله غُفِرَ له»)[2] .

تعليق: هُنا تأمّل أخي البَاحث تأويلَ أبي عبدالله البُخـاري صـاحبُ الـصّحيح لهـذا الخَبر، فإنّه لم يُطلقهُ بلا تَوبَةٍ أو ندَم من أصحاب الكبائر الزّناة والسَّرَق، بل أصَّلَ أنّ وجه كلام رسول الله ﷺ في هذا الحَديث هُو عندَ الموت أو قبلَه إذا تابَ من ذنبِه ثـمّ قـالَ: لا

(١) صحيح البخاري:٥/ ٢١١٩.

(٢) صحيح البخاري:٥/ ٢١٩٣.

إله إلاّ الله، فإنّ الله يغفرُ له ويُدخلُه الجنّة، وهذا من قولِنا بشرط التّوبَة في أوقاتهَا المَقبولَة قبل الغرغرَة لاستحقَاق الجنّة.

نعم! والشّاهدُ هنا أخي الباحث أنّ هذا الحديث وأمثالُه تُأوّلُ على وجهها الصّحيح بأقوال أهل العِلم الرّاسخين، وأرسخُ العُلماء ثَقل الله الأصغرُ في الأرض، فظاهرُ ذلك الحَديث بدون تأويلِ البُخاري قد يجعلُه البعض شاهداً لأحاديث المَغفرَة بلا توبَة، والشّفاعَة، وعَدم الخُلود، وهذا للأسَف سببُه دُخول مدينَة الرّسول ﷺ من غير بابهَا، وعليٌّ وأهل بيتِه عليهم السلام هُم أبوابُها، والحمدُلله .

نعم! أكتفِي هُنا بما تمّ نقلُه وإلاّ فإنّ البخُاري ومُسلم لوحدهمَا بالتزام المُخالِف لصحّتها فيهَا ما يَكفي في الدّلالة عن رسول الله ﷺ على قولِ أهل البيت عليهم السلام في مسألة إثباتِ الخُلود .

المَسألة السّابعَة :

تستدلّ الزيدية بلفَظة (الخُلود) في آيات الوَعيد من القرآن الكَريم، والخُلود معناهُ: المُكث الطّويل، لا البَقاء الدّائم، والمُكث الطّويل يعقبُه خُروج وإن طالَ وقتُ المُكث في النّار.

والجَواب :

أنّ الخُلود هُو البقَاء السّرمديّ، ليسَ يصحّ أنّه المكوث الطّويل المُنقطِع، وهذه من عجَائب عِناد أهل العَقائد، وإلاّ فإنّ لغَة العرَب لا تَفهم الخُلود بمعنى المكُوث، قال ابن منظور : «خَلد : الخُلدُ : دَوامُ البَقاء فِي دَارٍ لا يَخرُج مِنها، خَلد يَخلدُ خُلداً و خُلوداً : بَقي وأقامَ، ودار الخُلد : الآخِرَة لبقاء أهلِها فِيهَا، و خَلَّدَه الله وَ أخلَدَه تَخليداً، وقد أخلدَ الله أهل دَار الخلد فِيها وَخَلَّدَهُم» [1].

(١) لسان العرب:٣/ ١٦٤.

وفي مختار الصّحاح : «خلد، الخُلد دَوامُ البَقاء» .

وفِي المعجم الوسيط : «خُلدَا وَ خُلوداً، دَامَ وَ بِقي»، وإنّما قالَ مَن قالَ بهذا، نعني المكوث هرباً مِن مُحكمات القرآن العظيم في تخليد أصحاب الكبائر، والله المُستعان .

سلّمنا جدلاً أنّ معنى الخُلود في الآيات قد يكونُ إطلاقُه مجازيّ يُعنى به المكوث الطّويل المُنقطِع، وأنّ دليلَكم على هذا هُو التّخصيص من السنّة لإطلاقات وعموم القرآن، فخصّصتم إطلاق الخلود بما وعَد الله من الرّحمَة والشّفاعة، فقلتُم هُو خلودٌ مجازيّ، فهُنا الحَكَمُ بيننا وبينُكم كتاب الله تعالى، وسنّة نبيّه ﷺ، نوردُ ذلكَ من أمرَين جامِعَين:

فأولاً : إمّا أنْ يُطلِقَ الله الخلود في القرآن لأصحَاب الكبائر والفجور المصرّين من المسلمِين، فتقولونَ: إنّ هذا الإطلاقُ للخلود مُخصّص بمشيئَة الله تَعالى أنْ يغفرَ لهُم برحمتِه التي أعطاهَا لنبيّنا محمّد ﷺ وهي الشّفاعَة، وهذا جاءتْ به أحاديث السنّة، فالسنّة خصّصت إطلاق الخلود والعذاب لأهل الكبائر، فينتقلُ المَعنى من الحقيقَة في لفظة الخلود وهي دوامُ البقاء، إلى المعنى المجازيّ، وهُو طُولُ البقاء بلا دَوام .

وثانياً : إمّا أنْ يُطلِقَ الله الخُلود في القرآن لأصحاب الكبائر والفُجور المُصرّين من المسلمين، فنقولُ: إنّ هذا الإطلاق للخلود شَهِدَ الكتاب والسنّة أنّه لازمٌ في حقّ أصحاب الكبائر لا يُخصّصه مُخصّص فيُصرَف عن ظاهِر معناه الحقيقيّ وهُو دَوام البَقاء، وذلكَ أنّ ثلاثَة أمور تمنَعُ تخصيص إطلاق الخلود وصرفِها للمكوث الطّويل المُنقطِع، دون البقاء الدّائم السّرمديّ، وهي:

الأمرُ الأوّل :، هُو المُعارضَة لكتاب الله تعالى، وذلك أنّ كتابَ الله تَعالى خصّص رحمَة الله، (وشفاعَة الرّسول ﷺ هي أعظمُ رحمَة إلهيّة)، فقال تعالى : ﴿**قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف:١٥٦]، فأصحاب الكبائر ليسُوا من المتّقين

المُخلصين، فالله تَعالى لم يُدخلهُم فيمَن كتَبَ رحمَتَهُ لهُم يوم القيامَة، فلا شفاعَة لهُم، ومَن استحقّ دخول النّار، ولم يستحقّ رحمَة الله تعالى له، فإنّه باقٍ في النّار غيرُ خارجٍ منهَا، وكذلكَ أطلقَ الله تعالى الخلود، بمعنى البقاء الدّائم في حقّ هؤلاء العُصاة، فلا يجوزُ صرفُ تخصيص السنّة -المُختلَف حولها- لإطلاق لفظ الخلود بالمكوث الطّويل المُنقطِع؛ لأنّ شرط المكوث الطّويل المُنقطِع تحقّق رحمَة الله لأهل الكبائر، والله تعَالى أخبرَ أنّهم لا يستحقّون رحمَتهُ كما في الآيَة المُحكمَة، نزيدُ المُنصف بقولِ الله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران:٣١]، فهذه الآية تردّ عليكُم تخصيصَكم رحمَة الله تعالى بأهل الكبائر الذين ماتوا على الإصرار على العصيان، فمغفرَة الله لن تتأتّى لهُم إلاّ بمحبّة الرّسول ﷺ، واتّباعه في أمرهِ ونهيه، فسقطَ رأساً قول من خصصّ لفظة الخلود وصرفَها إلى معنى المكوث الطّويل المُنقطِع، بل اللازمُ من مُحكمات الكتاب الأخرى أنْ يكون معنى الخلود هُو البقاء الدّائم لمكان استحقاقِهم دخول النّار، ولعدَم استحقاقِهم الرّحمة والمغفرَة الإلهيّة، فما يُخرجُهم من النّار والله توعّدهم بعدم الرّحمة والمغفرَة إنْ عَصوا الرسّول ولم يُطيعوه؟!، ونزيدُك من علوم ثقَل الله الأصغَر، من قولِ الله تعالى: ﴿**إِنَّ الذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّـهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّـهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران:٧٧].

فمَن امتهَن الحِلفان بالله، وباعَ ذمّته بشهادَة الزّور والباطِل، فإنّ هذا على قولِكم باستحقاقه دخول النّار، وبأنّ الرّسول سيشفعُ له، وقولكم بأنّ معنى الخلود في حقّه هُو طول البقاء المُنقطِع، فإنّكم بهذا رددتُم قولَ الله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّـهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران:٧٧]، وهذا يُؤيّد قولَنا بأنّ معنى الخلود هُنا هُو المفهوم من لغَة العرب من البقاء الدّائم، وأنّ لازمَه ألاّ يرحَم ولا ينظُر ولا يُزكّي من أهل الكبائر العُصاة المصرّين أحد، وكذلكَ جاءت الآيَة تُثبتُ هذا.

ونزيدُكم في الحجّة والبيَان من قول الله تعالىٰ : ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:٩٣]، فإنّ الآيَة تنفي الرحمَة الإلهيّة بحقّ القتلَة المتعمّدين لإخوانهم من المؤمنين، وزادَ الله تعالىٰ في معنىٰ نفي ما قال به المُخالف من تخصيص إطلاق الخلود بالمعنىٰ المجازي، وهو المكث الطّويل المُنقطِع، بيّن الله تعالىٰ أنّ لا رحمَة فزادَ بعد إطلاق الخلود، تأكيداً لمعنىٰ عدم الرّحمة ﴿**وَغَضِبَ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:٩٣].

الأمرُ الثّاني :، هُو المُعارضَة لسنّة رسول الله ﷺ، وذلك أنّه جاء في السنّة أحاديث كثيرَة تنفي استحقاق أهل الكبائر والعُصاة المُصرّين للرحمَة، وتُطلقُ في حقّهم العذاب بالنّار، فمن تلك الأحاديث ما قد ذكرناه سابقاً، ونزيدُ هنا غيرَها لتأكيد الحجّة من السنّة والأحاديث لمن التزمَها دوناً عن مُحكمات الكِتاب، فمنهَا :

١- ما رواهُ أبو يعَلىٰ، والطّبراني واللفظ له : حدثنا مُعَاذُ بن المُثَنَّىٰ ثنا مُسَدَّدٌ ثنا خَالِدٌ عن حُسَيْنِ بن قَيْسٍ عن عِكْرِمَةَ عَنِ بن عَبَّاسٍ قال خَطَبَ رسول اللَّهِ ﷺ فقال «إِنَّ اللَّهَ عز وجل أَعْطَىٰ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ألا إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ وَسَنَّ سننًا وَحَدَّ حدودًا أَحَلَّ حَلالا، وَحَرَّمَ حَرَامًا، وشَرَعَ الدِّينَ فَجَعَلَهُ سَهْلا سَمْحًا وَاسِعًا ولم يَجْعَلْهُ ضَيِّقًا ألاَ إنّه لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ له، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ له، وَمَنْ نَكَثَ ذِمَّتِي **لم يَنَلْ شَفَاعَتِي** ولم يَرِدْ عَلِيَّ الحَوْضَ أَلاَ إِنَّ اللَّهَ عز وجل لم يُرَخِّصْ في القَتْلِ إلا ثلاث، مُرْتَدٌّ بَعْدَ إِيمَانٍ، أو زَانٍ بَعْدَ إِحْصَانٍ، أو قَاتَلُ نَفْسٍ فَيُقْتَلُ بِقَتْلِهِ ألاَ هل بَلَّغْتُ» [(١)] .

٢- روىٰ ابن أبي عاصم : حدثنا المقدمي، ثنا الأغلب بن تميم، ثنا المعلىٰ بن زياد، عن معاوية بن قرة، عن معقل بن يسار، عن النبي ﷺ قال: «صِنفَان مِن أمّتي **لا تنالُهما شَفَاعَتي**، سُلطان غَشوم ظَالم، وغَالٍ في الدين يَشهد عليهم ويبرأ منهم» [(٢)] .

---

(١) [المعجم الكبير:١١/ ٢١٣]، [مسند أبي يعلىٰ:٤/ ٣٤٣].

(٢) السنّة لابن أبي عاصم:١/ ٢٠.

٣- روى الطّبراني : حدثنا مُعَاذُ بن المُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بن مُحَمَّدٍ التَّمَّارُ البصري قَالا: ثنا مُسَدَّدٌ ثنا جَعْفَرُ بن سُلَيْمَانَ عَنِ المُعَلَّى بن زِيَادٍ الفِرْدَوْسِيِّ عن أبي غَالِبٍ عن أبي أُمَامَةَ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «صِنْفَانِ من أُمَّتِي **لَنْ تَنَالَهُمَا شَفَاعَتِي**: إِمَامٌ ظَلُومٌ وَكُلُّ غَالٍ مَارِقٍ»[١].

٤- روى أحمد بن حنبل : حدثنا عبد اللَّهِ حدثني أبي حدثنا أَسْوَدُ حدثنا أبو بَكْرٍ حدثنا محمد بن عَمْرٍو عن أبي سَلَمَةَ عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «يؤتي بِالْمَوْتِ يوم القِيَامَةِ كَبْشاً أَمْلَحَ فَيُقَالُ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ تَعْرِفُونَ هذا، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ مُشْفِقِينَ قال: يَقُولُونَ: نعم، قال ثُمَّ ينادي أَهْلُ النَّارِ تَعْرِفُونَ هذا، فَيَقُولُونَ: نعم قال فَيُذْبَحُ ثُمَّ يُقَالُ: **خُلُودٌ في الجَنَّةِ وَخُلُودٌ في النَّارِ**»[٢].

٥- روى الطّبراني : حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر، ثنا إسماعيل بن إبراهيم الترجماني، ثنا عمرو بن جميع، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكُم والزِّنا فَإنّ فِيه أربَع خِصال يُذهب البَهاء عَن الوَجه، ويَقطَع الرِّزق، ويُسخِط الرّحمن، **والخلودَ في النّار**»[٣].

٦- روى البخاري، في قطع الرّحم : حدثنا يحيى بن بُكَيْرٍ حدثنا اللَّيْثُ عن عُقَيْلٍ عن ابن شِهَابٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ قال: إِنَّ جُبَيْرَ بن مُطْعِمٍ أخبره أَنَّهُ سمع النبي ﷺ يقول: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ»[٤]. وحديثٌ آخر فيه : «فقال حُذَيْفَةُ سمعتُ النبي ﷺ يقول: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ»[٥]. وحديث ثالث، فيه : «عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ من لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[٦].

---

(١) المعجم الكبير:٨/ ٢٨١.

(٢) مسند أحمد بن حنبل:٢/ ٣٧٧.

(٣) المعجم الأوسط:٧/ ١٣٨.

(٤) صحيح البخاري:٥/ ٢٢٣١.

(٥) صحيح البخاري:٥/ ٢٢٥٠.

(٦) صحيح مسلم:١/ ٦٨.

٧- روىٰ الترمذي: حدثنا الحَسَنُ بن عَلِيٍّ، حدثنا عبد الصَّمَدِ بن عبد الوَارِثِ، حدثنا عِكْرِمَةُ بن عَمَّارٍ، حدثنا سِمَاكٌ أبو زُمَيْلٍ الحَنَفِيُّ، قال: سمعت ابن عَبَّاسٍ يقول: حدثني عُمَرُ بن الْخَطَّابِ، قال: قِيلَ يا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ فُلَانًا قد اسْتُشْهِدَ، قال: كَلَّا قد رَأَيْتُهُ في النَّارِ بِعَبَاءَةٍ قد غَلَّهَا، قال: قُمْ يا علي فَنَادِ إنه لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلاّ الْمُؤْمِنُونَ ثَلَاثًا [1]، فتأمّل هذا الحديث ففيه فوائد عقائديّة.

الأمرُ الثّالث : هُو المُعارضَة لإجماع أهل بيت رسول الله ﷺ ثقل الله الأصغَر علىٰ القَول بالخلود، وأنّ هذا هو فهمهُم من كتاب الله تعالىٰ، وسنّة نبيّهم ﷺ، وقد مرّ معنا زبرُ إجماعِهم .

نعم! فعادَت بنا دلالات الكِتاب والسنّة والعترَة من ألفاظ (الخُلود) في القرآن، إلىٰ مَعنىٰ البقَاء الأبديّ السّرمديّ غير المُنقطِع، لا أنّها بمعنىٰ المُكث الطّويل المُنقطِع.

المَسألة الثّامنَة :

قال الإمام زيَد بن عَلي، في مَجموع رسائلِه، ما نصّه : «إنْ قُلتَ: إنّ مِن آل محمد من يَنبغي للنّاس أنْ يتفرقوا عنه، فَإنَّ فِيهم بَعض مَا يكره لهم، فَلعمري إنّ فِيهم لما فِي النّاس مِن الفضل والذّنوب، ولكن ليسَ ذلك في جُلِّ القوم إنما هو في خَوَاصِّهم، فمَن ظَهَر عَليه عَيبُه عُوقب به مَن أتاه، وإن سُتِرَ عليه عَيبُه فَأمرُه إلىٰ الله، **إن شَاء عَاقبَه وإن شَاء غفَرَ لَه**».

والجَواب :

تقديرُ هذا الكلام من الإمَام زيد بن علي عليه السلام، «وإن سُتِرَ عَليهِ عَيبُه، فأمرُهُ إلىٰ الله، إن شَاءَ عَاقبَه -وذلك إن ماتَ مُصرّاً علىٰ ذنبِه وكبيرتِه-، وإن شاءَ غَفرَ لَه، -وذلكَ إن ماتَ وهُو تائبٌ عائدُ إلىٰ الله تعَالىٰ-»، وهذا هُو قولُ الإمام زيد بن علي عليه السلام وعقيدتهُ، وقد

(١) سنن الترمذي:٤/ ١٣٩، وصحّحه الترمذي، والألباني.

قال في إبطالِ هذا وأمثالِه، بما يُوجبُ القَطع بأنّ مشيئة الله تعَالى هي إنجازُ وعيدِه في أصحابِ الكبائر المصرّين، قال عليه السلام: «فَسلهُم عَن أصحَاب المُوجبات، هَل وَعدَهم الله تعالى النّار عَليها أم لا؟!، فإن شَهِدُوا أنَّ الله تعالى قد وَعَدهم النّار عَليها، فقل: أتشهَدونَ أنَّ الله سُبحَانَه وتعَالى سَيُنجِز وَعدَه أم فِي شكّ أنتُم لا تَدرونَ هَل يُنجزُ الله وَعدَه أم لا؟،..، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّـهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ**﴾ [المائدة:١٨]، فمَن يَشاءُ أنْ يَغفرَ لَه مِن هَؤلاء يَترُك اليَهوديّة والنّصرانية، وكَذلك مَن شَاء أنْ يَغفرَ لَه مِن أهل القِبلة يَترك المُوجبَات لا يَعمل بِهَا، فإنْ عَمِل بشيء منها ثمّ تاب إلى الله تعالى قبل أنْ يَموت فإنّ الله تعالى قال: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّـهُ الظَّالِمِينَ**﴾ [إبراهيم:٢٧]. [1]، فعينُ كلامكُم أخي المُعترض هُو ما استنكرَه الإمام زيد بن علي عليه السلام، فسقطَ ما ذهبتُم إليه من قولِه عليه السلام.

المَسألة التّاسعَة :

جاء في الانتصَار، للإمام يحيى بن حمزَة أنّ الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم قَال: «افترَض الله على عِبادِه خمسَ صَلوات، فمَن جَاء بهنّ وأحسنَ وُضوءهنّ وأتمّ رُكوعهنّ وخُضوعهنّ وخُشوعَهنّ كَان عهداً عند الله أن يُدخِلَه الجنّة، ومَن لَم يَأت بهنّ وضَيّع حُقوقهنّ لَم يكن له عندالله عَهد، فإنْ شَاء عَذّبَه وإنْ شَاء غَفر لَه» .

والجَواب :

تقديرُ الكلام كسابقِه في المسألَة الثّامنَة، فقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لَم يَكن له عندالله عَهد، فإن شَاء عَذّبَه -بتضييع حقوق الله تَعالى، ومَن ضيّع الوضوء تفريطاً ضيّع الصّلاة إجماعاً-، وإنْ شَاء غَفرَ لَه -إن هُو عادَ والتزمَ حقوق الله تعَالى، وأدّى صّلاته-» .

(١) مجموع رسائل الإمَام زيد عليه السلام.

المَسألة العاشرَة :

قال الله تعالى : ﴿**وَاتَّقُواْ النَّارَ الَتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٣١]، فالله تعالى يُخبرُ أنّ النّار إنّما أعُدَّت للكافِرين، والزيديـة تُؤصِّـل أنّهـا أعـدَّت لأصـحاب القبلَـة العُـصَاة المُصرّين، فما قولُكم في هذَا ؟.

والجَواب :

إن أخـذ عقيـدَة عـدم الخلـود مـن قـولِ الله تَعـالى: ﴿**وَاتَّقُـواْ النَّـارَ الَّتِـي أُعِـدَّتْ لِلْكَافِرِين**﴾[آل عمران:١٣١]، فإنْ كانَ المُراد من هذه الآيَة أنّ النّار إنّـما أُعـدَّت للكـافرين والمشركين، وليسَت لأصحاب القبلَة من المسلمين أعُدِّت، فالكفّـار هُـم الخالـدون دون أهل القبلة العُصاة، فإنّا بهذا نُلزمُكم أموراً لن تُنكروها من الآيَة، منها:

الإلزامُ الأوّل : مـن قولِـه تعـالى : ﴿**وَاتَّقُـواْ النَّـارَ الَّتِـي أُعِـدَّتْ لِلْكَـافِرِين**﴾ [آل عمران:١٣١]، فإنّ النّار إنّما أُعدّت للكافرين، وأنّه لنْ يدخُلها أهل العصيان والفُجـور مـن أهل القبلَة من مستحقّي النّار، فإنْ قلتُم بهذا، خالفتُم إجماع الأمّـة، وخـالفتُم قـولَكم في المسألَة، فإنّكم تقولون بـدخول الفـسقَة وأهـل الكبـائر النّـار، ولكـنّكم تقولـون: إنّهـم سيخرجون منها برحمَة الله تعَالى لهُم، واللازم هُنـا ألاّ يـدخُلَ النّـار أحـدٌ غـير الكـافرين والمشركين مُستوجبيّ الخلود؛ لأنّ النّـار إنّـما أعُـدّت لهُـم، فـإن قلـتُم: بـل يـدخُلها غـير الكافرين والمشركين من أصحاب القبلـة العاصـين، وإنّـما خـصّ الله تعـالى (الكـافرين) بالذّكر لمّا كانوا أشدّ النّاس معصيَةً، عندَها سنقولُ أنّا ما عدَونا قولَكم، فإنّه إنّما خـصّ الله تعالى الكافرين بإعداد النّار لهُم لمّا كانَت معـصيتُهم أشرّ وأعظَـم فهـذا لـيس فيـه حَـصر بمستحقيّ الخلود، فبقيَ قول ثَقل الله الأصغَر صامداً في المسألَة، فالآية ليسَت تحصُر مـن أعدّت لهُم النّار في أهل الكفـر وأهـل الـشّرك دونَ مَـن صرّح القـرآن باسـتحقاقِهم لهَـا (للنّار) والخلود فيهَا كمَنْ قال تعالى فيهم من المسلمين : ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [النساء:١٤]، وهذه آيةٌ مُحكمَة لا تحتملُ غير ظاهرَها من الخلود .

الإلزامُ الثّاني : أنّكم قُلتم: إنّ عُصاة أهل القبلَة أصحاب الفِسق والفجور سيخرجون من النّار برحمة الله تعالى لهُم إلى الجنّة، وأنّ النّار ستبقَى للكافرين، فتدبّروا ما أذا أعقبَ الله تعالى الآيَة حيث بيّن مَن هُم الذين سيرحمُهم ممّن لا يرحمُهم، قال تعالى : ﴿**وَاتَّقُواْ النَّارَ التِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، وَأَطِيعُواْ اللَّـهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [آل عمران:١٣١].

فطاعَة الله تَعالى والرّسول هي شرطُ الرّحمَة، فهَل تعلمُ أخي المُخالف أنّ من أوجبتَ دخولَهُم النّار، واعتقدتَ برحمَة الله تَعالى لهُم فيُخرجُهم من النّار، فهَل تعلمُ أنّ هؤلاء ممّن أطاعوا الله تعالى والرّسول فهُم بهذا سيُرحمون؟!.

فكيفَ لو تدّبرَت بقيّة الآيات في سياقِ هذه الآيَة، فسيتجلّى لكَ أنّ العُصاة من أهل القبلَة قد حكم الله تعالى لهُم بالخلود، وأنّ الآيَة ليسَ فيها حصرٌ بالكافرين والمشركين، بل إنّ أهل الكبائر والموجبات داخلين معهُم فيها، قال الله تعالى : ﴿**وَاتَّقُواْ النَّارَ التِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، وَأَطِيعُواْ اللَّـهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّـهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّـهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّـهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ من رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ**﴾ [آل عمران:١٣١- ١٣٦]، فهَل تعلمُ أخي المُخالِف أنّ مَن قتلَ أخاهُ المؤمن متعمّداً سيكون من أهل الرّحمَة والمغفرَة، ممّن يُسارعون إلى مغفرَة الله، والله تعالى يقول : ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:٩٣].

الإلزامُ الثّالث : أنّ مَنْ حصرَ المُستحّقين للخلود في النّار بالكفّار والمشركين، من قولِه تعالى: ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾، فإنّه واجبٌ عليها أنْ يحصُر المستحقّين للخلود في الجنّة بالمؤمنين المتّقين المُخلصين من قولِه تعالى : ﴿**وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ من رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٣]، والأمّة مُجمعَةٌ أنّ الفاسقين ليسوا من المتّقين .

المَسألة الحاديةَ عشر :

قال الله تعالى : ﴿**إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ العَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ**﴾ [طه:٤٨]، فالله تعالى يُخبرُ أنّ العذاب لا يكونُ إلاّ للمُكذِّبين المُتولّين، وهذهِ صفةُ الكفّار لا المُسلمين.

والجَواب :

إن أخذ عقيدَة عدم الخلود من قولِ الله تَعالى : ﴿**إِنَّا قَدْ أُوحِيَ الْيْنَا أَنَّ العَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ**﴾ [طه:٤٨]، وسياق الآيات : ﴿**فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إسرائيل وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الهُدَىٰ، إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ العَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ**﴾ [طه:٤٧-٤٨]، فإنّ الآيـة هُنـا عامّـة ليسَت تخصّ العذاب في فئةٍ دون فئَة، فيكونُ المُراد بقوله تعالى : ﴿**مَن كَـذَّبَ**﴾، أي مَـنْ جحَـد وأنكَـر فهـذا يحـقّ عليـه مـن الله العـذاب، أيـضاً يحـقّ العـذاب بقـول الله تعالى: ﴿**وَتَوَلَّىٰ**﴾، أي المُتولّين من المسلمين عـن طاعَـة الرّسـل بعـدم الالتـزام بـأمرهِم ونهيهِم، فتكونُ هذه الآيَة جامعَة لجميع أصناف أهل العـذاب المُستحّقين للخلـود، مـن المشركين، والكفّار، والفسّاق أهل الكبائر المصرّين من أتباع الأنبيـاء، فيكـونُ المـشركون والكّفار هُم المقصودون (بالمكذّبين في الآيَة)، ويكون الفسقَة وأهـل المعـاصي مـن أتبـاع الأنبياء هُم المقصودين (بالمُتولّين في الآيَة).

ومنها قولُ الله تعالى لأصحاب سيّدنا محمد ﷺ : ﴿**يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾ [الأنفال:٢٠]، فيكون المَعنى ولا تتركوا طاعَته فتفسقُوا، فهذا هُو اللازمُ من هذه الآيَة المُتشابهَة بعرضها على غيرها من المُحكم في كتاب الله تعالى، حتى لا يردّ القرآن بعضه بعضاً، فقول الله تعالى: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [النساء:١٤]، إحكامُه ظاهرٌ في أهل الإسلام، وقوله تعـالى : ﴿**وَمَـن يَقْتُـلْ مُؤْمِنًـا مُّتَعَمِّـدًا فَجَـزَآؤُهُ جَهَـنَّمُ خَالِـدًا فِيهَاوَغَضِبَ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء:٩٣]، إحكامهُ أيضاً ظاهرٌ

من حال المسلمين، وقوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إلاّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ، الذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [المؤمنون:١-١١]، وهذه آيةٌ مُحكمَةٌ في أنّه لا يرثُ جنّة النّعيم ويخلدُ فيهَا إلاّ من كان من أهل العمل الصّالح من المؤمنين، فهذا أولى في التقديم من تلك الآية التي قدّمتها في نفي الخلود أخي المُخالف، ومن فهِمَ من الآية السّابقة مع موسى وفرعون حصر العذاب في الكفّار والمشركين دون الفسقَة من أهل القبلَة لزمَه أنْ ينسبَ كتاب الله تعالى إلى التناقض، خصوصاً ما كان من الآيات دالّ على الخلود وهُو مُحكَم.

نعم! صحيحٌ أنّ الفاظ التكذيب والتولّي في القرآن قد تُطلقُ على الكفّار والمشركين بشكلٍ عام، ولكنّ اللازمَ هُنا ما أثبتناهُ، خصوصاً مع وجود الدّليل بجواز إطلاق التّولي على المسلمِين كما مرّ في الآية، والله يُسدّد ويُوفّق.

المَسألة الثانيَة عشر:

قال الله تعالى: ﴿**لَا يَصْلَاهَا إلاّ الأَشْقَى، الذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾ [الليل:١٥-١٦]، فالله تعالى يُخبرُ أنّ النّار لا يصلاهَا إلاّ الأشقياء المُكذّبونَ والمُتولّون، وليسَت هذه صفَة أهل القبلَة من المُسلمين.

والجَواب:

أنّ أخذ عقيدَة عدم الخلود من قولِ الله تَعالى: ﴿**لَا يَصْلَاهَا إلاّ الأَشْقَى، الذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾ [الليل:١٥-١٦]، فالكلامُ فيها بنحوِ ما مرّ معنا في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ العَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾ [طه:٤٨]، في المسألَة الحاديَة عشر، فيكون داخلٌ تحتَ قولِ الله تَعالى في آية الليل: ﴿**الَّذِي كَذَّبَ**﴾، المشركون والكفّار الجاحدون، ويدخُل قوله تعالى: ﴿**وَتَوَلَّى**﴾، الفسقَة وأهل الكبائر من المسلمين، وذلكَ هُو اللازمُ

من العرض على مُحكمات الكتاب، ثمّ إنّ النّاس يوم القيامَة أصناف، إمّا مُشركون وكفّار، وإمّا فُسّاقٌ مُسلمون من أهل الكبائر والمعاصي المُصرّين، وإمّا مؤمنون ومتّقون، ثمّ آيات الكتاب قد أثبتَتْ أنّ الفسقَة من أهل القبلَة من أهل الخلود في النّار، وأثبتَتْ أنّ الكّفار والمشركين من أهل الخلود في النّار، وأثبتَتْ أنّ المؤمنين والمتّقين من أهل الخلود في الجنّة، قلتَ أيّها المُخالف: إنّ الفُسّاق وأهل الكبائر من أهل القبلةِ خارجون عن الخلود في النّار، دَاخلون الجنّة برحمة الله لهُم، فانظُر كيفَ سيردّ الله تعالى عليكَ في الآية التي تلتَها، قال تعَالى: ﴿**لَا يَصْلَاهَا إِلاَّ الأَشْقَى، الذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى، وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى، الذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى**﴾ [الليل:١٥-١٨]، فأنتُم قلتُم : بأنّ الفاسقين من أهل القبلَة لَن يَصلوا النّار مخُلّدين، وسيُجنّبونَها بالدّخول إلى الجنّة برحمة الله تعالى لهُم . والله تعالى يقول : إنّه لن يدخُل الجنّة إلاّ الأتقياءُ المؤمنون، فكيفَ توفّقون بين ذلكَ؟ واعلَم إنْ كُنتَ من أهل النّظر والإنصاف، ممّن يُؤثرون قول الحق ولو على أنفُسهِم، أنّ هناكَ على قولِكَ إشكالٌ قائمٌ، ونِسبةٌ إلى التناقُض بين فهمِكَ للآيتَين، الموجبَة للخلود في النّار، والموجبَة للدخول في الجنّة؛ لأنّكَ إنْ فَهمتَ من قولِه تعالى: ﴿**لَا يَصْلَاهَا إِلاَّ الأَشْقَى**﴾، أنّ هذا إثباتٌ لمستحقّي الخلود في النّار، وهي في المشركين والكفّار، فواجبٌ عليكَ أنْ تفهمَ من قول الله تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى**﴾، أنّه إثباتٌ لمستحقّي الخلود في الجنّة، وأنّها في المتّقين المُخلصين، وأهل المعاصي والكبائر والفجور من أهل القبلَة ليسوا مِن أولئكَ في شيء، فما يسعُكَ إنْ شاء الله إلاّ أنْ تقولَ بقول أهل البيت في المسألَة فتُدخل الفسقَة والعُصاة في قولِه تعالى: ﴿**لَا يَصْلَاهَا إِلاَّ الأَشْقَى**﴾ [الليل:١٥]، لما صرّحت به آيات الكتاب الأخرى من استحقاقِهم للخلود، فتقديمُ المُحكم أولى من اتّباع المُتشابَه .

المَسألة الثالثَة عشر :

حكى الحافظُ ابن الوَزير : أنّ أعلام الزيدية كأبي القاسم البُستي وأصحاب المؤيّد بالله يقولون بالإرجَاء، وكذلك في الجَامع الكافي على مذهب الزيدية، قال الحافظ محمّد بن منصور المُرادي : «المؤمنُ المُذنبُ لله تَعالى فِيه المشيئة، إن غَفرَ لَه فَبفضلِه، وإن عَذّبَه فَبِعدلِه»، وقال الحافظُ ابن الوزير عَن هذا الكَلام أنّه: رَجاء لا إرجَاء.

والجَواب :

أنّ ما حكاهُ الحافظ محمّد بن إبراهيم الوزير عليه السلام، عن أبي القاسم البستي، وأصحاب الإمام المؤيّد بالله عليه السلام، أنّه قد توهّم على هؤلاء الأعلام قولهم بالإرجاء، يعنون به القَول بعدم الخلود، وهذا ليسَ من ذاك، فقد تكون الحكايَة عن من ذكرَهم الحافظ أنّهم يقولون بالإرجاء، فانتشرَ هذا عنهُم أنّهم يُريدون عدم القول بالخلود كما تقوله الفرقة السنية، وهذا وَهم، فإنّ صاحب الغياصَة بما نقلَه العلامة علي بن محمد العجري عليه السلام قد نقلَ لنا حقيقَة قولِ أكثر من نقلَ عنهُم الحافظ ابن الوزير المُخالفَة على الزيدية بالقول بالإرجاء. قال السيّد العجري : «وقال في (الغياصة): الذي عَليه المرجِئة الخُلّص، تَجويزُ الدّخول وعَدمه، وتَجويز الخروج بَعد الدّخول وعَدمه، قال: وَهَذا مَذهبُ أبي القاسِم البستيّ وكان مِن أصحاب المؤيد بالله وكثيرٌ مِنهُم، وهَذا هُو الإرجَاء الحقيقيّ؛ لأنَّ الإرجَاء هُو التردّد فِي الأمر وَهؤلاء مُتردّدون».

فهؤلاء عند التّحقيق مُتوقّفون، لا أنّهم رادّون على عقيدَة الخلود، فافهَم ذلك، ثمّ اعلَم باركَ الله في علمِك وفهمِك، أنّ الأصل هُو اتّباع الكتاب والسنّة وإجماع أهل البيت من منطوق الكتاب والسنّة، والحمدلله أنّ ذلكَ مضَى كلّه وزُبِر بالقول بالخلود، فالحقّ في ذلك، فالزَمه مع مامضى من الحجج النيّرة بإذن الله تعالى.

نعم! وأمّا ما حُكِي عن الحافظ محمّد بن منصور المرادي من القَول بأنّ المؤمن المُذنب لله فيه المشيئة إن عذّبه فبعدلِه، وإن غفرَ لهُ فبرحمتِه، فإنّ ذلكَ كما قال الحافظ ابن الوزير رجاءٌ لا إرجاء، والحافظ المُرادي قد خصّ المؤمنين في كلامِه، فقال: «المُؤمنُ المُذنب»، وليسَ الفسقَة عند الحافظ المُرادي من المؤمنين، بل هُم من المُسلمين؛ لأنّ أصول الزيدية، أنّ كلّ مؤمنٍ مُسلِم، وليس كلّ مسلمٍ مؤمن، وذلك لإخراج الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم أهل الكبائر من مسمّى الإيمان، بما رواه البخاري في صحيحه: «لا يزني الزّاني حينَ يزني وهُو مؤمن».

نعم! فكلام الحافظ المُرادي موجّه للمؤمنين الذي لهُم ذنوبٌ صغيرَة، وذلكَ أنّه لا يخلو مؤمنٌ من ذنبٍ أو ذنوب صغيرة، فالحافظُ المُرادي رجَا الله تعالىٰ أنْ يغفرَ له باعتبارِه من المؤمنين، ولكنّ شرطَ الرّجاء عند أهل البيت عليهم السلام، الإيمان والعمَل الصّالح، فلا رجاء بدخول الجنّة لمن مات مُصرّاً علىٰ الكبائر، وذلك من قول الله تعالىٰ: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف:١١٠] .

١٨/ ١١/ ١٤٣٠هـ

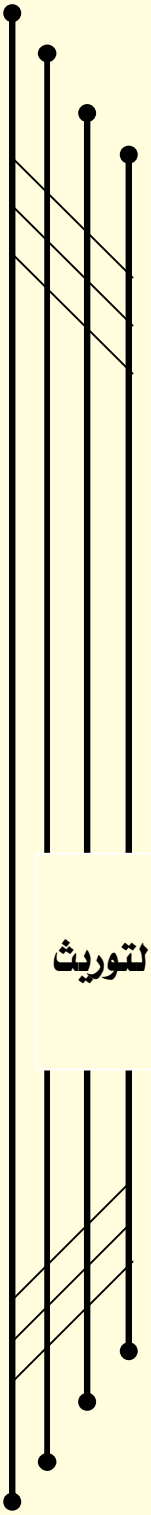

الخامسة والعشرون : فَوائد حولَ قضيّة فَدك وخبر التوريث

فوائد حول قضية فدك وخبر التوريث

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُلله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين، سيدنا محمّد وآله الطّاهرين، نجومُ السّماء وعلامات الاهتداء، ورضوان الله على الصّحابة المتّقين، والتابعين لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدّين .

وبعَد :

فأصلُ هذه الوُرَيقَات، مسألةٌ من أحدِ الإخوَة السلفيّة حول رأي الزيدية في الحديث الذي رواه أبو بكر عن رسول الله ﷺ : «إنّا معاشر الأنبياء لا نُورِّث ما تركناهُ صدقَة»، هل تنسبُ الزيدية الكذِبَ في هذه الرّواية إلى شخصِ أبي بَكر، بمعنى أنّه تعمّد أن يكذبَ على رسول الله ﷺ بإتيانِه بهذا الخَبر ليأخُذَ فدكاً من يد فاطمَة عليها السلام، ولم يكُن الكَلام حول تفاصيل قضية فَدك توريثاً أو نِحلةً وكيفيّة الحُكم في المسألَة، فكانَ الكلامُ مع أخينَا السّلفي في الإطار الذي اختارَه وحدّده وِفق مَباني الزيدية أعلا الله سنَام دَعوتهَا، فنقول في هذا بما سيظهُر للباحِث منهُ ضِمناً أموراً مهمّة في قضيّة فَدك وموقِف أهل البيت من حُكم أبي بَكر، وغضب فاطمَة، نقولُ:

قد بيَّنَ أمير المؤمنين عليه السلام موقفَه من روايَة أبي بكَر لخَبر عَدم التّوريث، بما جاء في صحيح مُسلم، فروى بإسنادِه، «عن الزُّهْرِيِّ أَنَّ مَالِكَ بن أَوْسٍ حدثه قال أَرْسَلَ إِلَيّ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ فَجِئْتُهُ حين تَعَالَى النَّهَارُ قال فَوَجَدْتُهُ في بَيْتِهِ جَالِسًا على سَرِيرٍ مُفْضِيًا إلى رُمَالِهِ مُتَّكِئًا على وِسَادَةٍ من آدم، فقال لي: يا مَالُ إنه قد دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ من قَوْمِكَ وقد أَمَرْتُ فِيهِمْ بِرَضْخٍ فَخُذْهُ فَاقْسِمْهُ بَيْنَهُمْ، قال قلت: لو أَمَرْتَ بهذا غَيْرِي، قال: خُذْهُ يا مَالُ، قال: فَجَاءَ يَرْفَا، فقال: هل لك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ في عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرحمن بن عَوْفٍ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ فقال عُمَرُ: نعم، فَأَذِنَ لهم فَدَخَلُوا، ثُمَّ جاء فقال: هل لك في عَبَّاسٍ وَعَلِيٍّ، قال:

نعم، فَأَذِنَ لَهُمَا فقال عَبَّاسٌ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ هذا ...[1] فقال القَوْمُ أَجَلْ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاقْضِ بَيْنَهُمْ وَأَرِحْهُمْ، فقال مَالِكُ بن أَوْسٍ: يُخَيَّلُ إِلَيّ أَنَّهُمْ قد كَانُوا قَدَّمُوهُمْ لِذَلِكَ، فقال عُمَرُ: اتَّئِدَا أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الذي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَا نُورَثُ ما تَرَكْنَا صَدَقَةٌ» قالوا: نعم، ثُمَّ أَقْبَلَ على العَبَّاسِ وَعَلِيٍّ فقال: أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ الذي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ أَتَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: لَا نُورَثُ ما تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ، قالا: نعم، فقال عُمَرُ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ كان خَصَّ رَسُولَهُ ﷺ بِخَاصَّةٍ لم يُخَصِّصْ بها أَحَدًا غَيْرَهُ قال ﷺ ما أَفَاءَ الله على رَسُولِهِ من أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ، ما أَدْرِي هل قَرَأَ الآيَةَ التي قَبْلَهَا أَمْ لَا؟ قال: فَقَسَمَ رسول اللَّهِ ﷺ بَيْنَكُمْ أَمْوَالَ بَنِي النَّضِيرِ، فَوَاللَّهِ ما اسْتَأْثَرَ عَلَيْكُمْ ولا أَخَذَهَا دُونَكُمْ حتى بَقِيَ هذا الْمَالُ، فَكَانَ رسول اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُ منه نَفَقَةَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَجْعَلُ ما بَقِيَ أُسْوَةَ الْمَالِ، ثُمَّ قال: أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الذي بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ أَتَعْلَمُونَ ذلك ؟! قالوا: نعم، ثُمَّ نَشَدَ عَبَّاسًا وَعَلِيًّا بِمِثْلِ ما نَشَدَ بِهِ الْقَوْمَ أَتَعْلَمَانِ ذلك، قالا: نعم، قال: فلما تُوُفِّيَ رسول اللَّهِ ﷺ قال أبو بَكْرٍ أنا وَلِيُّ رسول اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُمَا [يا علي أنتَ والعبّاس][2] تَطْلُبُ مِيرَاثَكَ من ابن أَخِيكَ وَيَطْلُبُ هذا مِيرَاثَ امْرَأَتِهِ من أَبِيهَا. فقال أبو بَكْرٍ: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «ما نُورَثُ ما تركنا صَدَقَةٌ» فَرَأَيْتُمَاهُ كَاذِبًا آثِمًا غَادِرًا خَائِنًا وَاللَّهُ يَعْلَمُ إنه لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ، ثُمَّ تُوُفِّيَ أبو بَكْرٍ، وأنا وَلِيُّ رسول اللَّهِ ﷺ وَوَلِيُّ أبي بَكْرٍ فَرَأَيْتُمَانِي كَاذِبًا آثِمًا غَادِرًا خَائِنًا وَاللَّهُ يَعْلَمُ إني لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ فَوَلِيتُهَا ثُمَّ جِئْتَنِي أنت وَهَذَا وَأَنْتُمَا جَمِيعٌ وَأَمْرُكُمَا وَاحِدٌ فَقُلْتُمَا ادْفَعْهَا إلينا، فقلت: إنْ شِئْتُمْ دَفَعْتُهَا إلَيْكُمَا على أَنَّ عَلَيْكُمَا عَهْدَ اللَّهِ أَنْ تَعْمَلَا فيها بِالَّذِي كان يَعْمَلُ رسول اللَّهِ ﷺ فَأَخَذْتُمَاهَا بِذَلِكَ، قال: أَكَذَلِكَ؟ قالا: نعم، قال: ثُمَّ جِئْتُمَانِي لِأَقْضِيَ بَيْنَكُمَا ولا والله لَا أَقْضِي بَيْنَكُمَا بِغَيْرِ ذلك حتى تَقُومَ السَّاعَةُ فَإِنْ عَجَزْتُمَا عنها فَرُدَّاهَا إلَيّ»[3].

---

(١) يُراجع مصدر الحديث، وقد أشار عليّ بهذا أحدُ الأعلام إجلالاً لمقام أمير المؤمنين وعمه العبّاس رضوان الله عليهما.

(٢) ما بين المَعقوفتين [ ]، زيادَة منّا للتوضِيح.

(٣) صحيح مُسلم:٣/ ١٣٧٨.

ولنَا معَ هذا الحديث عدّة وقفَات :

الوقفَة الأولَى : أنّ عليّ والعبّاس عادَا يَحتكِمَا ويطلُبَا ميراثَهُما من رسول الله ﷺ من عُمر بعد وفاة أبي بكر، مع أنّ أبا بكر قد حَكَمَ بأنّ هذا الإرث من مالِ الله صدقةٌ من رسول الله ﷺ، وهذا العَودُ من العبّاس وعليّ للمُطالبَة بالإرث من عُمر دليلٌ على أنّهما لم يكونَا راضِيَيْن عن حُكم أبي بَكر، والغريبُ أنّ أبا بكر على مباني السلفيّة احتجّ عليهِم بنصٍّ محمّدي فقال لهُم: قالَ رسول الله ﷺ : «ما نورَث ما تركناهُ صدقَة»، ومعَ ذلكَ عادَ علي والعبّاس يَطلُبان الإرث بعد هذا النّص؟!، سيتجّه بعض السلفيّة فوراً لتخطئة عليّ والعبّاس وفاطمَة، ورَفع الحرج عنُهم بالاجتهَاد، ولَم يخطُر ببالِهم أنْ يقولوا -أقلّ التأويل وتنزيهاً للجميع- بأنّ علي والعبّاس وفاطمة لن يُصرّوا على منزلتهِم على مُخالفَة نصّ شرعي ثابِت، ويقولوا بأنّ هذا النّص الذي احتجّ به أبو بكر وعمر ربّما فَهِما منه فهماً يُفيد عدم التوريث، وفهمَ منهُ علي والعبّاس وفاطمة فهماً يُفيد التوريث، وذلكَ من أصلِ إلقاء الرّسول ﷺ لَه، **إنْ كانَ ثابتاً** .

الوقفَة الثّانيَة : أنّ العبّاس دخلَ على عُمر، وهُو يطلبُ منه أنْ يفصلَ بينَهُ وبين ابن أخيه علي، وفي الخبر أنّ العبّاس أقذعَ على أمير المؤمنين عليه السلام، وذلكَ فيما يخصّ قضيّة الميراث، وذلكَ أنّ عمُر كانَ قد سلّمَهُما **خلافاً لفعلِ أبي بكر** بعض صدقات النّبي ﷺ، فاختلفَ العبّاس وعليّ فيها، فجاء العبّاس يُعنِّفُ على ابن أخيه بأنّه لم يُنصِفه -كما حكَت الرّاوية- فأقذعَ على أمير المؤمنين، وهذا الإقذاع من العبّاس ليسَ إلاّ بدافِع الغضَب لمّا لم يُرضِه أمراً مَا صَدرَ من عليّ، هذا كلّه تماشياً مع الرّواية .

الوقفة الثّالثة : أنّ عُمر أرادَ أنْ يُبيِّنَ القضيّة من جديد باستحضار ما قد جرَى وكانَ فيهَا من عهد أبي بكر حتّى ساعَة الموقِف، فقامَ يُخبرُ وينشدُ مَنْ حَضَرَ بأنّ رسول الله ﷺ أخبرَ بحديث عدم التوريث «لا نورَث ما تركناه صدقَة»، فقرّره الحاضرون، ثمّ عادَ ونشدَ علي والعبّاس، فقالا : «نعم»، **والسّؤال الآن** : كيفَ يُقرّر عليّ والعبّاس صدورَ هذا الحديث عن رسول الله ﷺ ثمّ يُعودان ويطلُبان خلافَ قول الرّسول ﷺ ؟! فيكونُ

هذا منهُم جهلاً، وعليٌ عليه السلام أعلمُ الصّحابَة، فإن لم يُسلِّم السلفيّ بأنّه أعلمُ الصّحابة، فسيُسلِّمُ أنّه أقضَى الصّحابَة، فهُو أقضَى من عُمر، ويعرفُ ما يُحتجُّ بهِ وما لا يُحتجّ بِه، وأنّ الشّرع المحمّدي هُو السّائق لا غيرُه، ومعَ ذلكَ يطلبُ أقضى المُسلمين بخلافِ ما يُصدِّقُه هُو -حسب ما جاء في الخبر- من الأخبار المحمديّة في عدم التوريث؟! هذا سؤالٌ موجّه، والجَوابُ عليه أنّ عليّاً عليه السلام مُحتمَلٌ أنْ يكونَ قولُه (نعَم) تقريراً لقول الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم لحديث عدم التوريث كروايَةٍ مُختصرَة جاء بهَا أبو بكر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناقصَة فيها غيرُها من السّياق الذي يُبطلُ وجه الاحتجاج بهَا، أيضاً قد يكونُ هذا تقريراً منهُ عليه السلام للنصّ ولكنّه اعتراضٌ على أنّ هذا الذي فهمتموهُ من هذا الحديث ليسَ صحيحاً، ولا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم كانَ يقصدُ ما قصدتموهُ منه فأنا أقرّ به روايةً (بقولِي نعَم)، ولكن لا أقرّ بفهمِكم لهُ فهماً صحيحاً، وذلكَ ظاهرٌ من موقِفي واعتراضي وإعادة مُطالَبتي ومَوت زوجَتي على هذا غاضبَة .

الوقفَة الرّابعة : ثمّ عادَ عُمر يُواصلُ شرحَ أطراف المسألَة، فأخبرَ العبّاس وعليّ مُذكّراً لهُما حضورَهُما عندَ أبي بكر يَطلبونَ منهُ أنْ يُعطيَهُما ميراثَهُما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، العبّاس يطلبُ ميراث ابن أخيه، وعليّ يطلبُ ميراث زوجَتِه فاطمَة، فامتنعَ عليهما أبو بكر، وقالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما نورَث ما تركناهُ صدقَة»، فلم يُرضِ هذا الحُكم العبّاس وعليّ بن أبي طالب من أبي بكر، فرأيَاهُ بهذا (كاذباً آثماً غادراً خائناً)، أقولُ: وهذا من العبّاس وعليّ أهمّ ما فيهِ أنّهما بهذا يردّان على أبي بكر حُكمَه في الإرث، ويردّان فهَمهُ من النّص الذي احتجّ بهِ، فلو كانَ أعلمُ المسلمين وأقضاهُم عليٌ عليه السلام يرَى فيما احتجّ به أبو بكر من قول الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم مُفيداً لعدم أخذ الإرث لَما طالبَ به مِن الأصل، فكيف عندما يُطالبُ ويردُّ وجه فهمِ أبي بكر لهذا الحديث بالامتناع عن عدم التّوريث؟! فُهنا يكفينَا أنْ نقولَ: إنّ هذا الحديث الصّحيح في كتاب مُسلِم على مباني الفرقة السنية يُثبتُ أنّ عليّاً عليه السلام والعبّاس لم يكونَوا راضينَ عن حكم أبي بكر، ومات أبو بكر وهُم على عدم الرّضا هذا، وماتَتْ فاطمَة وهي والعبّاس وعليّ غير راضينَ عن حُكم أبي بكر، هذا هُو المهمّ عندنَا من دلالَة حديث مسلم، وهي اللازمَةُ الإقرارُ منهُ، وإنّما الكلامُ الفرعيّ

والزّائد هُو إقذاعُ العبّاس وعليّ على أبي بكر (بالكاذب الآثم الغادر الخائن)، فهُو قد يكون مرجعهُ الغضَب من الحكم، وقد يكونُ مرجعهُ تكذيبُ عليعليه السلام لأبي بكر وَجه روايتِه وأنّه رواها عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمَعنى، أو تكذيباً للفهَم الذي حكمَ بناءً عليه بعدم التوريث، وأنّ كلامَ الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما قالَ كلامَه هذا لم يكُن يقصدُ به عدم التوريث مُطلقاً، كلّ هذا وارِد، وهُو لا يهمّ ما دامَ ظهرَ لنَا أنّ عليّاً لم يرضَ بحكم أبي بكر؛ لأنّ الكلام على أنّ فاطمَة عليها السلام ماتَتْ وهي راضية على أبي بكر وعُمر فرعٌ من هذا، فتأمّله. نعم! فإنْ قيلَ: ألاَ ترونَ أنّ في احتمالكُم تكذيبُ عليعليه السلام لأبي بَكر روايَته النّصيّة الصّحيحة سماعاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنّ في هذا نسبةُ تعمُّد الكَذب على أبي بكَر، وهذا لم نسمعهُ من الزيدية ماضياً وحاضراً، نعني نسبَة أبي بكر إلى تعمّد الكذِب في الرّواية؟. قُلنا: ليسَ هذا ما قصدنَا، نعني نسبَة أبي بكر إلى تعمّد الكذِب في الرّواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في احتمالِنا أنْ يكونَ قد سمعَ قولاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرواهُ عنه صلى الله عليه وآله وسلم بالمَعنى، فلم يكُن ذلك المَعنى هُو عينُ قولُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإلاّ فإنّنا قد احتملنَا غير هذا من الرّواية النصيّة معَ الفَهم الخاطِئ لفِقه كلامِ الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، والأوّل فلا تشنيعَ علينَا فيه إنْ أخطَأ أبو بكر عين الرّواية وروَى المَعنى فليسَ هُو بمعصومٍ، وليس هُو بالمتعمِّد لهذا، ولكنّ السّمعَ قد يُخطِئ كما قالَت أمّ المؤمنين عائشَة في حقّ عُمر بن الخطّاب وابنِه، وذلك عندمَا ردّت على عمر بن الخطاب وابنه عبدالله روايته لحديث تعذيب الميت ببكاء أهله ولم يسلتزم هذا منهَا أنّ هذا منه تعمّد للكذب أو أنّه يترتبّ منه تكفير!، فقد يكونُ فهمَ عمر كلامَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على غير مُراد الرّسول فنقلَه، أو روى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمعنَى فلم يصِل مُراد الرّسول على التحقيق، وقد يكونُ غير هذا، فروى مسلم وغيره، من حديث الميّت وأنهّ يُعذّب ببكاء أهلِه، فقال من حديث فيه بعض طول : «فَقُمْتُ فَدَخَلْتُ على عَائِشَةَ فَحَدَّثْتُهَا بِمَا قال ابن عُمَرَ فقالت: لَا والله مَا قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَطُّ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ قال إِنَّ الكَافِرَ يَزِيدُهُ الله بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَذَابًا، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿**ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ [الأنعام:١٦٤]، قال أَيُّوبُ قال بن أبي مُلَيْكَةَ حدثني القَاسِمُ بن مُحَمَّدٍ قال: لَمَّا بَلَغَ عَائِشَةَ قَوْلُ عُمَرَ وابن عُمَرَ قالت: إِنَّكُمْ

لَتُحَدِّثُونِّي عن غَيْرِ كَاذِبَيْنِ ولا مُكَذَّبَيْنِ وَلَكِنَّ السَّمْعَ يخطىء»[1]، فتأمّل هذا أخي الباحث ففيه وجه مُقارنَة كبيرَة مع ما نقولُه في حقّ أبي بكر في مسألة التوريث، من أنّه ربّما فهمَ من هذا الحديث فهماً بغير ما أرادَ الله والرّسول، أو نُقِلَ هذا عن رسول الله ﷺ بالمعنَى، أيضاً نحنُ هُنا نركّز على قول عائشة أمّ المؤمنين عندما ردّت قولَ عمر بن الخطاب وابنِه فقالَت : «إنَّكُمْ لَتُحَدِّثُونِّي عن غَيْرِ كَاذِبَيْنِ ولا مُكَذَّبَيْنِ وَلَكِنَّ السَّمْعَ يُخطىء»، فهذا أقصَى ما قد يحتملهُ قولُنا فافهَم هذا، وأما الكذب العَمد فمنزّهون عنه، وعليه فلا يُفهَمُ من قول بعض الزيدية لم يروهِ غير أبي بكر أنّ هذا يُلزمُ تكذيباً متعمّداً لأبي بكر، **نعم!** ثمُ لو أجابَ السّلفي المُنصِف عن سَبب عَدم تسليم عليّ وفاطمَة والعبّاس صلوات الله عليهِم لنصّ أبي بَكر الذي رواهُ عن رسول الله ﷺ، رجونَا أنْ يكونَ مُرجّحاً لأحَد احتمالاتنَا لا يخرجُ منهَا إن لَم يزِد عَليهَا بما هُو أعظمُ منهَا، فقط يُجيب بإنصَاف، والحمدلله

الوقفَة الخامسَة : أيضاً عادَ عُمر يشرحُ أطراف المسألَة، فأخبرَ أنّ العبّاس وعليّ أتياهُ بعد موتِ أبي بكر يُعاودان طلبَ الميراث، اعتراضاً على صحّة حُكم أبي بكر، فأخبرهُم عُمر بما أخبرهُم به أبو بكر واحتّج عليهِم بمثلِ ما احتجَّ به أبو بكر عليهِم، فرأياهُ (علي والعبّاس) كما رأيا الأوّل بأنّه (كذابٌ آثمٌ غادرٌ خائن)، وهذا اعتراضٌ آخَر بعد موت فاطمة الزّهراء على عدم قَبول حُكم عمر في المسألَة، ووجه الكلامِ على وجهِ عدَم قبولِها لهذا سبقَ في الوقفَة الرّابعَة فلا نُعيدَه .

الوقفَة السّادسَة : أن يُقال: إنّا نحتجّ بهذا الخَبر كلّه على شرطِ السلفيّة المُعتبرَة بالتصحيح المطلق لِمَا جاء في الصّحيحَين، فنحتجّ عليهِم بما هُو ثابتٌ عندَهُم، فلا يُستدلّ من هذا على الزيدية من كلامِنَا بإثباتِ حديث عدم التوريث من إقرار أمير المؤمنين والعبّاس لعمر، وهذه مهمّة فلا تغِب عنكَ أخي مُتَّبِعَ مذهب أهل البيت عليهم السلام، أيضاً فإنّ رواية مُسلِم هذه تُثبتُ ما حكيناهُ في رسالتنَا عن (فدَك عند أهل البيَت عليهم السلام)، من عدَم رضاهُم بالإجماع من حُكم أبي بَكر في فَدك .

(١) صحيح مسلم:٢/ ٦٤١.

الوقفَة السّابعَة : إن قيلَ: ولكنّ الإمام زَيد بن عَلي عليه السلام قد صحّح حُكمَ أبي بَكر في فَدك، فيكونُ بهذا قد صحّح وجه روايَة عَدم التّوريث نصّاً وفَهماً من أبي بَكر.

فنقولُ: على فرضِ تصحيحنَا لتلك الرّاوية عن أبي الحُسين عليه السلام، فإنّه لا يقولُ باعتراضكُم هذا واستنباطِكُم إلاّ مَنْ لَمَ يقرأ كامِل سياقِ الرّواية عن الإمَام زيد بن عَلي، وقد ذكرها ابن شبّة في أخبار المدينة، وبيّنا ذلك بتفصيل في رسالتنا عن فَدك، فالإمام زَيد عليه السلام لم يكن يرَى أنّ وجَه مُطالبَة فاطمَة بفدَك على أنّها إرثٌ بل على أنّها نِحلَة وهبَةٌ لهَا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكُن يرَى أنّ وجه احتجَاج أبي بكر عَليها بخبر عَدم التّوريث، بَل بطلب نصاب الشّهادَة رَجُلان، أو رجلٌ وامرأتان، فإقحامُكم تصحيحَ الإمام زيد لحُكم أبي بَكر بتصحيح خبر عَدم التّوريث نصّاً وفَهماً، من التّدليس الظّاهر على الأغمَار، فأمّا الباحثون فلا يَنطلي عليهُم ذلك ودونَهُم ودونَكُم النّصوص والسّياقات والفِقه.

نعم! وبهذه الوَقفات في هذه الوُريقَات أكتفِي، مُنبهاً الباحث على الرّجوع إلى ما تم تفصيلُه في رسالتَنا حولَ فدَك، ومُصلّياً ومُسلّماً على سيّدنا محمّد وآله الطّاهرين.

٥/ ٤/ ١٤٣٠هـ

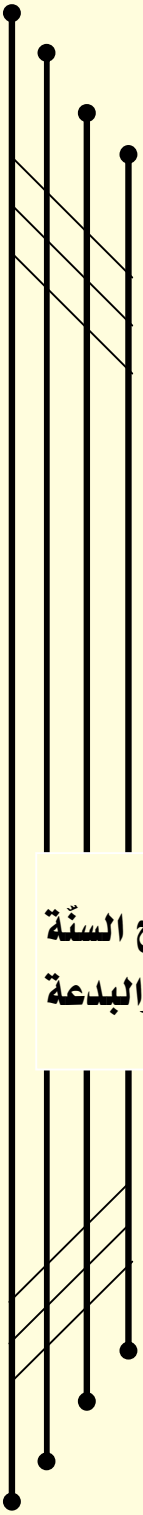

السادسة والعشرون : نِقاش حول أصل صلاة التّراويح السنّة والبدعة

نِقاش حولَ أصل صَلاة التّراويح السنّة والبدعَة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين، سيدنا محمّد وآله الطّاهرين، نجومُ السّماء وعلامات الاهتداء، ورضوان الله على الصّحابة المتّقين، والتابعين لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدّين .

وبعَد :

فيجدُ القارئُ والباحثُ عن الحقّ في هذه السّطور مُناقشَة مع أحدِ الإخوَة الأفاضِل من الفرقة السنية وفقّنا الله وإيّاه وإيّاكم للهُدَى والحقّ إنّه على ذلكَ قَدير، وذلكَ حول أصل صلاةِ التّراويح، وقد كان يُريدُ النّقض على الزيدية أعلا الله سنامَ دعوتهَا عندمَا جعلَتْ من صلاةِ التّراويح بدعةً، ولم تجَعل من المولِد النّبوي بدعَة، عُموماً لا نُطيلَ في المقدمّة، ولكن نذكُر ما جَاء في النّقاش، ونطلبُ من الآخَر أنْ يستحضَر الإنصاف، فإنّا له مُلتزمُون إنْ شَاء الله تعالَى، وفي هذه المقدّمة أشيرُ وأشيدُ بالأخت الباحثَة (البَتول الزّهراء)، صاحبَة الدّور الأكبر في جَمع وترتيب صفحَات هذا البَحث من مواطِن النّقاش، فجزاها الله خيراً عنّا وعن الذّب عن سنّة رسول الله ﷺ، نعم! ونشيرُ أيضاً إلى أنّه في عهد رسول الله ﷺ لم تكُن تُعرف صلاة التّراويح بهذا الإسم، وإنّما اسم (التّراويح) اسمٌ مُتأخّر، نأتي أخي البِاحث على مادّة النّقاش حول التّراويح، متّكلين على الله تعالى .

لماذا تُبدّع الزيدية صلاة التّراويح، ولا تُبدّع إقامَة المَولد النبويّ ؟:

إنْ قيل: وجدنَا أنّ الزيدية تجيزُ المولد النبويّ بناءً على قاعدَة البدعَة الحسنَة، مع أنّهُم مُقرّون أنّ رسول الله ﷺ لَم يفَعله، ولا مُتقّدموا سلفهِم من أهل البيت عليهم السلام، ومع ذلك فهُم لا يُعدّون ذلك مُخالفاً لأصول الشّرع، وفي المُقابل يرونَ بدعيّة صلاة التّراويح، وهي

على قاعدَة البدعَة الحسنَة أشدّ لصوقاً منهَا وأكثرُ وضوحاً من المَولد النّبوي، فمَا تقولُ الزيدية في ذلك ؟!.

قُلنَا: اعلَم أخي المُعترض هدانَا الله وإيّاك، أنّ مُقارنَتكُم تبديع الزيدية لصلاة التّراويح على السلفيّة بعدَم تبديعِهم المولد النّبوي، وأنّ هذا تناقضٌ كما صدّرتُم، أساسُ المُقارنَةِ بينَه لا يصحّ، ولا يصحّ أنْ تبنُوا عليه أي حُكم، لمكَان أنّ الزيدية إنّما بدَّعَت صلاة التّراويح جماعةً في المساجِد على مَن يُصلّيهَا بهذه الهيئة بنيّة السنّة، بمعنىً آخَر : صلاة التّروايح جماعةً في المساجِد هي بدعَةٌ عُمريّة وليسَت سنّة محمديّة، صحيحٌ أنّ أصلَ صلاة التراويح سنّة، وأنّ الرّسول ﷺ صلاّها جماعةً، ولكنّه صحّ أنّه فرّقَ النّاس عن الجماعَة وأصبحَ الصّحابَة يُصلّونَها في عهدهِ في بيوتهِم، وكذلكَ كانوا في عهدِ أبي بكر، ثمّ أتى عُمَر فعاودَ جمعَ النّاس على قارئٍ واحدٍ يُصلّونَها جماعَة وقالَ: (نعمَّت البِدعَة)، فعُمَرٌ سمّى التراويح جماعةً بدعَة، فلا يجوزُ لنَا أن نقولَ عنها سنّة، خُلاصَتُه : صلاة التّراويح بنيّة السنيّة بدعَة؛ لمَا ثبتَ أنّ رسول الله ﷺ ماتَ وهُو لا يَفعلُها، بل فرَّقَ النّاس عنَها، والواجبُ الاقتداء بِفعل الرّسول ﷺ لظاهرِ فِعله وقد كانَ عددٌ من الصّحابَة وكبار التّابعين لا يُصلّونها جماعةً في المساجد ويُصلّونَها في بيوتهِم .

إن قيل: فلماذا تركَ رسول الله ﷺ، تأديَة صَلاة التراويح جماعةً؟!.

قُلنَا : أخي السّائل، ليسَ هذا السؤال الموجّه، السّؤال لماذا سمّاها عمر بدعَة، ومنكم مَنْ يصرّ على أنّها سنّة، نُفصّلُ الأمر ؟.

١- الرّسول ﷺ أمرَ بصَلاة التراويح، وصلاّها ثلاثة أيام جماعَة في المسجد (هُنا التراويح جماعَة سنّة) .

٢- الرّسول ﷺ في اليوم الرّابع، فرّق النّاس عن صلاتِها جماعَة، وأمرَهُم بصلاتِها فُرادَى، (هُنا انتقلَت السنيّة من هيئة الجماعَة إلى الفُرادَى، لأمرِ الرّسول وفِعلِه)، وماتَ ﷺ على هذا .

٣- أيضاً ماتَ أبو بكرٍ على هذا، سنيّة الصلاة فرادى ولَم يجمَع النّاس لصلاتِها جماعَة .

٤- لّما تولّي عمر بن الخطاب، في صَدر خِلافَته، ظهرَ لهُ أنْ يجمَع النّاس على إمامٍ واحد فيُصلّونَها جماعَة، وسمّى هذا الفِعل منهُ (بدعَة)، وهُو لم يُسمِّهَا بذلك إلاّ لّما مضَت السنّة بموتِ صاحبِها بصلاتِها فرادَى .

٥- السّؤال : هل صلاة التراويح في جماعَة بدعَة من آخِر فعل الرّسول ﷺ ؟! وهل تركَ أبو بكر سنّة ثابتَة لرسول الله ﷺ عندما لم يُصلِّها جماعَة ؟!

خُلاصتهُ : نريدُكم أنْ تقولوا: إنّ صلاة التراويح جماعةً في المساجد بدعَة، وأنّ السنّة صلاتها فُرادَى، وأنّ الدّاعي لصلاتها جماعَة اجتهاد عمر بن الخطّاب، وأنّ رسول الله ﷺ إنّما كانَ يخشَى من فِعلِها لمكان الافتراض على النّاس؛ لأنّ هذا هُو صوتُ وقولُ الدّليل .

إن قيلَ : فعلَى مبَاني الزيدية، ألاَ يكونُ ما فعَله عُمر جمعِ النّاس في صلاة التّراويح على إمامٍ واحِدٍ، ألاَ يكونُ هذا بدعة حسنَة ؟!.

قُلنَا : لا مانعَ من تسميَة التراويح جماعةً بدعةً، وإطلاقُ التحسين عليهَا يعتمدُ على نظر النّاظر كما قرّر ذلك ابن حجَر، وإنْ كانَت السنّة صلاتُها فُرادَى، -وننبّه على مَنْ يُصلّيها أنْ يستلهم أنّه ليس بحاجَة إلى صلاتِها على هيئة البدعَة وبإمكانِه أن يُصلّيها على هيئة السنّة فُرادَى-، وكل هذا ممُتنعُ على شرطِ بعضِكم ممّن لا يعتبرونَ مكاناً للبدعَة سواءً حسنَة أو غير حسنَة؛ لأنّه عندَكُم لا مكان إلاّ للسنّة، وأنّ كلّ بدَعة ضلالَة وكلّ ضلالة في النّار، والسنّة مَضَتْ بصلاتِها فُرادَى، وكذلكَ كانَ كبار التابعين ممّن هُم سلفٌ للسلفيّة يُصلّونَها فُرادَى، وينصرفونَ عن الجماعَات ويحثّون النّاس على تركِهَا، وهو مذهبُ الشّافعي كما نقلنَا سابقاً . فهَل تعتبرونَ أخي السّائل بتصحيح البدعَة الحسنَة ؟!، وقبلَ ذلكَ هل تقولون: إنّ صلاة التّراويح -جماعَةً بعد وفاة الرّسول- بدعَة أم سنّة؟!، هُنا الإشكَال لو قَد تفهّمتوه .

إنْ قيلَ : فقد جاءَ في الخبَر: حَدّثنا تميم بن المنتصر، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا ابن أبي ذِئب، عن مُسلم ابن جندب، عَن نوفل بن إياس الهذلي، قَال: كُنّا نَقومُ في عهد عُمر بن الخطّاب فِرَقاً فِي رَمَضان في المَسجِد إلى هَاهُنا، وهَاهُنا، فكانَ النّاس يَميلُون على أحسَنِهم صَوتاً. فقالَ عُمَر: ألاَ أرَاهم قَد اتّخَذُوا القرآن أغَاني، أمَا والله لئن استطَعتُ لأُغَيِّرَنَّ هَذا. قَال: فلَم يَلبَث إلاَّ ثَلاثَ لَيالٍ حَتّى أمرَ أُبيّ بن كَعب فَصلّى بِهِم، ثمّ قَام في مُؤخَّر الصُّفُوف، فَقال: إنْ كَانت هِذه بِدعَة، فنِعِمَّت البِدعَة هَذه».

قَال القرطبي فِي كِتاب الصّيام: «إسنادٌ رِجُالُه ثِقَات»(1)، وَهَذه الرِّوايَة تُفيدُ أنّهم كَانُوا يُصلّونها جَمَاعَات صَغيرَة، فَجمَعَهُم عَلى جماعة واحِدَة، وربّما قِيل: هَذه بدعَة صُوريّة شَكليّة لا حَقيقَة للبدعَة فِيهَا؛ لأنّها جَمَاعة وَاحِدَة بَدَل جَمَاعَات، وأيضاً هَذه الرّواية تُفيد أنَّ عُمَر، قَال: «إنْ كَانَت هَذه بِدعَة» . وقَولُه: «إنْ كَانَت»، أيْ عَلى الفَرَض، فكيفَ تقولُ الزيدية في هذَا ؟!.

قُلنَا : أخِي الفَاضِل هذا الاستنتاجُ منكُم للمسألَة نعني وجود الجماعَات الصغيرَة المتفرّقة لصَلاة التراويح داخل المساجِد، استنتاجٌ ليس عليه العُمدَة عند العُلماء ولا يعتقدونَ أنّه الأصلُ في المسألَة ؟!، بمعنَى أنّه كانَ آخرُ نهي الرّسول ﷺ وأمرُه ؟! وهذا ما ذهبَ إليه جمهورُ العلماء وسوادُهم.

- **روى البخاري في صحيحه**، قال: «وَعَنْ بن شِهَابٍ عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ عن عبد الرحمن بن عَبْدٍ القارىء أَنَّهُ قال خَرَجْتُ مع عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رضي الله عنه لَيْلَةً في رَمَضَانَ إلى الْمَسْجِدِ فإذا الناس أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ، فقال عُمَرُ: إني أَرَى لو جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ على قَارِئٍ وَاحِدٍ [تماماً كفِعل رسول الله ﷺ السابق] لَكَانَ أَمْثَلَ، ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ على أُبَيِّ بن كَعْبٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ معه لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِئِهِمْ، قال عُمَرُ: نِعْمَ الْبِدْعَةُ [وهو لم يَقُل إن كانَت بدَعة] هذه وَالَّتِي يَنَامُونَ عنها أَفْضَلُ من التي يَقُومُونَ يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ، وكان الناس يَقُومُونَ أَوَّلَهُ» .

(1) كتاب الصيام:1/ 128.

- **روىٰ البخاري في صَحيحه**، قال : «حدثنا عبد اللَّـهِ بن يُوسُفَ، أخبرنا مَالِكٌ، عن ابن شِهَابٍ، عن حُمَيْدِ بن عبد الرحمن، عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قال: «مَنْ قام رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ». قال ابن شِهَابٍ: فَتُوُفِّيَ رسول اللَّـهِ ﷺ وَالْأَمْرُ علىٰ ذلك، ثُمَّ كان الأَمْرُ علىٰ ذلك في خِلَافَةِ أبي بَكْرٍ، وَصَدْرًا من خِلَافَةِ عُمَرَ رضي الله عنهما» .

قلتُ : وهذا عن ابن شهابٍ لا يُفهَمُ منهُ إلاّ أنّ صلاة التراويح كانَت تُصلّىٰ فُرادَىٰ، في زمَن رسول الله ﷺ وعليها مَات، وكذلكَ كانَت تُصلّىٰ في عهد أبي بَكر، وكذلكَ كانت تُصلّىٰ صدراً من خلافِة عُمر، والإجماعُ مُنعقدٌ أنّ عُمر أوّل من جمعَ النّاس علىٰ قارئٍ واحِد -كصلاة جماعيّة-، وسمّاها بدعَة، لمكان ابتداعِه أمراً لم يكُن سابق في عهد أبي بكر، ولا رسول الله ﷺ، والسنّة مضَت علىٰ خلافِه .

سلّمنَا، فإنّ النّص المُقتَبس الذي قد يُستنتجُ منهُ وجود جماعات صغيرة، بمعنىٰ أكثر من جماعَة في المَسجِد الواحد، فإنّه أيضاً موجودُ في نفس النّص : «فإذا النَاس أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ »، فإنّ هُناكَ مَن كانُ يُصلّي لنفسِه، وأولئكَ المُصلّون بصلاة غيرِهم فإنّ هذا قد يعَني المُتابعَة لهُم بالصّلاة قياماً وقعوداً من غير لازِم الجماعَة، وقد يكونُ يُعنىٰ به الجماعَة فيكونُ من العامّة ممّن لا يُحسنونَ القراءة، أو قد يكونُ غيرُه مما لا يستدعِي أنْ يُقرّر من فعلِهم به السنّة لأصلِ الفِعل -تأمّل هذه فهي دقيقَة-.

عموماً، الذي يهمّنا هُنا هُو أنّ أصلَ المسألَة قائمٌ، وهُو أنّ الأصلَ في سنيّة صلاة التراويح بعد وفاة رسول الله ﷺ هُو الصّلاة فُرادَىٰ، بدليل تفريقِ الرّسول ﷺ للنّاس عن الجماعة في اليوم الرّابع، وبدليلِ أنّ أبا بكر لم يَجمَع النّاس عليهَا، وبدليلِ اعتراف عُمر بابتداعِه هذا الأمر، وبدليلِ فِعل الصّحابة كابن عمر، وكبار التّابعين كالحسن البصري وابن فروخ والنّخعي، وفِعل كبار الفقهاء كمالك والشّافعي، كما سيأتي النّقل عنهُم .

نعم! أمّا قولُ عُمر في الرّوايَة المُقتبسَة (إنْ كانَت هذه بدعَة)، وما ذَهبْتَ إليه أخِي في الله، من أنّ هذا يعني -علىٰ فَرَض أنّها بدعَة- فهذا سبقٌ لم يسبِق إليه أحدٌ مِنْ أهل العِلم

فيمَا وقفنَا عليه من الأقوال، وهُو يُخالفُ على قول عمر في رواية البخاري، أيضاً هي مأوّلة بما لا يُعارِض قولَه في البخاري بأنّ البدعَة إنْ كانَت كـذَا بـالمنظَر العبـاديّ الجَميـل فـنِعمَ البدعَة، أي فأنعِم بهَا من بدعَة، ليس أنّه يشكّ في أنّ صلاتَها فُرادَى هُو الأصل في المسألَة، فراجع أقوال العلماء باركَ الله فيك .

فَائدَة في كون الأصل من فِعل الرّسول ﷺ هُو صلاة التّراويح فُرادَى :

١-روى البُخاري، بإسنادِه، عن زَيد بن ثابت، قـال : «احتَجَـر رسـولُ الله ﷺ حُجَـيْرَةً مُخَصَّفَةً، أو حَصيرًا، فخرَج رسولُ اللَّـهِ ﷺ يُصلِّي فيها، فتَتَبَّـع إليـه رجـالٌ وجـاءوا يُصلُّونَ بصلاتِه، ثم جاءوا ليلةً فحضَروا، وأبطَأ رسولُ اللَّـهِ ﷺ عَـنهُم فَلـم يَخـرُجْ إليهم، فرَفَعوا أصواتَهم وحصَبوا البابَ، فخرَج إليهم مُغضَبًا، فقـال لهـم رسـولُ الله ﷺ : «مَا زَالَ بكُم صَنيعُكم حتى ظَنَنتُ أنه سـيُكتَبُ علـيكُم، فَعَلـيكُم بالـصَّلاةِ في بُيوتِكم، فإنَّ خيرَ صلاةِ المَرءِ في بيتِه إلاّ الصّلاةَ المكتوبةَ»[1].

الشّاهد : قولُه ﷺ : «فَعَليكُم بالصَّلاةِ في بُيوتِكم» وهذا أمرٌ واضـح مـن رسـول الله ﷺ بصلاتهَا في البُيوت لا في المَساجِد جماعَة، وهُو يَكفي البَاحِث المُنصِف في هـذا البَـاب كلّه، لو كانَ من إنصَاف فقَط .

٢-قال البيهقي : «وهَذا الذي مَنعَ أمير المُؤمنين عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، فَإنْ كَانت بِدعَة فِهي بِدعَة مَحمودَة؛ لأنها لَم تكُن بِخلافِ مَا مَضى مِن عهد النبي فقد روينـا أنّهـم صَلّوها بصلاة رسول الله لَيالِي وإنّما ترَكَها رسُول الله ﷺ بالجَمَاعَة خَـشية أنْ تُفـرَض عَليهم»[2].

الشّاهِد: قولُه : «وإنّما ترَكَها رسُول الله ﷺ بالجَمَاعَة» .

---

(١) صحيح البخاري:٥/ ٢٢٦٦.

(٢) فضائل الأوقات:٢٦٦.

٣-وقالَ ابن الأثير الجزري : « (نعمّت البِدعَة هَذه، [فَإنّه] يُريدُ بها صَلاة التّراويح، فإنّه فِي حَيز المَدح؛ لأنّه فِعلٌ مِن أفعَال الخَير، وحَرصَ على الجَماعة المَندوب إليها، وإنْ كَانت لَم تكُن فِي عَهد أبي بَكر -رضي الله عنه- فقد صَلاّها رَسُول الله ﷺ، وإنّمَا قطعَهَا إشفَاقَا مِن أنْ تُفرَض على أمّته»[1].

الشّاهد: قولُه : «وإنْ كَانت لَم تكُن فِي عَهد أبي بَكر»، يعنِي الجمَاعة بالتراويح، وقولُه : «وإنّمَا قطعَهَا»، يعني أنّ رسول الله ﷺ قطعَ جماعَة التراويح بالفُرادَى .

٤-وقال ابن عبد الكافي السّبكي مُخبراً بأنّ هذا الفِعل لم يكُن الخليفَة قبلَ عُمر عليه، قال : «وذَلكَ شَيء ذَخَرَه الله وفضلُه بِه، ولَم يُلهِمهُ أبَا بَكر، وإنْ كَانَ أفضل وأشدّ سَبقاً إلى كلّ خَير بالجُملَة، ولكلّ وَاحد مِنهُم فَضائل خُصّ بِها ليست لصَاحبه» [2].

الشّاهد: قوله : «ولَم يُلهِمهُ أبَا بَكر»؛ وذلكَ أنّ أبا بكَر لم يكُن رأيُه وفِعلُه جماعَة التراويح .

٥-وقال الزّيلعي مُتكلِّماً على روايَة البخاري : «وَهذا يَدلّ عَلى أنّها تُرِكَت إلى زمَان عُمر بِدليل أنّ عُمر جمَع النّاس عَلى أبيّ بن كَعب»[3].

الشّاهد: قولُه : «عَلى أنّها تُرِكَت إلى زمَان عُمر»، أي تُركَت صلاةُ التّراويح جماعةً .

٦-قال بدر الدين العيني : «وإنّمَا دَعَاهَا بِدعَة؛ لأنَّ رَسُول الله ﷺ، لَم يُسنّهَا لَهُم، ولا كَانت فِي زمَن أبي بَكر، رَضي الله تعالى عنه» [4].

الشّاهد: قولُه : «لأنَّ رَسُول الله ﷺ، لَم يُسنّهَا لَهُم، ولا كَانت فِي زمَن أبي بَكر»، يعني صلاة التراويح جماعَة من آخر عهد الرّسول ﷺ فإنّها لم تعُد سنّة، وإن كانَت قبلَ تفريق الرّسول ﷺ للمسلمين سنّة فتأمّل ذلك، وهُو ما نُريدُ إفهامُه لُمخالِفِ العترَة .

---

(١) جامع الأصول:٦/ ١٢٢.

(٢) فتاوى السبكي:١/ ١٥٨.

(٣) نصب الراية:٢/ ١٥٢.

(٤) عمدة القاري:١١/ ١٢٦.

٧-قال علي بن سلطان القاري : «قالَ عُمر: "نِعمَت البِدعَة هَذه"، أي الجَماعَة الكُبرى، لا الصّلاة فَإنها سنةٌ مِن أصلِها» [١].

الشّاهد: قولُه : «"نِعمَت البِدعَة هَذه"، أي الجَماعَة الكُبرى»، فإنّ البدعَة في التجميع بالتّراويح كما هُو المعهود في زمنِ رسول الله ﷺ، والصّلاة من أساسِها سنّة، بمعنى أنَّ أصل التراويح سنّة، والسنّة منهَا صلاتُها فُرادَى .

٨-قال الزّرقاني : «فسمّاهَا بِدعَة؛ لأنّه ﷺ لَم يَسنّ الاجتمَاع لهَا، ولا كَانَت فِي زمَان الصِّدّيق»[٢].

الشاّهد: قولُه : «لَم يَسنّ الاجتمَاع لهَا ولا كَانَت فِي زمَان الصِّدّيق»، يَعني الجماعَة بالتراويح .

نعم! ثمّ أنتُم لم تُجيبوا صراحَةً عن سؤالَينا السّابقَين، عن حُكم صلاة التراويح جماعَة في المسجد هل هُو سنّة أم بدعَة حسنَة؟! أيضاً لم تُجيبونَا عن ترك أبي بكر لما فعلَه عُمر هُو تركٌ للسنّة أم اقتداءٌ بالسنّة؟ فأيّ الفِعلَين هُو السنّة فِعل عُمر أم فِعلُ صاحبِه؟!.

إن قيل: جواباً على سُؤالكُم في صلاة التّراويح جماعةً، فإنّ نقولُ: إنّها سنّة، وجواباً على سؤالِكم عن تركِ أبي بَكر لصلاة التّراويح جماعَة، وأيّها السنّة فِعلُه أم فِعلُ عُمر بن الخطّاب؟!، فإنّا : نَقول : إنّ صلاَة التّراويح جماعةً كانَ في عهدِ أبي بَكر أيضاً، وإنّما الفَرق أنّ عُمر جمعَهم على قارئٍ واحِد بجماعَة أكبَر، فأبو بكرٍ لم يترُك سنّةً أصلاً .

قُلنَا : قد كُنّا نأمَل مُراجعةً للنّفس بعد الذي وكانَ من شرحٍ أطراف وحيثيّات المسَألة من سنيّة وبدعيّة صلاة التّراويح جماعةً في المَسجِد، وبخصوص ما قررّتموه من أنّ أبا بَكر كان يُصلّي التّراويح جماعَة مُصغّرة، لا كمَا في عهدِ عُمر بن الخطّاب، فقولٌ فيه تكلّف وتعسّف ولن يُسعِفَ الدّليل عَليه، وقد ذكرنَا قريباً أقوال أهل العِلم من أصحابكُم في

(١) مرقاة المفاتيح:٣/ ٣٤٢.

(٢) شرح الزرقاني:١/ ٣٤٠.

ذلكَ، وأدلّ عَليه ما قالَه الزّرقاني : «فسمّاهَا بِدعَـة؛ لأنّـه ﷺ لَم يَـسنّ الاجـتمَاع لهَـا، ولا كَانَت فِي زمَان الصِّدّيق»، فنفَى أنْ تكونَ جماعةً صغيرةً أو كبيرةً في عهـد أبي بَكـر، بـل إنّـه نفَى سنيّتها بهيئة الاجتمَاع من أساسِه، وقد يكفيكُم في نَفي حصولِ الجماعَة في عهدِ رسول الله ﷺ، وفي عهدِ أبي بَكر قولُ رسول الله ﷺ: «فَعَليكُم بالصَّلاةِ في بُيـوتِكم»، فاقتـدَى أبو بَكرٍ بذلك، وأحدَثَ عُمَر بدعةً على ذلَك القـول المحمّـدي في صَـدر خلافَتـه فجمـعَ النّاس عليهَا جماعةً، فأيّ الخِليفَتين اقتدَى بسنّة رسول الله ﷺ ؟!.

فائدَة تتناوَل مَا مضَى من النّقاش وفيه الخُلاصَة للباحِث :

الكُلامُ هُنا موجّه للباحِثين بعُموم، فإذا أردنَا أنْ نصلَ إلى الحقّ في هذه المسألَة، فيجـبُ أنْ نركّز وأنْ نستحضَر أموراً مهمّة، منَها :

أولاً : ما هُو مُستندُ المُثبتين على أنّ صلاة التراويح جماعةً في المسجد هُو السنّة، مـع أنّ الدّليل ناهضٌ على أنّ رسول الله ﷺ لم يُصلِّها من بعد ثالثِ رمضَان جماعَة في المَسجِد ؟! والأصلُ الاقتداء بفعلِه لتقرير السنّة من عدَمِه، فكيفَ إذا كـانَ مـعَ الفِعـل قـولٌ بـالأمرِ بصلاتهَا في البُيوت كنافلَةٍ فُردَى، نعم! ثمّ إننّا قَد ذكرنَا لُمَعاً من أقوال علماء الفرقة السنية، فهذا يكفي في النّظر معَ الإنصَاف .

ثانياً : ماهُو مُستندُ المُثبتين أنّ صلاة التّراويح قامَت جماعةً في عهد رسول الله ﷺ بعدَ ثالِث رمضَان بحيث يكونُ النّاس يُصلّونَها في جماعات صغيرَة ؟ وهل أُثِر أنّ أحـداً صـلّى بالصّحابَة التراويح دون الرّسول ﷺ في عهدِه ﷺ ؟!، فإن انعدَم الدّليل كـان الأصـل قائماً من موت الرّسول ﷺ والصّحابَة مُقتدونَ به في الصّلاة فُرادَى .

ثالثاً : ماهو مُستندُ المُثبتين أنّ أبا بكر صلّى هذه الصّلاة جماعَة -جماعَة صغيرَة-، أو أنّه كانَ يُصلّى في عهدِه بتلكَ الهيئة التي كان يُصلّيها الرّهط جماعات جماعات كمَا في عهد عُمر فإنّ هذا غير مأثورٍ ولا مذكور، وهذا فيُبقـي أصـلَ مـا مـاتَ عليـه رسـول الله ﷺ مـن الصّلاة فُرادَى قائماً، ويُبقي أصل كلامِنا في أنّ أبا بكر لم يكُن يرى سنيّة الـتراويح جماعـةً، وإلاّ لأقامَها وأثرَ ذلكَ عنه، ويبقى سؤالُنا قائماً في هَل فعـلَ عمـر سـنّةً ظـاهرةً كهـذِه ولم

يفعلَها أبو بكر، حتىٰ قال السبّكي: إنّ الله لم يُلهِم بها أبا بكر ؟!، وأكّد ابن الأثير أنّ الجماعة لم تكن موجودة في عهد أبي بكر، راجِع جوابَنا القَريب، وما نقلناهُ قريباً من مصادرِهِ .

رابعاً : الرّوايات التي تكلّمَت عن تلكَ الصّلاة الجماعيّة المُصغّرَة جاءت بأنّه ما كان يؤدّيها علىٰ تلك الهيئة الجماعيّة إلاّ الرّهط من الصّحابَة، والرّهط تصغيرٌ لعدد القائمين بتلكَ الجماعَة حتّىٰ أنّك ما تتخيّل الجماعة يقومُ فيها إلاّ دونَ العشرَة، وهذه الرّوايات (بالرّهط) جاءت في موطّأ مالك، وصحيح البخاري، وصحيح ابن خزيمة، وسنن البيهقي، وأوردها أيضاً الفريابي في كتاب (الصّيام)، وتلكَ الرّواية التي ذكرَها الأخ المُناقِش والخالية من لفظ (الرّهط) لم أقِف علىٰ غيرِها فيما بحثتُ عنه من كتاب (الصّيام)، فأكثرُ الرّوايات تُخبرُ أنّ تلكَ الجماعات الصغيرة في عهد عمر إنّما كان يقومُ بهَا الرّهط القليل، فإن كانَت صلاة التراويح جماعةً سنّة فقد تركَها كثيرُ الصّحابَة دون الرّهط القليل المُصلّي لهَا، وإلاّ فالأصل ما زالَ قائماً بترك كثير وسَواد الصّحابَة صلاة تراويح جماعَة، وأنّهم يُصلّونَها فُرادَىٰ، وأنّ هذا هُو السنّة .

خَامساً :

أ- إن المُتأمّل لمواقف الفرقة السنية في مسألَة تحَديد مُعتمَد بدعَة عمر في إقامَة التراويح جماعَة، يجدُ أنّ بعضهُم يذهبُ إلىٰ أنّه إنّما ابتدعَ الفرع من الأصل، بمعنىٰ أعادَ الهيئة الجماعيّة إلىٰ ما كانَت عليه في زمن رسول الله ﷺ، وإنْ صحّ أنّ الرّسول ﷺ لم يُصلّها بعد ذلكَ جماعَة وماتَ علىٰ ذلك هُو وأبو بكر، وكان عذر النّبي ﷺ خشيَة الفرض، فأعادَ عمر الجماعَة بعد ارتفاع العُذر، وسمّىٰ هذا الفِعلُ منهُ بدعَة لما صحّ أنّ رسول الله ﷺ ماتَ علىٰ خلافه، ويقولون: إنّه لمّا زالَ العُذر -خشية الفرض- عاد الحُكم -السنيّة للجماعَة-، مع أنّ السنّة سبقَت بموت صاحبِها ﷺ من الصّلاة فُرادَىٰ، فيكونُ هذا من تصحيح فعل عُمر هُو استحسان ما ذهبَ إليه عمر وتسميتُه بدعَة لا سنّة، كما سمّاها عمر نفسُه، ولِمَا صحّ أنّ رسول الله ﷺ ماتَ عليهَا -الصّلاة فُرادَىٰ-، هذا قولٌ من تبريرات إعادَة صفَة السنيّة بإقامَة التّراويح جماعةُ في المساجد فنذكرُ قولاً ثانياً .

ب- وقولٌ ثانٍ قد يعتمدُ عليه السلفيّة في تبرير سنيّة هذه الهيئة الجماعيّة من الصّلاة للتراويح -وهو غير مشهور، ولا يعتمدهُ أهل العِلم لركاكتِه وعَدم دلالتِه-، هُو أنّ الأحاديث جاءت بأنّ عمر دخل المسجد فرأى جماعات صغيرة، الجماعَة لا تتعدّى الرّهط القليل قيل هُم مَنْ دونَ العشرَة، يُصلّون التراويح جماعَة، ورأى غيرَهُم من الصّحابَة وهُم الكثير، يُصلّونَها فُرادَى، فقالوا -تأمّل- اعتماداً على صلاة الرّهط القليل، دوناً عن الجمّ الغفير من الصّحابة، بأنّ هذا من فعل القلّة من الصّحابَة تقريرٌ للسنّة، وأنّ بدعَة عمر إنّما هي في جمع الجميع على قارئٍ واحد، وهذا من الأعذار أبردُها، وهُو قشّة قد يتمسّكُ بهَا غير أهل التّحقيق؛ لأنّه يُقال لهؤلاء، أرسولُ الله ﷺ أحرصُ على تطبيق السنّة من هؤلاء الرّهط من الصحّابَة أم لا ؟!.

إنْ قالوا : الرّسول ﷺ أحرص . قُلنَا : فأقلّها أنّه عندمَا لم يَخرُج على الصّحابَة يوم رابع رمضان كان سيأمرُ أحدَهُم فيُصلّي بالنّاس فيكون هذا أمراً، ويُقالُ أيضاً أنّه كان ﷺ سيحثّهم على الاجتماع الصّغير دون الكَبير!، فيُصلّي الرّجال بصلاة الإمام.

نعم! أيضاً يُقالُ لهؤلاء المُقرّرون لسنيّة صلاة التراويح جماعة من فعل الرّهط القليل: هَل سنّية هذه الهيئة بَلَغَتْ هذه القلّة دون جماعَة الصّحابة، فعملَ القليلُ بهَذه السنّة وتركَ الكثيرُ هذه السنّة؟ أم أنّ السنّة المحمديّة لم تُكن مقرّرة من هذا الفعل الجماعيّ لدى الكثرَة فكانوا يقتدون برسول الله ﷺ بصلاتِها فُرادَى ؟!، **نعم!** عندَها أخي الباحث لن تتلخّص كنتيجَة لهذا الاستقراء إلاّ أنّ أصل صلاة التراويح سنّة، مات الرّسول وهُو يُصلّيها فُرادَى، وفي الأثر أنّه صلاّها ليلة الرّابع في بيته ولم يخرُج للّناس إلاّ بصلاة الفجر، فالسنّة الفُرادَى في البيوت، فاستحسنَ -بتعسّفٍ في إثباتِ هذَا- القلة من الصّحابة (الرّهط) وأغلب ظنّي أنّهم العوام غير القُرّاء أنْ يُصلّوا خلف قارئٍ يقرأُ لهُم، أو قد تكونُ هيئة الجماعة على المتابعَة دون الائتمام كما ذكرنَا سابقاً، **نعم!** فلّما جاء عمر، ووجدَ أصوات القرّاء مُتداخلَة، الرّهط بجماعتِهم، والمُصلّون فُرادَى منتشرون كلّ يقرأ لنفسِه ويُحسِّنُ صوتَه، فطرأَ لهُ أنْ يبتدع إعادَة صلاة التّراويح جماعةً كمنظرٍ عباديٍّ حسَن، وقال: (نعمّت البدعَة).

فترى أخي الباحث أنّ هذه الصّلاة بهذه الهيئة الجماعية في المسجد بدعَة، وأنّ إنكارنَا على أصحابِها هُو في تسميتِها بهذه الهيئة العمريّة سنّة، وهذا وَهم، فهي بدعَة؛ لأن الرسّول ﷺ مات آمراً بخلافِها نعني الصّلاة فُرادَى، فافهَم هذا .

سَادساً : أنّ أعلاماً من سلف الفرقة السنية كانوا يذهبونَ إلى صلاة التّراويح فُرادَى دونَ الجماعَة، فلو كانوا يُقرّرونَ من هذا السنيّة المحمديّة لصلاة التراويح جماعَة ما أمروا وحثّوا وفضّلوا صلاتَها فُرادَى دون إقامَة السنّة بالجماعَات، وتنبّه أخي الباحث أنّ البعض قد يقولُ بأنّه هذا منهُم لا يُستنتجُ منهُم كراهةُ فِعلِها جماعَة، وإنّما غايَة قولِهم: إنّ الفُرادَى هي الأفضَل، فنقولُ لهُم: فهل يُقرّر الصحابَة ومنهُم عمر سنيّة صلاة التراويح جماعة في المساجد؟ ويقول هؤلاء الأعلام من سلف الفرقة السنية بأنّ الأفضل مُخالفَة السنّة بعدَم التجميع معَ المُسلمين! هذا سؤالٌ للمهرَة من أهل البَحث والاطّلاع؛ لأنّكَ ستستنبطُ منهَا أموراً كثيرة، أبرزُها أنّهم لا يُقرّرون أنّ السنّة المحمديّة مَضَتْ على صلاة التراويح جماعَة، وأنّ الأفضل صلاتُها فُرادَى اقتداءً بالسنّة المحمديّة، دونَ ما استحسنَهُ عمُر، أو ما استحسنَهُ الرّهط القليل.

نعم! فنذكرُ أقوال هؤلاء العلماء وكراهيّتهم لهذه الهيئة واضحَة من استهجان بعضِهم على النّاس القيام معَ النّاس وحثّهم على غيرِه، [وننقلُ في هذا ما كُنّا زبرناهُ في مبحثٍ لنَا (الرّد الجَليّ على صاحب القَول الجليّ في الذّب عن مذهب الإمام زيد بن عَلي)] : فقال عبدالله بن عمر بن الخطّاب، روى البيهقي، بإسنادِه : «عَن عبَد الله بن عُمَر، قَال : قَالَ لَهُ رَجُلٌ : أُصَلِّي خَلْفَ الإمَامِ فِي رَمَضَانَ [يعني التّراويح]؟! قَالَ -يَعنِي ابن عُمَر- : أَلَيسَ تَقْرَأُ القُرْآنَ ؟ قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : أفَتُنْصِتُ كَأَنَّكَ حِمَارٌ، صَلِّ فِي بَيتِك»(١).

وروى البيهقي أيضاً، بإسنادِه : «عَن نَافِع، عن عبد الله بن عمَر، أَنّهُ كَانَ يَقُومُ فِي بَيتِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَان [أي يُصلّي التروايح]، فَإذَا انْصَرَفَ النّاسُ مِنَ المَسْجِدِ، أَخَذَ أَدَاوَة مِنْ مِاء، ثمّ يَخْرُجُ إلى مَسْجِدِ رَسول الله ﷺ، ثمّ لا يَخْرُجُ مِنهُ حتّى يُصَلِّيَ فِيه الصُّبْح»(٢).

(١) سنن البيهقي الكبرى: ٢/ ٤٩٤، مصنف عبدالرزاق:٤/ ٢٦٤ .

(٢) سنن البيهقي الكبرى: ٢/ ٤٩٤.

وأفردَ ابن أبي شيبة باباً عُنوانُه (مَنْ كانَ لا يَقومُ مَعَ النّاس في رَمَضان)، روىٰ فيه، بإسناده : «عن أبي حَمْزَةَ، عن إبْرَاهِيمَ، قَال : لَو لَمْ يَكُنْ مَعِي إلاَّ سُورَةٌ، أو سُورَتَانِ؛ لَأَنْ أُرَدِّدَهُمَا أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ خَلْفَ الإِمَام في شَهْرِ رَمَضَانَ»، وروىٰ بإسناده : «عَنِ الأَعْمَش، قَال: كَان إبْرَاهِيمُ [النّخعي] يَؤُمُّهُمْ في المَكْتُوبَةِ وَلاَ يَؤُمُّهُمْ في صَلاَةِ رَمَضَانَ، وَعَلْقَمَةُ وَالأَسْوَدُ»، وروىٰ بإسناده، «حَدَّثني عُمَرُ بن عُثْمَانَ، قال : سَأَلْتُ الحَسَنَ [البَصري]، فَقُلْتُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ، يَجِيءُ رَمَضَانُ، أو يَحْضُرُ رَمَضَانُ، فَيَقُومُ النَاس في المَسَاجِدِ، فما تَرَىٰ أَقُومُ مَعَ النّاسِ أو أُصَلِّي أنا لِنَفْسِي؟ قَال : تَكُونُ أنت تَفُوهُ القُرْآنَ أَحَبُّ إليَّ من أَنْ يُفَاهَ عَلَيْك بِهِ»[1]، وقال العَيني في (عُمدَة القاري) : «وَأَخْرَجَ ابنُ أبي شَيبَة أيضاً فِي مُصَنَّفِهِ عَن ابن عُمَر، أَنّهُ كَانَ لا يَقُومُ مَعَ النّاسِ فِي شَهْرِ رَمَضَان.

قَال : وَكَانَ القَاسِم [بن محمد] وسَالِم [بن عُمَر] لا يَقُومَانِ مَعَ النّاس .

وَذَهَبَ مَالِك والشّافِعِيّ وَرَبيعَة إلىٰ أنَّ صَلاتَهُ فِي بَيتِه أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِهِ مَعَ الإمَام، وَهُوَ قَولُ إبرَاهيم والحسَن البَصْري والأسُود وعَلقَمَة .

وَقَال أبو عُمَر : اخْتَلَفُوا فِي الأَفْضَلِ مِنَ القِيَام مَعَ النّاس، أو الانفرَادِ فِي شَهْرِ رَمَضَان، فَقَالَ مَالِك والشّافِعِي : صَلاةُ المنفَرِدِ فِي بَيتِه أَفْضَل .

وَقَالَ مَالِك : وَكَان رَبيعة [بن فروخ] وَغير وَاحدٍ من عُلَمَائنَا يَنْصَرِفُونَ وَلا يَقُومُونُ مَعَ النّاس . وَقَال مَالِك : وأنَا أَفْعَلُ ذَلِكَ، وَمَا قَامَ رَسُول الله إلاَّ فِي بَيتِه . وَإليهِ مَال الطَّحَاوي وَرُوِيَ ذَلِكَ عن ابن عُمَر وسَالم والقَاسم ونَافِع أنّهُم كَانُوا يَنْصَرِفُونَ وَلا يَقُومُونَ مَعَ النّاس .

وَقَال التّرمذِي: واخْتَارَ الشّافِعِيُّ أنْ يُصَلِّيَ الرّجُلُ وَحْدَهُ إذَا كَانَ قَارئاً»[2]، وذكرَ الذّهبي أن عبدالله بن عون : «كَانَ فِي شَهر رَمضَان لا يَزيدُ علىٰ المكتُوبَة فِي الجَمَاعة، ثمّ يَخلو فِي بَيتِه»[3]، قال في المدوّنة : «قال ابن القَاسِم : وَسَألتُ مَالِكَاً عَن قِيَام الرّجل فِي

(١) مصنف ابن أبي شيبة :٢/ ١٦٦ .

(٢) عمدة القاري :٧/ ١٧٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٦/ ٣٦٩، تاريخ دمشق :٣١/ ٣٥٤، الطبقات الكبرىٰ:٧/ ٢٦٣ .

رَمَضَان، أمَع النّاس أحَبُّ إليكَ أمْ فِي بَيتِه؟! قَال [مَالك] : إنْ كَانَ يَقْوىٰ فِي بَيتِهِ فَهُو أحَبُّ إليَّ، وَليسَ كُلّ النّاس يَقوىٰ علىٰ ذَلِك، قَدْ كَانَ ابن هرمز يَنْصَرِفُ فَيقُوم بِأهْلِه، وَكَانَ رَبيعَة يَنصرف، وَعَدَّدَ غَير وَاحِدٍ مِن عُلَمَائِهِم كَانوا يَنصَرِفُون ولا يَقُومُونَ مَعَ النّاس، قَالَ مَالِك : وأنَا أفْعَلُ ذَلِك» [1].

نعم! وهُو قولُ أهل البَيت عليهم السلام، قالَ الإمَام الحسن بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد بن عَلي عليه السلام : «أجمَعَ آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ صَلاةَ التّراويح لَيسَت بِسُنّةٍ مِن رَسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا مِن أميرِ المُؤمنين، وأنَّ عَلي بن أبي طالب قَد نَهىٰ عَن ذَلك، وأنّ الصَلاة عِندَهُم وُحدَاناً أفضَل، وكَذَلِكَ السّنّة» [2] .

نعم! فتأمّل هذا أخي الباحث موفّقاً، والله نسأل أنْ يُلهمنَا ويُلهمَكَ الصّواب، واعلَم أنّه لا يضرّ أصحاب المذهب السنّي أنْ يقولوا: إنّ صلاة الجماعَة بالتراويح بدعَة حسنَة، استحسَنها عمر، لا أنْ ينسبوا إلىٰ الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم سنّة ماتَ علىٰ خلافِها، ولو تأمّلتَ قولَ مالك القريب : «وما قامَ رسول الله إلاّ في بيتِه»، لكفاكَ مع ما مضىٰ بإذن الله تعالَىٰ، والكفايَة أوّلاً وآخراً من قولِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأمرِ بصلاتهَا في البُيوت .

إنْ قيل : فلماذَا جعلَت الزيدية صلاَة التّراويح جماعةً بدعةً مكروهَة ؟!.

قُلنَا : ذَلك لعدّة أمور، منهاَ :

١- أنّ إجماع أهل البيت عليهم السلام مُنعقدٌ علىٰ أنّ إقامَة التّراويح جماعةً في المسَاجِد مَكروهٌ، والأولَىٰ صلاتُها في البُيوت وأنّه السنّة، وكذلك هُو المحكي عن ابن عُمَر، وعَن مَالك، والشّافعي، وعن الحسَن البَصري، وابن فروخ، وإبراهيم النّخعي .

٢- أنّ السّنن والنّوافل أفضلُ إقامَتِها ما كانَ في البيوت دونَ المساجِد والجَمَاعات، دَع عنكَ أنّ هذا هُو آخرُ فعل النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، بَل وآخرُ قولِه وأمرِه لأصحابِه وأمّته كما جَاء في صحيح البُخاري، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «مَا زَالَ بكُم صَنيعُكم حتىٰ ظَنَنتُ أنه سيُكتَبُ

(١) المدونة الكبرىٰ : ١/ ٢٢٢.

(٢) جامع علوم آل محمّد .

عليكُم، فَعَليكُم بالصَّلاةِ في بُيوتِكم، فإنَّ خيرَ صلاةِ المَرءِ في بيتِه إلاّ الصّلاةَ المكتوبةَ»، وقالَ أمير المُؤمنين وهُو يتكلّم عن صلاة النّاس الضّحى، وحالهُا والتّراويح جماعةً واحد، بل إنّ صلاة التّراويح جماعَةً أظهَرُ في المَنعِ المحمديّ من صلاتهَا جماعَة، قالَ عليه السلام : «يَا بَنيّ إنّي لا أنهاكُم عَن الصّلاة لله، ولكنّي أكرَهُ لَكُم خِلافُ رَسُول الله»[1] .

٣- أنّ هذا أصبحَ بمنزلَة الشّعار لأهل البيت عليهم السلام .

فإن قيلَ : حكايتكُم الإجمَاع عن العترَة في كراهيّة صَلاة التّراويح جماعةً فيه نَظر، وقد حكَى الإمَام يحيى بن حمزَة الخِلافَ بين العترَة في المسألَة .

قُلنَا : ليسَ الأمرُ كذلك، فإجماع أهل البيت عليهم السلام مُنعقدٌ ماضياً وحاضراً على أنّ صلاة التراويح جماعةً في المساجد ليسَت بسنّة، وأنّها مكروهَة، وقد أشارَ إلى هذا الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام بقولِه : «فأمّا صَلاةُ التّراويح في جَماعَة فَهَلْ تُكرَهُ أم لا ؟ فِيه مَذهبَان : المَذهبُ الأوّل : كرَاهَتُهَا وهذا هُو رأي أئمّة العِترَة»[2]، أيضاً قال الإمام الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي عليه السلام : «أجمَعَ آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ صَلاةَ التّراويح لَيسَت بِسُنّةٍ مِن رَسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا مِن أميرِ المُؤمنين، وأنَّ عَلي بن أبي طالب قَد نَهى عَن ذَلك، وأنّ الصَلاة عِندَهُم وُحدَاناً أفضَل، وكَذَلِكَ السّنّة»، **نعم!** فهذا هو الرأي المشهور عن أهل البيت عليهم السلام، فإن اعترضَتَ أخي بما حكاه الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام من سنيّة التراويح جماعة عن زيد بن علي، والمحض، وعبدالله بن موسى، فهذا مدفوعٌ عند التحقيق؛ لأنّ من ذكرَ ونخصّ مَن وردتنا الرّواية عنهُم فعبدالله المحض عليه السلام كان يُصلّي التراويح في بيته، وكذلك كان عبدالله بن موسى عليه السلام، وأمّا ما حَكاه عَن زيد بن علي فَلم أقِف على أصله عنه عليه السلام، عُموماً فالمُقرَّر من إجماع أهل البيت عليهم السلام هُو كراهَة صلاة التراويح جماعَة، وأنّ صَلاة التراويح جماعَة ليسَت سنّة محمّدية، وقد حكينَا عن هذا قولُ جماعَة من الصّحابَة والتّابعين قولاً وفِعلاً .

---

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي.

(٢) الانتصار:٤/ ١٨٠.

فإن قيلَ : فإذا كُنتُم ترونَ أنّ البِدعَ منهَا ما حسنٌ وقَبيح، فلماذَا كانَت جماعَـة الـتّراويح من جِنسِ القَبيح، وإن كُنتم لا ترونَ البِدع كلّها إلاّ من جنس القبيح فلِمَ خالفتُم على هـذا واستحسنتُم المَولد النّبوي ؟!.

قُلنَا : جواباً على سؤالكُم عَن وجه كَون التراويح عند أهل البيـت مـن قَبيـل القبـيح، فأمورٌ منها أنّ هذه الصلاة سنةّ، والسنّة منها مِنْ فعل النّبي ﷺ هُو الفُرادَى، وأنّ أفـضَل آداء السّنن والنّوافل، هُو ما كان فُرادى، وأفضلُه ما كَان في البيوت، وهذا أمرٌ مُجمعٌ عليـه من الأمّة، وهُو أيضاً فعل النّبي ﷺ والذي ختمَ بهِ عملَهُ بشكلٍ ظاهرٍ، وبتنويـهٍ واضـحٍ من قولِه بحثّ النّاس على صلاتهَا في البُيوت، فيكونُ هذا دليلُ عدم استحبابهِم لهَـا جماعـةً في المساجد، بقيَ أمرٌ وهُو أنّ هذه الأمورٌ ربّما كانَت عندَ غيرِ أهل البيت مِنْ وجهة نظرهم حسنَة بمبرّراتهِم التي تخصّهم.

وكذلك الحال مع المولد النّبوي فإنّ جماعةً يرونَه بدعةً حسنَة، وآخَرون يرونَ أنّه بدعَـة غير حسنَة والكلّ له مُبرّرات في التحسين والتقبيح حتّى أنّي وقفتُ على كلام لابـن حجـر العسقلاني في هذا المعنى رائق ونفيس ربّما آتي بـه في وقـت لاحـقٍ بـإذن الله، مفـادُه أنّـه لا يوجَد ضابِط للتحسين والتقبيح للبدَع إلاّ أنظارُ العُلَماء وقياساتهُم.

نعم! والاجتماع للمولد النبوي ففيه إحياءٌ لـذكر الرّسـول ﷺ، والـوعظ والتّـذكير، واستشعَار الافتخار والمَجد الإسلاميّ بظهورِه على غيره من الأديـان، وهـذه مـن دوافِـع الاقتداء، أيضاً لهُ أصلٌ في الشّرع من تخصيصِه ذكر يوم مولـدِه بالـصّيام، وكـذلكَ صـيام رسول الله ﷺ ليوم عاشوراء كتعظيم يـوم نجّـا الله فيـه موسَـى عليه السلام، -وهـذه الرّوايـة بحاجَة إلى نَظر-، وغير هذه من الأمور التي يرى فيها المؤمنُ بهَا أموراً حسنَة،

فإنْ قيلَ: فَهل تفعلونَ خيراً لم يفعلهُ الرّسول ﷺ ؟! .

قُلنا: فكذلكَ أنتُم فعلتُم التراويح جماعَةً والرّسول ﷺ ماتَ وهُو لا يُـصلّيها جماعَـة، بل يُصلّيها في بيتِه فُرادَى، فهل تزيدونَ على سنّته التي ماتَ عليهَا فلا تقتدوا بـهِ فتبتـدعوا وتزيدوا في السّنن المحمديّة ؟!.

فإن قالوا : إنّما المولد زيادَة في الدّين.

قُلنَا : له أصلٌ في الشّرع، وهُو من المُباحَات، قياساً بحال الرّسول ﷺ مع موسَى .

فإن قالوا: فهَل تقولون أنّ المولد سنّة نبويّة ؟!.

قُلنا : لا، المولدُ من الأذَكار والأفعَال المُباحَة، وقد يقولُ البعض: بدعَةٌ حَسنَة، فلن نزيدَ السنّة مالا قَول فيه مِن الرّسول ﷺ، فهل تقولون: إنّ صلاة التراويح جماعَة في المسجد سنّة ؟! **فإن قالوا** : نعم!. **قُلنا**: فقد زدتُم علينَا وادّعيتُم بما ليس من السنّة ونسبتموهُ إلى السنّة، فأمّا نحنُ فنقرّ أنّ المولد ليس بسنّة محمديّة، واستحداثُه فمِنَ استحدَاث المُباحَات بالذّكر التي لا يكونُ منها ما يترتّب عليه مُخالفَة أو مَنعٌ شرعيّ.

نعم! هذا أخي الباحث منّا استقصاء مُقارنَة بين التراويح والمولد، لا محاولة تأصيل لِما يخصّ المولد فافهَم هذا، فإنّ للتأصيل موقعٌ غير هذا، فالغرضُ إثبات وجه المُقارنَة فقط، وإثبات عدم التناقض، فتفهَّم أنّ موطنَ الخِلاف الجوهريّ هُو في إطلاقِهم (السنّة) بالهيئة الجماعيّة على مَا ليسَ من السنّة، وعدَم إقرارهم بأنّ الهيئة الجماعيّة بدعَة؛ لأنّهم إنْ أقرّوا بذلكَ لزمهُم أنْ يُقرّوا بإحيَاء المولد النّبوي وأمثالِه، فأمّا نحنّ فنُقرّ أنّ المولد النبويّ ليسَ من السنّة، ولكنّه فِعلٌ مُباحٌ لا يوجَد من الشّرع ما يمنعَه، ونمنعُ فيه كلّ ما يُخالفُ على الشّرع من التّطبير والرّقص وأمثالهَا، فإنّما هُو من أيّام الشّكر .

فإنْ قيلَ : المُلاحَظ أن جميع ما ذكرتَه عن العترَة لو صحّ، فإنما يدلّ على التّفضِيل والاستحبَاب، أي أفضليّتها فُرادَى في البَيت، وعدَم استحبابها في المَسجد جمَاعَة، أمّا تقبيح فِعلها جماعة وذمّه، فَهو ما لَم تَستَطِع إثبَاته حتى الآن؛ لأنّ فِعلَ المفضُول وغير المستحَبّ لا يَقتضي تَقبيحاً وذمّاً.

قُلنَا : كلامُنا ونقلُنا أخي في الله مُوجّه لاستقباح الصّلاة جماعَةً في المساجد، وسياقُ الإمام الحسن بن يحيى عليه السلام في هذا واضحٌ بقرينَة ذكرِه نهي الإمام علي عليه السلام عنهَا يعني الصلاة الجماعيّة في المساجِد، ويُخبرُ أيضاً أنّها ليسَت السنّة، وأنّ الصّلاة وُحداناً هي

الأفضَل، وأنّ السنّة كذلك، وكذلكَ كلام الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في أنّ مذهب أئمّة العترَة كراهَة صلاة التراويح جماعَة واضحٌ وظاهِر في التّقبيح، وأنّ الأفضَل صلاتُها كذلك.

نعم! وقولهم بالأفضليّة فيه بيانُ سببِ كراهتِهم لهذه الهيئة الجماعيّة اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبما فعلَهُ بشكلٍ ظاهِر من صلاتِها في البيوت؛ وكذلكَ لأنّ أفضل صلوات السّنن هي ما كانَ في البيوت.

فإن قيلَ: ولِمَ لم يَقُل أهل البيت باستحبابِ هذه الصّلاة وقالوا بكراهَتِها؟.

قُلنا: هذا قولٌ عنهُم قد سَبَق وزُبِر وتابعَ عليه خَلَفُ الآل سَلَفَهُم وطَلَبُ وجهَة نظرِهم إذا لم يكفِ ما أوردناهُ عنهُم من أسباب، تكلّفٌ ظاهِر، فالمهمّ رأيُهُم وقد ظهرَ لكَ في كراهَتِها، وهكذا ما يُستحبّ من بعض الهيئات، وما لا يُستحبّ، فإنّ بعض العُلماء قد يستحبّونَ فعلاً وقد يراهُ غيرُهم لهذا السّبب غير مُستحبّ!، فلا يُتوجّه هذا بالإلزام متى ظهرَ رأي الشّخص وبَان، وهذا فيه جوابٌ على سؤالِ السّائل هل صلاة التراويح جماعةً ليسَت بمُستحبّة ولا بسنّة؟ لأنّه على رأي أهل البيت من فضّلَ الصّلاة في البيوت قطعاً لم يَستحِبّ صلاَة التراويح جماعَة، فالتفضيل للُفرادَى يردّ على الاستحباب، والنّهي يُبيّنُ الكراهيّة، فافهم هذا .

إنْ قيلَ : المَحكي عن الإمَام عبدالله المَحض، والإمَام القاسم الرّسي، أنّهما كانا يُصَلّيانَ بأهلِهما في البيت نحوا ممّا يُصلَّى في المساجِد، فصلاتُهم بهذه الهيئة الجماعيّة تُبرّر استحسانَهم أو عَدم كراهيّتهم للصّلاة جماعةً في المَساجِد، فما تقولونَ في ذلك ؟!.

قُلنَا : سؤالُكم موجّهٌ ومهمّ الوقوف على أطرافِه، إلاّ أنّه يَجب الالتفات إلى أمور مهمّة قبلَ البت في أيِّ استنتاج أو استنباط، ومنها :

– أنّ هذا الفِعل منهُم –الصّلاة بأهلِهم في البُيوت– لا يدلّ على سنيّة التراويح جماعةً؛ لأنّا قُلنا: إنّهم أجمعوا على عدم سنيّتها بالصّلاة الجماعيّة، فينصرفُ القول على الاستحبَاب أو الكراهيّة لهذه الهيئة الجماعيّة في البُيوت .

- أنّ إجماعهم على أفضليّة صلاة التراويح وُحْدَاناً هُو القائم، وكراهيتهُ جماعَة، فلو كانَ من يُصليّ التراويح جماعَة في البيت يستحبّ صلاة التراويح جماعَة في المساجد لصلّاها في المسجد مع المسلمين، فهذا -الصلاة في البيت- يقطَع استحبابَهُم الصّلاة جماعة في المساجِد، ويترجمُ معنى كراهيّتهم لهذا الفعل، فلا يُستدلّ من هذا بذاك البتّة.

- أنّ صلاتهم بأهلِهم كما جاءت الرّوايات عن المحض، وحفيده عبدالله بن موسى، والقاسم بن إبراهيم صلوات الله عليهِم، محمولَةٌ على الصّلاة بالصّبيان والنّساء، دونَ القرّاء منهُم فإنّهم يُصلّونَها وُحْدَاناً كما أشارَ الحسن بن يحيى عليه السلام وكمَا هُو الواضحُ الظّاهر من مذهب أهل البيت عليهم السلام .

نعم! وباعثُ هذا هُو تعليمهُم هذه الصّلاة حتّى لا يُفرّطوا فيهَا، فمتَى تعلّموهَا أدَّوها لوحدهِم كما هي السنّة .

فإن قيلَ: فهَل هيئة صلاة التّراويح تختلفُ عن هيئة الصّلاة المَفروضَة حتّى يُعلّموها صبيانَهُم؟!، ثمّ أخبرونَا هَل الصّلاة بالنّاس الذين ليسُوا بِقُرّاء، تَجوز في المَسجِد جماعةً مِن أجل ألاَّ يُفرِّطُوا فيهَا؟!.

قُلنَا : تعليمهُم لصبيانِهم هذه الصّلاة ليسَ مقصوراً على الكيفيّة وفقَط، بل هُو تعليمٌ للمحافظَة عليها بالمُتابعَة، حتّى ترسَخَ عندَهُم المُواظبَة بالمُتابعَة فيُقيمونَها لوحدِهم، وكذلكَ نحنُ نقيمُ الصّغار إلى جنبنا بالصّلاة نعُلّمهم الصّلاة باستشعار الكيفيّة والمُحافظَة عليها. **نعم!** أيضاً القرّاء هُم من يُجيدون القراءة للسّور ليس شرطهُم حفظُ الكتاب كاملاً، فالغرضُ الأساسيّ الحثّ على المواظبَة لهؤلاء الصّبيَة.

وبخصوص سؤالِكم الأخير عن الصّلاة بغير القرّاء المُواظبين في المساجد، فإنّ هذا تحجيرُ واسِع؛ لأنّ العاميّ لابدّ وأنْ يكونَ معهُ ما يُقيمُ به فروضَه الخمسة من السّور، فإن كانَ ذلكَ كذلك، كانَ الأفضلُ له أنْ يُصلّي التراويح لوحدِه بما يُتمّ به فروضَه، وقد كان أجابَ على مثل هذا سلفكُم إبراهيم النّخعي، قال: «لَو لَمْ يَكُنْ مَعِي إلاَّ سُورَةٌ، أو سُورَتَانِ؛ لَأَنْ أُرَدِّدَهُمَا أَحَبُّ إليَّ من أَنْ أَقُومَ خَلْفَ الإِمَام في شَهْرِ رَمَضَانَ»، وقد مضى

ذكرُ المصدر، فبانَ لكَ أخي أنّ هذه الصلاة بالـصّبيان لتعلـيم المواظبَـة أكثـرُ وجهـاً. **فـإن قيل**: فإذا كانَت الصّلاة بالصّبية في البُيوت لتعليمهِم المواظبَة على صلاتهَا، فهل هذا مـبرّر إذا تمّ جمع النّاس عليها في المساجِد جماعَة لغرض المُواظبَة ؟!. **قُلنَـا** : أخـي الفاضِـل هـذا التعّليم مُتعلّق بالدرجَة الأولى بالبيت والأسرَة، تماماً كقول الرّسول ﷺ بـه أو بـمَا معنـاه «علّموا أولادَكم لسَبع»، فإنّ هـذا لا يُـرتبطُ حالُـه ووجهُـه بـالتعليم في المـساجد بإقامـة الجماعَات، وليسَ هُو مبرّر لإقامَة الجماعات في المساجد لهذا الوَجه من فِعـل آل الرّسـول، فتأمّله تجدهُ كما قُلنَا .

إنْ قيلَ : فنتفّق أنّ رسول الله ﷺ صلّى التّراويح ثلاثَة أيّام جماعةً بالنّـاس، وسُـؤالُنا : هَل كانَت هذه الهيئة الجماعيّة منه ﷺ تُفيد السنيّة لصلاة التّراويح؟!.

قُلنَا : الحقيقة أخي السّائل أنّ هذا السّؤال ليسَ هُو بالسّؤال الجوهريّ المُوجّه، نُجيبُـكَ عليه ثمّ نُخبرُكَ لماذا، والجواب باركَ الله فهمَك: قد سـبَق بتبيـان وتفـصيل، ونُعيـدُه بـأنّ الرّسول ﷺ عندما صلّى الجماعة لأوّل ثلاثة أيام، كانَ هذا الفِعل منهُ هُو السنّة، فلمّا تـركَ في اليوم الرّابع وصّلى التراويح في البيت كانَ هذا الفِعلُ منهُ هُو السنّة من فِعلِه، فلـمّا رأينَـا أنّه لم يَثبُت أنّ أحداً صلّى التراويح جماعةً من الصّحابَة في عهد رسول الله ﷺ تقوّى عندَنا أنّ هذا منهُم -الصلاة فُرادى هو السنّة-، فلمّا ماتَ الرّسول ﷺ، ولم يثبُت أنّ أحـداً مـن الصّحابَة، ومنهُم أبو بَكر لم يُصلّ التراويح جماعَة حتّـى مـات فتقـوّى عنـدنَا مـن هـذا أنّ الصلاة فُرادَى هي الماضية، وأنّها السنّة، فلمّا جاء -صَدرٌ، بعد خلافَة عمر بـأربع سـنوات فما فَوق- مِن خلافَة عمر جمّع النّاس على جماعَة واحدَة وسمّى هذا الفعـل بدَعـة، فتقـوّى بهذه التسمية من عمر أنّ فعله بالتجميع هذا ليسَ بسنّة، وإنّما هُو بدعَة، أيضاً رأينـا أقـوال علماء الفرقة السنية فوجدنا جمهورَهُم على تقرير هذا المعنى من بدعيّة هذه الهيئة في الصلاة وأنّه لم يسبِق بها أحدٌ غير عمُر من بعد قطعِ رسول الله ﷺ لهَا وتقرير صلاتِها فُرادَى.

نعم! هذه أخي الباحث هي خُلاصَة المسألَة، ونعودُ فنُخبرُكَ لما قُلنا بـأنّ هـذا الـسّؤال ليسَ هُو السؤال الجوهريّ الموجّه، وإنّما السّؤال الموجّه متى نقَولُ للأمر أنّه سـنّة للرسـول ﷺ ؟، فلو أجابَ أخي المُخالِف سيختصرُ جدلاً طويلاً عريضاً في المسألَة .

فإنْ قيلَ : إنّ النّبي ﷺ لَم يَترُك جمَاعَـة الـتّراويح لكَـون صَـلاتها في البَيـت أولَى، ولا لِكَون صَلاتها فُرادَى أولَى، إنّمَا تَرك جَمَاعَتها لأجل الخَوف مِن أن تُفـرض عـلى المسلمِين، فَوجبَ أن يَبقَى حُكمُ أولويّتِهَا وسُنيّتها جَمَاعَة ثَابتاً لَهَـا فِي الحَـالَين، في حَـال صَـلاة النبـي ﷺ لَهَا فُرادَى، وفِي حَال زَوَال الخَشيَة مِن فَرضيّتها بِمُوتـه عليـه الـصّلاة والـسّلام؛ لأنّ مُوجِب تركها في الجَماعة لَم يَكُن لأفضليّتها فُرادَى؛ وإنما كان لأمرٍ خَارجٍ عن ذلـك، وهُـو خَشيَة أن تُفرَض.

مِثال ذَلك: قَوله عَليه الصّلاة والسّلام في صَلاة العشاء عِندما أخّرها عَن وقتها المُعتَاد، وناداه بعضُ الصّحَابة، فخرَج وهُو يَقول: «لولا أنْ أشقّ على أمّتي لأمَرتُهم بالصّلاة هَـذِه السَّاعَة» . فبيّنَ أنّ الأفضَل في العشاء تَأخيرُها، لكنّه لَم يَفعل ذَلك خَشيَة المشقّة عَلى الأمّة. ولَم يَمنَع هَذا أنْ يكون الأفضَل فِي وَقت العِشَاء هُو التّـأخير، رَغـم أنّ النّبـي ﷺ تَركَـه. فَمِثلُه التّراويح، لولا خَشيَة أن تُفرض لَما صَلاّهَا إلاّ جَمَاعَة، فَصَلاتُه لَهَا فُرادَى لا يَمنعُ مِن أفضليَّتِهَا جَمَاعَة، فظهَر مِن هَذا كلّه أنّ السنّة هُو صَلاتُهَا فِي الجَمَاعَة .

قُلنَا : قولُكُم بأنّه لمّا زالَ العُذرُ عَادَت السنيّة لِلفعل، ومُقارنَتكم حاله بما جاء في تـأخير صلاة العِشاء، فهُو بعيدٌ مسلكهُ لا يتبعَهُ الفقهاء وأهل العِلم، وذلكَ لعدّة أسبَاب:

أولاً : أنّه لا مُوافقَة بينَ الحالَتين، تأخير صلاة العشاء، وعدَم صلاة التراويح جماعـة في المساجد، وذلكَ لوجهين :

الوجهُ الأوّل : أنّ هذا (التأخير) إنّما هُو وقتُ أفضليّة، على أنّ جمهوراً من أهـل الـسنة ذهبوا إلى أنّ الأفضليّة في تقديمِها لمكان مواظبَة الرّسول ﷺ على ذلك .

الوجهُ الثّاني : أنّ الأفضليّة في هذا ما زالَت ممُتدّة لمكَان دخولِها في وَقت صَلاة العِـشاء الأصلي، فمن شاء عمِلَها بالتأخير فيكونُ بهذا غير خارجٍ عـن وقـت صـلاة العـشاء، ولا خارج عن السنّة في وقت العِشاء بعموم .

ثانياً : أنّ صلاة التراويح جَماعةً قد توقّف الرّسـول ﷺ عـن أدائهَـا تمامـاً بعـدَ ثالـث رمضَان، فلَم يخَتر الصّحابَة لأنفُسهِم إقامَة صـلاة الجماعَـة للـتراويح في المـساجد في عهـد

الرّسول ﷺ لمكان الأفضليّة أو السنّة، بَل عملوا بهَا فُرادَىٰ مُتابعةً لرسول الله ﷺ، فكانَ هذا دليلاً علىٰ أنّهم فَهموا من امتناعِ رسول الله ﷺ علىٰ الخروج عليهِم بعد ثالث رمضان أنّ هذه هي السنّة، وأنّ هذا الأفضَل، فتابعوهُ علىٰ ذلك فما صلّوا التّراويح إلاّ فُرادَىٰ، حتّىٰ جاء صدرُ عصر عمر بن الخطّاب .

ثالثاً : أنّ عمر بن الخطّاب نفسَه عندمَا أعادَ النّاس علىٰ جماعَة التّراويح علىٰ قارئٍ واحِد، قالَ: (نعمّت البدعَة)، رأىٰ أنّ هذا فعلاً حسناً وأمثل كمَا جَاءت الرّوايات، ولَم يقُل: (نعمّت السنّة)، أيضاً لم يدعُ لإحياء السنّة، بَل قالَ: (نعمّت البدعَة)، وهذا منهُ عندَ من يتدبّر تقريرٌ بأنّ السنيّة المحمديّة كانَت قد ذهبَت عن هذه الهيئة، وإنّما هُو أعادَهَا من بَاب الابتدَاع والاستحسَان، قال عمر بن الخطاب في هذا من حديثٍ تم سردهُ سابقاً: «فقالَ عُمر بن الخطّاب رَضي الله عنه: والله إنّي لأرىٰ لَو جَمَعتُ هَؤلاء عَلىٰ قَارئ وَاحِدٍ لكَان أمثل، ثمّ عَزمَ فَجمَعَهُم عَلىٰ أُبيّ بن كَعب، قال: ثمّ خَرجتُ مَعه لَيلة أخرَىٰ والنّاس يُصلّون بصلاة قَارئهم، فقالَ عُمر بن الخطاب رضي الله عنه: نِعمَ البِدعَةُ هَذِه»[1]، **نعم!** أيضاً فإنّه خالفَهُ بعض الصّحابَة في هذا كابنه عبدالله بن عمر فإنّه لم يكُن يُصلّيها مع الجماعَة اقتداءً بسنّة رسول الله ﷺ، وصحّ لنَا عن أهل البيت عليهم السلام أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كانَ ينهَىٰ عنهَا.

رابعاً : أنّ جمهور أهل العلم من الفرقة السنية لم يُقرّروا هذا الوَجه -نعني سنيّة التراويح في الجماعَة في المساجد السنيّة المحمديّة-، ولعلّ قول مَن قال منهُم: إنّها سنّة يتجّه إلىٰ أنّ هذا من سُنن الصحابَة لا من سُنن النّبي ﷺ، قال الكَاسَاني (ت٥٨٧هـ) : «وَأَمَّا الذي هو سُنَنُ الصَّحَابَةِ فَصَلَاةُ التَّرَاوِيحِ في لَيَالِي رَمَضَانَ، وَالْكَلَامُ في صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ في مَوَاضِعَ، في بَيَانِ وَقْتِهَا وفي بَيَانِ صِفَتِهَا، وفي بَيَانِ قَدْرِهَا، وفي سُنَنِهَا، وفي بَيَانِ أنها إذَا فَاتَتْ عن وَقْتِهَا هل تُقْضَىٰ أَمْ لَا، أَمَّا صِفَتُهَا فَهِيَ سُنَّةٌ كَذَا رَوَىٰ الحَسَنُ عن أبي حَنِيفَةَ أَنَّهُ قال: القِيَامُ في شَهْرِ رَمَضَانَ سُنَّةٌ لَا يَنْبَغِي تَرْكُهَا وَكَذَا رُوِيَ عن مُحَمَّدٍ أَنَّهُ قال: التَّرَاوِيحُ

(١) صحيح البخاري:٢/ ٤٩٣.

سُنَّةٌ، إلاّ أنها لَيْسَتْ بِسُنَّةِ رسول اللَّـهِ ﷺ؛ لِأَنَّ سُنَّةَ رسول اللَّـهِ ﷺ ما وَاظَبَ عليه ولم يَتْرُكْهُ إلا مَرَّةً أو مَرَّتَيْنِ لِعُذْرٍ من المَعَاذِيرِ، وَرَسُولُ اللَّـهِ ﷺ ما وَاظَبَ عليها بَلْ أَقَامَهَا في بَعْضِ اللَّيَالِي، روى أَنَّهُ صَلَّاهَا لِلَيْلَتَيْنِ بِجَمَاعَةٍ ثُمَّ تَرَكَ، وقال: أَخْشَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَيْكُمْ، لَكِنْ الصَّحَابَةُ وَاظَبُوا عليها فَكَانَتْ سُنَّةَ الصَّحَابَةِ»[1].

ثمّ نضعُ للباحِث أسئلَة وملاحظات على الهامش:

١- لو كانَت صلاة التراويح جماعَة في المسجد سنّة محمديّة، هَل سيتركُها صحابة رسول الله ﷺ إلى صدرِ عصر عمر بن الخطّاب ؟!.

٢- لو كانَت صلاة التراويح جماعَةً في المسجد سنّة محمديّة، هَل كانَ سيُفضِّلُ أحداً من كبار السّلف مُخالفتُها بالصّلاة فُرادَى وحثّ النّاس على ذلك ؟.

٣- الأصلّ في السنّة أليسَت المُتابعَة لأفعال الرّسول ﷺ؟، فإنْ عَمِلَ عملاً تبعناهُ على ذلك، فكذلكَ كانَ يعملُ في التراويح ﷺ حتى مات، نعني الصّلاة فُرادَى، فهل يسوغُ لنَا مُخالفَتُه ؟!، فكيفَ وقد صحّ من حديث البُخاري، أنّه ﷺ قالَ: عليكُم بالصّلاة في بيوتِكم، يخصّ هذه الصّلاة ؟.

٤- صلاة التراويح من نوافل الصلوات، ولنَا حجّة على أنّ سنيّتها هي الصلاة فُرادَى، وذلكَ لأمرَين عامَّين:

الأمرُ الأوّل: أنّ السنّة في صلاة النّوافل هي الصّلاة فُرادَى، إلاّ ما خصّه الدّليل، كصلاة العيدين، اقتداءً بقولِ وفعل رسول الله ﷺ، وهو أمرُ رسول الله ﷺ.

الأمرُ الثّاني: أنّ صلاة التراويح تابعةٌ للأصلِ في جميع النّوافل، وهي الصّلاة فُرادَى، فننظرُ هل خصّها دليل يرتقي بهَا إلى صلاة العيد كهيئة جماعيّة، فننظرُ أنّ فرقَ بينهِما أنّ الرّسول ﷺ ماتَ لا يُصلّي هذه الصلاة جماعيّة، وكذلك فعل أبو بكر، فعادَ أصلُ هذه الصّلاة إلى أصلِ صلاة النّوافل، وهي الصلاة فُرادَى دون الجماعَة، وهي السنّة.

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع:١/ ٢٨٨.

٥- سنّة الرّسول ﷺ تُعرَف من قولِه، أو فعلِه، أو تقريرِه، وصلاة التراويح فُرادَىٰ، قد فعلَها الرّسول ﷺ حتّىٰ مَات، فهذا دليلٌ علىٰ أنّ السنّة مَضَتْ علىٰ هذه الهيئَة، أيضاً رسول الله ﷺ قرّرها من فِعل أصحابِه لهَا فُرادَىٰ، ولم يثبُت أنّه قرّرهم علىٰ فعلها جماعَة، **نعم!** فكَانت صلاة التراويح فُرادَىٰ في البيوت هي سنّة الرّسول ﷺ، من فعلِه، وتقريرِه، ومُتابعَة الصّحابَة له علىٰ ذلك إلىٰ صدرِ خلافَة عمر .

نعم! وبهذا وما قبلَه أخي الباحِث لو تأمّلته تأمُّل الباحِث المُحققّ، لظهَر لكَ جوانبَ مُشرقَة وضّاءة في هذا النّقاش، وأنّ هُناك تعسّفاً وتكلّفاً في إدخَال هذه الصّلاة الجماعيّة في حيّز المَسنونات الثّابَة عن رسول الله ﷺ، وصدقَ الله القائل في مُحكَم كتابِه : ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ**﴾ [الأحزاب:٢١]، والقَائل جلّ شأنُه: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر:٧]، وبهذه الآيَات نختمُ الكَلام هُنا، ونصلّي ونسلّم علىٰ سيّدنا محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

٨/ ٤/ ١٤٣٠هـ

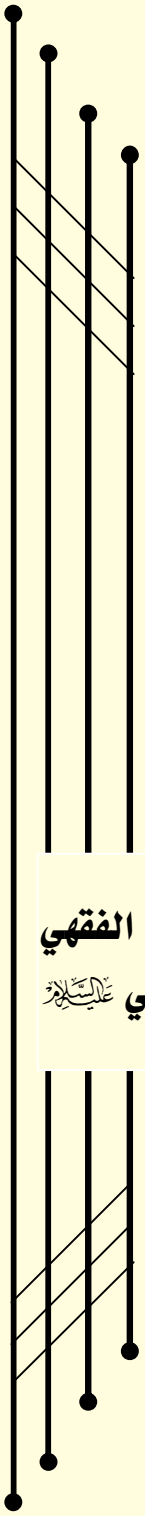

السّابعة والعشرون : مناقشَة دعوى بتر أحاديث المجموع الفقهي للإمام زيد بن علي عليه السلام

مُناقشة دعوى بَتر أحاديث من المجموع الفِقهي للإمام زيد بن علي عليه السلام

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُلله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين، سيدنا محمّد وآله الطّاهرين، نجومُ السّماء وعلامات الاهتداء، ورضوان الله على الصّحابة المتّقين، والتابعين لهم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يوم الدّين .

وبعَد :

فإنّه ناقشنَا عددٌ من إخوَة البَحث من غير الزيدية استشكلَ عليهِم قولٌ مرويٌ عن الإمام زَيد بن عَلي، ذكرهُ العلاّمة العبّاس بن أحمَد في تتمّته على الرّوض النّظير، ونصّه: «أنّ الإمام زيداً سُئلَ عَن الإمَامَة؟!. فَقَال: «هِيَ فِي جَميع قُريش، ولا تَنعَقِد الإمَامة إلاَّ بِبَيعَة المسلِمِين، فإذا بَايعَ المُسلمُون، وكَان الإمَامُ تقيّاً عالماً بالحلال والحرَام فقد وَجبَت طَاعَتُه»، وعزَاه إلى (تتمة الرّوض النّضير:٤/ ١١)، وقالَ: إن النّص واضحٌ على عَدم كونِ الإمامة في البَطنين كما تقولُ الزيدية وتحكيه عن الإمَام زيد بن عَلي عليه السلام، وقالَ: إن قُلتُم بأنّ هذا الحَديث لم يذكُره غير العبّاس بن أحمَد صاحب التتمّة، فنُخبركُم أنّ المُؤرّخ يحيى بن الحُسين قبل قرنين من الزّمان من عَهدِ العبّاس بن أحمَد قد أشارَ إلى هذا الحَديث، فقالَ : «وَنصّ زَيدُ بن عَلي في مَجمُوع الفِقه الكَبير بأنّ الإمَامَة في جَميع قُريش»، وعَزَاهُ إلى كتابِه (الإيضاح لما خفي مِن الاتّفاق على تعظيم صَحابَة المصطفَى: ٢٣٢)، ونقلَ هذا عنهُ الشّوكاني في ترجمَة العلاّمَة يحي بن الحُسين الشّهاري، وهُو ابن عمّ يحيى بن الحُسين المؤرِّخ، قال الشّوكاني: «وَرأيتُ بخطّ السيّد يحيى بن الحُسين -يعني المُؤرِّخ- المذكُور قبلَه، أنّ صَاحبَ التّرجمَة -يحيى بن الحسين الشّهاري- تَواطَأ هُو وتَلامِذَته عَلى حَذف أبوابٍ مِن مَجموع زَيد بن عَلي وهِي مَا فِيه ذِكر الرّفع والضّم والتّأمين ونَحو ذَلك، ثم جَعَلوا نُسَخا وبَثّوها في النّاس، وهَذا أمرٌ عَظيمٌ وجنَايَة كَبيرَة،

وفي ذلك دَلالة عَلى مَزيد الجَهل، وفَرْط التعصّب، وهَـذه النّـسَخ التـي بَثّوهَـا في النّـاس مَوجودَةٌ الآن، فَلا حَول ولا قوّة إلاّ بالله»[1]، وهذا إخوَة البحث من الزيديـة يُـشكّك في كثيرٍ من أحاديث المُسنَد الفقهيّ عن الإمَام زيد بن عَلي عليه السلام .

نعم! هذه خُلاصَة شبهَة إخوتنَا البـاحثين عـن الحـقّ إنْ شَـاء الله تعـالى، الـذينَ مـن طبعِهم أنْ لَو وقفُوا على الدّليل قالوا به وشدّوا عَليه بلا أحكامٍ مُـسبقَة، وبـإذن الله تعـالى أنْ نُحقّق وإيّاكَ أخي الباحث أصلَ هذه الشّبهَة التي الأصلُ منهَا مُحاولَة التّشكيك بكـلّ المَجموع عن طريقِ القَدح في بعضِه، وليسَ ذلكَ يصحّ عنـد التّحقيـق بالأدلّـة الواضـحَة النيّرَة، فنلخّص المَوضوعَ والجَواب في الآتي من استشكَال الإخوَة، ومن معرفتنَا بحيثيّات المسألَة :

أولاً: يحيى بن الحسين المؤرّخ (ت١١٠٠هـ)، ادّعى على ابن عمّه المُعاصِر لَه يحيى بـن الحسين الشهاري صاحب شهارَة بتر أحاديث من المسند، وأنّه بـثّ نـسخاً في الـبلاد بعـد البَتر، ومن هذه الأحاديث التي بترَها يحيى بـن الحـسين الـشّهاري، أحاديـث في الـضم، والإمامة في قريش، والاستطاعَة .

ثانياً: أنّ يحيى بن الحسين المُؤرّخ لا يخلو حالُه **من أمـرين** : إمّـا أنْ يكـونَ نـسبَ هـذا الكلامَ إلى ابن عمّه من مصدرٍ أخبرَه بهذا، فثبّتَه عنـه في كتابِـه التّـاريخي (بهجـة الـزمن)، وهُو الرّاجح . **وإمّا أنْ يكون** هُو نفسُه مصدرُ هذه المعلومَة، فيكـونُ الاحـتمالُ هُنـا عـلى مُقتضى القَول الأوّل : أنْ يكونَ أحدٌ من المُغرضين زادَ في نُسخَة المُسند أحاديثاً فأخبرَ بهـا يحيى بن الحسين المؤرّخ، وأخبرَه أنّ صاحب شهارَة قد بترَ هـذه الأحاديـث مـن المُـسنَد، فعلقَ ذلك في قلب المؤرّخ يحيى بن الحسين فكتبَه بدون تحقيق، كحـال بعـض نقولاتـه في كتابه (بهجة الزمن) ينقلها بدون توثّق، كما نقلَ عن الحسن الجلال، وعـن الحـافظ ابـن الوزير، فيكونُ هذا مُهترأٌ أصلُه لا يجوزُ الاعتمادُ عليه، لما سـنذكرُه في قولنـا ثالثـاً . **نعـم!** ويكون الاحتمالُ على مُقتضى القَول الثّاني، من أنّ يحيى بـن الحـسين المـؤرخ هُـو مـصدر

(١) البدر الطّالع.

المعلومَة عن ابن عمّه يحيى بن الحسين الشّهاري، وهذا يكونُ مُحتملاً معهُ أنْ يكونَ إطلاقُ هذه التّهمَة منه على ابن عمّه، إطلاقٌ بلا مُستنَد -يعني لا يوجد راويات حديثيّة وتأريخيّة تؤكّد هذه الإطلاقَات منه على ابن عمّه الشّهاري-، ويترتّب عليَها بوجود الأحاديث أنْ يكونَ المؤرّخ يحيى بن الحسين هُو الواضعُ الأوّل لهذه الرّوايات حشواً وزيادةً على نُسخ المجموع، ثمّ نسبَ أنّها الأصل، والطّارئ هُو البَتر من صاحب شهارَة، وهذا نُنزّه عنه يحيى بن الحسين المؤرّخ، فقُلنا بالأوّل ورجّحناه من أنْ يكون أحدهُم قد وافَى المؤرّخ يحيى بن الحسين، أو أبلَغه بنسخةٍ فيها زيادة أحاديث وادّعَى بترَها من قِبل صاحب شهارَة، وهذه الزّيادَة هي في الأصل مدسوسَة، فاعتمدَ المؤرّخ يحيى بن الحسين ذلكَ وأثبَته، ونسبَ إلى ابن عمّه القَول بالبَتر بدون تثبّت ولا تحقيق، وهُو الذي يظهرُ لنا هُنا، حيث أنّ هذه من يحيى بن الحسين المؤرّخ ليسَت بالبِكر فقد قال بما لا يصحّ في مُعاصرِه الحسن بن أحمد الجلال[1]، فهذا وجهٌ قويّ لو تُؤمِّل .

ثالثاً: أنّه يبقى علينَا النّظر في تلك الرّوايات التي نسبَ يحيى بن الحسين المؤرّخ ابن عمّه إلى بترهَا، ننظرُ إلى عدّة أمور وقرائن ستكون الفاصلَة في الموضوع بإذن الله تعالى، ومنه يتحقّق هَل هذه الرّوايات زيادةٌ على أصل المجموع؟ توهّم المؤرّخ يحيى بن الحسين ومَن تابَعه كالشوكاني أنّها من أصل المجموع ! أو أنّ الحاصل العَكس، فنقول: إنّ هناك عدّة قرائن وشواهد ممّا يصلُح بعضها أنْ يكونَ دليلاً موجّهاً بحد ذاتِه لإبطال هذه الزيادات، وأنّهَا ليسَت من أصلِ المجموع، حتّى يُدعّى بترُهَا، فتأمّلَها :

---

(١) قال الأستاذ حسن عبدالله العمري، والعلامة أحمد أحمد الجرافي، في كتابيهما (العَلاّمَة والمُجتهد المُطلَق الحَسن بن أحمد الجلال)، بعد أنْ وقفا على ترجمة يحيى بن الحسين بن القاسم المؤرّخ للعلاّمة الجلال المُعاصِر له، قالا : «غَير أنّ ما يُلتَفَتُ إليهِ حَقّاً -ونحنُ في هَذا الصّدَد- أنْ نَجِدَ عالِماً جليلاً ومُؤرّخاً كبيراً، عُرِفَ بالنَّصَفَة (المَوضوعيّة)، واتّساع الأفق معَ استكمالِه أسباب الاجتهَاد، هُوَ العلاّمَة المؤرّخ يحيى بن الحسين بن القاسم، حَفيدُ الإمام القاسم بن محمد، مُعاصِر الجَلال وصَديقُه، الذي وَقَفَ مِنَ الجلال -في ترجمَة له- مَوقِفاً أقلّ ما يُوصَفُ به، تَجَنٍّ وتَدليس في أقوال وآراء ليسَت ممّا يَذهبُ إليه الجلال ويَقول به» اهـ [العَلاّمَة والمُجتهد المُطلَق الحَسن بن أحمد الجلال، ص٥٦] .

القرينَة الأولىٰ : أنّ جميع نُسَخ المجموع المخطوطَة التي ضّمتها المكتبات اليمنيّة، ووقفَ عليها العُلماء والباحثون لم تتضمنّها هذه الرّوايات التي ادُّعِيَ بترُها من أصل المُسنَد، وشهِدَ علىٰ هذا ثلاثةٌ من الأعلام، منهُم :

١- القاضي **العلامة أحمد بن أحمد السيّاغي** صاحب (المنهج المنير تتمّة الروض النّضير)، (ت١٤٠٢هـ)، وهُو كتاب أتمّ فيه شرح الروض النّضير لمجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام.

قال وهُو يتكلّم عن حديث إمامة قريش، وعن حديث القَدَر : «وكلٌ مِنهُمَا غَير مَذكورٍ فِي نُسخَة (المَجموع) بخط سَلفنا المُؤلّف. وقَد بَحثت عَنهُمَا فِي نَيِّفٍ وَعشرين مِن نُسخ (المَجموع) الخَطِيَّة القديمَة المَقروءة المُعتمَدة الشّهيرَة بالصحّة فَلم أجِدهُمَا مِن المَجموع، وأخبرَني غَيرُ وَاحدٍ أنّه قَد بَحث عَنهُمَا فَلم يَجدهُمَا مِن (المَجموع)، ولَم أجِدهُمَا فِي نُسخ (التّخريج)، ولا فِي نُسخ (المِنهَاج الجَلي) فَلم أذكُرهُمَا فِي هَذِه التّتمّة»[1].

٢- الدّكتور بجامعَة أم درمان السّودانية، علي بن محمّد الأشموريّ، قال : «روىٰ العلاّمَة عبّاس بن أحمد بن إبراهيم في تتمّته للروض النضير، أنّ الإمام زيداً قال عن الإمامَة : «هِيَ في جميع قُريش، ولا تَنعقِدُ الإمامة إلاّ ببيعَة المُسلمين، فإذا بايَعَ المُسلمون، وكانَ الإمام برّاً تقيّاً عالماً بالحلال والحرام فقَد وجَبَت طاعَتُه علىٰ المُسلمين»، ومِن خلال هذا الرّأي يُوافِقُ الإمام زَيد الجُمهور، بِجعل محلّ الخِلافَة في قُريش، (تأمّل) وعِندَ الرّجوع إلى الكُتُبِ المَطبوعَة لمُسند الإمام زيد، لَم أجِد هذا الرّأي مُطلقاً، ولهِذا رأيتُ أنّي مُلزمٌ بالرّجوع إلى الأصول من المَخطوطَات للتّأكّد مِن ثبوتِ هذا القَول، فاتّجَهتُ إلى الجِهَة المُختصّة لِحفظِ المخطُوطَات، وهي مَكتبَة الجامِع الكَبير بِصنعاء التّابِعَة لوزارَة الأوقاف، وبَحَثْتُ في أربَع عَشرة مَخطوطَة، وهِيَ النُّسَخ المُتوفِّرَة بالمَكتبَة، وتَمَّ فَحْصُهَا فَحصَ الصَّيرَفِيِّ للذَّهَب، ولَم أجِد ذلِكَ القَول!. إضافَةً إلى مَخطُوطَتين في مَكتباتٍ خاصّة»[2].

(١) المنهَج المنير تتمة الرّوض المُنير.

(٢) الآراء الفقهيّة للإمام زيد بن علي في المُعاملات والأحوال الشخصيّة والوِلايَة : ٥٨٧-٥٨٨.

٣- الإمام الحجّة مجدالدّين بن محمّد بن منصور المؤيديّ الحسني عليه السلام، (ت١٤٢٨هـ).

قال عليه السلام : «فَهِي غَير مَوجُودَة فِي شَيءٍ مِن نُسَخِ المجمُوع القَديمَةِ والحَدِيثَة، الخَطّيّة والمطبُوعَة، وَلا فِي شَيءٍ مِنْ شُروحِ المجمُوع، كالمنهَاجِ الجَليّ شَرح مجمُوع الإمَام زَيد بن عَلي، للإمَام المهدي محمّد بن المطهَّر بن يحيى عليهما السلام، وَلاهيَ مَروِيّةٌ فِي أيّ كِتَابٍ مِن كُتُب الحَديث، لا كُتُبِ أهلِ البَيت ولا كُتُبِ غَيرِهِم، وَمَع هَذا فَهِي مُخَالِفَةٌ لِمَا عَليه آل محمّدٍ جَمِيعَاً، وَقَدَ رُوجِعَ المؤلِّفُ فِيهَا أيَّامَ وُصُولِهِ إلى صعدة، فَغَايَةُ مَا أفَادَ أنّهُ وَجَدَهَا فِي نُسْخَةٍ قَديمَة» [1].

الحاصلُ من هذه القرينَة : أنّ جميع نُسَخ مُسند الإمام زيد بن علي عليه السلام، لم تحتوِ علَى هذه الزيادَة من الأحاديث، في إمامة قريش وغيرها، وأنّ العلامة العباس بن أحمد والذي له تتمة على الروض النضير، أثبتَ أنّه وجد هذين الحديثين فقط (الإمامة في جميع قريش، والقَدر) في نسخَة قديمَة وصلَته، فحتّى العباس بن أحمد (١٣٠٣-١٣٧٦هـ) بهذا يُعتبرُ شاهداً على عصرِه بأنّه لا يوجد أصل لهذه الزيادة إلاّ في النّسخَة التي وصلَته فأثبتَها في تتمتّه منهَا، وهذا يعني أنّها لم تكُن مشهورَة ولا موجودَة في عصرِه .

القرينة الثانية : أنّنا ننظرُ إلى هذه الزيادات التي أُدعّي على صاحب شهارَة بترُها من أصل المجموع، هَل كانَ لهَا أصلٌ في نَقل من تقدّم على عصرِه ممّن شرحَ المُسند، واستنبطَ منه، خصوصاً وأنّ هذه الأحاديث المُدّعى بترُها لها دلالات مهمّة يبحثُ عنها العُلماء، فليسَت بالفَضل، بل عليهَا مدار الاحتجاج إثباتاً ونفياً ؟ فننظرُ إلى عدّة جوانب :

الجانب الأوّل : المؤّلفات الحديثيّة للزيدية، والتي اعتَنَتْ بنقل أقوال وروايات المتقدّمين من أهل البيت عليهم السلام، كأمالي الإمام أحمد بن عيسى، والجامع لعلوم آل محمّد للشريف العلوي، وشرح التجريد للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني، وغيرها من المصنّفات الحديثيّة، كأمالي أبي طالب، وأماليات المرشد بالله، لم تُشِر إلى مثل هذه الرّوايات عن الإمام زيد بن علي عليه السلام، علماً بأنّ الكثير الطيّب من روايات المُسند مأثورَة في هذه الكتب .

(١) مجمع الفوائد:٣٨٧.

الجانب الثاني : القاضي نشوان بن سعيد الحميري، (ت٥٧٣هـ)، وهُو الذي اشتُهِر بالكلام حول مسألَة الإمامة وعدم حصرَها في البَطنين، وله مصنّفات ضخمَة، ومعَ ذلكَ لم يُشِر عن الإمام زيد بن علي عليه السلام إلىٰ هذه الرواية في الإمامة في جميع قريش أو غيرهَا من الرّويات المُدّعىٰ علىٰ يحيىٰ بن الحسين الشهاري بترُها من أصل المَجموع .

الجانب الثّالث : الإمام المهدي محمد بن المطّهر (٦٦٠-٧٢٨هـ)، ألفّ كتاباً في شرح مُسند الإمام زيد بن علي، سمّاه : (المِنهاج الجلي شرح مجموع زَيد بن علي)، ولم يُشِر فيه إلىٰ هذه الأحاديث المُدّعىٰ علىٰ صاحب شهارَة بترُها من المسند، ولم يذكُرهَا ولم يُعرِّج عَليهَا، بَل أشارَ إلىٰ ما يردّها ويُسقطُ هذه الشبهَة عن بكرَة أبيهَا، وسنذكرُها في القرينة الثالثة كحجّة موجّهة حاسمَة.

الجانب الرّابع : الإمام الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير (٧٧٥-٨٤٠هـ)، علىٰ كثرَة ما أوردَه في النّقل في مسائل الخلاف عن أئمّة أهل البيت المُتقدمّين، واستبسالِه في جمَع الأدلّة، فإنّه ما ذكرَ هذه الأحاديث المُدّعىٰ علىٰ صاحب شهارة بترُها، وهي من الأدلّة التي ما ينبغي للحافظ ابن الوزير أنْ يقفَ عليهَا من أصول المُسند ولا يُثبتُها في إيرادته واحتجاجاته، فإنّه قد فتّش عن النّصوص التي هي أدقّ منهَا من مظانّها، فهذه من أقوىٰ القرائن علىٰ أنّ هذه الزيادات المُدعّاة البَتر لم يكُن لها أصلٌ في أصل المُسنَد حتّىٰ يُدعّىٰ أنّها بُتِرَتْ بُهتاناً .

الجانب الخَامس : الإمام عز الدّين بن الحسن، (ت٩٠٠هـ)، والفقيه علي بن محمد البكري، (ت٨٨٢هـ)، وعلماء عصرِهم كان لهم عناية كبيرَة في مسألَة الإمامة، والقرشيّة، والحصر في البطنين، تحريراً وتأليفاً، فلم يُشر واحدٌ منهُما إلىٰ قولِ الإمام زيد بن علي عليه السلام وروايته في أنّها في جميع قُريش، ولم يُشيروا في مُصنّفاتهم الأصوليّة والفقهيّة إلىٰ ما يُعضّد وجه غيرها من الرّوايات عن الإمام زيد بن علي عليه السلام، المُدّعىٰ بترُها من صاحب شهارَة.

الجانب السّادس : أنّ الإمام القاسم بن محمّد (٩٦٧-١٠٢٩هـ)، وهُو جدّ المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين، له جوابات علىٰ مسائل وجّهها علماء صنعاء إليه يستشكلون

ويستعلمونَ عن الروّايات التي قد يكون ظاهرُها المُخالفَة على المذهب من أقوال المتقدّمين من أهل البيت عليهم السلام، ولم يذكروا عن الإمام زيد بن علي هذه الروّايات لا في القرشيّة ولا في القَدر ولا في غيرِهَا، وكذلك الإمام القاسم بن محمّد عليه السلام له كتاب (الاعتصام بحبل الله المتين)، ولم يُشِر إلى أيِّ روايَة للإمام زيد بن علي عليه السلام في تلك المسائل مع توسّع الإمام في مُناقشَة أغلب هذه المسائل بشكل عام، فلو كان لهذه الزيادات أصلٌ في أصل المُسندَ ما أغفلَها الإمام القاسم بن محمد، والفقهاء المُنقّبون في عصرِه، ففي هذا ما يدلّ على أنّ تلك الزيادات ليس لها أصلٌ يُذكَر من أصل مُسنَد الإمام زيد بن علي عليه السلام، وأنّها وليدَةٌ من قولِ يحيى بن الحُسين المؤرّخ.

الحاصل من القرينة الثانية : أنّ جميع من تقدّم على عصرِ المؤرّخ يحيى بن الحسين، لم يكن يُثبتُ أو يُشير إلى هذه الرّوايات المُدعّى بترُها من أصل مُسند الإمام زيد بن علي، وهكذا اتّفاق ليس بآتٍ من محض الصّدفَة، خصوصاً وأنّ مضمون تلك الأحاديث المُدعاة البَتر ليست بالهيّنة في الاستدلال عند أصحابَها، خصوصاً في مسألة القرشيّة، والقَدر، فتنبّه لذلك، ففيه ما يُثبت أنّ دَعوى البَتر هي الطّارئَة، لا أنّ الأصل هُو الزيادَة من نُسخَة المجموع، فكذلكَ لو زادَ المُعاصرون للقرن الحادي عشر أربعَة أحاديث تزيدُ أو تنقص على أصل نُسخَة صحيح البُخاري، مع اتّفاق جميع عُلماء الفرقة السنية من أصوليين وفقهاء ومحدّثين على ألاّ يذكروا هذه الأحاديث عن الإمام البخاري، ثمّ جميع النسخ الموجودة بين أيدينا اليوم لا توجد فيها هذه الزيادات، فإنّ فيها ما يدلّ على أنّ الخَلل هُو من ذلك المُثبِت الزيادَة والبَتر في القرن الحادي عشر، لا أنّنا نُحمّل ونُشكّك في مصداقيّة وأمانَة وتحرّي جميع العُلماء ممّن هُم قبلَ المُثبت للزيادَة والبَتر، وكذلك نُشكّك في مصداقيّة وأمانة وتحرّي جميع العُلماء ممّن هُم بعدهُم، والله المُستعان .

القرينة الثالثة : أنّ الإمام المهدي لدين الله محمد بن المطهّر عليه السلام، قد شرحَ مُسند الإمام زيد بن علي عليه السلام قبل ثلاثمائة سنة تقريباً من تدوينِ المؤرّخ يحيى بن الحسين لهذه الشّبهة المُدّعاة من بتر صاحب شهارَة لأحاديث الإمامة في قريش وغيرهَا، فنظرنَا كما

أشرنَا قريباً إلىٰ نُسخ المنهاج الجلي فما وجدنا هذه الأحاديث مدوّنَة فيه، وكذلكَ نظر غيرُنا من العُلماء والفقهَاء كالسّياغي وغيرُه فلم يجدوا فيها شيئاً من ذلك، ثمّ نظرنَا إلىٰ أصلِ كلام الإمام المهدي عليه السلام في هذا الشّرح فنجدهُ يثبتُ بالقَول الحاسمِ والقاطِع أنّه لا وجود لهذه الرّوايات في نُسخ المُسند، وكان الكلامُ حول الإمامَة.

قال الإمام المهدي عليه السلام : «كتابُ السّير، باب الكلام في الإمامَة، هي رئاسةٌ عامّة لشخصٍ واحدٍ علىٰ من عدَاه في أمورٍ دينيّة ودنيويّة . مسألَة: والإمامَة ضربَان. إمامةٌ تثبتُ بالنّص، وإمامةٌ تثبتُ بالدّعوة .

أمّا الأولىٰ فإمامة أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين علي بن أبي طالب،....[ثمّ تكلّم في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ قال]....، وأمّا الضّرب الثّاني، وهُو الذي ثبتت إمامته بالدّعوة، فليُقدّم الكلام أولاً فيمَن إذا وقعَت منه الدّعوة، فإنه إمام وتجبُ طاعتُه، ثمّ ينعطِف علىٰ أن الدّعوة طريقُ الإمامة في غير المنصوص عَليه.

فصلٌ : أمّا الذي تجبُ طاعتُه وتثبتُ إمامتهُ إذا دَعا، فهُو من كَمَلَتْ فيه عشر شرائط، الأولىٰ: أن يكونَ من أولاد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، **وهُم أولاد البطنين** الحسن والحسين أباً و أمّاً، والوجه في ذلك: إجماع أهل البيت عليهم السلام .

إن قيل : إنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال:«الأئمّة من قريش»، وهذا يدلّ علىٰ أنّه لا يُقتصرُ فيها علىٰ أولاد البطنين.

قلتُ: قيلَ: إنّ الخبَر مُختلَقٌ لا أصلَ له . وجهٌ آخَر: أنّ الرّاوي أضافَهُ إلىٰ أبي بكر، وأنّه قال بمحضرٍ من الصّحابَة، ونقضُ ذلكَ علىٰ تقديرِ صحّته، أنّ أبا جعفر محمد بن جرير ذكرَ خَيرَ السقيفة وقصّتها، مُفصّلاً، ولَم يروِ هذا الخَبر . وجه ثالث: أنّ هذا الخَبر آحاديّ والمسألَة أصوليّة فلا يُستدلّ بالآحَاد عليهَا،.....[ثمّ قام الإمام المهدي يستدلّ علىٰ حصر الإمامة في البطنين من أقوال أهل البيت، فقال].....، ومَا روينا عن أمير المؤمنين من غير طريق الإمام عليه السلام، أنّه قال : (انظُروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتَهم، واتّبعوا أثرهم، فلن يُخرجوكم من هُدىٰ، ولن يُعيدوكم في ردىٰ، فإن لبدوا فالبِدوا، وإن نهضوا فانهَضوا،

ولا تسبقوهُم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهُم فتهلَكوا). ورَوينا عن الإمام زيد عليه السلام أنّه قال : كلّ رايةٍ رُفِعَت ليسَت لنا، ولا تَدعو إلينَا، فهي رايَة ضلالَة . وعنهُ -عن الإمام زيد- عليه السلام : نحنُ ولاة أمر الله، وخُزّان علمِ الله تعالى، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشيعتُنا رعُاة الشمس والقَمر. الشريطَة الثانية: ...إلخ كلامه» [1].

الحاصلُ من القرينة الثالثة : وهي عندي الفاصلَة في هذا اللغط، والنسبة المزعومَة لوجود البَتر من صاحب شهارَة لأصل ما جاء في المُسند حول الإمامة وغيرها، فهذا الكلامُ عن الإمام المهدي عليه السلام من أصلِ كلامِه، لا من اختلاف النّسخ بوجود الروايات من عدمِهَا، وهُو يُشيرُ عند مُناقشته لمسألَة الإمامَة بأنّ روايَة قرشيّة الخلافَة لا يوجَد أصلٌ يصحّ لهَا هكذا مُطلِقًا، فلو كان لهذه الإشارَة أصلٌ في المُسند الذي بين يَديه عن الإمام زيد بن علي لأشارَ إلى ذلك، أو لشرحَه، وكلامُه ليس يحتاجُ إلى مزيد تعليق فإنّ الباحث المُنصِف لو تأمّله وأعاد قرءاته لوجدَ الإمام المهدي يُشيرُ إلى ضعف هذه الرّواية بأكثر من تعبير، فتارة يقول : إنّ أصلَها مُختلَق ولا صحّة له . ثمّ **يقول** : على تقدير صحّة هذه الرّواية، فلو كان عليه السلام وقفَ عليها في أصل المُسنَد ما قالَ بهذا؛ لأنّها ستكون صحيحَة عندَه، فتأمّله تجده كما قُلنا، وما قيل في هذه الرّواية يُقال في غيرها من الرّوايات المُدّعاة والله المُستعان؛ لأنّ المنبَع واحِد، وأصل الشبّهة واحِدة، والإتيانُ على بعضِها إتيانٌ عليها كلّها.

ثمّ اعلَم أخي الباحث باركَ الله علمَك أنّ من يتعلّق بما نقلَه المؤرّخ يحيى بن الحسين بعد ما سبق تبيينه ويجعلُه بعد ذلك من المُسلّمات القطعيّة في الثّبوت عن الإمام زيد بن علي عليه السلام، فاعلَم أنّه لا يخلو حالُه مِن أحد أمرَين، إمّا أنْ يكونَ قلبُه قد مُلئَ حقداً وغَشّاً على الزيدية فيفرحُ بالشبّهة تكون قشّة يُحمّل عليَها الجبال والأوتاد، ولا يَقبلُ في إبطالِها حقّاً ولا عدلاً. وإمّا أن يكون : جاهلاً بمُقتضى الإيراد والتّصدير مُلتبسٌ عليه أصول

(١) المنهاج الجلي شرح مجموع زيد بن علي:مخطوط:٣/ ٣٦١.

الاستدلال والإثبات والموازنة والاستقراء للشّبه وما يُتوجّه منه، وما لا يُتوجّه، والله المُستعان.

إن قيل : ولِمَ لا يصحّ أنْ يكون قول الإمَام زيد بن عَلي عليه السلام في مَجموع كُتبِه ورسائلِه: «فاجتمَعَت الأمّة عَلىٰ أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، قَال: «الأئمّة مِن قُريش» (1)، ألا يكونُ هذا منهُ ناهضاً بتلكَ الرّواية في (جَميع قُريش) بالإمَامة.

قُلنَا : ليسَ فيمَا نقلتُم عنه عليه السلام من موضع آخَر، وهُو مجموعُ رسائلِه ما يقومُ بمضمونِ الرّواية المُدّعَىٰ البَتر فيهَا، (جميع قُريش)؛ لأنَّ المُدَّعاة تُثبت الإمامَة رأساً في جميعِ قُريش، بينما اقتبستموهُ من كلامِه عليه السلام، فإنّه كانَ منه في معرضِ احتجاجٍ منهُ في إثباتِ إمامَة أهل البيت عليهم السلام، وأنّهم الصّفوَة من قُريش، فإنّ الإمام زيد بن علي عليه السلام أرادَ من إيرادِه الخَبر الذي روتهُ الأمّة (الإمامة من قريش)، يُريدُ الإمام أنْ يُثبتَ أنّ (مِنْ) هُنا تبعيضيّة ليسَت تخصّ جميع قريش، بل هي لأهل البيت عليهم السلام، وإنْ كُنتَ مُنصفاً في مُتابعَة السّياق فإنّه لنْ يفوتكَ مقصدهُ من نقلِك عنه مما جاء في مجموع كتبُه ورسائله، فننقلُه هُنا كاملاً ليتحقّق ذلكَ، فقال عليه السلام : «فاجتمَعت الأمّة علىٰ أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «الأئمة من قريش». فسقط اثنان مِنَ الأربعة: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت الأنصاري، إذْ هُما لَم يَصلحا للإمَامة؛ لأنّهما لَيسَا مِن قُريش، وبقي عَلي بن أبي طالب صلوات اللهّ عليه، وعبد الله بن عباس مُسلِمَين فقيهَين عَالِمَين قرشيين.

فسألنا الأمّة: إذا كانا عَالِمَين فقيهَين قُرشِيَّين أيّهما أولىٰ بالإمامة؟ فاجتمَعت الأمة علىٰ: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «إذا كان فقيهين عالمين فَأكبَرُهما وأقدَمُهما في الهِجرة». فسقط عَبد الله بن عباس، وحَصَل علي بن أبي طالب صلوات اللهّ وسلامه عليه، وصَار أحقّ الناس بالإمَامة بعد رسول اللهّ صلى الله عليه وآله وسلم . وهَذا ما أجمعتْ عليه الأمّة بَعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم .

ثمّ اجتمَعوا علىٰ أنّ لله خِيرةً مِن خَلقِه اختارَهم واصطفاهم، وجَعلهم أدلاّء عَلىٰ

(1) مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن عَلي:1/ 135.

الفرائض والحُكم على خلقه، فقلنا: هَاتوا برهانكم عليه؟ قَالوا: قول الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّـهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِيْنَ ذُرِيةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّـهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ**﴾ [آل عمران:٣٣]. فاجتمَعُوا على أنّ الأمّة المسلمة خلقها الله مِن ذرية إسماعيل بن إبراهيم، وأنّ آل إبراهيم خَاصّة المُصطَفَين الذين اختارَهُم الله واصطفَاهُم على العَالَمِين. فقلنا: هَاتوا برهانكم عليه؟ قَالوا: قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيْمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيْلُ ربنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ربنَا وَاْجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِيتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ربنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِنْهُمْ يَتلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيْهِم إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيْزُ الحَكِيْمُ**﴾ [البقرة: ١٢٧ – ١٢٩].

فَقَبلنا منهم، وشهَدنا أن الأمة المسلمة خلقها الله تبارك وتعالى مِن ذريّة إسماعيل خاصّة، وأنّهُم آل إبراهيم الذين اصطفاهم الله على العَالمين، **وأنهم أهل البَيت الذين رَفع الله منهم الأئمّة مِن ذرية إبراهيم وإسماعيل**، وبَعث فيهم الرّسول. فصَار النبي -الذي بعث الله عز وجل- محمداً ﷺ، وصَار أولئك ذرية إبراهيم حقاً يقيناً؛ لأنّ الأمة اجتمَعَتْ على أنّ إبراهيم المُصطفى وذرية إبراهيم الذين عَلى دين إبراهيم. **واجتمَعت الأمّة على: أنّ بني هَاشم** هُم الذين استجابُوا للرّسول ﷺ وَصدّقوه، فتلا عليهم آياته كما تلا عليهم الكتاب والحكمة وزكاهم. واجتمعت الأمة على: أنهم فيهَا أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس ويَكون الرسول عليهم شهيداً، فجعل الله محمداً ﷺ شَهيداً بما أنزل عليهم من تلاوة الكتاب وتعليمه إياهم الكتاب، وكما قال إبراهيم وإسماعيل: ﴿**وَمِنْ ذُرِيتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ**﴾ [البقرة: ١٢٨]، ولم يَقولا: اجعل الأمة مُسلمة من ذريّتنا ومن غَير ذريّتنا، ولكنّهما أفردَا الأمة المسلمة، ﴿**وَمِنْ ذُرِيتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ**﴾ [البقرة:١٢٨]، خاصة، ﴿**وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِنْهُمْ**﴾ [البقرة:١٢٩]، ولَم يَقولا: وابعَث مِن غَيرِهم رَسولاً، ولكنهما قالا: ومِن ذريّتنا، وابعث فيهم رَسولاً مِنهُم، فَصارَ الرّسول مِن أنفُسِهِم شَهيداً عَليهِم بمَا انتهَى إليهِم مِن الكِتاب، وصاروا شهداء على الناس بما يكون على الناس من علم الكتاب والحكمة. وقال الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوْا ارْكَعُوْا**

وَاسْجُدُوْا وَاعْبُدُوْا ربكُمْ وَافْعَلُوْا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ وَجَاهِدُوْا فِيْ اللَّـهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوْ اْجْتَبَاكُمْ وَمَاجَعَلَ عَلَيْكُمْ فِيْ الدِّيْنِ مَنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِـيْكُمْ إِبْـرَاهِيْمَ هُـوْ سَـمَّاكُمُ الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ قَبْلُ وَفِيْ هَذَا لِيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ شَهِيْداً عَلَيْكُمْ وَتَكُوْنُوْا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ فَأَقِيْمُوْا الصَّلاَةَ وَآتُوْا الزَّكَاْةَ وَاعْتَصِمُوْا بِاللَّـهِ هُـوْ مَـوْلاَكُمْ فَـنِعْمَ المَـوْلَىٰ وَنِعْـمَ النَّصِيْرُ﴾ [الحج: ٧٧ – ٧٨]. وهَذا مَا اجتمع عليه كل بَـارٍ وفـاجرٍ، وكـل مـؤمنٍ وكـافرٍ. **اجتمَعُوا عَلىٰ أنّ المَيِّت إذا مَات فأهلُ بَيتِه أولىٰ بميراثه**﴾[1]. وقال الإمام زيد بن علي عليه السلام في موضعٍ آخَر: «فالتمِسُوا **الفَضل مِن قُريش حَيث جَعله الله، فبقيّة الحقّ مِنهُم**، فإنّ الله جل ثناؤه يقول: ﴿**اللَّـهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فإن كَـان الله ذَهَـبَ بنبينا وجَعله خاتم النبيين، **فإنّ فيكم أهلُه وذُرِيَّتَهُ مُعتصمين بِكِتاب الله**»[2].

نعم! فظهرَ لكَ أخي الباحِث أنّ القول المُقتبسَ لا يـنهضُ بالرّوايـة المُـدّعاَة، بـل إنّ القول المُقتبس من مَجموع الرّسائل يُبطلُ الرّواية المدّعاة، فكانَ لنَا أقـوىٰ في الدّلالَـة ومـا ذهبنَا إليه أوّلاً، والحمدُ لله .

وإن قيلَ: ولِم لا تُجوّزون أنْ تكونَ حكايَة الإمام المَهدي محمـد بـن المطهّـر في حـديث الخلافَة القرشيّة من باب المُناظرَة، وأنّه قد اطّلعَ عـلىٰ تلـكَ الرّوايـة مـن المُـسنَد، إلاّ أنّـه ضعّفهَا، فتضعيفُه كانَ من باب المُناظرَة، لا مـن بـاب تـضعيفِ الرّوايـة، ثـمّ لا تجـوّزون وأنتُم تعلَمون أنّ النّسخ قد ينقُص بعضهُا فلا تصلُ إلىٰ طالبهَـا كاملـةً، فتكـون النّـسخَة التي وقعَت في يدِ الإمام المَهدي بن المطهّر من تلكَ النّسخ النّاقصَة ؟.

قُلنَا: أخي في الله، الإمام المهدي ذكرَ أموراً، **لا تجعلُ مجالاً للشكّ بأنّـه لم يقِـف عـلىٰ شاهد روايَة الإمامة في جميع قريش من المُسنَد، فقال أولاً**:أصلُها مُختلَق .

وهذا يعني أنّه لم يقِف عليها في أصل المُسنَد عن الإمام زيد بن علي .

---

(١) كتاب تثبيت الإمامة من مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن عَلي عليه السلام.

(٢) كتاب الصفوة.

وقال ثانيا: الحجّة في سقوط معنى هذه الرّواية إجماع أهل البيت، ولو كانَ من رواية في المُسند في قرشيّة الخلافَة ما نسبَ الإجماع، أو لاستثنى مُفصِّلاً .

وقال ثالثاً: على تقدير صحّة الرّواية الذي يذكُرها المُخالفون، ولو كانت في المُسند لَما قالَ على تقدير صحّتها؛ لأنّها ستكون صحيحَة . هذه كلّها دلالات واضحَة على أنّ نُسخَة المُسند قبل عصر يحيى بن الحسين الشّهاري المُدّعَى عليه البَتر كانَت كهذه النّسخ التي بين أيدينَا، وهي الأصيلَة من إثبات العُلماء من النّسخ المشهورة المقروءة على أصولِها كما أخبر القاضي أحمد بن أحمد السيّاغي من عدم ورود هذه النّسخ بتلك الزيادات .

أمرٌ آخَر: وهُو أنّه مهما بلغَت اختلافات التصحيفات أو الزيادة أو النقصان العائدَة إلى النُسَّاخ فإنّهم لن يتواطئوا على عدَم ذكرِ روايات مختلفَة المواضع من المُسند في نُسخِهم، فتتفّق جميعاً على عدم ذكرِهَا، فهذا يُسقطُ ما اعتمدتُم عليه من لحاق النّقصان ببعض النّسخ، **ثمّ اعلَم** أنّ الغالب من حال الشّرّاح للأصول والمتون هُو الاعتماد على أصحّ النّسَخ، أو الاعتماد على أكثَر من نسخَة، فكذلك نقولُ: إنّ الإمام المهدي محمد بن المطهّر لم يعتمد على نُسَخ مشبوهَة أو شاذّة في طُرقِها، أو ناقصَة، بل يعتمدُ على أصحّ النّسخ في ذلك، كذلكَ جميع المحقّقين ممّن ذكرناهُم قريباً، كنشوان بن سعيد الحميري، والحافظ ابن الوزير، والإمام عز الدين بن الحسن، والفقيه علي بن محمد البكري، والقاسم بن محمد، كلّ هؤلاء على تحرّيهم واطّلاعهم وتملّكهم للكتب لم ينقلُوا من هذه النّسَخ التي يُحتمَل أنْ تكون أصلاً أصيلاً لتلك الزيادات من الأحاديث المشبوهَة، فيكونُ نقلُهم، وعَدم نقلِ الإمام المهدي دليلاً على اختلاف النّسخ، حقّاً إنّ الإنصاف عزيز، فوالله لو كَان الكلام على صحيح البخاري وله مثل هذه القرائن والدّلالات ما قُلتَ بهذا أخي في الله، فإنّ إدخالَك باب الاحتمالات بهذه الطّريقة ليسَ بمنهَجٍ علميّ عند أهل التّحقيق، ثمّ إنّك بهذا قد برّأت ساحَة يحيى بن الحسين الشّهاري من بتر أحاديث المُسنَد لو عَلِمت، فأنتَ الآن تُحوّل دَعوى البَتر، إلى دَعوى نَقص، ولَو أرادَ المُؤرّخ يحيى بن الحسين أنْ يُثبِت أنّ الحاصل نقصٌ في نُسخ المُسند لهذه الأحاديث لأخبرَ بهذا، ولكنّه قال بدعوى البَتر، وفرقٌ

بين الإثنين، فالبَتْر يدلّ علىٰ استقرار نُسخ المجموع علىٰ نقلٍ ثابت، حصلَ بعده بَتر وقَطع، فأمّا النّقص فهُو إهمالٌ وتغاضي لبعض نسخ المُسند، وهـذا لم يقُـل بـه يحيـىٰ بـن الحـسين المؤرّخ، فتكونُ أنت زِدتَ عليه لمّا أردتَ ذلك إثباتاً للشبهَة بالإقحَام، والله المُستعان .

إن قيلَ: ولكنّ الإمام المطهّر قد حكَىٰ عن الإمَام زيد بن عَلي عليه السلام التّأمين، والتّـأمين من الأحاديث التي حكَىٰ يحيىٰ بن الحسين المـؤرّخ بترَهـا، قـال العلاّمـة عـلي بـن محمـد العجريّ : «ولذلك قَال الإمام المهدي محمد بن المطهّر عليه السلام في كِتابه الرّياض النّديـة: إنّ رُواةَ التّأمين جَمٌّ غَفِير، قَال وَهُو مَذهبُ زَيد بن عَلي، وأحمدُ بـن عيـسَىٰ» [1]، فلِـمَ لَم نجِـد روايَة التّأمين في المسنَد والإمام المطهّر قد حكاهَا عن الإمام زيد بن عَلي، لو كانَ كلامُكم في احتجاجِه في الخلافَة القرشيّة مُطرِّداً ؟!.

قُلنَا : وهَل مُجرّد الحِكايَة عن الإمام زيد بن علي عليه السلام، وأنّ مذهبَه التأمين، دليلٌ عـلىٰ أنّه روىٰ هذا، أو قالَه في المُسنَد، فكذلكَ روي عنهُ أقوالٌ أخـرىٰ لـيسَ أصـلُها في المـسند فهل هذا يعني أنّ جميع ماحُكِي عنه من أقوال شرطٌ أنْ تكون من المُـسنَد؟ **سـلّمنا**، فهـذا المنهاج الجلي أمامَك، والكلامُ في الإثباتِ للتأمين جاء علىٰ لسانِ مؤلّفِه (الإمـام المهـدي) في كتابٍ آخَر (الرّياض النديّة)، فَهل يعني هذا أنّ الإمام المهدي أخذَ حكايَة التأمين عـن الإمام زيد بن علي عليه السلام من المُسنَد ؟ فهـذه نـسخ المنهـاج أمامَـك لا يوجـد فيهـا روايـة واحِدة عن الإمام زيد بن علي عليه السلام في التأمين، فليس هذا طريقٌ للإثبَات أخي الفاضـل، فمثلاً الإمام أحمد بن يحيىٰ المرتضىٰ نَسَبَ إلى الإمام زيد بن علي القَول بتصحيح حُكم أبي بكر في فدَك، فهل هذا دليلٌ علىٰ أنّ نُسخَة المُسنَد تحتوي علىٰ روايَة تصحيح الإمـام لحُكـم أبي بكر ؟.

نعم! فالإمام المهدي قد يكونُ وجه إثباتِه لذلك القَول عن الإمام زيد بن عـلي عليه السلام، نقلاً آخَر، أو حكاية وصلَته عن أي مصدرٍ حديثيّ، أو من شيوخ العِلم، فتأمّل ذلك، فإنّه لا يكون دليلاً صامداً خصوصاً مع وجود الكتـب الزيديـة الفقهيّـة المُتقدّمـة والمتـأخّرَة،

(١) مفتاح السعادة:١/ ١١٠٥.

وهي لا تذكرُ نصّاً مُحرّراً للإمام زيد بن علي عليه السلام بالقول بالتأمين، وينسبون هذا عنه حِكايَةً، فلو كانَ لهُم في ذلك مُستند نصّي مُحرّرَ عن الإمام زيد بن علي احتواهُ مُسنده لما أجمعوا علىٰ عَدم نقلِه عنه بالنّص، أو بالإشارَة إلىٰ وجوده في المُسنَد، كما حكىٰ الإمام المهدي من الرّياض النديّة، فإنّه لم ينسبهُ إلىٰ المُسند، وكذلك لم يُوردهُ في شرحِه علىٰ المُسنَد، بل ستكون إشارَة الإمام المهدي وشرحه وتأييده للقول بالتأمين كحكاية من مذهب الإمام زيد بن علي عليه السلام أبلَغ وأدلّ لو شرحَها ضمن منهاجِه الذي وجّهه لشرح مُسندِ الإمام زيد بن عَلي عليه السلام، كشرحٍ لنصٍّ مَوجود .

خُلاصَته : لو كان شرطاً أنّ كلّ حكايَة أو قول يُنسب إلىٰ الإمام زيد بن علي شرطهُ أنْ يكونَ أصلُه في المُسنَد، لجمعتَ في هذا كراريساً باركَ الله فيك، ولردّه عليكَ أهل العِلم قاطبةً، فليس بشرطٍ أنْ تكون الحكاية لأقوال مالك بن أنس صاحب المَذهب، موجودٌ نصّها في أصلِ مُوطّأه، بل قد يكونُ لها مصدرٌ كتابيّ أو حديثيّ أو سماع، أو شُهرَة، مصادر أخرىٰ غير كتابِه (الموطّأ)، فتأمّله.

ففي هذا من العلّة في عدم ذكر أي نُسَخ قديمَة لهذه الرّواية، وعدم تدوينها من قِبل نحارير وفقهاء الزيدية، وأصحاب المصنّفات العظام، كالإمام أحمد بن يحيىٰ المرتضىٰ في (شرح الأزهار)، والإمام يحيىٰ بن حمزة (في الانتصار)، والإمام المتوكل علىٰ الله أحمد بن سليمان (في أصول الأحكام)، والإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (في شرح التجريد)، والإمام القاسم بن محمد (في الاعتصام)، كلّ هذا فيه من العلّة مع اطّلاعهم وتبحّرهم في أقوال أهل البيت، مَا يُماثل ما ذكرناه من عدم ذكر أو احتجاج أو الإشارة بأخبار الإمامة في جميع قريش من قِبل أهل الفنّ من المُحقّقين المُنقّبين عن أخبار أهل البيت المتقدّمين .

ثمّ هُناك تناقضٌ حاصلٌ أخي المُعترِض، فكيفَ يكونُ الإمام المطهّر نقلَ التأمين عن الإمام زيد بن علي من المُسنَد، ويكون في نفس الوقت ينسبُ حديث الإمامة في قريش انطلاقاً من معنىٰ هذا الخَبر إلىٰ الاختلاق والكذب وعدم الصّحة ؟!، إنّ للنّقاش سَكْرَةٌ أخي القَارئ، وقانَا الله وإيّاكَ شرّهَا، يُريدُ منهَا الآخَر أنْ يُولِجَ الجَمل في سَمّ الخِياط.

نعم! ثمّ أنتَ ما أخبرتَني أخي المُعترِض عن دَعوىٰ المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين، هَل يصحّ أنْ تكون باطِلَة، مِن مُنطلَق الوَهم كما وهِم المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين علىٰ الحسن بن أحمد الجلال ونسبَه إلىٰ قول الخوارج، وكذلك عندما روىٰ عن الحافظ ابن الوزير القَول بالمُتعَة كالإمامية، فكذلكَ هُنا ألاَ يكونُ هذا من المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين وهماً علىٰ ابن عمّه، دفَعه ما يدفعُ الأقران والعلماء في الكلام علىٰ بعضهِم البَعض، خصوصاً وأنّه قد اشُتهِر عن يحيىٰ بن الحسين الشّهاري عنايَته التّامَة بمسند وأخبار الإمام زيد بن علي حتّىٰ صارَ مشهوراً بين أهل عصرِه بذلِك، أفلا يكون دافعُ المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين هُو الحَسد -وهو غير معصوم فكذلك كان أهل الحديث والعلم يحسدونَ بعضهم البَعض-، وقال بعضهم: إنّ غيرة العلماء من بعضهِم أشدّ من غيرة التّيوس، أفلا يكون هذا وجهاً لكلام المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين علىٰ ابن عمّه ومُعاصرِه صاحب شهارَة، فإنْ قلتَ: هذه تهمَة عظيمَة لا تنبغي أنْ تُوجّه، فأقول لكَ: هي تهمة عظيمَة ولكنّها غير ممُتنعَة التّوجيه فقد يكون وهِمَها المؤرّخ علىٰ ابن عمّه وثوقاً فيمَن حدّثه فنسبَها إليه، وكذلكَ نُسِب إلىٰ الإمام أبي حنيفة ما هُو أشدّ من ذلك وأجرأ وأفحش وتعذّر له العلماء بأنّ هذا الكلام يكون من كلامِ القرناء في بعضهِم فلا يُؤخَذ به، فلماذا لا يكونُ كلامُ المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين من ذاك؟ والشّواهدُ تدلّ عَلىٰ ذَلك، والقرائن أكبَر وأعظَم في ردّ دَعواه علىٰ ابن عمّه! .

فإن قيلَ: بلَىٰ إنّ للتّأمين مُستندٌ من المُسنَد، وهُو ما رواهُ زَيد بن عَلي : «عَن أبيه، عَن جدّه، عَن علي عليه السلام أنّه كَان يَقنُت في الوتر قَبل الرّكوع، فَيقول: «اللهمّ إليكَ رُفِعت الأبصَار، وبُسِطَت الأيدِي، وأفضَت القُلوب، ودُعِيْتَ بالألسُن، وتُحوكِمَ إليكَ في الأعمال، اللهم افتَحْ بينَنا وبين قومِنا بالحقّ وأنت خَير الفَاتحين، نَشكُوا إليكَ غَيبَة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم، وكثرَة عدوِّنا، وقلّة عَدَدِنا، وتظاهُر الفِتَن، وشِدّة الزّمَن، اللهمّ فَأغثنا بِفتحٍ تُعجله، ونَصرٍ تُعزّ به وَليّك، وسُلطانَ حَق تُظهرُه، إله الخلق آمِين ربّ العَالمين»، ولعلّ السّبب في النّسبَة لزيدٍ وَحفيدِه رضي الله عنهم هُو مَا قالَ الإمام ابن الوزير بما نقلَه عنه صاحبُ مِفتاح السعادة، قال: «قال السيّد الإمَام (محمد بن إبراهيم الوَزير) رحمه الله: رُوي عَن علي عليه السلام مَرفوعاً في بَاب الجهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم مِن كتاب الأمالي، ومَوقوفاً في

مجموع زيد بن علي عليه السلام ذَكَرَه في القُنوت في الوتر قَبل الرّكوع، ولذلك قَال الإمَام المهدي محمّد بن المطهّر عليه السلام في كتابه الرّياض النديّة: (إنّ رُواةَ التّأمين جَمٌّ غَفير، قال: وهُو مَذهبُ زَيد بن عَلي وأحمَد بن عيسَىٰ»[1]، ولهذا نُسبَت إليهِم في الصّلاة مشروعيّة التّأمين .

قُلنَا: في هذا الكَلام والاحتمَالات ما ينقضُ علىٰ كلامِكُم القَريب، وللفائدة نُعقّب عَليه فنقولُ : إنْ كانَ هذا مُستندُ التأمين ونسبَتهُ إلىٰ الإمام زيد بن علي عليه السلام، فمَا في تحقيقِه واستنباطِ وجه مشروعيّة التأمين أيّ وجهٍ ظاهِر؛ لأنّ المقصود بالتأمين هُو قول: (آمين بعد الفاتحَة)، والحديث يُخبِر أنّها جاءت في القنوت مقرونَةً بالدّعاء. والمقصودُ أنّ التأمين هُو في الفرائض، وهذه كانَت في نافلَة الوتر، فما مِنها (من المُسندَ) يُستنبَط أنّ وجهها إثبات التأمين المُراد، فتنبّه، فمَا لفظَ (آمين ربّ العالمين) إلاّ من جُملَة دعائه عليه السلام قبلَ الرّكوع في الوِتر، هذا فيما يخصّ المُسنَد، ذكرناهُ للفائِدَة .

ثمّ لا بأسَ أنْ أتغاضَىٰ عن كلامِكَ الأخير؛ لأنّ أكثرَ ما فيه الاحتمالات، فلا يصحّ أنْ يُحتجّ علىٰ إمامنا زيد بن علي من الرّواية بمجرّد الاحتمالات، وأن يُجعَل هذا ديناً ومُلزماً للزيديّة، خصوصاً وأنّه قد أُثِر عنه من طُرق أشهَر وأدلّ الخلافُ علىٰ هذا الحديث، فلا يُحتجّ علينَا بقولِه (الإمَامَة في جميع قريش ... الخ)، إلاّ متىٰ ثَبَتَ للمُعترِض أنّ هذه رواية أصيلَة مُشتهرَة عند علماء الزيدية، من نُسخِهم المُعتمدَة، فكذلك نحنُ لا نحتجّ إلاّ بما كانَ صحيحاً من النّسخ السنيّة، وهذا فيه قطعٌ للّجاج هُنا من جَهة الاحتجَاج علىٰ الزيدية .

(١) مفتاح السّعادة: ١/ ١١٠٥.

حوارٌ ثانٍ في مُناقشَة دَعوى بَتْر أحاديث المَجموع الفقهيّ للإمَام زيد بن عَلي

نعم! وهُنا أخي الباحث نقف وإيّاك علىٰ نقاشٍ لذات موضوع ادّعاء البَتْر، والموضوعُ بشكلٍ عامّ إذا تمّ مُناقشتُه من أكثر من زوايَة فإنّه يظهُر للباحث المهتمّ منهُ فرائد وفوائد، ولَمن لم يتمّكن من استيعاب السّابق فإنّه يتثبّتُ بإذن الله تعالىٰ بتناول المواضيع من جوانبَ مُتعدّدة، فما جاء في النّقاش:

يُقال: إنّه قد وقعَ في مسند الإمام زيد بن علي عليه السلام، بَتْرٌ وإسقاطٌ لعدد من الأحاديث الخاصة بالضم والتأمين والإرادة والمشيئة وأمثالِها، ذكرَ هذا المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين في كتابه بهجة الزمن، فقال : «وفِي العَشر الآخرَة مِن هَذا الشّهر، توفّي يَحيىٰ بن حسين بن المؤيد بالله محمّد بن القَاسم، بعدَ عَودِه مِن الحجّ بجهَة شهَارة،..، وكَان يَطعَنُ فِي مَذهبِ الهَادَويّة والمعتزلة وأهل السنة وَينتصرُ للإمَاميّة،...، وطَمَسَ مِن مجمُوع الفِقه الكَبير لَه بَعضُ مَسائلِه مِثل : مَسألَة إمَامَة قُريش،ومَا ذَكَرَه فِي الأصُول وذمِّه للقَدريّة وإثبَات المَشيئَة لله وغَير ذَلك، فَلا قوَّة إلاَّ بالله» [بهجة الزمن].

وزادَ الشوكاني قائلاً : «ورأيتُ بخطّ السيّد يحيىٰ بن الحسين المذكُورِ قَبله (صَاحب بهجَة الزّمَن) أنّ صاحِب الترجَمَة (يحيىٰ بن الحسين بن المؤيد) تَواطَأ هُو وتَلامِذَته عَلىٰ حَذف أبوابٍ مِنَ (مَجموع زَيد بن عَلي)، وهُو مَا فِيه ذِكرُ الرّفع والضمّ والتّأمِين ونَحو ذَلك، ثمَّ جَعلوانُسَخاً وبَثّوهَا فِي النّاس وهَذا أمرٌ عَظِيم وَجنايَةٌ كَبيرَة، وفِي ذَلِك دَلالَةٌ عَلىٰ مَزيد الجَهل وفرط التّعصّب، وهذه النّسخ التي بَثّوها فِي النّاس مَوجُودَةٌ الآن فَلا حَول ولا قُوّة إلاّ بالله»، فما رأي الزيدية في هذا ؟! .

الرّد :

تناولُ هذه الشبهة نسوقه من عشرة أوجهٍ نافعَةٍ بإذن الله تعالىٰ، منهَا :

الوجهُ الأوّل : أن تعلَم أخي الباحث أنّ هذا الكلام، وجود البَتر في مُسند الإمام زيد

بن علي عليه السلام الفقهيّ ليسَ له مصدرٌ يُذكَرُ ولم يدّعِه أحدٌ من العلماء والمُحقّقين إلاّ المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين صاحبُ بهجة الزّمن، فهوُ أوّل من قالَ بهذا .

الوجهُ الثّاني : أن تعلمَ أنّ المؤرخ يحيىٰ بن الحسين (صاحب بهجة الزمن)، كان مؤرّخاً مُرتجلاً، بمعنىٰ أنّه قد يكتُبُ ما يصلهُ من طريق غيرهِ بغير تثبّت، فيُثبتُ في كتابِه التاريخي ما ليس له أصلٌ وثوقاً منه في النّاقلِ له، فيُصبحُ للأسَف مرجعاً لغيرهِ بنقلهِ هذا الذي أثبتَهُ في كتابِه، كما هُو حاصلٌ مع صاحب الشبهَة هُنا، ونضربُ علىٰ ارتجاليّة يحيىٰ بن الحسين في تاريخه، أمثلةً منهَا :

١ -قال في حقّ الإمام الحسن بن أحمد الجَلال : «وكَانَ يَدَّعِي الاجتهَاد، وأنّه تَرَجَّحَ لَه مَذهبُ دَاود الظّاهِري، ويُعوِّل عَليه فِي أقوالِه فِي الأصُول والفُروع، ويَقول: إنَّ الإجمَاع ليسَ بِحجّة، ويَقولُ بالمُتعَة مُوافَقةً للرافِضَة الإماميّة، ولا يَحتجّ بالآحَاد مُوافقةً للقَاشَاني وإنْ صحَّ بالإسنَاد، ولا يحتجُّ إلاَّ بالمُتواتِر ومَا لَم يَجِده فَبالبراءة الأصليّة، وقَال : إنّه عَلىٰ رأي ابن حزم في العمَل بالبَراءة، ولهُ أقوالٌ عَجيبَة، ونَوادرُ غَريبة فِيها ركّة، وإبَاحَةٌ، وَمُخَالَفةٌ لجمهُور الأمّة، وللإجمَاعَات المُنبَرِمة، فلا قوّة إلا بالله، ولو تَوقّفَ عَلىٰ مَذهَب دَاود نفسه لكَان أقلّ مِن تلك النّوادِر والمُخَالَفات، لكنّه خَرج عن أصل داود فِي مُوافقة الرّافضَة فِي المُتعَة، وفِي سبّ عثمَان رَضي الله عنه، وفِي مُوافقَة الخوارج فِي مَنصب الإمَامَة، فقَال: إنّها فِي جَميع النّاس عَربيّ وعَجَمي فِيها علىٰ سَواء، وإنّما يُشترَطُ فِيهم التّقوىٰ، وكَان يَرىٰ فِي خَلق الأفعَال مِثل قَول أهل السنة وثبوت الخُروج لأهل الكبائر من النار بالشّفَاعة، والرؤية، وكان لا يُكَفِّر بالإلزام كَما يَقول به مُحقّقوا علماء الإسلام» [1].

تعليق : وهذا من المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين ارتجالٌ في النّقل ليس يصحّ عن الإمام الحسن بن أحمد الجلال، وهُو الذي تدعيّه السلفيّة، ولا يصحّ وجهُ أكثرِه، وقد ردّ علىٰ

(١) بهجة الزمن.

صاحب بهجَة الزّمن، الأستاذ حسن عبدالله العمري، والعلامة محمد أحمد الجرافي، في كتابيهما(العَلاّمَة والمُجتهد المُطلَق الحَسن بن أحمدالجلال)، وكلامُ المُؤلِّفَين كان يخصّ ما أرّخَهُ صاحب المستطاب في ما يخصّ الحسن الجلال رحمه الله، فممّا قالَه صاحبَا الكتاب المذكور: «غَير أنّ ما يُلتَفَتُ إليهِ حَقّاً -ونحنُ في هَذا الصّدَد- أنْ نَجِدَ عالِماً جليلاً ومُؤرّخاً كبيراً، عُرِفَ بالنَّصَفَة(المَوضوعيّة)، واتِّساع الأفق معَ استكمالِه أسباب الاجتهَاد، هُوَ العلاّمَةالمؤرّخ يحيىٰ بن الحسين بن القاسم، حَفيدُ الإمام القاسم بن محمد، مُعاصِر الجَلال وصَديقُه، الذي وَقَفَ مِنَ الجلال -في ترجمَة له- مَوقِفاً أقلّ ما يُوصَفُ به،تَجَنٍّ وتَدليس في أقوال وآراء ليسَت ممّا يَذهبُ إليه الجلال ويَقول به» [1]، نعم! وهُنا أخي الباحث فلا يَبعُد حال صاحب شهارة يحيىٰ بن الحسين بن المؤيد بالله عن هذا .

٢- وقال في حقّ الحافظ محمّد بن إبراهيم الوزير : «وقد وافق السيد محمّد المذكور: الإمامية فِي مَسألة المُتعَة كمَا رُويَ عَنه» [المستطاب]، وهذا الجزمُ من المؤرّخ لحال الحافظ ابن الوزير لا يصحّ وجهُه، ولا تصحّ فيه الرّوايَة عنه رضي الله عنه .

الوجه الثّالث : أنْ تعلمَ أيضاً أنّه لم يسبِق أحدٌ من الأئمّة والعلماء، وعلىٰ رأسهِم الإمام النظّار الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله، الإشارة إلىٰ وجود أحاديث في المجموع الفقهي للإمام زيد بن علي عليه السلام، لم يُشِر إلىٰ وجود أحاديث تفيد التأمين [2] أو القول في الإرادَة والمشيئةَ بما يُخالفُ أو حتّىٰ يُوافقُ علىٰ الزيدية، فهذا أصلُه راجعٌ إلىٰ المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين ومَنْ أخبرَهُ بذلِك، فلا يوجَدُ لهذه الأخبار التي ادّعىٰ يحيىٰ بن الحسين بترَها أصلٌ في مسند الإمام زيد عليه السلام حتّىٰ يُدّعىٰ حذفُها وإسقاطُها، فافهَم ذلك، ولو كانَ لها وجود ما تورّع الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير عليه السلام في إيرادِها في كُتبه كما هُو

(١) العَلاّمَة والمُجتهد المُطلَق الحَسن بن أحمد الجلال، ص٥٦ .

(٢) وقد مرّ معكَ قريباً أنّ ابن الوَزير أشار إلىٰ التأمين من جَهة الدّعاء في القنوت في صلاة النّافلَة، وأنّها موقوفَة علىٰ أمير المؤمنين في المجموع الفقهيّ، وهذه الرواية موجودة في نسخ المجموع قبل عصر يحيىٰ بن الحسين الشهاري وبعد عصره، وليست تفيد مشروعية التأمين في الصلوات المفروضة، وحالُ وشأن هذه الرواية في التأمين الإثبات لا البَتر، وعليه فالمُراد من كلام يحيىٰ بن الحسين المؤرّخ غيرها، أو قد يكون الشّوكاني وهمها عنه، فتنبّه .

ظاهرٌ من حالِه من إبراز الروايات المُخالفَة للزيدية وطريقُها عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، هذا كلّه مع ما سبقَ يجعلُنا نستشفُ عدم صحّة ما أوردَهُ المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين، وادّعاه علىٰ صاحب شهارَة يحيىٰ بن الحسين بن المؤيد بالله .

الوجه الرّابع : أيضاً يجب أنْ تعلَم أنّ الإمام المهدي محمّد بن المطهّر (٦٦٠-٧٢٨هـ) قد شرحَ مجموع الفقه للإمام زيد بن علي، بكتابه (المنهاجُ الجَلي شرحُ مُسند الإمام زيد بن علي)، ولم يُشِر إلىٰ أي زيادات مُشابهَة لما ذكرَه المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين، بل هُو يشرحُ من المجموع ما أصلهُ موجودٌ بين أيدينَا اليوم، ولو كانَ هُناك زيادةٌ لأشارَ إليهَا الإمام المطهّر عليه السلام، وهُو السّابق لعصر الإمام يحيىٰ بن الحسين المؤرّخ بحوالَي ثلاثمائة سنة، فالأصل إذاً هُو عدم وجود أمثال تلكَ الزيادات من الأساس، وأنّ دعوَىٰ بتر هذه الزيادات دعوىً وهميّة، منشأه الارتجال و اعتمادُ يحيىٰ بن الحسين علىٰ ناقلِ الخبَر له، نعم! فهذاَ من الإمام المطهّر ما سبقَ من الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير يُؤصَّلُ أنّ دَعوىٰ الزيادَة والبتَر دعوىٰ لاصحّة لهَا .

الوجهُ الخامس : قولُ الشوكاني : «ورأيتُ بخطّ السيّد يحيىٰ بن الحسين المذكُورِ قَبله (صَاحب بهجَة الزّمَن) أنّ صاحِب الترجَمَة (يحيىٰ بن الحسين بن المؤيد) تَواطَأ هُو وتَلامِذَته عَلىٰ حَذف أبَوابٍ مِنَ (مَجموع زَيد بن عَلي)، وهُو مَا فِيه ذِكرُ الرّفع والضمّ والتّأمِين ونَحو ذَلك»، ومعلومُ من حال المسند أنّ الحديث الذي قد يكونُ مفادُه الضّم موجودٌ في نسخة المسند الموجودَة بين أيدينَا، فكيفَ يكونُ هُناك بترٌ للروايَة ؟! وكذلك الروايَة في ذمّ القدريّة موجودَة، وذَكرَ هاتين الرّوايتَين أعلام الزيدية ممّن هُم قبل المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين، ولكنّهم لم يذكروا غيرَهَا من أحاديث التأمين وإمامة قريش والمشيئة، وهُنا سؤالٌ موجّه لصاحب الشّبهة، إذ كيفَ توجدُ بين أيدينا في المسند روايات الضم -وهي لا تفيد الضّم بالمعنىٰ- وذمّ القدريّة وكذلك الرّفع، ثمّ يُشيرُ المُتقدّمون ليحيىٰ بن الحسين كالإمام ابن المطهّر والحافظ ابن الوزير إلىٰ هذه الروايات، وكذلك يُشير المتأخّرون عن يحيىٰ بن الحسين إلىٰ يوم النّاس هذا إلىٰ هذه الروّايات، ثمّ يأتي المؤرّخ

يحيىٰ بن الحسين فيقول أنّ هذه الروايات قد بترَهَا صاحب شهارة يحيىٰ بن الحسين بن المؤيد بالله، وبثّهَا نُسَخاً في البلاد، ليسَ هذا السؤال محلّ الشاهد، وإنّما السؤال : هل تلكَ الرّوايات التي ادّعىٰ يحيىٰ بن الحسين المؤرّخ بترَ صاحب شهارَة لها مثل التأمين والمشيئة والاستطاعة وأمثالِها قد غابَ عن السّابقينَ لعصرِه، والمتأخّرين عن عصِره، وجههما من المُسنَد، واتّفقوا علىٰ عدم إثباتِها، لماذا لا نقولُ أنّ النّاقل لهذه المعلومَة قد اعتمدَ دسّ هذه الروايات في إمامة قريش والمشيئة والاستطاعَة لتُصبِحَ بنقل يحيىٰ بن الحسين لهَا وتدوينها في تاريخه عُمدةً تُلبِّسُ علىٰ النّاس أمرَ دينِهم، وتُشكّكهُم في أصلِها من المسند الصحيح؟!، ولماذا لا نَقولُ أنّ المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين قد توهّم هذه الحكاية كلّها علىٰ العلاّمة يحيىٰ بن الحسين الشّهاري كما توهّمَ علىٰ الجّلال وابن الوزير سابقاً، فالشّواهِد لا تُسعفُ إلاّ تقويَة احتمالات البَتر؛ لأنّها (الشّواهد) في نتيجتها تسيرُ بنا إلىٰ إثبَات الوَهم أو الكَذِب ممّن نقلَ ليحيىٰ بن الحسين هذا الكَلام.

الوجه السّادس : أنْ تعلَم أخي الباحث أنّ صاحبَ شهارَة هذا المُدّعىٰ عليه من الشوكاني المعتمِد علىٰ خطّ يحيىٰ بن الحسين المؤرّخ، المُدّعىٰ عليه بتر أحاديث الضمّ! كان يرىٰ وضع اليمين علىٰ الشّمال تحت السرّة في الصلاة، فيكفَ يَعمدُ إلىٰ بتر أحاديث الضّم وهو يقولُ بالضمّ ؟!، ذكرَ هذه الهيئة عنه في الصلاة ابنه يوسف بن يحيىٰ بن الحسين في كتابه [نسمَة السّحر : ٣/ ٣٢٧]، نعم! كلّ هذا يدلّ علىٰ ارتجاليّة كلام المؤرّخ، ونقلِه بغير تثبّت، وهو في مُجمله قرينةٌ علىٰ أنّ الحاصل العِكس، وهُو المُحاولَة بهذا الإيهَام إدخالُ ماليس في المُسند؛ ليكونَ أصلاً في المُسنَد كالإمامة في جميع قريش وما إليه، وهذه أبعدُها عن الصحّة بفراسِخ .

الوجهُ السابع : أنّ الإمام يحيىٰ بن الحسين المؤرّخ قد كانَ بوسعِه أنْ يُدرجَ مضمون تلكَ الأحاديث في تاريخِه (بهجة الزمن) عندمَا أشارَ إلىٰ البَتر الحاصل من صاحب شهارَة، ولكنّ هذا لم يكُن منه رحمه الله تعالىٰ مع أنّه واجبٌ أنْ يكون مُطّلعٌ علىٰ المسند أكثر من غيره، خصوصاً وأنّه يُؤثرُ أنّ لهُ جزءاً في شرح المجموع، ولكنّه لم يُشِر لّما لم يكُن هُناك ما يُشارُ إليه من أصلِه .

الوجهُ الثّامن : أنّه لم يُؤثَر عن الإمام زيد بن علي عليه السلام قولٌ في إثبات التأمين في مسانيد الزيدية الحديثيّة، لا في أمالي أحمد بن عيسى، ولا في شرح التجريد، ولا في الجامع للشريف العلوي، وأكثرُ حديثه عليه السلام منقولٌ مزبورٌ في هذه الأمّهات، ومعَ ذلك لم يرِد فيها ذكرٌ للتأمين عنه عليه السلام، وهذا يؤيّد قولَنا بعدم حصول الزيادَة حتّى يحصُل البَتر من أساسِه، وأنّ هذه دعوى ليس لها أساس .

الوجهُ التّاسع : أنّ هذا قد يُحمَل من كلامِ الأقرانِ في بعضهِم البعض، وذهبَ بعض العلماء إلى عدم اعتبارِ هذا النّوع من الانتقاد .

الوجه العاشِر : وفيه الخُلاصَة، وفيه اعلَم أنّه لم يُورِد تلكَ الروايات المدّعى بترُها أحدٌ ممّن شرحَ المجموع من المتقدّمين لعصر المؤرّخ يحيى بن الحسين، كالإمام ابن المطهّر، وكذلك الإمام محمد بن إبراهيم الوزير، وغيرِهما كالإمام عز الدين بن الحسن عليه السلام، أيضاً نقلُ المتأخّرين لعصر المؤرّخ يحيى بن الحسين يتنافَى مع ما أوردَه من وجود زيادات بُتِرَتْ، ويتوافقُ معَ ما نقلَهُ المُتقدّمون من أصل المُسند ونُسَخِه، أيضاً لو كانَ لهذه الزيادات المُدّعى بترُها أصلٌ لما غابَ أصلُها عن أمّهات المسانيد الحديثيّة الزيدية التي تناولَت أكثرَ ما جاء في المجموع الفقهي نقلاً وروايَة وتخريجاً وفقهاً، أيضاً لا يوجدُ مُستندٌ قويّ للمؤرّخ في إثبات هذه الدّعوى مع ما سبَق إلاّ إحسانُ الظنّ فيمَن نقلَ له الخبَر، أو نفسِه إن كانَ هُو مصدرُ الخبَر، ولا شواهدَ تقويّه، ولا يُعتمدُ على ما هذا حالُه في النّقل، لإجماع المُتقدّمين والمتأخرين على نسخَة واحدَة للمجوع لم يحصُل له زيادة ولا نُقصَان، ثمّ يدّعي شخصٌ واحدٌ حصول بترٍ لا يوجد أصلٌ له البتّة، ونقلَ هذا عنهُ المُتأخّرون كالشوكاني، والعجيبُ أنّهم جعلوا هذا من المُسلّمات القطعيّات التي لا تحتملُ النّقاش، أيضاً لا يُستبعدُ في الموضوع أن يكونُ وُجِدَ نُسخَةٌ عُرِضَت على يحيى بن الحسين فيها زياداتٌ مدسوسَة تُخالفُ على مافي أيدي المتقدّمين والمُعاصرينَ له من النّسخ، ثمّ قيلَ ليحيى بن الحسين هذا أصلُ المُسنَد، وصاحب شهارةَ سعَى إلى بترِ هذه الأحاديث -التي أصلُها مدسوس-، وأمرَ ببثّ النُسَخ إلى النّاس، فاعتمدَ على هذه النسخة يحيى بن

الحسين، وبنَىٰ عليهَا قولَه، ويكونُ أصلُها هُو ما وصلَ إلىٰ أبي العبّاس صاحب التتمّة، علىٰ أنّه ينبغي التنبّه إلىٰ أنّ هذه النسخَة التي وصلَت إلىٰ أبي العبّاس لم تلقَ رواجاً عند علماء الزيدية المُحقّقين فلم يعتمدوا عليها، لعلّ مرجعَ ذلك هُو فطنتَهُم لضعفِها، وضعفِ الاعتماد عليهَا، ولا أدلّ عليه إلاّ عدم اعتماد أو إثبات القاضي السيّاغي صاحب الروض النّضير علىٰ هذه النّسخَة، وإنّما اعتمدَ علىٰ نُسَخ المُتقدّمين وشرحِهم عليهَا كالإمام ابن المطهّر عليه السلام، وهُو السيّاغي الذي امتدَحَه الشّوكاني وامتدحَ علمَه بما لا مزيدَ عليه.

نعم! فممّا سبقَ يظهرُ لكَ أخي الباحث أنّ دعوىٰ البتر من المسند دعوىٰ غير صحيحَة يفضحُها التاريخ والحديث، وهي في الأصل دعوىٰ يُرادُ من إثباتُ ما ليس في المُسند ليُصبحَ منَ المُسنَد، ولكن بطريقَة ذكيّة وعكسيّة، إنْ صحّت الحكايَةُ من أصلِها، وقد وقعَ في لُجاج مُتغطمطِها الباحثون عن روائح الأعذار، للتمسّك بأيّ قشّة تهدمُ قولَ أهل البيت عليهم السلام، وهذا عنهُم بعيد؛ لأنّه لا يُزادُ علىٰ الحقّ، ولو قُلتَ لذلكَ المخالف أنّه يوجدُ دسّ في كتاب الإمام يحيىٰ بن حمزة (الرّسالَة الوازعة في الذّب عن الصحابَة)، لأقام الدّنيا ولم يُقعِدها نافياً لصحّة الدسّ، مُستدلاً بنقل المتقدّمين والمتأخّرين لها دون الإشارَة إلىٰ هذا، وذلكَ لمّا وافقَت هواه من نقل الإمام عليه السلام لبعض الأقوال التي تؤيّد قولَ المُخالِف، نقولُ هذا لتعرِف أخي الباحث أنّ الإنصافَ في ورطَة كبيرَة، وأنّ الحُبّ يُعمِي ويُصمّ .

وقد كانَ هناك اعتراضٌ تضمنّه التّفصيل التّالي :

التّوضيح الأوّل : أنّه لا يضرّ أصلَ المسألَة (وجود البتر من عدمِه)، إنْ كانَ يُنسبُ إلىٰ أبي العباس صاحب التتمة من السيد مجد الدين المؤيدي، أو من شخص الكاظم، خصوصاً بعد الوقوف -بالاتفاق- علىٰ أنّ مصدرَ هذه المعلومَة (وجود البتر) هُو المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين وذلك في كتابه بهجَة الزّمن، فلا طائلَ من مُناقشَة هذا .

التّوضيح الثّاني : أنْ يكونَ هُناك إجماعٌ من المصادر الحديثيّة والتاريخيّة، وكُتب

الخِلاف والرّدود، التي سبقَت عصرَ يحيى بن الحسين صاحب بهجَة الزّمن، المولود عام (١٠٣٥هـ)، والمتوفّى عام (١١٠٠هـ)، على ألاّ يَذكُروا رواياتٍ تُفيدُ معنى (ما بُتِرَ من المجموع) على حدّ قول المؤرّخ يحيى بن الحسين، فإنّ هذا مُستحيل، ويجعلُ كلام أو نَقل المؤرّخ يحيى بن الحسين غير صامدٍ ولا موثوقٍ به، خصوصاً في مسألَة قرشيّة الخلافَة عند نشوان الحميَري (ت٥٧٣هـ)، وهُو الذي أثرَ عنه رأيٌ مخالفٌ للزيدية في هذا، ولو وقفَ على روايَة للإمام زيد بن علي عليه السلام في هذا المَعنى من مُسندِه أو من طريقٍ أخرى زيديّة روائيّة ما تورّعَ عن نقلِها والاحتجاج بِها، كذلكَ ما دار من الحوارات الكثيرَة المُتلاطمَة حول مسألَة الإمامة مع الإمام عز الدّين بن الحسن (ت٩٠٠هـ)، والفقيه علي بن محمد البكري (ت٨٨٢هـ).

إن قيلَ : وما يُدريكُم أنّه لم يُذكَر أصلٌ لَما ادّعَاه يحيى بن الحسين المؤرّخ من الروايات المبتور أصلُها من المُسنَد؟ ما يُدريكُم أنْ يكون ذُكِرَ أصلُها في مخطوطات الزيدية التي لم تُطبَع بعَد؟ .

قُلنَا : نُجيبُكم على هذا بقولِنا : إنّ أمّهات المسانيد الحديثية عن الإمام زيد بن علي عليه السلام، كأمالي أحمد بن عيسى (ت٢٤٠هـ)، والجامع لعلوم آل محمّد للشريف العلوي (ت٤٤٥هـ)، وشرح التجريد للإمام أحمد بن الحسين الهاروني (ت٤١١هـ)، وأمالي أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني (ت٤٢٤هـ)، وأمالي المرشد بالله الإثنينية والخميسية للإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري (ت٤٧٩هـ)، وكذلكَ الانتصار على علماء الأمصار للإمام يحيى بن حمزة (ت٧٤٩هـ)، والبحر الزخّار للإمام أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ)، والعواصم والقواصم للحافظ محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ)، والاعتصام بحبل الله المتين للإمام القاسم بن محمد (ت١٠٢٩هـ) وكتبه العقائديّة كالأساس لعقائد الأكياس وغيرها، **نعم!** هذه وغيرُها من المجاميع للأئمة كمجاميع الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام، وجاري تحقيق مجموع كتب ورسائل الإمام عز الدين بن الحسن عليه السلام، وكذلك المنهاج الجلي شرح مسند زيد بن علي للإمام محمد بن المطهّر (ت٧٢٨هـ)، هذه أمّهاتٌ من كتب الزيدية مطبوعَة ولله الحمَد، سهلٌ الوصول

إليهَا، كلّ أصحابِها أجمعوا علىٰ عدم إيرادِ روايَةً واحدَة ممّا ادّعىٰ المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين بترَه من المُسنَد ! وهُم المُتقدّمون علىٰ عصر المؤرّخ ! لعلّ هذه من العلامة المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين اعتمادٌ علىٰ غير مُعتمَد، أو لسنَا نقولُ بأنّه تعمّد هذا، ولكن لعلّهُ دُلِّس عليه بنسخَة زِيدَ فيها تلك الروايات، فأحسنَ الظنّ فيها المؤرّخ، والله المُستعان، **سلّمنَا**، فإنّ المُخالِفَ علىٰ الزيدية المُتصيّد لأمثال هذه الروايات من المتقدّمين أمثال الحافظ ابن الوزير، والمَقبَلي، والجلال، وابن الأمير الصّنعاني، والشّوكَاني، لم يقفوا من خلال مُطالعتِهم لمخطوطات الزيدية، وهُم الخُبرَاء علىٰ ما يُفيدُ هذا البَتر أو يُقوّي دعائمَه، فلم ينقلُوا من كُتبُ وروايات المُتقدّمين لعصر المؤرّخ أو حتّىٰ ينسبوا للمُسنَد من أقوال الإمام زيد بن علي روايات تُخالفُ علىٰ المُسنَد الموجود بين أيدينَا.

التّوضيح الثّالث : أنّ المُصرَّ علىٰ حصول البَتر في المُسنَد، بتصديقِه كلام شخصٍ واحِد ليس بمعصوم!، وتكذيبِه لكلام جماعَة من أهل العِلم، تفرّقوا في البلاد اليمن وغيرِها كالجيل والديلم والكوفة، لم يُؤثَر عنُهم ما يُثبتُ هذه الدّعوىٰ، **نعم!** تصديقُ هذا القَول وجعلِه حَاكَماً قاطعاً غير قابلٍ للجَدل، بعذرِ أنّ شرح مسند الإمام زيد بن علي المُسمّىٰ بالمنهاج الجلي للإمام محمد بن المطهّر السّابق لعصر المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين بحوالي ثلاثمائة سنَة، قد نالُه هُو الآخَر الطّمس من صاحب شهارَة يحيىٰ بن الحسين بن المؤيد، كلامٌ فيه مُبالغَة؛ لأنّ المُخالِفَ المُصرّ علىٰ هذا القَول سيتدرّج في القَول وسيقول: إنّ صاحب شهارَة جمع جميع مؤلّفات الزيدية في مَسجدِه، وقامَ ينظرُ منهُم من أدرجَ هذه الروايات عن الإمام زيد بن علي عليه السلام ثم يمَحوها!، وهذا مُستحيلٌ؛ لأنّه لا طاقَةُ له بهذا، وكذلكَ فإنّ الجماعَة من أهل العلم والورَع لن تتّفقَ وتتواطأَ معَه علىٰ هذا الفعل الشّنيع أعاذَه الله منه، **فقولُنا** : إنّ صاحب شهارَة جمعَ جميع نسخ المجموع من عند العلماء والمحقّقين والعُبّاد، وطلبَ أن يُعطوهُ نُسَخَهُم لكي يمَحوا ويبتُرَ منها الرّوايات التي أشارَ إليها يحيىٰ بن الحسين المؤرّخ هذا فيه بُعدٌ وتكلّفٌ ظاهِر، حتّىٰ وإنْ قيلَ أنّ صاحبَ شهارَة ابتدأ هذا ببتر الروايات من نسخَة واحدَة من المسنَد ثمّ أمرَ بنسخِها عدّة نُسخ وتوزيعِها، فإنّ هذا سيجعلُها تتعارضُ مع النّسخ الموجودَة لدىٰ العُلماء المُعاصرين له وهُم كُثر، وكان ذلكَ (التناقض) سيظهرُ لنَا اليَوم، ولكنّه حصلَ العَكس فإنّ أكثر الباحثين من أقصَىٰ الأرض

وأدناهَا لم يقفوا على تناقُض في نُسخ المجموع الفقهيّ والحديثيّ على اختلاف تواريخ نسخِه، واختلافِ أصحابِه وبلادِهِم من اليمن، حتّى قالَ الباحث من جامعَة السّودان علي محمّد الأشموري أسعدَهُ الله تعالى في كتابِه (الآراء الفِقهيّة للإمام زيد بن علي) مُتحدثاً عن خبَر قرشيّة الإمامَة المدّعى البَتر من قِبَل صاحب بهجة الزّمن على الإمام زيد بن علي عليه السلام، قال: «روى العلاّمَة عبّاس بن أحمد بن إبراهيم في تتمّته للروض النضير، أنّ الإمام زيداً قال عن الإمامَة : «هِيَ في جميع قُريش، ولا تَنعقِدُ الإمامة إلاّ ببيعَة المُسلمين، فإذا بايَعَ المُسلمون، وكانَ الإمام برّاً تقيّاً عالماً بالحلال والحرام فقَد وجَبَتْ طاعَتُه على المُسلمين».

ومِن خلال هذا الرّأي يُوافِقُ الإمام زَيد الجُمهور، بِجعل محلّ الخِلافَة في قُريش، (تأمّل) وعِندَ الرّجوع إلى الكُتُبِ المَطبوعَة لمُسند الإمام زيد، لَم أجِد هذا الرّأي مُطلقاً، ولِهذا رأيتُ أنّي مُلزمٌ بالرّجوع إلى الأصول من المَخطوطَات للتّأكّد مِن ثبوتِ هذا القَول، فاتَّجَهتُ إلى الجِهَة المُختصّة لِحفظِ المخطُوطَات، وهي مَكتبَة الجامِع الكَبير بِصنعاء التّابِعَة لوزارَة الأوقاف، وبَحَثْتُ في أربَع عَشرة مَخطوطَة، وهِيَ النُّسَخ المُتوفِّرَة بالمَكتبَة، وتَمَّ فَحْصُهَا فَحصَ الصَّيرَفِيِّ للذَّهَب، ولَم أجِد ذلِكَ القَول! . إضافَةً إلى مَخطُوطَتَين في مَكتباتٍ خاصّة، عِندَ ذلكَ ذَهبتُ إلى أولادِ المُؤلِّف طَلَبتُ منهُم الاطّلاع على الأصل التي نَقَل منها المُؤلِّف، وبَقيتُ أتردَّدُ عليهِم لِفَترَةٍ زمنيّةٍ طَويلَة دونَ تَجاوُب، بحجّة أنّهُم لا يَعرفُونَ مصيرَ النّسخة التي نَقلَ منهَا والِدُهُم، ثمّ اتّجَهتُ إلى العُلماء أستَبينُ منهُم، فتردَّدتُ على كثيرٍ منهُم، كانَ آخرُهُم القاضي العلاّمَة محمد الجرافي رئيس دار الإفتاء في الدّيار اليَمنيّة المحروسَة بالكتاب والسنّة؛ لِكونِهِ على صِلَةٍ بالمؤلِّف، فأفَادَني أنّهُ لا عِلمَ لهُ بِها. وكانَ قَد جَرى حِوارٌ حولَ هذا الرّأي بينَ حياةِ المؤلِّف والعلاّمَة مُفتي الدّيار اليَمنيّة سابقاً مجد الدين المؤيّدي –مَدَّ الله في عُمُرِه– أفادَ المُؤلِّفُ أنّهُ وَجده في مَخطوطَة يَملِكُها، إلاَّ أنَّ هذا الرّأي لو كانَ لهُ وجودٌ فِعلاً، لَمَا خَفِيَ على كَثيرٍ مِمَّن كَتَبَ وألَّف، وخاصَّة المُجتهِدين ممّن شَاعَ ذِكرُهم كالمؤيّد بالله، والإمام يحيى بن حَمزَة، والمُرتضى، وابن الوَزير، والجَلال، وابن الأمير، والشّوكاني، وغيرهم، حيث أنّ هذا المَوضوع كانَ ساخِناً في

أزمِنَتِهِم»[1]، وعليه أخي الباحث المُنصِف فإنّ إلصاق هذه الدّعوىٰ (البَتر) بالمُسند دعوىٰ غير صحيحة ولا ترتكزُ علىٰ أساسات متينَة، ولولا حبّ البيَان لَما سوّدنَا هذه الصفحات بمزيدٍ من الاهتمام، علىٰ أنّه بأيدينَا نُسَخَة حاصلَة للمنهَاج الجليّ يعودُ تاريخها لعام (١٠٨١هـ)، أي قبلَ وفاة المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين المؤرّخ بتسعَة عشرَ عاماً، وقبلَ وفاة صاحب شهارَة بتسعة أعوام، وهي خاليَةٌ تماماً ممّا ادّعاهُ المؤرّخ يحيىٰ بن الحسين من البَتر، وتوجَد نُسَخٌ تعودُ إلىٰ عام (١٠٠٩هـ) بترتيب الإمام القاسم بن محمّد (ت١٠٢٩هـ)، ونُسخٌ أيضاً تعودُ إلىٰ تاريخ المؤلّف محمد بن المطهّر، وكلّ من تكلّم عن المنهاج الجليّ يجزمُ بعدم وجود الروايات المُدعّىٰ بترَها في نُسَخه.

واعلَم أخي الباحث أنّ هذا الإلتْواء من المُصرّين علىٰ تشويه المُسنَد وإفقادهِ لثقَله الذي توارثَه أهل البيت عليهم السلام من زمنِ الإمام زيد بن علي عليه السلام إلىٰ يوم النّاس هذا بالاهتمام والصيانَة والدّرس والتدريس والشّرح والاحتجاج، أنّ هؤلاء المصرّين علىٰ دعاوي البَتر فيه بلجوئِهم إلىٰ دَعوىٰ البَتر حتّىٰ من الشروحات للمسنَد فإنّهم يُبيّنونَ مدىٰ تكلّفهِم؛ لأنّه لم يستقِم قولُهم في بتر ما بالمُسنَد، حتّىٰ يستقيمَ لهُم بترُ شرحِ الأئمّة عليه، أضِفْ إلىٰ ذلكَ أنّهم قدَحوا بهذا القول علىٰ جماعَة عظيمَة من علماء الزيدية باليمن وأنّهم تواطئوا علىٰ هذا، وهذا بعيدٌ كلّ البُعد، فأمسِك علىٰ هذا وشُدَّ عليه، وما دَعواهُم علىٰ أئمّة أهل البيت بالتأثّر بالمعتزلة ببعيدٍ مضمونُها من هذا، والجامعُ لهذه وتلك فصلُ سلسلَة الخَلف عن السّلف، لمّا لم يكُن من أقوال الشيعة ما يصمدُ في المُتابعَة لأهل البيت رجالاً وإسناداً واتّباعاً وعلوماً واعتدالاً ووسطيّةً إلاّ قولُ الزيدية، والحمدُ لله . سلّمنَا، فإنّي أوجبُ عليكُم أخي في الله من كتابٍ تاريخيّ سنؤلّفهُ قريباً، نذكرُ فيه أنّ نسخَة صحيح البخاري محرّفةٌ مبتورٌ منها بابٌ كامل في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وسأقولُ لكَ: إنّ الذي سعَىٰ في بترِ هذا منها هُو فلانٌ من النّاس، وواجبُ عليكَ أنْ تُصدِّقني عصمةً لكلامِي! دوناً عن شرّاح صحيح البخاري، وكلّ مَن اقتبسَ من هذا الصحيح واحتجّ بما فيه بما يثبتُ بعدم وجود أصل هذا الباب المُدّعىٰ البَتر فيه، وستقولُ رغماً عنك

(١) الآراء الفقهيّة للإمام زيد بن علي في المُعاملات والأحوال الشخصيّة والوِلايَة: ٥٨٧-٥٨٨.

أنّ جميع هؤلاء العلماء قد تواطئوا على عدم إظهار هذا الباب في إمامة أمير المؤمنين، وستسعنَى لتصحيح هذا القَول -أعني صحّة وجود البتر في صحيح البخاري-، تماماً كما حصلَ معكَ من الاجتهاد إلى حد الاستماتَة والاستقتَال على أنّ جميع علماء الزيدية عدَا يحيى بن الحسين المؤرّخ وأبي العبّاس صاحب التتمّة مُتواطئون في البَتر!، حقّاً أخي الباحِث، لا مزيدَ على هذَا، وصدقَ الأوّل عندما قال :

وليسَ يصحّ في الأذَهان شيءٌ إذا احتاجَ النّهارُ إلى دليلٍ

التّوضيح الرّابع: أنّ العلماء في عهد الإمام المنصور بالله القاسم بن محمّد (ت١٠٢٩هـ) قد كلّفوا أنفُسَهُم النّظر في الروايات المُتشابهَة التي ظاهرُها مُخالفَة مذهب أهل البيت عليهم السلام، والتي طريقُها المُتقّدمون من أهل البيت عليهم السلام، كالإمام زيد بن علي عليه السلام، والإمام أحمد بن عيسى، والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد، وغيرِهِم، فأجابَ عنهُم الإمام المنصور بالله القاسم بن محمّد بكتابِه (جواب السّؤالات الصنعانيّة عن الاختلافات العقائديّة)، ومعَ ذلكَ لم يذكُر العُلماء أيّاً ممّا احتواه المُسند من المخالفات العقائديّة في المشيئة أو غيرِها عن الإمام زيد بن علي عليه السلام، ولو وقفُوا على ذلكَ منه لما تورّعوا في سؤالِ الإمام عنه، وكيفَ لا يسألونَ والمُسندُ عمدةٌ من عُمَد المذهب الزيديّ صانَهُ الله وشرّفه من مَحقِ الماحقِين، والمنصور بالله القاسم بن محمّد هُو جدّ المؤرّخ يحيى بن الحسين صاحب بهجَة الزّمن سابقٌ لعصرِه كما ترَى .

نعم! وبهذا وما مضَى نصلّي ونسلّم على سيّدنا محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

٢٢/ ٢/ ١٤٣٠هـ

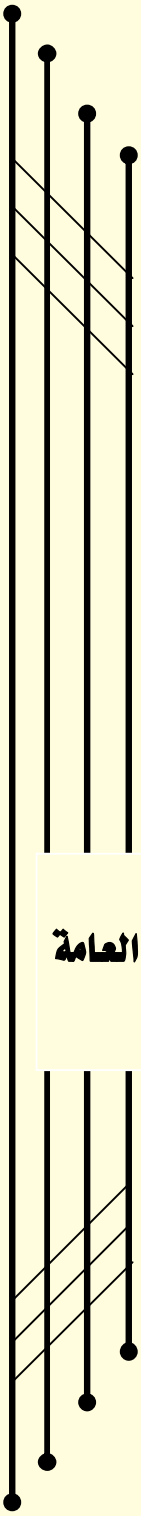

الفهارس العامة

فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
البقرة		
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ	٢٧٥	٣٥٦
أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي	١٣٣	٢٨٧
لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا الاَّ وُسْعَهَا لَهَا	٢٨٦	٩٢
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيْمُ القَوَاعِدَ مِنْ البَيْتِ وَإِسْمَاعِيْلُ ربنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيْعُ العَلِيْمُ ربنا وَاْجْعَلْنَا مُسْلِمَيْن لَكَ وَمِنْ ذُرِيتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ربنا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِنْهُمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيْهِم إِنَّكَ أَنتَ العَزِيْزُ الحَكِيْمُ	١٢٧-١٢٩	٤٢١
وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ	٢٨٢	١٩
آل عمران		
إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ	٥٥	٣٠٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَرَافِعُكَ الَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذِينَ كَفَرُواْ		
إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ الَيَّ	٥٥	٣٠٣، ٣٠٤
إِنَّ الذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ	٧٧	٣٥٣
إِنَّ الذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ	٧٧	٣٦١
إِنَّ الذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً	٧٧	٣٥٧
إِنَّ اللهّ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوْحاً وَآلَ إِبْرَاهِيْمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِيْنَ ذُرِيةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ	٣٣	٤٢١
أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ اليْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ اليمٌ	٧٧	٣٦١
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً	١٩١	٦٢
قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ	٣١	٣٦١

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ		
لَن تَنَالُواْ البِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ	٩٢	١٥٥
وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّـهَ بِهِ عَلِيمٌ		
وَاتَّقُواْ النَّارَ التِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ	١٣١	٣٦٦
وَاتَّقُواْ النَّارَ التِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، وَأَطِيعُواْ اللَّـهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	١٣١	٣٦٧
وَاتَّقُواْ النَّارَ التِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، وَأَطِيعُواْ اللَّـهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، وَسَارِعُواْ الى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّـهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	١٣١-١٣٦	٣٦٧
وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ	٧	٣٢٩
وَجَاعِلُ الذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الذِينَ كَفَرُواْ الى يَوْمِ القِيَامَةِ	٥٥	٣٠٣
وَرَافِعُكَ الَيَّ	٥٥	٣٠٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَسَارِعُواْ الى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ	١٣٣	٣٦٧
وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ الى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ	١٠٤	١٤١
وَمَا يَعْلَمُ تَأويله الا اللَّهَ والرّاسِخونَ فِي العِلم	٧	٢٧٦
يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ اليَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذِينَ كَفَرُواْ	٥٥	٣٠٣
النساء		
أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا	٨٢	٢٦٧
أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ	٥٤	١٨٨
إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا	٣١	٣٥١
لاَّ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ	٩٥	١٧٣
لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ	١٢٣	٣٥٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
الكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ		
وَغَضِبَ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَـدَّ لَـهُ عَذَابًا عَظِيمًا	٩٣	٣٦٢
وَمَن يَعْـصِ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ وَيَتَعَـدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَـا وَلَـهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ	١٤	٣٦٨
وَمَن يَعْـصِ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ وَيَتَعَـدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا	١٤	٣٦٦
وَمَن يَقْتُـلْ مُؤْمِنًـا مُّتَعَمِّـدًا فَجَـزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا	٩٣	٣٦٢، ٣٦٧، ٣٦٨
المائدة		
بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء	٦٤	٣١٣، ٣٢٠، ٣٤٢
بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ	٦٤	٣٠٨، ٣١٩، ٣٢٧، ٣٤٠
غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء	٦٤	٣٣٤
وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاء اللَّـهِ وَأَحِبَّـاؤُهُ قُـلْ فَلِـمَ يُعَـذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم	١٨	٣٦٥
الأنعام		
اللَّـهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ	١٢٤	٤٢٢
قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِين	٥٦	١٩٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ	١٥٣	٢٣٧
ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ	١٦٤	٣٧٩
وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ	١٨	٣٠٨
الأعراف		
قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ	١٥٦	٣٦٠
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ	١٥٦	٣٤٨
وَقَالَ المَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ	١٢٧	٣٠٨
وَهُوَ الذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ	٥٧	٣٤٠
الأنفال		
وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ	٤٦	١٣٠
وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الذِينَ كَفَرُواْ المَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الحَرِيقِ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ	٥٠-٥١	٣٣٨
يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ	٢٠	٣٦٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ		
يا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ	٢٩	٣٤٨
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ	٧٠	٣٠٦
التوبة		
إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ	١١،١١٢	١٦١، ١٨٢
فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ	١٢٢	١٣٢
قَاتِلُواْ الذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الكُفَّارِ	١٢٣	١١٠
هود		
وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ	٣٧	٣٢٠
وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا	٣٧	٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٤٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
يوسف		
إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	٢	٣٢٠
وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ التِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ	٨٢	٣٣٦
الرعد		
وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَاد	٣٣	٣٤٢
إبراهيم		
يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ	٢٧	٣٦٥
النحل		
فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون	٤٣	٣٣٧
يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ	٥٠	٣٠٨
الكهف		
فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا	١١٠	٣٧٢
مريم		
أَوَلا يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً	٦٧	٩٢
طه		
إِنَّا قَدْ أُوحِيَ الِيْنَا أَنَّ العَذَابَ عَلَى مَن	٤٨	٣٦٨، ٣٦٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ		
فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إسرائيل وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ	٤٧-٤٨	٣٦٨
فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ، قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ	٦٧-٦٨	٣٠١
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا	١١٠	٣٣٣
الحج		
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ	٣٩	٢١٠، ٢١١
ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ	١٠	٣٣٨
يَا أَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوْا ارْكَعُوْا وَاسْجُدُوْا وَاعْبُدُوْا ربكُمْ وَافْعَلُوْا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ وَجَاهِدُوْا فِيْ اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوْ اْجْتَبَاكُمْ وَمَاجَعَلَ عَلَيْكُمْ فِيْ الدِّيْنِ مَنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيْكُمْ إِبْرَاهِيْمَ هُوْ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ قَبْلُ وَفِيْ هَذَا لِيْكُوْنَ الرَّسُوْلُ شَهِيْداً عَلَيْكُمْ وَتَكُوْنُوْا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ	٧٧-٧٨	٤٢٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
فَأَقِيْمُوْا الصَّلاَةَ وَآتُوْا الزَّكَاْةَ وَاعْتَصِمُوْا بِاللَّهِ هُوْ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ المَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيْر		
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ	٥-٦	٩٢
المؤمنون		
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، الا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ، الذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	١-١١	٣٦٩
النور		
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ	٥٥	١٩٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
الفرقان		
وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّـهِ اهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التِي حَرَّمَ اللَّـهُ الا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ	٦٨-٧٠	٣٥١
وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا	٢٧،٢٨	٢٠٢
الشعراء		
عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ	١٩٤	٣٠٦
وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ	١٩٢	٣٠٦
وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ	١٩٢-١٩٣	٣٠٦
القصص		
وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ	٥	١٩٣
العنكبوت		
وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا	١٧	٦١
السجدة		
الذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ	٧	٦٢
الأحزاب		
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا	٣٣	٢١٠، ٢١١

الآية	رقم الآية	الصفحة
لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّـهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ	٢١	٤٠٨
وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّـهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا	٥٣	٣٤
فاطر		
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ	١٠	٣٠١، ٣٠٢
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ	١٠	٣٠٢
الصافات		
إِنِّي ذَاهِبٌ الى رَبِّي سَيَهْدِينِ	٩٩	٣٠٣
ص		
مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ	٧٥	٣١٤، ٣١٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢
الزمر		
يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّـهِ	٥٣	٣٥٧
غافر		
وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّار	٤٣	٣٥٧
يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ	٥٢	٢٠٣
فصلت		
لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ	٤٢	٣١٧، ٣١٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
لا يأتيهِ الباطلُ من بين يدَيه ولا مِن خلفِه	٤٢	٣٢٢
لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ	٤٢	٣٢٤
الشورىٰ		
قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا الا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَىٰ	٢٣	١٩٥
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ	١١	٩٤
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير	١١	٥٦، ٣٢٢
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ	١١	٣٣٧
الزخرف		
وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ	٢٨	٢٧٠، ٢٧٧
وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ	٨٤	٣٠٧
الفتح		
مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُوْنَ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِيْ النَّارِ	٢٦٠	٣٤٩
الحجرات		
يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا	٢	٢٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
أَصْـوَاتَكُمْ فَـوْقَ صَـوْتِ النَّبِـيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَـهُ بِـالْقَوْلِ كَجَهْـرِ بَعْـضِكُمْ لِبَعْضٍ		
يَا أَيُّهَـا الـذِينَ آمَنُـوا لَا تُقَـدِّمُوا بَـيْنَ يَدَيِ اللَّـهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُـوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	١	٣٣٩
الذاريات		
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ	٥٤	٢٣٣
الطور		
فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا	٤٨	٣٢٧
وَالَّـذِينَ آمَنُـوا وَاتَّبَعَـتْهُمْ ذُرِّيَّـتُهُم بِـإِيمَانٍ	٢١	١٣١
الحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا التْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ		
النجم		
إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ	٤	٣٥٦
وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ الاَّ مَا سَعَىٰ	٣٩	٩٢
وَمَـا يَنطِـقُ عَـنِ الْهَـوَىٰ، إِنْ هُـوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ	٣-٤	١٢٧
الرحمن		
وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَام	٢٧	٣٤٠
الواقعة		
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ	٧٤	٣٠١

الآية	رقم الآية	الصفحة
الحشر		
وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا	٧	٣٤٩
وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا	٧	٤٠٨
وَمَا أَفَاء اللَّـهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِـنْهُمْ فَـمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ	٦	٤٢
الملك		
أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُـمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ	١٦	٣٠٤، ٣٠٥
أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء	١٦	٣٠٤
القلم		
يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ	٤٢	٢٩٩، ٣١١
الأعلى		
الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ	٢-٣	٣٠١
سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى	١	٣٠٠، ٣٠١
الليل		
لَا يَصْلَاهَا الا الأَشْقَى، الذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى	١٥-١٦	٣٦٩
لَا يَصْلَاهَا الا الأَشْقَى، الذِي كَـذَّبَ وَتَـوَلَّى، وَسَـيُجَنَّبُهَا الأَتْقَـى، الـذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى	١٥-١٨	٣٧٠

فهرس الأحاديث

أَبْشِروا مَعشَر مَن حَضرَ مِنَ المُسلمِين، فإنَّكم أنصَارُ الله وأنصَارُ كِتَابِه، وأنْصَارُ رَسولِه -- ١٦١، ١٨١
إذا كَان أحَدكم يُصَلِّي فلا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ ، فإنَّ اللَّـهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صَلَّى -- ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠
إذا كان فقيهين عالمين فَأكبَرُهما وأقدَمُهما في الهِجرة ---------- ٤٢٠
الأعمال عند الله سبعةٌ: عَمَلانِ مُوجِبَان، وعَمَلان بأمثالهما، وعَملٌ بعشرَة أمثاله، وعملٌ بسبعمائةٍ - ٣٥٠
افترَض الله على عِبادِه خمسَ صَلوات ، فمَن جَاء بهنّ وأحسنَ وُضوءهنّ وأتمّ رُكوعهنّ ------ ٣٦٥
أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فلم تَعُدْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٩
أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ---------- ٢٩٩
إِنَّ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَطْعَمَ نَبِيًّا طُعْمَةً ثُمَّ قَبَضَهُ جَعَلَهُ لِلَّذِي يَقُومُ مِنْ بَعْدِهِ ---------- ٢٣
إِنَّ اللَّـهَ عز وجل أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ الا إِنَّ اللَّـهَ فَرَضَ فَرَائِضَ وَسَنَّ سننًا وَحَدَّ حدودًا --- ٣٦٢
إِنَّ اللَّـهَ عز وجل يقول يوم القِيَامَةِ يا بن آدَمَ مَرِضْتُ فلم تَعُدْنِي ، قال: يا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ ---- ٢٩١
إنّ اللَّـهَ قال مَن عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ---------- ٣٢٣
إنّ الله يَغضَبُ لِغَضَبِ فاطمة---------- ٣٣
إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّـهِ على مَنَابِرَ من نُورٍ عن يَمِينِ الرحمن عز وجل وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ -------- ٢٩٧
إنَّ من ادعى الى غير أبيه أو اِنتمى الى غير مَواليه فليتبوأ مقعده من النار ---------- ٢٠٢
إنَّا مَعَاشِرَ الأنبياء لا نُوَرِّث مَا تَركنَا فَهُو للمُسْلمِين ---------- ٢٥
إناَّ معاشر الأنبياء لانُورِّث ماتركناه صَدَقَةَ ---------- ٢٣، ٣٧٥
أنْتِ أوّل مَنْ يَلحَقُ بِي مِن أهل بَيتِي ---------- ٣٢
إنّمَا العِلمُ ثَلاثَة: آيَةٌ مُحكَمَةٌ، أو فَرِيضَةٌ عَادِلَة، أو سُنّةٌ قَائمَة ---------- ٢٧٦
إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ---------- ٢٢٠، ٢٧٣
إني تارك فيكم الثقلين لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي ------- ١٣٠
إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكّتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي ١٠٣، ١٢٧، ٢٦٩، ٣١٣، ٣٣٩

إنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا مِنْ بَعْدِي كِتَابَ الله وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ---------- ٢٧٧
إيّاكُم والزِّنا فَإنّ فِيه أربَع خِصال يُذهب البَهاء عَن الوَجه، ويَقطَع الرِّزق ، ويُسخِط الرّحمن ---- ٣٦٣
الإيمان يمان، والفتنة ها هنا، ها هُنَا يَطلع قرنُ الشيطان ---------- ١٠٢
الأئمة من قريش ---------- ٤١٨، ٤٢٠
أَيْنَ الله فَأَشَارَتْ الى السَّمَاءِ بِأُصْبُعِهَا. ---------- ٢٨٩
ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ الله اليْهِمْ يوم القِيَامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ اليمٌ رَجُلٌ كان له فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ فَمَنَعَهُ من بن السَّبِيلِ---------- ٣٥٦
جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية ---------- ١٠٢
ذَاكَ عِلْمٌ لا يَضُرُّ مَنْ جَهِلَهْ (تأمّل)، ولا يَنْفَعُ مَنْ عَلِمَه ---------- ٢٧٦
رَأيت اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي الى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَانْطَلَقْنَا حتى أَتَيْنَا على نَهَرٍ من دَمٍ ------ ٣٥٦
صِنفَان مِن أمّتي لا تنالُها شَفَاعَتي، سُلطان غَشوم ظَالم ---------- ٣٦٢
صِنْفَانِ من أُمَّتِي لَنْ تَنَالَهُمَا شَفَاعَتِي إِمَامٌ ظَلُومٌ وَكُلُّ غَالٍ مَارِقٍ ---------- ٣٦٣
علّموا أولادَكم لسَبع ---------- ٤٠٤
علي منّي بمنزلة هارون من موسى، الاّ أنه لا نبيّ بعدي ---------- ٢٦٢
غلظ القلوب والجفاء في المشرق والإيمان في أهل الحجاز ---------- ١٠٢
فأمّا المُوجِبَان: فمَن لَقِي الله تَعالَى يَعبُده مُخلصاً لا يُشرك به شَيئاً وجبَت لَه الجنّة ---------- ٣٥١
فِي الزِّنَا سِتٌّ خِصَالٍ: ثَلاثٌ فِي الدّنيا، وثَلاثٌ فِي الآخِرَة، فَأمّا التِي فِي الدّنيا فَإنّهَا تُذهِبُ البَهَاء--- ٣٥٣
قُمْ يا علي فَنَادِ إنه لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ الا الْمُؤْمِنُونَ ثَلَاثًا ---------- ٣٦٤
كَان برَجُلٍ جِرَاحٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَقال الله بَدَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَّمْتُ عليه الجَنَّةَ ---------- ٣٥٥
لَا نُورَثُ ما تَرَكْنَا صَدَقَةٌ---------- ٣٧٦
لا نُوَرِّثُ مَا تَركنَاهُ صَدَقَة ---------- ١٣
لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ ---------- ٣٦٣
لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ ---------- ٣٦٣
لا يدخُل الجنّة مُدمنُ خَمر ---------- ٣٥٨

لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ من لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ ---------- ٣٦٣
لا يزني الزّاني حينَ يزني وهُو مؤمن ---------- ٣٧١
لولا أن أشقّ على أمّتي لأمَرتُهم بالصّلاة هَذِه السَّاعَة---------- ٤٠٥
مَا زَالَ بكُم صَنيعُكم حتى ظَننتُ أنه سيُكتَبُ عليكُم ، فَعَليكُم بالصَّلاةِ في بُيوتِكم ----- ٣٩٠، ٣٩٩
مَا كانَ الله ليجمَعَ أمّتي عَلى ضَلالَة ---------- ٢٧٣
مَا مِن عَبْدٍ قَال: لَا الهَ الا الله ، ثُمَّ مَاتَ على ذلك الاَّ دَخَل الجَنَّةَ---------- ٣٥٨
ما مِن مَولود الاّ ويُولَد على الفطرَة فأبواه يهوّدانه أو يُنصّرانه أو يُمجّسانه ---------- ٢٦٨
ما نورَث ما تركناهُ صدقَة---------- ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨
مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرقَ وهوى ---------- ١٠٣
مَنِ ادَّعَى الى غَيْرِ أبيه وهو يَعْلَمُ فَالْجَنَّةُ عليه حَرَامٌ ---------- ٣٥٦
من تَرَدَّى من جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ في نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فيه خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا ---------- ٣٥٥
مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ في الدُّنْيَا ، ثُمَّ لم يَتُبْ منها حُرِمَهَا في الآخِرَةِ---------- ٣٥٨
مَنْ قام رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ---------- ٣٨٩
مَنْ قَرأ القُرآن فَاستظهَرَهُ وحَفِظَه أدخَلَه الله الجنّة ، وشَفّعَه في عَشَرة مِن أهل بيته ---------- ٣٤٨
مَنْ قَرأ مَائة مَرّة قُل هُو الله أحَد فِي دُبُر كلّ صَلاة مَكتوبَة جَاز الصِّرَاطَ وعَن يَمينه ثَمانية أذرُع --- ٣٥٢
مَن قعد فِي المَسجد فقد زَارَ الله تعالى ، وحَقّ عَلى المَزور إكرَام زَائِره ---------- ٣٠٤
مَن كُنتُ مولاه فعليٌّ مولاه ---------- ٢٦١
نحا بيده نحو اليمن – ثم قال -: الإيمان يمان، الإيمان يمان، الإيمان يمان، رأس الكفر المشرق -- ١٠٣
نَحنُ مَعَاشِرَ الأنبياء لا نُورِّث، مَا تَركنَاهُ صَدَقَة ---------- ١٩، ٢٢
هِمّة السُّفهَاء الرِّوايَة ، وَهِمّة العُلَمَاء الدِّرَايَة---------- ٢٨٨
والذي نَفسِي بِيدِه لقد ظَننتُ أنّكَ أوّل مَن يَسألُني عَن ذلك لِمَا رَأيت مِن حِرصِك عَلى العِلم --- ٣٥٠
ومَن صَام مِن رَجب إحدَى وَعشرين يَوماً شفعَ يَوم القيامة---------- ٣٥١
يَطْوِي الله عز وجل السَّمَاوَاتِ يوم القِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بيده اليُمْنَى ---------- ٢٩٨
يؤتي بِالْمَوْتِ يوم القِيَامَةِ كَبْشاً أَمْلَحَ فَيُقَالُ يا أَهْلَ الجَنَّةِ تَعْرِفُونَ هذا فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ مُشْفِقِينَ --- ٣٦٣

فهرس الأعلام

أبَان بن تغلب ----------١٧
إبراهيم النّخعي ----------٣٩٨،٤٠٣
إبراهيم النفس الرضيّة بن عبد الله المحض ---------- ١٠٧ ،١٥٤، ١٥٥،١٨٥ ،١٦٦
إبراهيم بن الحسن بن الحسن السبط ---------- ١٤٩،٢١٦
إبراهيم بن حمزة ----------١٢٣
إبراهيم بن محمد بن أبي يحيىٰ ----------١٨٤
إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله الكسائي ----------٣٤٨
إبراهيمَ بن موسىٰ الكاظم ----------١٠٣
إبراهِيم بن يَعقوب ----------٣٥٠
إبراهيم سلمان الكُروي ----------٢١٢
إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنىٰ ----------١٨٠
إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ١٠٩،١٥٨،٢٤١،١٦٨، ١٨٣
ابن أبي الحديد المعتزلي---------- ١٦ ،٢٩، ٣٤،٤٥
ابن أبي حاتم----------١٢
ابن أبي شيبة ----------٣٩٧
ابن أبي عاصم ----------٣٦٢
ابن أبي ميسرة ----------٢٣١
ابن أخشيد----------٢٠٨
ابن الأثير الجزري ----------٣٩١
ابن الاشعث---------- ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٨٩
ابن الأمير الصّنعاني ----------٤٣٦
ابن الجوزي ----------٢٣٢

ابن النديم---------- ١١٢، ٢١٢
ابن النرسي ---------- ١١٣
ابن الوزير محمد بن إبراهيم - ٤٩، ٤٩،٧٩،٥١، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٣٧٠، ٣٧١، ٤١٢، ٤١٦، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٣١، ٤٣٢
ابن تغري ---------- ١٢٢
ابن تيمية ---------- ٩٤، ٢٢٣
ابن جبير ---------- ١٢٠، ١٢١
ابن جريج---------- ٣٦٣
ابن حجر العسقلاني ---------- ١١٢، ٢٢٣
ابن حزم ---------- ٤٢٩
ابن خزيمة ---------- ٣٩٤
ابن خلدون---------- ١١٥، ٢٠٧
ابن شبّة ---------- ٣٥
ابن شِهَابٍ ----------٣٦٣، ٣٨٨، ٣٨٩
ابن شهر آشوب ---------- ١٤٣
ابن عَبَّاسٍ---------- ٣٦٢
ابن عبد السلام---------- ٢٢٣
ابن عبد الكافي السّبكي ---------- ٣٩١
ابن عساكر ----------٣٥، ٣٨، ١١٤
ابن عنّبة---------- ٢٦٠
ابن فروخ ---------- ٣٨٩، ٣٩٨
ابن قيم الجوزية---------- ٦٩، ١٢٨، ٢٢٣، ٨١، ٢٢٣
ابن قيّم الجوزية---------- ٨١

ابن كثير ----------١٠٦، ١١٦
ابن مَاجة ----------٢٠، ٣٤٩
ابن مردويه----------١٢
ابن هرمز----------٣٩٨
أبو إسحاق السبيعي ----------١١٤
أبو البختري ----------١٩٣، ١٩٧، ٢٠٢
أبو البركات ----------١١٤
أبو الحسن الأشعري ----------٦٤
أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني ----------١٦، ١٣٩، ٢٢، ١٦٤، ٢٣
أبو العبّاس السّفاح العبّاسي ----------٤٤
أبو العباس السّفاح ----------٤٥
أبو الفرج ابن الجوزيّ----------٢٨٨
أبو الفرج الأصفهاني ----------١٥٥، ١٦٤
أبو الفضل أحمد صاحب الدرر الكامنة ----------١٠٦
أبو الفضل بن شروين ----------٢٥٠
أبو القاسم البُستي----------٣٧١، ٣٧١، ٣٧٠
أبو بَكر الصديق بن أبي قُحافَة)١٠، ٢١، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ١٣، ٢٥، ١٦، ١٣، ٢٤، ٢٥، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٧، ٣٨، ٤٣، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٧، ٢٦، ٣٩٤، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ١٠٦، ٢٦١، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٩٢، ٤١٨، ٢٩، ٣٦، ٤٢٤، ٤٠، ٣٨٩، ٣٩٣، ٣٧٥، ٣٩٤، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٧٥، ٣٩٣، ٣٧٩، ٣٧٦، ٣٨٧
أبو جعفر المنصور ----------١٥٣، ١٧٧، ٤٤، ١٧٨
أبو حاتم ----------٣٤٨
أبو حَمْزَةَ ----------٣٩٧
أبو حنيفة----------٢٠١، ٢٢٣، ٤٠٦، ٤٢٦

أبو زرعة ---------- ٣٤٩
أبو سعيد الخدري ----------١٢،١٣،١٧
أبو طالب بن أبي شجاع ---------- ٢٥٠
أبو عبد الله البُخاري ---------- ٣٥٨
أبو عبد الله العلوي---------- ١١٣
أبو عبد الله بن محمد ---------- ٢٣١
أبو عزيز قتادة----------١١٦،١١٩،١١٥، ١٣١
أبو علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم الرسي ---------- ٢٣١، ٢٣٢،٢٣٦،٢٣٤
أبو فراس ابن دعثم ---------- ١١٧
أبو محمَّدٍ التّمِيميّ---------- ٢٨٥
أبو محمد الحضرمي ---------- ١٨٤
أبو محمد بن القاسم ---------- ٢٣١
أبو مَريمٍ الأنصَاري ---------- ١٧
أبو هُرَيْرَةَ ---------- ٢٨٩، ٢٩١،٣٥٦،٣٥٠،٣٨٩
أبو يعلى الفرّاء ---------- ٣٦٢،١٢،٢٨٥
أُبيّ بن كَعب ---------- ٣٨٨،٣٩١
أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن الإمام محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ١٨٠،٢٤٥
أحمد بن أحمد السيّاغي ---------- ٤١٤،٤٢٣
أحمد بن الحسن الرصاص ---------- ٩٤
أحمد بن الحسين الهاروني---------- ٤٢، ٩٦، ٢٤٥، ٤٢٥، ٤٣٥
أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ---------- ٢٥٢
أحمد بن حنبل ---------- ٦٤،٣٦٣،٣١٠،٢٨٥،٢٢٣،١٢٧،١٠٣
أحمد بن سليمان---------- ٤٢٥
أحمد بن عبد العزيز الجوهري ---------- ١٤

أحمد بن عبد الله العلوي ----------١١٣
أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ٢١،٢٢٢،٢٠،١٢٧،٢٠٦،٣٠،٢٤٢،١١٠، ٣٠،٢٢٣،١٦٧،٧٤،١٢٨، ٧٤، ١١١، ١٦٨،٤٣٥
أحمد بن محمد بن جبير الأندلسي ----------١١٥
أحمد بن موسى الطبري الزيدي ----------٣٣
أحمد بن يحيى المرتضى ---------- ٣٥، ٢٧٦، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٥
أحمد شوقي إبراهيم ----------٩٧
أحمد محمود صبحي ----------٩٦
الأحنَفُ بن قَيسٍ ----------٣٥٤
إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب ---------- ١١٠، ٢٤٢
إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ١٠٩، ١٠٣، ٢٤١، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٣، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤
أسامَة بن زيدٍ ----------٢١٩
أسماء بن خارجَة بن حصن الفزاري ----------١٤١
إسماعيل الأكوع ---------- ٦٤، ٨٥
إسماعيل بن إبراهيم الترجماني ----------٣٦٣
إسماعيل بن القاسم الرسي ----------٢٣٦
إسماعيل بن جعفر الصادق ---------- ٣٤، ٣٥
إسماعيل بن علي الأكوع ---------- ٦٣، ٦٧، ٧١، ٨٥
إسماعيل بن عَمرو----------٣٤٨
أشهب بن ربيعة صاحب المعد ----------٢٣٢
الأعرجي ----------٢٦١
الاغلب بن تميم ----------٣٦٢
أم أيمن---------- ١٣، ١٤، ٢٦، ١٩، ١٦، ٢١، ٢٥

أم كلثوم---------- ١٤٩
الإمام الفخي ---------- ١٧٤
إمام حنفي عبد الله ---------- ٩٧
البحتري بن حسان ---------- ١٤
البخاري ---------- ٢٢، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٤، ٤١٧، ٤٣٨، ٣٩٨،٢٣،٤٣٩، ٤٠٧
بدر الدين العيني ---------- ٣٩١
بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة ---------- ١٢٢
بريد بن معاوية ---------- ٢٧٦
البزّار ---------- ١٢
بكار بن مصعب الزّبيري ---------- ٢٠٠، ٢٠١
بن أبي مُلَيْكَةَ ---------- ٣٧٩
بهرام بن تيجاسف ---------- ٢٤٧
البيهقي ----------٢٢، ٣٩٤، ٣٩٦
الترمذي ---------- ٣٤٩، ٣٩٧
تقيّ الدّين الحصني الشّافعي ---------- ٢٨٥
ثقبة بن رميثة بن أبي نمىٰ ---------- ١٢٠
جَابِرِ بن عبد اللَّـهِ الأنصاري ---------- ٢٢
جُبَيْرَ بن مُطْعِمٍ ---------- ٣٦٣
جعفر بن أبي جعفر---------- ١٩٩
جعفر بن أبي طالب ---------- ٢٠٨
جعفر بن أحمد بن عبد السلام---------- ١٢٤
جَعْفَرُ بن سُلَيْمَانَ ---------- ٣٦٣
جَعفَر بن محمّد الصادق --١٦، ١٨، ١٧٠، ١٦٦، ١٧، ١٢٧، ١٥٧، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٦٩، ٨٨، ٢١، ١٧٤، ١٦٩، ١٧٠، ٢٧٧، ٢٧٠، ٢٧١
جعفر بن يحيىٰ ---------- ٢٠٢

جلال الدين السيوطي ----------١٢
الحجّاج بن يوسف الثقفي ---------- ١٤٢، ١٤٤، ١٤٦
حرب بن إسماعيل الكرماني ----------٦٤
الحسن البصري ----------٣٨٩،٣٩٧،٣٩٨
الحسن بن أحمد الجلال ---------- ٤١٢، ٤١٣، ٤٣٠، ٤٢٩، ٤٣٦
الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ---------- ١٤٠، ١٤٩
الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الإمام الرّضا) - ١٣٩، ١٣٩، ١٤٨، ١٤٣، ١٣٧، ١٤٥، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٤٢، ١٤٩، ١٧٧، ١٥٠، ١٤٨، ١٤٦، ١٤٤، ١٨٩
الحسن بن القاسم الرسي ----------٢٣٦
الحسن بن القاسم بن الحسن بن علي بن عبد الرحمن الشجري بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب----------٢٢٦
حسن بن زياد ----------٢١
الحسن بن زيد بن الحسن السبط ---------- ١١٠، ٢١٦
الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل ابن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السبط ---------- ٢٠٦، ٢٠٥، ١٣٧، ٢١٥، ١١٢، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٠٨، ٢٢٢، ٢١٦، ٢١٢، ٢١١
الحسَن بن سُفيَان ----------٣٥٠
حسن بن صالح----------٢١
الحسَن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم ----------٣٢
الحَسن بن علي بن أبي طالب١٤، ١٠، ١٥، ٢٠، ١٤٠، ١٠٧، ١٥٠، ٢٦، ٢١٩، ٢٠٣، ٢١٩، ٣١، ٣٨، ٤٣، ٤٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٤٣، ١٤٨، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٥، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٣٠، ٤١٨، ٢٠٣، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٨٦، ٣٦٤
الحسن بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن ----------١٨٣
الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ٢٠٩، ١٧٧، ١٣٧، ١١٢، ٢١٦، ٢١٣، ٢٢٢، ٨٨، ٢٧٧، ٢٤٥، ٢٢٣، ٢٢٦
حسن بن علي بن قتادة بن إدريس المكي الحسني ----------١٢٠

الحسن بن محمد بن عبد الله المحض---------- ١٥٦،١٥٨،١٦٢ ،١٦٣
الحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب
----------٤٦،٣٩٩،٣٩٨،٢٠٦،٢٧٣،٢٤٢،١١٠، ٤٠١،٢٢٢، ٤٠٣
حسن عبد الله العمري---------- ٤٣٠
الحسين الفخي بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن ١٥٥،٢٤١،١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥،
١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٦٥، ١٨٢
حسين المدرسي---------- ١٦٥
الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله الأرقط بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب
---------- ٢٠٨
الحسين بن القاسم الرسي ----------٢٣٤،٢٣٦
الحسين بن بدرالدين---------- ٩٥، ٩٦
الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ---------- ١٠٩، ٢٤١
الحسين بن علي الآملي المحدث ---------- ٢١٩
الحسين بن علي الفخي----------١٥٥، ١٦١، ١٦٢، ١٦٨، ١٨٠، ١٦٨
الحُسين بن علي بن أبي طالب ١٠، ١٤، ٢٠، ١٤١، ١٥، ١٤٨، ٢٦، ٢١٩، ١٩١، ١٧٠، ١٤٥، ١٤٩، ٣١، ٣٨،
٤٣، ٤٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٨، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٥، ٢٠٥، ٢٠٩،
٢١٠، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٣٠، ٤١٨، ١٦٠، ١٦٩، ١٧٣، ٢٠٣،
٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٨٦
الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن المثنى---------- ١٣٧، ٢٠٥، ١٥٣، ٢٧٨، ١٨٠
حُسَيْنِ بن قَيْسٍ---------- ٣٦٢
الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب --------- ١١٢
الحسين بن ناصر الشّرفي---------- ١٤٨
الحسين ذي الدمعة---------- ١٦٣
حَفص بن سليمان ---------- ٣٤٨

حميد بن أحمد المحلي ---------- ١٤٨،٢١٧،١٧،٣٤
حميدان بن يحيى القاسم ---------- ٩٠،٨٩
خُزيمة بن ثابت ---------- ٢٠،٢٠
خولة أم الحسن بن الحسن ----------١٤١
خَولَة بنت مَنظور بن زَيّان ويُقال ريّان ورَباب) بن سيّار الفِزاري الغَطفَاني----------١٤٠
الخوئي ----------١٦٧
خير الله الزركلي ----------٢١٧
داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ----------١٣٩
دَاود بن المبارك ----------٢٩
رزق الحجر ---------- ٦٨،٦٧،٦٤
رزق الله بن عبد الوهّاب ----------٢٨٥
رميثة بمثلثة مصغر أسد الدين أبو عرادة بن أبي نمى ----------١٢٠
ريطة بنت عبد الله بن محمد ابن الحنفية ----------١٦٤
الزُّبَيْر----------٣٧٥
زرارة بن أعين----------٢٧١
الزّرقاني ---------- ٣٩٣،٣٩٢
زكريا بن يحيى بن عمر بن سابور ----------١٨٥
زيد بن الحسن البيهقي ----------١٢٤
زيد بن الحسن السبط ---------- ٢٢٢،١٦،٢٦،١٨
زيد بن ثابت الأنصاري ----------٤٢٠
زيد بن علي الإمام ---------- ١٣، ١٤، ١٦،١٨، ٢٥، ٣٥، ٣٦،٣٧،٣٨، ٣٩، ٤٠،٥٠،
١،١٦٦،١٦٥،١٥٧،١٤٥،١٢٦،١٢٢،١١٥،١١٤،١١٣،١١٢،١٠٦،١٠٦،١٠٤،١١٦،٢٤٧،٢٧٨
١٦٨،٦٧،٢٢٣،١٨٩،١٨٥،١٦٩،٢٧٠، ٤٢٤، ٢٧٨، ٢٧٩ ، ٢٨٨ ،٣١١، ١٢٧، ١٦٩، ١٧٩،
٢١٦، ٤٢٤، ٤٣١، ٣٦٤،٣٦٥، ٣٨١،٣٩٦، ٤١٥،٤١٤،٤١٢،٤١١،٣٩٩،٤٢٨، ٤١٦، ٤١٧،

٤١٩،٤٣٦،٤٣٥،٤٣٣،٤٣١،٤٣٠،٤٢٩،٤٢٧،٤٢٦،٤٢٥،٤٢٢،٤٢٠، ٤٦،٤٣٩،٤٣٧،٤٣٨
زينب بنت عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ---------- ١٥٤، ١٥٥
سالم بن القاسم بن المهنا الحسيني ----------١٢٢،١٣١
السبكي ---------- ٢٢٣
سَعيد بن سُليمان ---------- ٣٥٠
سفيان بن عيينة---------- ١٦٤
سليمانُ بن القاسم ---------- ٢٣٢، ٢٣٣
سليمان بن داود بن حسن المثنى بن الحسن السبط ---------- ١١٥
سليمان بن عبد الله المحض ---------- ١٦٢، ١٨٢
سليمان بن عبد الله بن طاهر ---------- ٢٠٧
سليمان بن فليح ---------- ١٩٣
سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ---------- ٣٥٦
الشافعي ----------١٢٧، ١٨٥، ٣٨٧، ٢١،١٨٤، ٢٢٣، ٣٨٩، ٣٩٧،٣٩٨
شوزيل بن وشمكير ----------٢٤٨،٢٤٧، ٢٤٩
طاهر بن يحيى الحسين الحسيني ---------- ٢٣٠، ٢٣١
الطبراني----------١٣، ٣٦٢، ٣٦٣
الطبرسي ---------- ١٤٣
الطَّحَاوي---------- ٣٩٧
طلحة بن عبيدالله ---------- ٣٤
عاصم بن ضمرة---------- ٣٤٨
عَامر بن شراحِيل ---------- ٣٤٩
عائشة أمّ المؤمنين---------- ٢٢، ٢٤، ٣٧٩، ٣٨٠
عبّاس بن أحمد بن إبراهيم---------- ٤١١، ٤٣٧، ٤١٤، ٤١٥
العبّاس بن عبد المطلب ----------٢٢، ٢٣، ٢٤

العباس بن علي بن أبي طالب----------٢٢٩
العبّاس بن محمد----------١٥٩، ١٦١
عبد الجبّار(القاضي) ----------٦٩، ٧٠، ٧١
عبد الرحمن ابن الأشعث ----------١٤٤
عبد الرحمن بن إبراهيم العامري ----------٢٣١، ٢٣٢
عبد الرّحمن بن أبي الحسن التّميمي القرشي(ابن الجوزي) ----------٢٨٤
عبد الرحمن بن خلدون ----------١١٢
عبد الرحمن بن عبد القارىء ----------٣٨٨
عبد الرحمن بن عَوْفٍ ----------٣٧٥
عبد الصَّمَدِ بن عبد الوَارِثِ ----------٣٦٤
عبد الله الأفطس بن الحسن بن علي بن علي زين العابدين ---------- ١٥٧، ١٥٨، ١٨٠
عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب --١٨، ٢٦، ١٥٣، ٤٤، ٤٥، ١٢٨، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٤، ١٧٧، ١٧٨، ٤٠٢، ٣٩٩، ١٤٩، ١٦، ١٥٦، ٣٠، ١٦٠
عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم الغمر ----------١٥٨، ١٦٢
عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب ----------٢٠٩
عبد الله بن الإمام الهادي يحيىٰ بن الحسن القاسمي ----------١٤٨
عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسي ----------٢٣٠
عبد الله بن حمزة الإمام المنصور بالله --١٤٨، ١٣١، ١٣٠، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١١٨، ١٦٣، ٢١٧، ١٦٤، ١٣١، ١٧، ٢٠٩، ٣١، ٩١، ١١٦، ١١٧، ١٢٢، ٤٣٥، ٩٤
عبد الله بن دينارٍ----------٣٥٠
عبد الله بن طاهر ----------٢٣١
عبد الله بن عبّاس ----------٢٩٩، ٤٢٠
عبد الله بن عُمر ---------- ٢١٩، ٢٩٠، ٣٩٦، ٣٨٩، ٣٥٨، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٦
عبد الله بن عون ----------٣٩٧

عبد الله بن مسعود ---------- ٤٢٠
عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض الحسني الأصل---------- ١١٠،١٦٨،١٢٧،١١١،٢٢٢،
١٢٨،٢٩،٢٤٢، ٣٩٩،٣٠،٢٢٣
عبد المجيد بن وهب ---------- ٢٠
عبد الملك بن مروان ----------١٤٢،١٤٦
عُبيد بن يقطين ---------- ١٥٩
عُبيدالله بن العَبّاس---------- ١٨٨
عثمان بن حُنيف الأنصاري ---------- ١٥
عُثْمَانَ بن عفان ---------- ٢٤، ٣٥١
عثمان بن مَطر---------- ٣٤٩
عجلان بن رميثة بن أبي نمي ---------- ١٢٠، ١٢٢
عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ ---------- ٣٨٨
عز الدين بن الحسن ---------- ٤٢٣،٤٣٣،٤٣٥
عقبة بن يحيى ---------- ١١٧
عِكْرِمَةُ بن عَمَّارٍ---------- ٣٦٤
العَلَاءِ بن الْحَضْرَمِيِّ ---------- ٢٢
العَلاء بن زياد العَدويّ البَصريّ ---------- ٣٥٧
عُلَيّ – على صيغة التصغير –بن عيسى بن حمزة بن وهاس ---------- ١٢٤
علي الحربي ----------٥٢، ٦٤، ٦٨، ٧٠، ٨٤
علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -------- ١٠٩، ٢٤٢
علي العريضي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ---------- ١٠٩، ٢٤٢
علي الهادي بن محمد الجواد ---------- ٢٦٠
علي بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى ---------- ١٥٨
علي بن أبي طالب١٥، ١٨، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٧، ٤٢، ١٠٦، ١١٠، ١٢٩، ١٥٦، ١٦٤،

٢١٠، ٢٦٠، ٢٧٧، ٤٠٦، ١٦٠،٤٢٠، ٢٣،٢٥،٢٤، ٢٦، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٣، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٨، ٢٦١، ٢٦٢، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٤٠١، ٤٢٦،٢٧، ٢١٩، ٣٤٨، ٣٩٨، ٣٩٩، ٣٥٣،٤٢٠، ٣٥٤، ٣٧٥،٣٧٧،٤٣٨،٣٧٦، ٧٤،٤٣٩

علي بن أحمد الأكوع----------١١٨

علي بن إسماعيل بن إدريس----------٢٤٥

علي بن الحسين زين العابدين----------١٤٢،١٤٣، ١٤٤،١٤٥

عَلي بن العبّاس الأزرق الأسدي الكوفي ----------١٧

علي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ----------١٥٥

علي بن داود ----------١٠٧

علي بن سلطان القاري ----------٣٩٢

علي بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الإمام القاسم الحسني ---------- ١٢٥، ٢٢٩،٢٣٠

عُلَيّ بن عيسىٰ بن حمزة بن وهاس ----------٢٩

علي بن محمّد الأشموريّ ----------٤١٤

علي بن محمد البكري ----------٤٢٣، ٤٣٥

علي بن محمد الجِنّاني----------٢٦٠،٢٦٠،٢٥٩

علي بن محمّد العجري---------- ٧٤،٤٢٤،٣٧١،٣٤٩، ٨٩

علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب---------- ٢٥٩،١٣٧

علي بن محمد بن عبيدالله بن عبد الله بن عبيدالله بن الحسن بن عبيدالله بن أبي الفضل ------- ٢٢٩، ٢٣٤

علي بن محمد بن فليته السليماني----------١٢٧

علي بن يحيىٰ العجري المؤيدي ----------١٢٥

عمار بن ياسر ----------١١٠

عمر إبراهيم الزيدي ----------١١٣، ١١٤

عمر الأشرف بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ----------٢١٦

عمر بن الحسن بن علي بن علي زين العابدين ----------١٥٨

عمَر بن الخطاب١٣،١٣، ٢٣، ٢٤، ٢٤،٢٣،٢٥،٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٤٣، ٤٥، ١٠٦، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٩٣، ٣٩٤، ٢٦١،٣٩٥، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٧٥،٣٧٥،٣٦٤،٣٩٤، ٣٧٦،٣٩٠،٣٨٨، ٤٠٧،٤٠٤،٣٩٢،٤٠٦

عمر بن شبّة ---------- ١٣

عمُر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيدالله بن عمر بن الخطاب ---------- ١٥٦، ١٨٠

عمر بن عبد العزيز ---------- ١٢، ٤٣

عمر بن علي ---------- ١٤٢

عُمر بن محمد بن يزيد ---------- ٣٥٠

عمرو بن جميع ---------- ٣٦٣

عيسىٰ بن زيد ---------- ١٠٧، ٣٥٢

عيسَىٰ بن موسىٰ بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ---------- ٣٤

فاطمة البَتول الزّهراء ٢٥،١٤،٢٠٣،١٤٠،١٠، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ١٣١، ١٤١، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٨، ١٦٦، ١٦٧، ١٨٠، ١٨٣، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٦٢، ١٠،٣٧٧، ١٢، ١٣، ١٥، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ١٣،٢٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٣، ٢٤، ١٤،١٤،٢٥، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ١٥،٢٣، ١٩، ٢٢، ٢٧،٢٣، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٢٧،١٤٠، ٢٩، ٣٩، ٤٣، ١٤٩، ٣٨٠،١٤١، ٢٧٧، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١،٢٦،٢٩،٣٦

فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ---------- ١١١

فاطمة بنت الحسين بن علي ---------- ١٤١،١٧٧، ١٤٩، ١٥٠

فاطمة بنت محمد بن جعفر ---------- ٢٣٢

فرج الله أحمد يوسف ---------- ٢١٠، ٢١١

الفضل بن يحيىٰ البرمكي ---------- ١٩٣، ٢٠٢

فضيل بن مرزوق ---------- ٣٩

القاسم البُستي الزّيدي ---------- ١٨

القاسم العياني بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم الرسي ١٠٨،١٢٩، ٢٥٥، ١٣٠، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٥٦

القاسم بن إبراهيم الرسي ٢٥،١٠٨،٢٧٤،٢٢٢، ٢٩، ٣٠، ٣٦، ٥٠، ٩٦، ٩٧، ١٠٣، ١٠٨، ١٠٩، ١٢٨، ١٢٩، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٨٠، ١٨٣، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣١، ١٤٦، ٢٠٠، ٢٠٦،٢٩،٢١،١٧،٤٠٢،٢٤١، ٢٤١،٢٤١،٢٣٩،٢٣٨، ١١٠

القاسم بن علي العياني) بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ----------١٣٧

القاسم بن محمد بن عبد الله المحض ----------١٨٣

القَاسِم بن محمّد بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمِي ----------٣٤

القَاسم بن محمد ---------- ٨٩،٤٣٩،٤٣٨،٤٣٥،٤٢٥،٤٢٣،٤١٧،٣٧٩،٣٤

قتادة بن إدريس بن مطاعن الموسوي الحسني١١٦،١١٥،١١٦،١٦٣،١١٧،١٢٦،١٢٤،١١٨،١١٩، ١٢٢

القُرطبي ----------٢٠

الكاظم---------- ١٥٧، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٢، ١٨١، ٢٧١

كثير بن زاذان ----------٣٤٨

الكليني ----------١٥٨

الكميت بن زيد ----------٢٨، ٣٦

مَالِك بن أنس ----------٤٢٥،٢٨٨،٢٠

مَالِكَ بن أَوْسٍ ---------- ٣٧٦،٣٧٥

المأمون ----------٤٤

مجد الدين المؤيدي---------- ١١٤،٤٣٤،٤٣٧،١٢٤، ١٢٥،٣٣،١٢٦،٤١٥،١١٧

محمد أحمد الجرافي ----------٤٣٠

محمد أخشيد----------٢٠٨

محمّد الأكبَر ----------١٤٠

محمد الجواد ----------١٦٧

محمد بن إبراهيم العلوي---------- ٢٠٨
محمّد بن إبراهيم الوزير --- ٤٩،٤٢٦،٣٧١، ٦٤، ٦٧، ٧١، ٧٨، ٨٥، ٨٧، ٤١٦، ٤٣٠، ٤٣١، ٧٨،٤٣٥
محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم الشبه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ---- ١٠٩، ٢٤١
محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الوزير الرسي الحسني ---------- ٥٠
محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم ---------- ٢٠٧
محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس المكي الحسنى الشريف ---------- ١٢٠
محمّد بن أحمَد بن محمد بن حشيش المعدل ---------- ٣٤٨
محمد بن الحسن الشيباني---------- ٢٠١
محمد بن الحسن بن محمد بن جعفر الحسني ---------- ٢١٧
محمّد بن القاسم الحسيني ---------- ٣٥٤
محمد بن القاسم الرسي قاموس العترة ---------- ٢٠٠، ٢٢٣، ٢٠٩، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٢٩، ٢٣٠
محمد بن القاسم الطالقاني ---------- ١١١
محمد بن القاسم بن علي بن عمر الأشرف بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ---- ١١٠، ١١١، ٢٤٢
محمد بن القاسم ---------- ١٢٤، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٣٧، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٤
محمد بن المطّهر ---------- ٤١٧، ٤١٦، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٣٥، ٨٨، ٤٣١
محمد بن أوس البلخي---------- ٢٠٨، ٢٠٧
محمد بن بركات بن محمد بن بركات ---------- ١٢٥
محمّد بن بندارٍ ---------- ٣٥٠
مُحَمَّدَ بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ ---------- ٣٦٣
محمد بن جرير الطبري---------- ١٠٧، ٤١٨، ١٠٨، ١١١
محمد بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب---------- ١٠٩، ٢٤١
محمد بن جعفر بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ---------- ٢٠٨
محمد بن جعفر بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن حسن ---------- ١١٢
محمد بن جعفر بن عبيدالله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ---------- ٢٣٢

محمد بن حمزة ----------٢٠٨
محمد بن حيدر النعمي ----------١٢٦
محمد بن حيدر بن ناصر بن هادي القبي النعمي ----------١٢٥
محمد بن زيد الحسني ---------- ١١٢،٢٢٠،٢٢٢،٢١٧،٢١٦،٢١٦،٢١٥،٢١٣،٢١٠
محمد بن سليمان العباسي ---------- ١٥٩،١٦١
محمد بن سليمَان الكوفي ---------- ٣٨،١٧
محمد بن عبد الله النفس الزكية الخائفة التقية المرضية -- ١٥٥،١٥٤،١٩٠،١٦٦،١٦٩،١٥٧،١٨٥،١٦٧،
١٦٨،١٧٠،١٧٨،١٩١،١٦٥،٢٧٨،٢٠١،١٧١،١٧٩
محمد بن عبد الله بن الهادي بن إبراهيم الوزير ---------- ٦٧،٨٥،٧٨
محمد بن عبد المؤمن الحصنيّ الشافعيّ----------٢٨٤
محمد بن عبيدالله----------٢٣٥
محمد بن علي الإمام الباقر---------- ٢٩،٣٦،٤٣،٨٨،١٦٦،٣٥٣،٢٧٧،٢١،١٢٨،١٦٩
محمد بن علي الحسني ----------١١٦
محمد بن علي الزّحيف ----------١٤٨
محمد بن علي الشّوكاني ---------- ٤١١،٤٢٨،٤٣٤،٤٣١،٤٣٢،٤٣٦،٤٣٣
محمد بن علي العلوي الزيدي---------- ١١٣،١١٤
محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن ---------- ١١٢،١٦٧،٢٠٦
محمد بن علي بن عبد الله بن عباس----------١٩٠
محمّد بن عَلي بن مخلد الدّركاني ----------٣٤٨
محمد بن عَمْرٍو ----------٣٦٣
مُحَمَّدُ بن مُحَمَّدٍ التَّمَّارُ البصري ----------٣٦٣
محمد بن محمد بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب----------١٠٩، ٢٤٢
محمد بن محمد زبارة الحسني الصنعان ----------٢٣٣
مُحَمَّد بن مسلمة ----------٢١٩

محمد بن منصور المرادي ---------- ١٦٧،٢١،٢١٥،٣٤٩،٣٧٠،٣٧١
محمد بن موسى البخاري ---------- ٢١٩
محمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى ---------- ٣٠
محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب----------٤٤،١٤
محمد بن يعقوب الكليني ---------- ١٦٩، ١٧٢
محمد حسين الأعرجي---------- ٢٦٠
محمد علاء الدين المصري ---------- ٥٧
مزاحم بن خاقان أرطوج ---------- ١١٢
المسعودي---------- ٢٦٠
مُسلم ابن جندب ---------- ٣٨٨
مُعَاذُ بن المُثَنَّى---------- ٣٦٢، ٣٦٣
معاوية بن أبي سفيان---------- ١٢٠، ١٤١، ١٣٩
معاوية بن قرة ---------- ٣٦٢
معقل بن يسار ---------- ٣٦٢
المُعَلَّى بن زِيَادٍ الفِرْدَوْسِيِّ ---------- ٣٦٣
المعلى بن زياد ---------- ٣٦٢
المَقبَلي ---------- ٤٣٦
مُليكَة ---------- ١٤٩
منظور بن زيَّان الفزاري ---------- ١٤٩
المنظور بن زيّان---------- ١٤١
موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب---------- ١٠٩، ١٥٥،٢٤١، ١٨٣
موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -١٠٩، ١٥٧،٢٤١، ١٥٨، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٠، ١٧١، ١٧٤، ١٧٣،١٧٢، ١٨٠، ٢٠٣
موسى الهادي ---------- ٢٠٥

موسى بن عيسى ---------- ١٥٩، ١٦٠، ١٦١
موسى بن محمد العبّاسي ----------١٥٦
النّخعي ----------٣٨٩
نشوان الحميَري ---------- ٤٢٣، ٤٣٥
النفس التقية أبي عبد الله بن الحسن ---------- ١٧١، ١٩١، ١٧٢
نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب---------- ١٠٩، ١١٠، ٢٤٢
النميري بن حسان ----------١٣
الهادي بن إبراهيم الوزير الحسني ----------٣١، ٧١، ١١٤، ٦٧، ٦٨، ٧٧، ٧٨، ٧٢
هارون الرشيد العباسي ------- ١٧٢، ١٧٩، ١٨٦، ١٩٣، ١٧٨، ١٩٨، ١٩٩، ١٩٣، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢
هاشم بن حازم بن راجح بن أبي نُمَيَّ ----------١٢٥
هب بن وهب البختري----------٢٠٢
هشام بن الحكَم ----------٢٧١
هشام بن سَالم ----------٢٧١
هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود----------١٥٤
الهندي ----------١٢
الواحدي ----------١٣
الوليد بن عبد الملك---------- ١٤٩، ١٤٦، ١٥٠
ياقوت الحموي ----------١١٣
يحيى بن الحسين الشجري ----------٤٣٥
يحيى بن الحسين الشّهاري ---------- ٤١١، ٤١٢، ٤١٦، ٤٢٣، ٤٣٢، ٤٢٦
يحيى بن الحسين المؤرخ ---٤١٢، ٤١٣، ٤٢٤، ٤٣٢، ٤١٧، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤١٩، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١،، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٢٣، ٤١١
يحيى بن الحسين الهادي الى الحق عليه ----------٢٢٢، ٢٣٥، ٢٢٤، ٢٣٤، ١١٢، ٢١٦، ٢٧٤، ٢٣٣، ١٢٩، ١١، ٢٥٠، ٢٣٠، ١١٠، ٢١٦، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٥٦، ٤١، ٥٠، ٩٠، ٤٢٨، ١٠٣، ٤٣٠، ٤٢٩، ٤٣١، ٢١٧، ٤٣٣، ٤٣٢، ١٦٤، ٢٧٧، ٢١٩، ٤٣٥

يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله ---------- ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٢٨
يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ---------- ١١٠، ٢٤٢
يحيى بن الحكَم ---------- ١٤٢، ١٤٣
يحيى بن المتوكل ---------- ٣٥٠
يحيى بن بُكَيْرٍ ---------- ٣٦٣
يحيى بن حمزة ---------- ٣٦٥، ٣٥، ٣٤٠، ٣٢، ٢٦، ٢٥، ٤٣٧، ١٥، ٤٣٥، ٤٣٤، ٤٢٥، ٤٠٢، ٣٩٩
يحيى بن خالد بن برمك ---------- ١٨٦، ٢٠٠، ٢٠٢
يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ---------- ١٨٥، ١٧٩، ١٦٥، ١٦٠، ١٠٧، ١٠٧
يحيى بن عبد الله المحض ---------- ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ١٧١، ٢٠٥، ٢٠٧، ١٧٨، ١٦٧،
١٩٩، ١٣٧، ١٧٧، ٢٤١، ٢٨، ١٠٩، ٢٠٣، ٢٠٥، ٤٤، ١٧٢، ١٧٩،
١٨٢، ١٨١، ١٨٠، ٢٠٠، ١٨٥، ١٨٤، ١٨٣، ١٨٦، ١٩٣، ١٩٧، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٧١، ٢٠٣،
٢٩، ٣٦، ١٦٣، ١٧٨
يحيى بن علي بن فليته السليماني ---------- ١٢٤، ١٢٣، ١٢٥
يحيى بن عمر الحسيني الأصل ---------- ٢٢٢
يحيى بن عمر الزيدي ---------- ٢٦٣، ٢٦٤
يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - ١١١، ٢٠٧، ٢٠٦، ٢٢٢، ٢٦١
يحيى بن عُمر) بن طاهر بن عبد الله ---------- ٢٠٧
يحيى بن معين ---------- ٣٤٨
يحيى بن يعمر ---------- ٢٠
يزيد بن عبد الملك ---------- ٤٣
يزيد بن هارون ---------- ٣٨٨
يعقوب بن داود الفارسي ---------- ١٠٧
اليَعقوبي ---------- ١٤، ١٠٨
يوسف ابن تغري ---------- ١٢٠
يوسف الداعي ---------- ٢٥٦
يوسف بن عبد الله ---------- ١١١
يوسف بن يحيى بن الحسين ---------- ٤٣٢

فهرس المذاهب والفرق

الإباضيّة ---------- ٢٨٦، ٢٨٧
الاثني عشرية ---------- ٢٧١
الأشاعرة----------٨٢، ٨٧، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨
الأشعرية---------- ٨٣
الإمامية ---------- ١١٥، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٣٠
الباطنية---------- ٣٢١
الجارودية ---------- ١١٢
الجبرية ---------- ٦٨
الجعفرية --- ١٤٣، ١٥٧، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٨١، ٢٥١، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٦، ٢٨٨
الجهمية---------- ٧٠
الحنابلة ---------- ٢٨٤، ٢٨٨، ٣٠٩
الحنفية ---------- ١٢١
الخوارج ---------- ٤٢٦، ٤٢٩
الرّافضَة ---------- ٤٢٩
الزيدية١٠، ١٤، ١٧، ٢١، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٦، ٤٠، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٨، ٦٠، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧٥، ٧٦، ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٤٣، ١٤٥، ١٥١، ١٦١، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣١١، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠،

٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٨، ٤١١، ٤١٢، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٣٩

السلفيّة ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٧، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٩٥، ٤٢٩

الشافعية ---------- ١٠٦، ١٢١

الشيعة -- ٣١، ٤٩، ٦٧، ٨٧، ٩٣، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١١١، ١١٥، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٥٨، ٢٠٦، ٢٤٦، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٤٣٨

الصوفية---------- ٢٣٠

العدلية ---------- ٦٦

الفرقة السنية --- ١٠، ٤٩، ٥٠، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٦، ٦٨، ٧٠، ٧٣، ٨١، ٩١، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤١٧

المجبرة ---------- ٦٠

المرجِئة ---------- ٣٧١

المعتزلة ---- ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧٥، ٨٢، ٨٣، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ٩٧، ٣٢٤، ٣٤١، ٤٢٨، ٤٣٨

النّصرانية ---------- ٣٦٥

الهادوية ---------- ٢٢٤

اليهود---------- ٣٠٣، ٣١٤، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٦٥

أهل السنة--- ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٧٠، ٧٢، ٨٢، ٨٥، ٨٦، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٧، ١٢٠، ٢٨٤، ٤٠٥، ٤٢٩

فهرس البلدان

أبهر ---------- ١٩٣
آمل عاصمة طبرستان---------- ٢٠٨، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٤٥
إيران ---------- ١٠٤
بايدشت ---------- ٢٠٨
برفجان---------- ٢٤٨
البصرة ---------- ١٠٧، ١٠٨، ١٨٣، ٣٥٤
بغداد ---------- ١٠٥، ١١٢، ١٥٥، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠١
البقيع بالمدنية المنورة---------- ١٥٠
تركستان ---------- ٢٠٥
جرجان ---------- ٢١٢، ٢١٥، ٢١٧
جستان ---------- ١٨٦، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٥، ٢١٧
الجوزجان ---------- ١٧٩
الجيل ---------- ١٠٣، ١١٤، ١١٥، ١٢٧، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٧٤، ٤٣٦
جيلان ---------- ٢١٢، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩
الحبشة ---------- ١٨٣، ٢٠٥
الحجاز ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١١٥، ١١٧، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٥، ١٤٦، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٩، ٢٣٢، ٢٧٤
خثعم---------- ٢٥٥، ٢٥٦
خراسان ---------- ١٠٧، ١٨٩، ٢٠٧، ٢١٥
الدّامغان ---------- ٢١٧
دسينا ---------- ١٩٣

دمشق ---------- ٣٥، ٣٨
دنباوند ---------- ١٩٣
الديلم ٢٧٤، ٢٨، ٤٣٦، ٢٩، ٣٦، ١٠٣، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١٢٧، ١٦٣، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٦، ١٩١، ١٩٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٤٧، ٢٤٨
الرويان ---------- ١٩٣
الرَّي ---------- ٢٠٧، ١٩٣، ٢٠٨، ٢٤٧
زنجان ---------- ١٩٣
سالوس ---------- ٢٠٨
سجستان ---------- ١٤٤، ١٤٦، ١٨٩
سعد أباد ---------- ٢٠٨
السودان ---------- ٤٣٧، ١٩٦
سويقَة ---------- ١٨٠
الشام ---------- ١٤٤
شهارَة ---------- ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٦
شهربرد ---------- ١٩٣
صعدة ---------- ١٠٨، ١٢٤، ١٢٥، ٢٢٥، ٤١٥
صنعاء ---------- ٣٣، ١٣٠، ١٨٥، ٢٠٥، ٤١٦، ٤٣٧
ضحيان ---------- ١٢٥
طبرستان --- ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٦٣، ١٧٧، ١٨٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٣٣، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٦١، ٢٧٤، ٢٧٧
الطبرستاني ---------- ٢٠٧
العراق ---------- ١٤٢، ١٤٣، ١٨٤، ١٨٩
عسير ---------- ٢٥٥
الغدير ---------- ١٠٣، ٢٦١

فارس ---------- ١٤٦
فخ ----------١٥٣، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ٢٠٥
قزوين ---------- ١٩٣
قومس ---------- ٢١٢
كازرون ---------- ٢٤٧
كحلوم ---------- ٢٤٨
كُذَة ---------- ٢٤٨
كذكاهان ---------- ٢٤٨
كربلاء ---------- ١٣٩، ١٤٤، ١٤٨، ٢٢٩
كرمان ---------- ٢٣٣
الكلاذجة موضعٌ أيضاً في إيران ---------- ٢٤٥، ٢٤٦
كلارستان ---------- ٢٠٨
كلوا ---------- ٢٤٩
كوشيد ---------- ٢٠٨
الكوفة -- ٢١، ٣٤، ١٠٤، ١٠٦، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١٢٢، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٦٧، ١٨٣، ٢٠٦، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٤، ٤٣٦
كيجور ---------- ٢٠٨
ما جاورها ---------- ١٩٣
المدينة المنورة- ١١، ١٥، ٢٢، ٢٣، ١٠٨، ١٢٢، ١٣١، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ٢٠٠، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٤
المدينة--------- ١٠٨، ١٣١، ١٤٢، ١٥٦، ١٥٩، ١٧٠، ١٨٠، ١٨٤، ١٩٤، ٢٠١، ٢٣٤، ٣٨١
مصر ---------- ١٨٤، ٢٣٢
المغرب ---------- ١٠٣، ١٦٣، ١٨٢، ١٨٤
مكة المكرمة ----------١٠٤، ١١٥، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٣، ١٨٥

مكة ---٢٩، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٣، ١٩٤

ناتل وبايدشت ----------٢٠٨

نجران----------١٢، ٤١

نيسابور ----------٢١٠، ٢١٥

همدان ----------١٩٣

الهند ----------٤١

هَوسم----------٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩

اليمامة من بلاد نَجد ----------٢٧٤

اليمن --٤١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٤، ١٢٥، ١٨٥، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٧٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨

الفهرس المحتويات

الثّامنة عشَر : فَدَكُ عِنْدَ أهْل البَيت ----------٧
فدك في عهد الرسول (ص) ----------١١
فدك مِلكٌ للرسول (ص)، نِحْلَةٌ لفاطمة الزهراء (ع): ----------١٢
فدك في عهد أبي بكر، وكيفيّة النزاع حولها----------١٨
أقوال عُلَمَاء الزيدية وغيرهِم في مظلوميّة الزهراء و حُكم أبي بكر في فدك ----------٣٣
اعتراضات قد تَرِد على صحّة حكم أبي بكر في فدك:----------٣٥
خاتمَة ----------٤٦
التّاسعَة عشر: إلقَاء الضّوء على بَعض عقائد محمد بن إبراهيم الوزير ----------٤٧
إلقَاء الضّوء على بَعض عقائد محمد بن إبراهيم الوزير ----------٤٩
سبب الدراسة : ----------٥٠
الهدف من الدراسَة:----------٥١
عقائد محمد بن إبراهيم الوزير (ع) :----------٥٣
نماذج تستطيع من خلالها معرفَة منهج ابن الوزير في إسهاباته، ومُتَشَابَهِ كلامِه : ----------٧٩
التقيّة في مَنهج محمد بن إبراهيم الوزير:----------٨٤
إشكالات حول تقيّة ابن الوزير رحمه الله : ----------٨٤
العشرون : صَرْمُ الصَّارِم الحَديدِي لإثبَات تَمَذهُب السَّادَة الأشْرَاف بِالْمذهَب الشِّيعِي الزَّيدِي --٩٩
مُذهَب الشِّيعِي الزَّيدِي----------١٠١
الحَادية والعشرون : سِيَر بعض أئمّة أهل البيت (ع) ----------١٣٥
الإمام الرّضا الحسن بن الحسن ابن رسول الله: ----------١٣٩
الإمام الحسين بن علي بن الحسن ابن رسول الله (ص) ----------١٥٣
الإمام يحيى بن عبدالله بن الحسن ابن رسول الله (ص) ----------١٧٧

الدّاعي إلى الحق المُبين الحسن بن زيد ابن رسول الله (ص) : ---------- ٢٠٥
الإمام الناصر الأطروش الحسن بن علي ابن رسول الله (ص) ---------- ٢١٥
سِيرَةُ الإمَام الأعْظَمْ، والبَحْرُ الخِضَمّ، والبَدْرُ الأَتَمْ مُحَمَّدُ بن القَاسِمْ الرَّسِي (ع) . -------- ٢٢٩
الإمام أحمد بن الحسين الهاروني ابن رسول الله (ص) ---------- ٢٤٥
وفاته (ع) : ---------- ٢٥٢
الإمام الأعظم، والبحر الخِضَمّ، والبدرُ الأتمّ، المنصور بالله رب العالمين القاسم بن علي العياني (ع) -- ٢٥٥
علي بن محمد الحِمّاني (ع)---------- ٢٥٩
الثانية والعشرون : مَا السّبيل لفَهم القُرآن ؟!. ---------- ٢٦٥
ما السبيل لفَهم القُرآن ؟---------- ٢٦٧
الثالثة والعشرون : نِقاش حول منهجيّة تأصيل الصّفات من مُتشابه القرآن ---------- ٢٨١
نِقاش حولَ منهجيّة تأصيل الصّفات مِن مُتشابَه القرآن ---------- ٢٨٣
ذِكر تشنيعِ ابن الجَوزي الحَنبلي،والحِصني الشّافعي على المجسمة الحنابلة: ---------- ٢٨٤
مُناقشَة أنّ السلفية لا تربط الحقّ بالرّجال،والزيدية تربطُ الحقّ بالرّجال: ---------- ٢٨٥
إلزَام للمُخالِف واختبَارٌ له في منهجيّة تأصيلِه للصّفات الإلهيّة :---------- ٢٨٩
بيان التّناقض في أصل منهجيّة السلفيّة في تأصيل الصّفات من الأحاديث الثّلاثة السّابقة: --- ٢٩٢
مُناقشَة اختلاف قوانين العالَمَ الحسّي الدّنيويّ عَن العالَمَ الغَيبي الأُخرويّ: ---------- ٢٩٩
الرابعة والعشرون : مَسائل في عقيدَة الخُلود ---------- ٣٤٥
مَسائل في عَقيدَة الخُلود ---------- ٣٤٧
الخامسة والعشرون : فَوائد حولَ قضيّة فَدك وخبر التوريث---------- ٣٧٣
فَوائد حول قضيّة فدَك وخبر التّوريث ---------- ٣٧٥
السادسة والعشرون : نِقاش حول أصل صلاة التّراويح السنّة والبدعة ---------- ٣٨٣
نِقاش حولَ أصل صَلاة التّراويح السنّة والبدعَة ---------- ٣٨٥
السّابعة والعشرون : مناقشَة دعوى بتر أحاديث المجموع الفقهي للإمام زيد بن علي (ع)---- ٤٠٩
مُناقشَة دَعوى بَتر أحاديث من المَجموع الفِقهي للإمام زيد بن عَلي (ع) ---------- ٤١١

حوارٌ ثانٍ في مُناقشَة دَعوىٰ بَتْر أحاديث المَجموع الفقهيّ للإمَام زيد بن عَلي----------٤٢٨
الفهارس العامة ----------٤٤١
فهرس الآيات----------٤٤٣
فهرس الأعلام ----------٤٦٣
فهرس المذاهب والفرق----------٤٨٣
فهرس البلدان----------٤٨٥
الفهرس المحتويات ----------٤٨٩